مركز تحقيق التراث

شروح سقط الزند

القسم الثاني

تحقيق الأساتذة

مصطفى السقا — عبد الرحيم محمود

عبد السلام هارون — إبراهيم الأبياري

حامد عبد المجيد

بإشراف الأستاذ

الدكتور طه حسين



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

مركز تحقيق التراث

شروح سقط الزند

القسم الثاني

تحقيق الأساتذة

مصطفى السقا عبد الرحيم محمود

عبد السلام هارون إبراهيم الإبياري

حامد عبد المجيد

بإشراف الأستاذ

الدكتور طه حسين



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

طبعة ثالثة
مصورة عن نسخة دار الكتب
سنة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م

تقـــديم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ما برحت لجنة إحياء آثار أبى العـلاء توالى اهتمامها بالبحث عن المخطوطات العلائيـة . وهى فى سبيل ذلك تتصل بشتى المكتبات لتظفر بأكبر مجموعة من تلك الآثار .

وكان من التوفيق أن تمكّنت اللجنة فى هذا العام من الحصول على مخطوطات ومصورات جديدة لشروح سقط الزند، وهى :

١ — (نسخة حـ من شرح التبريزى)

فقـد أتيح لنا أن نظفر من الحكومة العراقية الشقيقة بنسخة جيدة من شرح التبريزى لسقط الزند، وهى التى رمزنا إليها برمز (حـ) من التبريزى . وهذه النسخة من محفوظات مكتبة جامع الباشا بالموصل، وأثبتهـا الدكتور داود الجلبى الموصلى فى كتابه « مخطوطات الموصل » ص ٤٩ .

وهذه النسخة قد أكملت وصححت كثيرا مما فى نسختى ا ، ب . وقد كتب فى آخرها : «هذا آخر إيضاح سقط الزند وضوئه من شعر أبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان» .

وتقع فى ٥٩٩ صفحة من القطع المتوسط، ومُيِّز فيها متن السقط بالمداد الأحمر . وهى مجهولة التاريخ، وأقدم تاريخ على صدرها تمليك يرجع إلى سنة ١٠٤٩ هـ .

٢ — (نسخة د من التبريزى)

وهـذه النسخة قد تكرَّم مشكورا بتقديمها إلى اللجنة حضرة الأسـتاذ العلامة الجليل أحمد بك أمين، للاستفادة بها فى أثناء التحقيق . وهى من كتب المغفور له

الشيخ على الليثى . وقد كتب الأستاذ أحمد بك أمين على ورقة ملحقة بأول النسخة ما نصه : « هــذه النسخة من كتب المرحوم الشيخ على الليثى ، أهداها إلىّ صهره محمد علىّ سعودى بك فى يوم الخميس ٩/٥/٤٦ » .

والتفسير الذى تشتمل عليــه هذه النسخة ليس تفسيرا خالصا للتبريزى ؛ لأن النســخة تخالف نسخ شروح التبريزى مخالفات كثيرة ، وتحتوى على بعض عبارات وتأويلات هى ، فيما نظن ، من كلام بعض المتأخرين .

ومهما يكن من شأن هــذه النسخة فإن اللجنة قد استضاءت بها واستعانت على حل كثير من مشكلات شرح التــبريزى . وتقع هــذه النسخة فى ٣٣٨ صفحة من القطع المتوسط ، وميز فيها متن الســقط بالمداد الأحمر ، وكتب فى آخرها : « فرغ من تحصيله لنفسه الفقير الى الله عزوجل الفقير سعيد بن صالح السمحى ، سامحه الله بحق محمــد وآله صلى الله عليــه وعليهم . ووافق الفــراغ ضحوة يوم الجمعة المباركة سابع شهر ذى الحجة المباركة الذى هو من شهور سنة ١٢١٩ » .

٣ — (نسخة مكتبة جامعة كمبردج)

وتمكنت اللجنة من الحصول على صورة شمسية من سقط الزند لنسخة محفوظة بمكتبة جامعة كمبردج برقم (Ff 1. 1, Qq 83²) من قسم المخطوطات[(١)] . وهذا المجلد فى ٢٢٠ لوحا ، وهو يشتمل على نسختين من سقط الزند . وإحداهما فى حواشيها وبين سطورها تعليقات وشروح مختلفة بعضها من التبريزى ، وهى فى ١٤٩ لوحا . والأخرى مجردة من التعليقات وهى فى ٧١ لوحا . وكتب فى نهــاية القسم الأوّل :

(١) انظـر : Browne E. G.: A Hand-List of the Muhammadan Manuscripts in the Library of the University of Cambridge, p. 95

«فرغ من تسويد هذا الكتاب اليوم الثامن عشر من شهر شعبان سنة ثمانية وأربعين وألف، على يد الفقير إلى الله السيد نصرالله غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين جميعا» .

وكتب فى نهاية القسم الثانى : «تم الديوان المبارك بحمد الله وعونه يوم الثلاثاء غاية شهر رجب من شهور ١١٠٩ على يد الفقير يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل عفى عنه» .

ولا تزال اللجنة تهيب بالأدباء وذوى الفضل أن يمدوها بما يظفرون به من مخطوطات أبى العلاء، لتتمكن من أداء مهمتها العلمية على خير وجه وأكمله .

شرح سقط الزند ... الشرح ...
المعروف بالخطيب التبريزي رحمه الله تعالى ...
لأبي العلاء المعري ...

أبا العلاء بن سليمان ...
...

وقف هذا الكتاب ... سليمان باشا
... باشا ...

الصفحة الأولى من نسخة ح من شرح التبريزي

كتاب ضوء السقط شرح ديوان المعري

كتاب ضوء السقط شرح ديوان المعري المسمى بسقط الزند

الصفحة الأولى من نسخة د من شرح التبريزي

نموذج من نسخة حـ من شرح التبريزى . (انظر ص ٤٧٣)

نموذج من نسخة د من شرح التبريزى . (انظر ص ٤٧٣)

[القصيدة الخامسة عشرة]

وقال أيضا، فى الطويل الثانى والقافية متدارك، يجيب أبا القاسم علىّ بن الحسين ابن جَلَبات[1] عن قصيدةٍ مدحه بها :

١ (يَرُومُكَ وَالجَوْزَاءُ دُونَ مَرَامِهِ عَدُوٌّ يَعِيبُ البَدْرَ عِنْدَ تَمَامِهِ)

التبريزى : رامه يرومه، إذا طلبه . والمَرَام : المَطْلب . وقوله : « يعيب البدر »، أى يعيب مالا عَيْبَ فيه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقول : عدوّك، مع مافيه من العِناد، سلّم لك الكمالَ، فهو يجتهد أن يُدرِك فى المجد شأوَك، وهيهاتَ أن يُدرِكه، مع أنّ ذلك العدوّ لا يَرضَى كمالَ البدرِ .

٢ (فَإِنْ يَكُ أَضْحَى القَوْلُ جَمًّا طُيُورُهُ فَمَا تَسْتَوِى[2] عِقْبَانُهُ بِحَمَامِهِ)

التبريزى : طيور : جمع طائر، والأجود أن يكون جمعَ [طائر] طيرٌ، مثل تاجر وتَجْر، ثم يجمع الطير جمعًا ثانيا فيقال طيور، كما يقال شيخ وشيوخ . ويجوز أن يكون قولهم[3] الطيور جمع طائر، مثل شاهد وشهود ؛ قال الشاعر فى استعمال الطّير موحّدا :

فلا يَحْزُنْكَ من زمنٍ تولّى تَذَكُّرُه ولا طيرٌ أرَنّا

(١) البطليوسى : « وقال يجيب أبا القاسم على بن الحسن بن جلبات، من قصيدة مدحه بها » . الخوارزمى : « وقال يجيب أبا القاسم على بن الحسن [بن] جلبات (فى الأصل : حلبات . تصحيف) عن قصيدة مدحه بها، من الطويل الأول (وصوابه الثانى) والقافية من المتدارك » .

(٢) ا من التبريزى والخوارزمى : « يستوى » .

(٣) ا من التبريزى : « قوله » .

وقال الآخر فى قولهم الطّيور :

لقد جَعلَتْ بنو الدِّيلِ بنِ بكرٍ مودّتَنا التى[1] جئنَا قِراضَا
بطيرٍ من طُيور الغِشِّ[2] يأوِى صدورَهمُ فعشَّش ثم باضَا

البطليوسى : يقول : كيف يروم عدوّك أن ينالك والجوزاءُ دون ما يرومُه ويَبغيه ، أم كيف يَعيبك وأنت كالبَدْر الذى كَمَل فلا نَقْص فيه ! ثمّ ضرب مثلاً لنفسه وللممدوح فقال : إن كان الشُّعراءُ متساوين فى أنّ اسمَ الشِّعر يجمعهم ، فإنّ بعضَهم أرفَعُ من بعضٍ فى جَودة النِّظام ، كما أنَّ الطَّير وإن كانت متساويةً فى أنّ اسمَ الطَّيرِ يجمعها ، فإنّ عِقبانها أرْفَعُ من الحَمام .

الخوارزمى : الطُّيور : جمع طير . والطير : اسم جمع طائرٍ ؛ ونظيره شُرُوب وشَرْب وشارِب . ويجوز أن يكون الطُّيورُ جمعَ طائر ، كشاهد وشهود . يقول : إنّ القول وإنْ تعدّدَ قائله فبَيْنَ طبقاتهم فرقٌ . يريد أن أشعارَنا لا تُصادِفُ رتبةَ شِعرِك .

٣(وَإِنْ يَكُ وَادِينَا مِنَ الشِّعْرِ نَبْتُهُ[3] فَغَيْرُ خَفِيٍّ أَثْلُهُ مِنْ ثُمَامِهِ)

التبريزى : الأَثْلُ : شجر ، واحدته أَثْلة ، وهى من كِبار الشَّجَر . والثُّمام : نبت ضعيف . يقول : إنّى وإنْ كنتُ شاعرًا فلا يبلُغ شِعرى شعرَك ، كما أنّ الحَمام لا يكون مثلَ العِقبان ، والثُّمام لا يكون كالأَثْل ؛ فشعرى لا يكونُ مثلَ شعرك بل هو دونَه .

(١) فى الأصل : « الذى » .
(٢) فى الأصل : « العش » بالمهملة .
(٣) فى البطليوسى : « واحدا » .

البطليوسى : يقول: منزلةُ شعرى من شعرك فى الفَضْل كمنزلة الثُّمام من الأَثْل . والأَثْل : شجرقوىٌّ، يقال إنه شجر الطَّرْفاء . والثُّمام : شجرضعيف، يقال إنه شجر الحلفاء؛ قال الشّاعر :

فلو أنّ ما أبقيتِ منّى مُعَلَّقٌ بعُودِ ثُمامٍ ما تأوّدَ عُودُها

الخوارزمى : الأَثلة : شجرة من العِضاه طويلة مستقيمة الخشبة ، يُعْمَل منها القِصاع . والثُّمام: نبتٌ ضعيف له خُوص، وربّما حُشِى به خَصاص البيوت. يقال : هو لك على طَرَف الثُّمام، إذا كان هيّن المتناوَل . وهذا البيت تقريرٌ للبيت المتقدّم .

٤ (ولَيْسَ بِجازٍ[1] حقَّ شُكْرِكَ مُنْعِمٌ ولَوْ جَعَلَ الدُّنْيَا قَضَاءَ ذِمَامِه)

التبريزى : مُنعِم : ذو نعمة . يقول : القادر على المجازاة وإن عَظُمت يعجز عن أداء شُكرِك .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يروى: «منعِم» بكسر العين، والمراد منه صاحب نِعَم كثيرة . وهذا من باب إطلاق اسم السبب على المسبب[2] . ويروى «منعَم» بفتح العين، والمراد منه المنعم عليه . ولمّا وجب على المنعَم عليه شكر المنعِم فكأنّ المنعَم عليه قد عاهد المنعِم على أن يشكر له النِّعمة، فذلك منه كالذِّمام . وقد ألمّ فى المِصراع الثانى بقول أبى الطيّب :

وإذا سألت بنانه عن نَيْلِه لم ترضَ[3] بالدُّنيا قضاءَ ذِمامِ

(١) فى البطليوسى : « بجازى » .
(٢) فى الأصل : «المسبب على السبب» .
(٣) فى الديوان بشرح العكبرى : «لم يرض» .

يقول أبو العلاء : متى أنعمت على إنسان لم يتفصَّ[١] عن واجب شكرك ولو بذَلَ جميعَ الدُّنيا .

٥ (فَلا تُلْزِمَنِّى مِنْ مَدِيحِكَ مَنْطِقًا   يُقَصِّرُ فِكْرِى عَنْ بُلُوغ الْتِزامِهِ)

التبريزى : يقول : لا تُلزِمنِّى مديحاً إذا أجبتُك عنه لا يبلغ فِكرى ما يجبُ من الإتيان فى جوابه .

البطليوسى : ويروى : «وليس بجاز» ، وهو اسم فاعل من جَزَى يجزى . يقول : لا تلزمنّى بلوغَ الواجب من حقّك ، ومجاراتك فى مَيدان سَبْقك ؛ فإنّ ذلك أمرٌ يضيق به صَدرى ، ويقصّر عن بلوغه فِكرى ؛ والدُّنيا كلُّها تقلّ عن أن تكون لحقِّك أداء ، ولأنعمك جزاء . والمُنْعِم : المبالِغ فى الشّىء ؛ يقال : فعل كذا وأنعَمَ ، أى بلغ الغاية . ومنه قيل : دقَقْتُه دَقًّا نِعِمًّا[٢] ؛ قال طرفة :

يا عجبًا مِن عَبْدِ عمرٍو وبَغْيِهِ   لقد رامَ ظُلمِى عَبْدُ عمرٍو فأنعَمَا

الخوارزمى : أراد بالالتزام الملتَزَم ، وهو الواجب . ونحوه قول أبى الطيِّب :

خُذْ مِن ثناىَ عليكَ ما أسْطِيعُهُ   لا تُلْزِمَنِّى فى الثَّناء الواجبا

٦ (حَلَلْتَ مِنَ الْعَلْيَاءِ صَهْوَةَ بَاذِخٍ   تَوَدُّ الضَّوارِى أنَّها مِنْ بِهَامِهِ)

التبريزى : صَهوة كلِّ شىء : أعلاه وظَهْره . ويقال : جبلٌ باذخ ، أى مرتفع . ويقال : قد بَذَخ الرَّجل على الرّجل ، إذا افتخر وتكبَّر . والضوارى : السِّباع . والبِهام : جمع بَهْم من الغنم .

(١) لم يتفص : لم يتخلص .   (٢) فى اللسان : « تقول غسلت غسلا نعما ، تكتفى بما مع نعم عن صلته ، أى نعم ما غسلته » .

البطليوسى : بسياق .

الخوارزمى : صَهوة كلِّ شيء : أعلاه . جبلٌ باذخ، أى عالٍ؛ ومنه البَذَخ، وهو الكِبْر . البِهام : جمع بُهَم، جمع بَهمة ؛ وهو من أولاد الغنم الصَّغيرةُ . ومدار هذا التركيب على الخفاء .

٧ ﴿إذا افتخرَ المِسْكُ الذّكِىُّ فإنّما يَقُولُ ادّعاءً إنّه مِنْ رَغامِهِ﴾

التبريزى : أى رَغامِ هذا الباذخ الذى حلَّ صَهْوتَه . والرَّغام : التُّراب الدّقيق .

البطليوسى : حلات : نزلت . والعَلياء : الشَّرَف ، إذا فتحت أوّلَها مددتَها، و إذا ضممت أوّلَها قصَرْتَها . وصَهوة كلِّ شىء : أعلاه . والباذخ : الجبل المُشرِف . والضَّوارى : الأُسْد العادِيَة . والبِهام : جمع بَهْمة(1)، وهى ولد الشّاة وولد الماعزة . والرَّغام : التُّراب . يقول : نزلتَ من الشَّرف منزلةً رفيعة ، [تودّ](2) أعلى مراتب الأُسْد أن تكون من بِهامها(3)، وأسنَى مناقب المِسْك أن يعدَّ من رَغامها .

الخوارزمى : ألقاه فى الرَّغام، وهو التراب؛ ومنه رغِمَ أنفُه .

٨ ﴿إذا ما طَرِيدُ العُصْمِ وافَى حَضِيضَهُ تَبَوَّأَ فيهِ واثِقًا بِاعْتِصامِهِ﴾

التبريزى : طَرِيد العُصْم : مطرودها . والعُصْم : الوُعول . والحضيض : أسفَل الجبل . تبوّأ : أقام مختارا . والاعتصام : الاستمساك بالشّىء . يصفُ عِزّة هذا الموضع وامتناعَه .

البطليوسى : سياق .

الخوارزمى : سياق .

٩ ﴿مَنازِلُ لَوْ رُدَّ الحِمامُ بِعزّةٍ لَما رِيعَ مَنْ يَحْتَلُّها مِنْ حِمامِهِ﴾

---

(1) هذا كما جرى عليه صاحب القاموس واللسان من أن « البهام » و « البهم » جمعان للبهمة .

(2) تكملة يقتضيها السياق . (3) فى الأصل : « هامها » .

التبريزى : رِيع ، أى أُفزِع . يقول : لو رُدّ الحِمام، وهو الموت، بامتناع وعزّة، لَرُدّ بهذه المنازل ولم يَفْزَع من الموت من يَحُلُّها .

البطليوسى : العُصْم : الوُعول؛ سمِّيت بذلك لِلبياض الذى فى أيديها؛ يقال فرسٌ أعصمُ، إذا كان فى يديه بَياض . وقيل : سُمِّيَت عُصماً لاعتصامها بالجبال . والحضيض : أسفل الجبَل . ومعنى تبوّأَ : نزلَ واستوطن . والمباءة : المنزِل . يقول: حَللتَ من العَلْياء جبلًا مَنيعا إذا طُرِد الوعلُ ليُؤخَذَ لجأ إلى حَضيضه فاعتصَمَ به، ولم يتكلّف الصعودَ إلى ذِروته، ثقةً بأنّ حضيضَه أمنعُ مَعقِل، وأعزُّ ملجأ وموئِل . والحِمام : الموت . والحِمام : الأقدار، واحدها حِمّة[1] . ورِيع : فُزِع .

الخوارزمى : العُصْم : جمع أعصم، وهو فى «أدنى الفوارس»[2] . و«العُصْم» مع «الاعتصام» تجنيس . والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقدّم .

١٠ (إذا أَطْلَعَتْ كَفّاكَ[3] عارِضَ عَسْجَدٍ عَلَى سائِلٍ[4] لَمْ تَرْضَيا بِرِهامِهِ)

التبريزى : العارض : السَّحاب الذى يعرِض فى السَّماء . والرِّهام : الأمطار الضعاف؛ يقال: رِهام ورِهْم، وأرض مرهومة . ومعناه أنّه لا يرضى بالقليل من العطاء لسائله .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : جاءت السَّماء بالرِّهام، هى جمع رِهْمة، بالكسر، وهى مطْرة ليّنةٌ صغيرة القَطْر .

(١) الحمة، بكسر الحاء وضمها .

(٢) انظر البيت الحادى عشر من القصيدة السابعة ص ٣٣٤ .

(٣) فى حـ من التبريزى : «طلعت» ولها وجه . وفى التنوير : «أطلقت» .

(٤) فى الديوان المخطوط : «على عائل» . وفى حـ من التبريزى، و أ من البطليوسى : «لم يرضيا» . والكف مؤنثة وقد تذكر . انظر المخصص (١٦ : ١٨٧ — ١٨٨) .

١١ ﴿غَمامان مُبيَضّان مُنذُ بَرَاهُمَا لَنَا اللهُ لَمْ تَخفِلْ بِسُودِ غَمَامِهِ﴾

التبريزى : الهاء، لله تعالى . وإنّما قال ذلك لأنّ الغمام السُّود مطرُها غزير . والغمامان المبيضان، يعنى بهما كفّيِ الممدوح . و بَرَاهما : خلقهما . وأصله برأ بالهمز، نخفف الهمزة . وقوله : لم تَحفل ، أى لم نُبالِ .

البطليوسى : العارض: السحاب المعترِض فى الأُفُق . والعسجد : الذّهب . والرِّهام : الأمطار الضعيفة . يقول : مَطَرُ كَفَّيك ليس برِهام، ولكنّه وابِلٌ . والغَمام : السّحاب . و بَراهما : خَلقهما . وشبّه كفّيه بسحابتين بيضاوين ؛ لأنّ اليدَ تُوصَف بالبياض حقيقةً ومجازا . وسُود الغمام أغزرها، فلذلك ذَكَرها .

الخوارزمى : فيه إغراب؛ وذلك لأنّ سواد السّحاب من علامات المطر. ولذلك سألَ النبيُّ عليه السلام عن السّحائب فقال : « أجُونٌ أم غير جُون » ؟ قالوا : جُونٌ . فقال عليه السلام : « جاءَكم الحَيَا » . وبيَاض السّحاب من أمارات الجَدْب، ولا سيّما إذا كان إلى الصُّهو بة . وقد جُعِل ، فيما نحن بصدده، السّحابان الأبيضان أغزَرَ من السُّحُب السُّود .

١٢ ﴿كأنّكَ حَوْضُ المُزْنِ طَأْطَأَ نَفْسَهُ إلى وِرْدِهِ حتّى ارْتَوَى مِنْ سِجَامِه﴾

التبريزى : يقال : طأطأ الرّجل رأسه ، إذا خفَضه . والوِرْد هاهنا : الذين يَرِدُون الماء . والوِرد : الماء نفسه، وهو الحظّ منه . يقال : هذا وِرْده، كما يقال شِرْبُه ، أى حظّه من الماء . وسِجام : جمع سَجُوم؛ يقال : عينٌ سَجوم : كثيرة الماء . يصفُه بأنّه سَهْلُ العطاء كثيرُه .

البطليوسى : سياتى .

الخوارزمى : الوِرْد، هم الوُرّاد. وهذه تسمية بالمصدر، إذا سمّى به استوى فيه الواحدُ والاثنانِ والجميع . ومثله بيت السّقط :

* تَزَاحُمَ الوِرْدِ على زَمْزَمِ[(١)] *

١٣ (كَأَنَّكَ دُرُّ البَحْرِ أَصْبَحَ طَافِيًا   عَلَى المَاءِ فَاعْتَامَ الوَرَى مِنْ تُؤَامِهِ)

التبريزى : طفَا الشّىءُ على الماء يطفُو ، إذا عَلَا . واعتام : اختارَ؛ قال طرَفة :

أَرَى الموتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ ويَصْطَفِى   عَقِيلَةَ مالِ الفَاحِشِ[(٢)] المتشَدِّدِ

وتؤام : جمع توءَم، وهو من قولهم: أَتْأَمت المرأة، إذا جاءت بولدين توءمَين.

البطليوسى : سياتى .

الخوارزمى : اعتام ، أى أخذ العيمة، بالكسر، وهى خِيار المال . واشتقاقها من العَيْمة ، بالفتح : شهوة اللبن[(٣)] ؛ لأنّ النفس تنزع إلى خيار كلِّ شىء، فكأنها تَعَامُ إليه[(٤)] .

١٤ (كَأَنَّكَ رُكْنُ البَيْتِ أُعْطِىَ قُدْرَةً   فَسَارَ إلى زُوَّارِهِ لاسْتِلامِهِ)

التبريزى : رُكْن البيت : الذى فيه الحجر الأسود؛ لأنه هو الذى يُستلَم . وهذه الأبيات يوضّح بعضُها بعضًا فى أنّه سهل العطاء، غير ممتنع على طلّابه .

---

(١) عجز بيت صدره : « تزاحم الزرق على وردها » .

(٢) فى ب : « الباخل » . وفى اللسان : «الفاحش : الذى جاوز الحدّ فى البخل» .

(٣) فى الأصل : « شهوة إلى اللبن » .

(٤) فى الأصل : « فيه » .

البطليوسى : هـذا كلّه تأكيدٌ لقُرب معروفه ممّن يبتغيه ، وأنّ مَن أراده لم يكن عليه مؤونةٌ فيه . والمُزْن : السحاب الذى فيه بياض . وطأطأ : حطّ وخفَض حتّى قُرب ممّن يريد وِرْده . والوِرد يكون مصدرَ الوُرود ، ويكونُ الماءَ بعينه ، ويكون الواردين ، كما قال زُهير :

كأنّها من قَطَا الأجْبابِ حَلَّأَها وِرْدٌ وأَفْـرَدَ عنهـا أُخْتَهَا الشَّرَكُ[1]

وأراد أبو العلاء بالوِرد هاهنا الواردين ، لقوله : « حتّى ارتوى من سِجامه » . والسِّجام : ما انسجم من الماء ، أى سال وانصبّ ، وهو جمع ساجم . واعتام : اختار . وتُؤَام : جمع توءم ، وهو الاثنان من كلّ شىء . واستلامُ الرُّكن : لَمْسُه بالأيدى .

الخوارزمى : استلَمَ الحَجَر ، من السِّلام ، بالكسر ، وهى الحجارة . وعن الأزهرىّ : وهو من السَّلام ، بالفتح ، وهى التحيّة . ولذلك يسمّون الرُّكنَ اليمانىّ بالمُحَيّا .

١٥ ﴿أَفَدْتَ جَزِيلَ المَالِ لَمَّا اسْتَفَدْتَهُ وحَكَّمْتَ فِيهِ الدَّهْرَ قَبْلَ احْتِكَامِهِ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : مدار تركيب الحاء والكاف والميم على المنع .

١٦ ﴿ولَوْ نَالَ ذُو القَرْنَيْنِ مَا نِلْتَ مِنْ غِنًى بَنَى السَّدَّ مِنْ ذَوْبِ النُّضَارِ وسَامِهِ﴾

التبريزى : النُّضار : الذّهب . وسامُه : عُروقه ؛ ويقال لعُروق الفضّة أيضًا : سامٌ .

---

(١) ويروى : «الشبك» . والأجباب : مواضع فيها ركايا . وحلأها : منعها . ويروى : « حان لها » . (انظر شرح الديوان ص ١٧١ طبع دار الكتب المصرية) .

البطليوسى : يقال: أفدتُ مالًا، أى استفدتُه، وأفدتُه غيرى، إذا وهبتَه له . والنُّضار : الذّهب . والسّام : عُروق الذّهب فى معدِنه ، واحدها سامَةٌ ؛ قال قيس بنُ الخطيم :

لَوَ انَّكَ تُلقِى حنظلًا فوق بَيْضِنا تَدَحْرَجَ عن ذِى سامِهِ المتقارِبِ

يقول : علمتَ أنّ المالَ لا يَبقَى لمالكه ، فوهبتَه قبل أن يذهبَ به الدّهر .

الخوارزمى : ذو القرنين ، هو الإسكندر ، حَلَم(١) بأنّه دنَا من الشّمس حتّى أخذ بقرنَيها فى شرقِها وغربِها ، فقصَّه على قومه فلقّبوه بذى القَرنين . وأمّا حديثُ السّدّ فهو مشهور . السام : جمع سامة ، وهى عِرق الذهب فى المعدِن ، وقيل : هو الذّهب، واشتقاقها من السَّوم، وهو الذّهاب والمُرور، لأنه لا يَبقَى على أحد، بل يذهبُ من يدٍ إلى يد، وينتقل من مِلْك إلى مِلك . ويشهد له ما يُحكَى عن خالد بن صَفوان أنّه كان يقول إذا وقَع فى يده الدِّرهم : «ياعَيَّارُكم تَعِير(٢) وتطوف وتطير ، لأُطيلنّ ضَجعتك » . ثمّ يطرحه فى الصندوق ويُقفِل عليه .

١٧(وَهَلْ يَدَّخِرُ الضِّرْغَامُ قُوتًا لِيَوْمِهِ إِذَا ادَّخَرَ النَّمْلُ الطَّعَامَ لِعَامِهِ)

التبريزى : الضِّرغام : الأسَد . يقول : كما لا يدّخر الضِّرغام القوتَ ، كذلك أنت لا تدّخِره ، بل تُفيد وتستفيد ؛ كما قال زِياد(٣) :

ولستُ بِخابِئٍ(٤) لِغدٍ طعامًا حِذارَ غدٍ لكلِّ غدٍ طعامُ

---

(١) فى الأصل : « حكم » .

(٢) تعير : تذهب .

(٣) زياد ، هو النابغة الذبيانى . وانظر الكامل (٩٠ ليبسك) . والبيت يروى أيضا لأوس بن حجر من أبيات فى ديوانه (ص ٢٤) .

(٤) حـ : « ولست بذاخر » .

البطليوسى : الضِّرغام : الأسد . وهذا مثلٌ ضربه للدوح، لما وصفه به من هيبته لماله ، وقلّة رغبته فى إمساكه ، فقال : لمّا كان ادّخار القُوت من أخلاق النَّمل ولم يكن من أخلاق الأُسد ، وكنتَ راغبًا فى التخلُّق بأخلاق ذوى الهمم العالية والمجد ، اخترتَ لنفسك أعلَى الخُلُقين، ولم ترضَ لنفسك إلّا أرفعَ المنزلتين . وإنّما قلنا هذا لأنّ ادّخار القُوت ليس من الأمور التى يتعلّق بها الذمّ، بل هو من الأمور التى يوجبها النَّظر والحزم . وكلا الأمرين ممّا يُمدح به . ألا ترى إلى قول أبى تمّام :

فهْوَ لو اسطاعَ عندَ أَسعُدِه ... لخزَّ عُضْوًا من يومه لغدِهْ

وقد استحسنَ تركَ ادِّخارِ القوتِ صنفان : أحدهما المفرطون فى الورَع والنُّسك، والثانى المتخلِّقون بالغارة والفَتْك . ألا ترى إلى قول تأبّط شرًّا :

قليلُ ادِّخارِ الزّادِ إلّا تعِلّةً ... فقد نَشَزَ الشُّرسُوفُ والتصق المِعَى

الخوارزمى : الأسد إذا شبع تجافَى عما يمرُّ به من الحيوان، ولذلك قيل : « أكرم من أسدٍ » . فى أمثالهم : « أكسب من ذرٍّ » و « أكسب من نملٍ »، لأنّه يكُدّ طول الصَّيف نفسَه للشِّتاء، علمًا منه بأنّ طلب الطُّعم حينئذ لا يمكنه. ومعنى البيت من قوله :

ولستُ بذاخرٍ لغدٍ طعامًا ... حذارَ غدٍ لكلِّ غدٍ طعامُ

وقول عامر بن الظَّرِب العَدْوانى : « لا تعجَلوا فإنّ لكل عام طعامًا »[1] . وهذا البيت تقريرٌ لقوله : « أفدتَ جزيل المال لمّا استفدته » .

(١) انظر المعمرين للسجستانى (ص ٤٤)، وفيه : «فلكل عام طعام، ولكل راع مرعى، ولكل مراح مريح، وتحت الرغوة الصريح» .

١٨(وَكَمْ بَلَـدٍ فَارَقْتَـهُ مُتَلَهِّفًـا عَلَيْكَ غَداةَ البَيْنِ قَلْبُ هُمَامِه)

التبريزى : البين : الفراق . والهُمَام : المَلِك . يقول : لمّا فارقت البلدَ تلهّف عليك قلبُ مَلِكه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

١٩(يَكَادُ نَسِيمُ الرِّيحِ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ يُخَبِّرُنَا عَنْ وَجْـدِهِ وَغَرَامِه)

التبريزى : يقول : يكادُ يخبرنا نسيمُ الرِّيح التى تأتينا مِن نحوِ أرض هذا المِلك، عمّا يجدُه من الشّوق إليك، وما ينالُه من الغَرام بك، لمفارَقتك إيّاه .

البطليوسى : المتلهِّف : الحزين . والهمام : الملك الذى يفعل ما يهُمّ به . ونسيم الرِّيح : أوّلها إذا هبّت بضَعف . والوَجْد : الحزن . والغرام : العَذاب . يريد أنّه لعلوِّ همّته لا يستقرّ فى البلاد، كما قال أبو الطيِّب :

فإمّا تَرَيْـنِي لا أُقِـيمُ ببـلدةٍ فآفةُ غِمْدِى فى دُلُوقِى مِنْ حَدِّى

ومن مليح قوله فى هذا المعنى :

يُخَيَّـلُ لى أنّ البلادَ مَسامِعى وأنِّىَ فيهـا ما تقـولُ العـواذلُ[1]

الخوارزمى : قلبُ الهمام، مرفوع بقوله : « متلهِّفا » . والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقدّم .

٢٠(جَوَادٌ يَفُوتُ الخَيْلَ مِنْ بَعْدِ مَاوَنَى فَكَيْفَ يُجَارَى بَعْدَ طُولِ جَمَامِه)

(١) البلاد هنا : المفاوز . يقول : لا أستقر فى بلد ، و إنما أدخل بلدا وأخرج إلى أخرى ، كما لا يستقر العذل فى مسامعى .

التبريزى : يقال : جَمّ الفرسُ جَماماً[1]، إذا أُعفِى من الرُّكوب . ونى، أى فتر . فإذا كان يفوتُ الخيل بعد الفُتور من شدّة الجَرْىِ فكيف يُجارَى بعد الجَمَام والاستراحة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : أحسن الأدبَ فى التعبير عن عزلِه[2] .

٢١ (هِزَبْرٌ تَظَلُّ الأُسْدُ مِنْ غُرِّ قَوْمِهِ ... تَحُفُّ بِهِ مِنْ خَلْفِهِ وَأَمَامِهِ)

التبريزى : الهِزَبْر : الأسد . والغرّ : جمع أغرّ، وهو الأبيض . ويُكْنَى بالأغرّ عن الكريم . وقوله « تحفّ به » يقال : حفّ القومُ بالرّجُل، إذا داروا حولَه، وكذلك احتفُّوا به .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا تصريحٌ بأنّه فيما بينَ قومِه مُخدَّم .

٢٢ (بَنُو الحَلَبَاتِ البَاعِثُونَ مِنَ النَّدَى ... سَرَايَاهُ وَالغَازُونَ وَسْطَ لُهَامِهِ)

التبريزى : السَّرايا : جمع سَرِيّة من الخيل . واللُّهام : الجيش العظيم كأنّه يلتهم الأرضَ، أى يبتلعُها .

البطليوسى : الونَى : الفُتور والإعياء، يمدّ ويقصر، والقصر فيه أشهر وأفصح . والجَمَام : الدّعَة والسُّكون . والهِزَبْر من صفات الأسد . والغرّ : جمع أغرّ، وهو المشهور فى الناس، شُبِّه بالفرس الأغرّ . والنَّدَى : الكرم والسَّخاء . والسَّرايا : قِطَع الخيل تسرى باللَّيل لتُغير فى الصَّباح . واللُّهام : الجيشَ العظيم الذى يلتهم كلَّ شىءٍ، أى يبتلعُه . وهذا مثلٌ . يريد أنّ لهم قليلَ النَّدَى وكثيرَه .

(١) الجمام، بفتح الجيم، بمعنى الراحة والدعة؛ وبالضم والكسر : ما تجمع من ماء الفرس .

(٢) أى عزل هذا الممدوح . (انظر ما سيأتى ص ٤٨٨) .

الخـــوارزمى : فسّر الأُسْدَ ببنى الجلبات . الضمير فى « سراياه » و « لُهامه » للنّـدى . اللُّهام، هو الجيش الكثير ؛ كأنه لكثرته يلتهم كلَّ شيء . وهذا البيت يشبه قولَ بعضهم :

يُعَبِّى الرأىُ منـه عسكرًا لجبًا مِنَ المعانى⁽¹⁾ إلى أعدائه زُحُفَا

٢٣ (وَهَلْ يَدَّعِى اللَّيْلُ الدَّجُوجِىُّ أَنَّهُ يُضِيءُ ضِياءَ الشَّمْسِ شُهْبُ ظَلَامِهِ)

التـــبريزى : ليلٌ دَجوجِىٌّ، أى مظلِم . وشُهب الظلام، أى الكواكب . والكواكب فى الظّلام لا تضىء ضياءَ الشمس . معناه أنّ غيرَهم لا يفعلُ أفعـالَهم فيما يُحمَد من الكَرم وغيرِه، ممّا يبنى لهم المجدَ و يَكسِب لهم الثّناء .

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : هذا البيت تقريرٌ لقوله : «هِزَبْرٌ تظلُّ الأُسْدُ من غُرِّ قومه» .

٢٤ (وَمَا كَانَ يُغْنِى القِرْنَ عَنْ حَمْلِ سَيْفِهِ إِذَا الحَرْبُ شُبَّتْ، كَثْرَةٌ مِنْ سِهَامِهِ)

التـــبريزى : هـــذا مَثَلٌ . يقولُ : إنّ كثرةَ السّهام لا تُغنِى القِرنَ عن حمل السّيف فى الحرب، أىْ ربّمـا قام الواحدُ مقامَ الجماعة ، والجماعة لا تغنى عن ذلك الواحد . و « إذا » ظرف، والعامل فيه «حَمْل» . وقد وقع الظّرفُ موقعَ الحال، أى فى هذه الحـــال .

البطليـــوسى : الدَّجُوجِىّ : الشديد السّواد . والشُّهب : النّجوم . والقِرن : الذى يُناهِضُ غيرَه فى شجاعتـه ، ويرى أنّه قرينُـه فى شجاعته وجُرْأته . وهـــذان مَثَلان ضربهما لهذا الممـــدوح . أراد أنّ جميع أهل الفَضْـــل لا يدّعون ممـــاثلةَ

(١) فى الأصل « من المعالى » . والزحف : جمع زحوف، وهو البطىء السير، لكثرته .

فى مكانته ، كما لا تدّعى النُّجومُ أنَّها تضىء ضياءَ الشَّمس ، ولا السِّهام أنَّها تُغنى غَناءَ السَّيف . ومعنى « شُبَّت » أُوقدت .

الخوارزمى : يقول : قومُ الممدوح مع كثرتهم لا غنَى بهم عنه .

٢٥ (وَمَا يُدْرِكُ[1] العُرْبَ الهَجِينُ بِجُلِّهِ وَلَا حِلْيَةٍ فِى سَرْجِهِ وَلِجَامِهِ)

التبريزى : يقول : إنَّ الحِليةَ الحسنة فى سَرْج الهجين ولجامه لا تُلحقه بالعربى . يقول : إنّ الأصل الردىء لا يساوَى به النَّفيسُ ، لأجل ما يظهر عليه من الزِّينــة .

البطليوسى : العُرْب : الخيل العتيقة العربية التى شَرُفتْ آباؤها وأمّهاتُها . والهجين : الذى أبوه شريفٌ وأُمُّه خسيسة . والجُلّ : ما يُجلَّل به الفرس . أراد أنَّ الفضلَ ليس فى الملابس الرائقة ، والحُلِىِّ الفائقة ، وإنّما الفضلُ فى السَّبْق إلى غايات المجد ، والاستكثار من المناقب والحمد ؛ كما أنَّ الفرسَ الهجينَ لا يلحقُ مرتبةَ الخيل العتيقة ومَداها بحلية جميلة ، وإنّما يلحقُها بالسَّبق ، وشَرف العِتْق .

الخوارزمى : يريد أنَّهم بعزّتهم ، دونَ الممدوح فى مرتبتهم .

٢٦ (وَمَنْ يَبْلُ مِنْ قَبْلِ اللِّقاءِ سُيُوفَهُ يُمَيِّزْ وَيَعْرِفْ عَضْبَهُ مِنْ كَهَامِهِ)

التبريزى : أى من يجرِّبْ سيوفَه قبل اللقاء فى الحرب يُميِّزْ جيِّدَه من رديِّه . والعضب : القاطع ؛ والكَهام ضدّه .

البطليوسى : الابتلاء : الاختبار . والعَضْب من السيوف : القاطع . والكَهام : الذى لا يَقطع شيئًا . يقول : مَنِ امتحَنَ إخوانَه فى وقت الرفاهيَة

(١) فى التنوير والديوان المخطوط : « ولا يدرك » .

والرّخاء، حتّى يعلمَ ذَوِى الغَدْرِ منهم وذوِى الوفاء، انتفع بذلك عند الخطوب التى تنزِل، وعَلِمَ مَنْ يعـوِّل عليـه فى ذلك الوقت ومن لا يعوِّل . وهو ينظر إلى قول أبى الطيِّب :

إذا كنتَ فى شكٍّ من السَّيفِ فابْلُه ... فإمّا تُنَفِّيـه(١) وإمّا تُعِـدُّه

الخوارزمى : يقول: إنّه وإن كان بين الممدوح وبينهم نوعُ مشابهةٍ وضربُ مناسَبة، فللمدوح فضـل غَناء ومزية فائدة تُعـدَم فيهـم، وذلك يعرف بأدنى تجربةٍ وامتحان .

٢٧ (وَلَوْلَا سَعِيدٌ بَاتَ نَدْمَانَ كَوْكَبٍ ... يُرِيقُ لَهُ فِى الْأَرْضِ شَطْرَ مُدَامِهِ)

التبريزى : شَطْر الشىء : نِصفه . وسَعيدٌ هو الذى حمل هـذا الممدوحَ على مُفارقةِ بغداد، ولولاه كان قد ارتفَعَ شأنُه ورُدَّتْ إليه أزِمّة الأمور بها . ويبيِّن معنى هذا البيتِ قولُه بعده :

البطليوسى : سعيدٌ هـذا رجلٌ كان قد حارب هـذا الممدوحَ، فنهض إليه ابن جَلَبات ولقيَه، فكان له الظُّهورُ عليه، فقال : لولا سعيدٌ الذى هاج عليه الحربَ لكان بجَذِيمةَ الأبرشِ فى عِظَم مُلْكه وهمّته، ورَفاهِية عيشه ونَعْمته . وكان جذيمةُ الأبرشُ - فيما ذكروا - ينادمُ الفرقدَين، فيشرب كأسًا ويصبُّ لهما فى الأرض كأسين، وكان يقول : إنّ المَلِكَ لا يَليق به أن يُنادمَ أحدًا من النّاس؛ لأنّ منادمة النّاس جُرْأةٌ عليه .

الخوارزمى : سعيدٌ هو الذى عَزَل هـذا الممدوحَ . يقول : لولا سعيدٌ لكان شأنُ الممدوح كما كان رفيعًا، بحيثُ لا يصلُح لمنادمته إلّا النُّجوم . وهـذا كما

---

(١) نفاه، مشدّدا ومخففا، بمعنى . وانظر العكبرى (١ : ٢٥٤) .

حُكى عن جَذيمَة الأَبرش، أنّه كان لا ينادم إلّا الفرقدين، ذَهاباً بنَفْسه فيشرب قدحاً ويصبُّ لهما قدحين .

٢٨ (وكَانَتْ بقَايَا نِعْمَةٍ عَضُدِيَّةٍ تَرُدُّ إلَى الزَّوْرَاءِ بَعْضَ اهْتِمَامِه)

التبريزى : أى كان مَلِكُ بغدادَ ردّ إليه أُمورَها . وبغداد يقال لها الزَّوراء؛ لأنّ المنصور لمّا بنَى المدينةَ جعل أبوابَها بحيثُ إذا دخل الإنسانُ ازورّ إلى جانب .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الزَّوراء : مدينة السلام ، وهى فى الأصل اسم دِجْلة . كان عضُد الدَّولة رحمه الله قد استعمل على بغداد هذا الممدوحَ ، وألقَى إليه مقاليدَها . يقول : لولا سعيدٌ لكان الممدوحُ كما كان مُعتنِياً ببغدادَ يسدّ خلّتَها ، ويقوّم أوَدَها . ولقد طبّق المَفْصِل بالزَّوراء .

٢٩ (سَرَى نَحْوَهُ والصُّبْحُ مَيْتٌ كَأَنَّمَا يُسَائِلُ بالوَخْدِ البَرَى[1] عَنْ رِمَامِه)

التبريزى : الهاء فى «نحوه» ترجع إلى سعيد، أى سرى نحو سعيدٍ بالليل . والبَرَى : التُّراب . والرِّمام : العظام البالية . والهاء فى «رمامه» راجعةٌ إلى الصبح .

البطليوسى : قوله : «وكانت بقايا» معطوف على قوله : «باتَ ندمانَ كوكبٍ»[2] . يقول : لولا سعيدٌ الذى أثار عليه هذه الفتنةَ لبات ندمانَ الكوكب ، ولكانت بقايا الدّولة العضُديّة تَرُدُّ بعضَ اهتمامه إلى الزَّوراء، وهى بغداد . ونَسب النِّعمةَ إلى عضُد الدولة، وهو أبو شُجاع فَنّاخُسرو بنُ رُكن الدَّولة . وقوله : «سَرَى نحوه» أى سرى نحو سعيدٍ المذكور، فى الليل . وجعل الصُّبحَ كالميت لِطُول اللّيل .

---

(١) فى الخوارزمى والديوان المخطوط : «الثرى» .

(٢) انظر البيت ٢٧ من هذه القصيدة .

والوَخْد والوَخَدان : سيرٌ سريع . والبَرَى : التُّراب . والرِّمام : العظام البالية . والهاء فى « رمامه » عائدةٌ على الصُّبح .

الخوارزمى : الضمير فى « سرى » للمدوح ، وفى « نحوه » لسعيد . كان سعيدٌ فى غير بغداد ، فاستدعى الممدوحَ ، فلما اتَّصل به صَرَفه عن العمل . جعل الصُّبحَ ميتًا مدفونا فى الأرض ؛ لأنّ الشمسَ ، فيما يعتقده العوامّ ، تَبِيت تحتَ الأرض ، والصُّبح من الشمس .

٣٠ (ونَكَّبَ إلَّا عَنْ قُوَيْقٍ كَأَنَّهُ يَظُنُّ سِواهُ زَائدا فى أُوَامِهِ)

التبريزى : قُويق : نهرٌ على باب حَلَب . والأُوام : العطَش . يقول : نكَّب عن كلِّ ماءٍ إلّا عن قُويق ، كأنّه لا يُرويه غيرُه ؛ لاشتياقه إليه ، ومحبته له .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى « نكّب » للمدوح . وقويق ، فى « ابق فى نعمة »[(١)] .
وفى هذا البيت إيماءٌ إلى أنّ سعيدًا كان بحلب .

٣١ (بِعِيسٍ تُقَضِّى[(٢)] الدَّهْرَ جَوْبًا[(٣)] كَأَنَّهَا مُفَتِّشَةٌ أَحْشَاءَهُ عَنْ كِرَامِهِ)

التبريزى : الباء فى « بِعِيسٍ » تتعلّق بسَرى ، أى سَرى نحوه بعيس ، أى بإبلٍ بيض ، تجوب الدهرَ كأنّها تفتِّش أحشاءَ الدّهر عن كِرامه .

البطليوسى : نكَّب : مال وانحرَف . وقُويق : نهر حلب . والأُوام : العطش . يقول : لم يَشرب ماءً ولا سَقَى إبلَه إلّا بقُويق ، حتّى كأنّه حسِب كلَّ

(١) أنظر البيت السادس والعشرين من القصيدة الرابعة ص ٢٣٥ .
(٢) فى الديوان المخطوط والتنوير : « تجوب » .
(٣) فى متن التنوير : « جونا » . وجاء فى الشرح : « جونا » أى أسود مظلما لا يلوح لما كريم تعشو إلى ضوئه » .

ماء [غير] قُوَيقٍ يزيدُ فى عطَشـه إنْ شربَه . والعِيس : الإبل البِيض تخالطها حُمرة . والجَوْب : القَطْع . يقول : هى فى سفرٍ دائم، كأنّها تطلب كريماً، فهى لا تجدُه، لقلّة الكِرام وعدَمهم .

الخوارزمى : الباء فى « بعيس » للملابَسة، وهى تتعلّق بـ«سَرَى» . قوله : «جَوْباً» منتصبٌ على التمييز . وفى البيت دليلٌ على أنّ الكِرامَ مفقودةٌ لا يُعثَر عليها .

٣٢ (خِفَافٍ يُبَاهِى كُلُّ هَجْلٍ هَبَطْنَهُ ... بِهِنَّ على العِـلّاتِ رُبْدَ نَعَامِهِ)

التبريزى : يُباهى : يُفاعِل من المباهاة . والهَجْل: المطمئنّ من الأرض . والرُّبد : جمع أربَدَ وربْداء . وإنّما قيل للنّعام الرُّبد لاربدادِ ألوانها . أى كلُّ مطمئنٍّ من الأرض تَهبِطه هذه الإبلُ، أى تنزله ، يباهى رُبْدَ نعامه بهنّ ، أى بالعيس . يعنى أنّ سَيرهنّ أخفُّ وأسرَعُ من سير النّعام . على العِلّات ، أى على ما بهنّ من التّعَب .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الهَجْل ، هو المنخفض من الأرض . وهَجّل به تهجيلا ، إذا شتَمه ، فكأنّه خفَضه . على العِلّات ، أى على صروف أحوالها ؛ ذكره الغورى . يقول : ما مِن وَهْدةٍ يَهبِطْنَها إلّا وهى تفتخر بهنّ على نَعامها . يعنى أنّ هذه المطىّ أسرعُ من النّعام . ولقد أصابَ فى تخصيص الهَجْل .

٣٣ (إذَا أَرْزَمَتْ فِيهِ المَهَارَى[(١)] وَلَمْ يُجِبْ ... حُوَاراً أَجَابَتْ عَنْهُ أَصْدَاءُ هَامِهِ)

التبريزى : الهام : جمع هامَة ، وهو ضربٌ من الطير . وأرزمَت : حنّت .

(١) البطليوسى : « فيه المطايا » .

البطليوسي : المباهاة : المفاخرَة . والهَجْل : المطمئنُّ من الأرض . قال عمرو بنُ أحمر :

بهَجْلٍ مِنْ قَسًا ذَفِـرِ الخُزَامَى تَدَاعَى الجِـرْبِياءُ بهِ الحَنِينَـا (١)

والعِلّات : جمع عِلّة . والرُّبد من النّعام : التى فى ألوانها رُبْدة ، وهى لونٌ كاون الرَّماد . ويقال : رُمْدة ، بالميم ؛ يقال : ظليم أرمَد وأربد . يريد أنّها أسرَعُ من النعام ، فالفلواتُ تُباهِي بها نعامَها . وهو ينظُر إلى قول أبى الطيِّب :

سَلِ البِيـدَ أينَ الجِنُّ مِنّا بجَوْزِها وعن ذى المَهارِى أين منها النقانِقُ (٢)

ومعنى أرزمت : حنّت . والحُوار : ولد الناقة أوّلَ سنَة . والأصداء : جمع صدًى ، وهو الصّوت . والصّدَى أيضا : ذَكَر البُوم . والهام : ضربٌ من الطَّير ، وهو البُوم بعينه .

الخوارزمى : الضمير فى « فيه » و « هامه » للهَجْل . وفى « عنه » للحُوار . قوله : « ولم يجب حُوار » أى لا حُوار فيه . وهذا من باب :

* ولا تَرَى الضبَّ بهـا يَنْجَحِر (٣) *

وذلك إمّا لأنّ الحواملَ من النُّوق هناك يُجهَضن ، وإما لأنّ الحُوار لا يقوَى على قطعه فيهلِك . « ويوحون إليهـا أنّها دولة قد تمّتْ أيّامُها ، وحان أن ينوح

(١) قسا : موضع بالعالية . والجربياء : شمال باردة ، وقيل هى النكباء التى تجرى بين الشمال والدبور ، وقيل هى ريح تقشع السحاب . وفى اللسان : « تهادى » بدل « تداعى » انظر اللسان (مادة جرب ، قسى ، هجل) . والحيوان (٣ : ١٠٨) .

(٢) النقانق : جمع نقنق ، وهو ذكر النعام . وفى الأصل : « منها بجوزها » صوابه من الديوان (١ : ٤٥٢) . وفى الديوان : « منا النقانق » صوابه ما هنا .

(٣) البيت لعمرو بن أحمر فى وصف فلاة ، وصدره :

* لا تفزع الأرنب أهوالها *

انظر الخزانة (٤ : ٢٧٣) .

عليها أصداؤُها وهامها »(١) . والصَّدَى مع الهام إيهام ؛ لأنّ الصَّدَى ذَكَر البوم وعن ابن الأعرابىّ . أنّ الصَّدَى بدنٌ بلا رُوح . قال النَّمِر بن تَوْلَب :

أعاذِلَ إنْ يُصْبِحْ صَدَاىَ بقَفرةٍ بعيدًا نآنى(٢) ناصِرى وقَرِيبِى

٣٤ (وَلَوْ وَطِئَتْ فِى سَيْرِهَا جَفْنَ نَائِمٍ بِأَخْفَافِهَا لَمْ يَنْتَبِهْ مِنْ مَنَامِهِ)

التبريزى : يصفُها بالخفّة والسُّرعة فى سيرها .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا عبارةٌ عن خفّة سيرها .

٣٥ (وَكُلِّ وَجِيهِىٍّ كَأَنَّ رُوَالَهُ تَحَدَّرَ مِنْ عِطْفَيْهِ فَوْقَ حِزَامِهِ(٣))

التبريزى : الوجيهىّ : منسوبٌ إلى الوجيه، وهو فحلٌ معروف. والرُّوال للخيل بمنزلة البُصاق للإنسان . وشبّه عَرَقه الّذى يجرى من عِطفيه بالرُّوال لبياضه ؛ لأنّ عرق الخيل يبيضّ إذا يبس .

البطليوسى : وصفَها بخفّة الوطء، كما قال فى موضع آخر :

يُحاذِرْنَ وطءَ البِيدِ حتّى كأنّما يطأن برأس الحَزْن هامةَ أصْيَدِ(٤)

وقوله : « وكلِّ وجيهىٍّ » أراد فرسًا من نَسْل الوَجيه ، وهو فرسٌ عتيق تُنسَب إليه الخيل . وقد ذكرناه فيما مضى . والرُّوال : لُعاب الخيل . وقوله :

(١) كذا . ولم يذكر الموضع الذى اقتبس منه هذه العبارة . ولعلها من كلام أبى النصر العتبى .

(٢) فى الأصل : « فإنى » تحريف . وانظر ابن سلام ٣٧ ليدن .

(٣) رواله ، يهمز ولا يهمز ، وبالهمز ورد فى البطليوسى والخوارزمى .

(٤) انظر القصيدة الثامنة البيت ٢٩ ص ٣٨١ .

« تحدَّرَ من عِطفيه » يريد أنّه عرِق لشدّة السَّير ، فكأنّ لعابه جَرى من عِطفيه ؛ لأنّ عرَق الخيل يُوصَف بالبياض . وقد ذكرنا ذلك فى تفسير قوله :

كأنّ الركضَ أبْدَى المحضَ منـه ... فمجَّ لَبَـانُه لبنًـا صَريحـا [1]

الخـوارزمى : قوله : « وكلّ وجيهى » معطوف على قوله : « بعيس تقضّى الدهرَ » . الوجيهىّ : منسوب إلى الوجيه ، وهو فرسٌ معروف . وهو والزُّوال فى « أعن وخد القلاص » [2] . عرق الخيل إذا جفّ أبيضّ .

٣٦ (وأعْيَسَ لو وَافَى بهِ خُرْتَ مِخْيَطٍ ... لأَنْفَـذَهُ مِنْ ضُمْرِهِ وانْضِمَامِهِ) [3]

التـبريزى : أعْيَس : أبيض . والمِخْيَط : الإبرة . وخُرْتُها : ثقبها . يقول : لو أراد أن يُنْفِذَ[ه] فى خُرت المخيط لأمكنه ذلك من دِقّته وضُمره . يقال : خُرْت وخَرْت ، بضم الخاء وفتحها .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : الخُرت : ثقب الإبرة والفأس ؛ ومنه الخِرِّيت ، وهو الدّليل الحاذق ، كأنّه لحذاقته لا يَخْفَى عليه من الطّريق مثلُ خرت الإبرة [4] . وأما الخَرْب ، بالباء بواحدة ، فهو ثقب الأذن ونحوها . المِخيط والخِياط ، هو الإبرة . ومعنى البيت مُقتبَسٌ من الآية [5] . وممـا اقتُبس من الآية قول ابن نُقَيـلٍ الكاتب فى صفة جبلٍ صعبِ المرتقَى ، صعِدوا إليه من خندقٍ بين جبلَين :

يا خنـدقًا يُمْشَـى بـه ... مَشْيَ العُصاةِ على الصِّراطِ
فكأنّمـا تلِجُ الرِّكـا ... بُ منه فى سَمِّ الخِياطِ

---

(١) انظر القصيدة الخامسة البيت ١٩ ص ٢٥٤ .

(٢) انظر القصيدة الأولى . الزوال فى البيت ١٨ ، والوجيه فى البيت ٥٥ .

(٣) فى البطليوسى : « وانهضامه » مكان : « وانضمامه » .

(٤) فى الأصل « مثل خرق... » . (٥) يشير إلى قوله تعالى : ﴿حتى يلج الجمل فى سم الخياط﴾ .

٣٧ (يُرَاقِبُ ضَوْءَ الصُّبْحِ مِنْ كُلِّ مَطْلَعٍ   وَلَا ضَوْءَ إِلَّا مَا بَدَا مِنْ لُغَامِهِ)

التبريزى : جعلَ لُغامَه، وهو زَبَده، لمّا كان أبيضَ، صبحًا. ويقال لُغام البعير، ورُوال الفرس، ورُغام الشاة[1]، لما يسيل من فمها، مثل اللُّعاب للإنسان.

البطليوسى : الأعيَس : الجمل الأبيض الذى فيه حمرة. والمِخْيَط : الإبرة. وخُرتها : ثَقْبه، تضم الخاء منه وتفتح. أراد أنه ضَمُر من السفَر، فلو شاء أن يُولجه فى ثَقْب الإبرة لولج ونفَذ. والانهضام : انضمام الأضلاع والحصر. وفى بعض النسخ : «وانضمامه». واللُّغام من الإبل كالرُّوال من الخيل، وهو كالبُصاق من الإنسان.

الخوارزمى : رمَى البعيرُ بلُغامه، أى بزَبده، على مَلاغمه. واللُّغام للبعير كالرُّغام للشاة، والرُّوال للفرس.

٣٨ (تَذَكَّرْنَ مِنْ مَاءِ العَوَاصِمِ شَرْبَةً   وَزُرْقُ العَوَالِى دُونَ زُرْقِ جِمَامِهِ)

التبريزى : أى بينها وبين ماء العواصم رِماحٌ زُرْق الأسنّة. والماء يُوصَف بالزُّرْقة لصفائه، وكذلك السِّنان يوصف بالزَّرَق لبريقه ورَونقه. والجِمام : جمع جُمّة، وهو الماء الكثير. والواو فى قوله : «وزرقُ العوالى» واو الحال، والجملة التى بعد الواو منصوبة، والعامل فيها «تَذَكَّرْن».

البطليوسى : سيأتى.

الخوارزمى : الجِمام : جمع جمّة البئر، وهى ماؤها الكثير. العواصم فى «أعن وخد القلاص»[2].

(١) الرغام، بالعين المهملة، والغين المعجمة.

(٢) انظر البيت ٤٨ من القصيدة الأولى ص ٨٥.

٣٩ (فَلَوْ نَطَقَ المَاءُ النَّمِيرُ مُسَلِّمًا عَلَيْهِنَّ لَمْ يَرْدُدْنَ رَجْعَ سَلَامِهِ)

التبريزى : الماء النَّمِير : الذى يَنجع فى الشَّارِبة ؛ أى لو سلّم الماء عليهن لم يرْدُدْن عليه الجواب؛ لأنّهن لا يرِدن غير ماء العواصم .

البطليوسى : يصف قلّة رغبتها فى شُرب الماء؛ كما قال فى موضع آخر :[١]

إذا اشتاقتِ الخيلُ المَناهِلَ أعرضَتْ عن الماء فاشتاقَتْ إليها المناهلُ

والعواصم : موضعٌ بناحية حلَب . والعوالى : صدور الرماح وأعاليها . والزُّرق من الأسنّة : الصقيلة . والزُّرق من المياه : الصافية ؛ يقال نُطفةٌ زرقاء . والجمام : ما اجتمع من الماء، واحدتها جُمّة . أراد فتنةً كانت بالشّام . والنّمير : العذب من الماء، وقيل هو النّاجع فى جسمِ مَن شربه وإنْ لم يكن عَذْبا .

الخوارزمى : يصف خفّة سيرهنّ .

٤٠ (وَمُلْتَثِمٍ بِالغَلْفَقِ الجَعْدِ عَرَّسَتْ عَلَيْهِ فَلَمْ تَكْشِفْ خَفِيَّ لِثَامِهِ)[٢]

التبريزى : يصف سُرعتَها واجتيازَها بالماء غير شاربة . يقول : ربّ ماءٍ ملتثم أقامت عليه ، فلم تكشف الغَلْفَق عنه لتشرب . والغَلْفَق : مثل العِرمِض، وهو الخُضرة التى تعلو الماء . والطُّحْلُب : الخضرة التى تستقر[٣] فى قرارِ الماء. وقالوا فى الغلفق إنه الطُّحلب ، وقيل: ورقٌ يقع عليه من وَرَق الشّجر. وقال أبو كبيرٍ الهذلىّ:

فصَدَدْتُ عنه صاديًا وتركتُه يهتزّ غلفقُه كأنْ لم يُكشَفِ

صاديًا : عطشان .

---

(١) البيت الثامن والعشرون من قصيدته السادسة عشرة .

(٢) الخوارزمى : «فلم يكشف» وتقرأ بالبناء للمجهول .

(٣) فى ا « تبق » . وما أثبتنا عن حـ وهامش الديوان المخطوط نقلا عن التبريزى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الغَلفق : هو الطُّحلب؛ عن الغورى . عنَى بالغلفق الجعْد هاهنا المجتمِع . وفى كلام بديع الزمان : « عنّ لنا راكبٌ على أورقَ جَعْدِ اللُّغام » . عنَى بخفىّ اللِّثام وجهَ الماء . ومعنى البيت قريبٌ من قول أبى كبير الهذلىّ :

فصدَدْتُ عنه صادياً وتركتُه يهتزّ غَلفقُه كأنْ لم يُكشَفِ

٤١ (وكَمْ بينَ رِيفِ الشَّامِ والكَرْخِ مَنْهَلًا مَوَارِدُهُ مَمْزُوجَةٌ بِسِمَامِهِ)

التبريزى : الرِّيف : ما قارب الماءَ من أرض العرَب ، كذلك يقول ابن دُرَيد ؛ والجمع أرياف ورُيوف . وتريَّف القوم ، إذا دنَوا من الرِّيف . وسِمام : جمع سمّ . وإنّما جعل مواردَه ممزوجةً بسِمامه لتعذُّر الوصول إليها إلّا بعدَ احتمالِ المشقّة، وحمْلِ النّفس على الخطَر العظيم لصُعوبة المواضع .

البطليوسى : الغلفق والعرمَض والطُّحلَب، سواء، وهو الخضرة التى تكون فوقَ الماء . أراد ماءً لا يُسقَى منه ولا يُخاض، فقد علَتْه الخُضرة . وشبّه اختفاءه واستتارَه بالتلثُّم ، فجعل الطُّحلَب كأنّه لثام عليه . وقوله : «فلم تكشف خفى لثامه» أراد أنّها لم تشرب منه شيئا . والرِّيف : ساحل البحر . والكَرْخ : موضعٌ ببغداذ . وقال الخليل : هو سوقٌ ببغداذ . والمنهل : مَورِد الماء . وجعله ممزوجًا بالسمّ لأنّه فى فلاةٍ مَخُوفة؛ فمَنْ حاوَلَ ورودَه فقد تعرَّضَ للهلاك . والناس يتحامَوْنه لذلك .

الخوارزمى : الرِّيف، هى الأرض التى فيها زرع وخِصْب؛ ومنه : أرافَت الأرضُ، أى أخصبَتْ . الكَرْخ : محَلّة ببغداد .

٤٢ (كَأَنَّ الصَّبَا فِيهِ تُرَاقِبُ كَامِنًا   يَسُورُ إِلَيْهَا مِنْ خِلَالِ إِكَامِهِ)

التبريزى : يقال : أَكَمة وإكام. أى تخاف الصَّبا إذا مرّت بهذا الموضع. وهذا المعنى يكرّره كثيرًا. ومنه :

... ... لو سَلِمَتْ * ريحٌ على أرجائه لم تَسْلَمِ (١)

وهو يسور : أى يثب ؛ يقال : ساوره، إذا واثبه.

البطليوسى : سيأتى.

الخوارزمى : يقول : الصَّبا فى هذا المَهْمَهِ تخاف.

٤٣ (يَمُرُّ بِهِ رَأْدُ الضُّحَى مُتَنَكِّرًا   مَخَافَةَ أَنْ يَغْتَالَهُ بِقَتَامِهِ)

التبريزى : رأد الضُّحى : أعلاه وارتفاعُه. ويغتالُه : يُهلكه. والقَتام : الغُبار. ومعنى هذا البيت معنى البيت الذى تقدّمه.

البطليوسى : الصَّبا : الرِّيح الشَّرقية. ويسور إليه : يَثِب. والإكام : الكُدَى (٢). وخِلالها : ما بينها من الفِجاج. ورَأد الضُّحى : أوّله. والقتام : الغبار. ويغتاله : يَذهب به ويُهلكه. أراد أنّه مكانٌ مخوفٌ يهابُه كلُّ مَن يمرّ به، وأنّ الغبار يكثُر فيه حتّى تُظلِم أقطارُه، فإذا اجتازت عليه الشّمسُ خافتْ أن يَطمِس سناها، وإذا مرّت به الصَّبا خشيت أن يصدّها عن مجراها.

الخوارزمى : رأدُ الضحى : ارتفاعه. ومنه الرَّأد والرُّؤد، وهى من النِّساء الشابّة الحسنة؛ كأنّها شُبِّهت فى الجمال بارتفاع الضُّحى. والرِّواية : «رأدُ الضحى» بالرفع. يقول : هناك لا تتبيّن الضحى من الدُّجى، فكأنّ اختفاءَه لخوفه الغُبار.

(١) تكملته : * ومزيرها الغور الذى *
انظر البيت السابع من القصيدة السابعة ص ٣٣١.

(٢) الكدى : جمع كدية، وهى هنا الأرض المرتفعة.

٤٤ (نَهارٌ كأَنَّ البَدْرَ قاسَى هَجِيرَهُ   فَعادَ بِلَوْنٍ شاحِبٍ مِنْ سَهامِهِ)

التبريزى : يقال : شَحَب لونه يشحُب، إذا تغيّر. والسّهام : الريح الحارّة . كأنّ البدرَ يُرَى فى هذه البلادِ غيرَ مضىءٍ ، لِما فيها من القَتام والحَرّ .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : السهام ، بالفتح ، هى الريح الحارّة ؛ عن الغورى . ومنه سُهِمَ الرَّجُل . وشُحوب البدر ، إشارةٌ إلى ما عليه من الكُلْفة .

٤٥ (بِلادٌ يَضِلُّ النَّجْمُ فيها سَبِيلَهُ   وَيَثْنِي دُجاها طَيْفَها عَنْ لِمامِهِ)[1]

التبريزى : يقول : لِشدّة ظُلمتها لا يهتدى فيها النّجم ، والطّيف لا يقدِر على الزيارة فيها . واللمام : الزيارة الخفيفة .

البطليوسى : هذا كله تأكيدٌ لما تقدّم ذكْرُه من هول هذا القَفْر، وكثرة ما فيه من الغُبار والحرّ . وذاك أن القِفار التى يكثُر فيها الغُبار تبدو فيها الكواكب صغارًا لا تكاد تُرَى ؛ لأن الغبار يكثر فى الجوّ فيمنع الأبصار من رؤيتها . ولذلك قال الشاعر :

يكونُ به دليلُ القوم نَجْمًا   كعَيْنِ الكلبِ فى هُبَّى قِبَاعِ[2]

فشبّه النجم فى هذه الفلاة بعين الكلب إذا نام، لأنه يبرُق تارةً ويخفَى تارة، كما يفعل الكلب إذا نام، لأنه يفتح عينه تارةً ويُغمضها تارةً أخرى . وقوله : « فى هُبَّى قِباع » يريد كواكبَ استترت بالهَباء وانقبعت فيه، أى دخلت ؛ يقال : انقبع الرجل، إذا أدخل رأسه فى ثوبه . وقال آخر :

وأصبأَ النجمُ فى غَبراءَ كاسفةٍ[3]   كأنّه بائسٌ مجتابُ أخلاقِ

---

(١) فى حـ من التبريزى وب من البطليوسى والتنوير : « وتثنى » .
(٢) هبى : جمع الهابى . وقباع : جمع قابع . وقد فسر الشارح البيت . وانظر الحيوان (١ : ٣١٧) .
(٣) أصبأ النجم وصبأ : طلع . والبيت فى وصف قحط . وأنظر اللسان مادة صبأ .

وقال أبو العلاء فى قصيدة أُخرى :

لا تَستبينُ به النجومُ تنائيًا ويَلوحُ فيه البدرُ مِثْلَ الدِّرهمِ[١]

والهجير : الحرّ الشديد. والشاحب : المتغيّر. والسَّهام والسُّهام، بفتح السين وضمها، وَهَج الصيف وغُبْرته . والطيف : ما يُرَى فى النوم . والِّلمام : الزيارة . وإنما قال « يضل النجم فيها طريقه »؛ لأن النجم يُضْرَبُ به المثلُ فى الهداية ، فيقال : «هو أهدَى من النجم» . فإذا كان النجمُ يَضلّ فى هذا القَفْر، فالذى يهتدى به أضَلُّ؛ وإذا كان ظلامه يَرُدّ الطيف عن طريقه وهو شىء غيرُ محسوس ، فهو أحْرَى أنّ يردّ الأشياء المحسوسة .

الخــــوارزمى : قال بعض العرب : « وكنتَ لا تَضِلُّ حتّى يَضلّ النجم »[٢] . وفى أمثالهم : «أهدى من النجم» ، وفيها : «أسرى من الخَيَال» . الضمير فى «طيفها» للدُّجَى . ويضاف الشىء إلى غيره لشبهة الملابسة بينهما .

٤٦ (حَنَادِسُ تُعْشِى المَوْتَ لَوْلَا انْجِيَابُها عَنِ المَرْءِ مَاهَمَّ الرَّدَى بِاخْتِرَامِهِ)

التــــبريزى : حنادس : جمع حِنْدِس ، وهى الليلة المظلمة . يقول : لولا انجيابُ الحنادس التى تُعْشِى الموتَ ما كان يجدُ سبيلاً إلى أحدٍ فيخترمه، أى يُهْلكه . وتُعْشِى، من عَشَى العَيْنِ، وهو ألا يُبْصِر الإنسانُ بالليل شيئا. ويقال: ناقة عَشْواء، أى لا تُبصر بالليل . وفِتنةٌ عشواء ، تَخْبِط الناسَ خَبْطَ العَشْواء .

البطليــــوسى : الحنادس : الظُّلَمُ الشديدة . وتُعْشِى المــوت : تُضعف بصرَه حتى لا يرى . والانجياب : الانكشاف . والاخترام : الإهلاك ؛ يقال : خَرَمته

(١) البيت التاسع من القصيدة السابعة ؛ (ص ٣٣٢) .

(٢) يروى : « كان لا يضل حتى يضل النجم » . انظر الحيوان (٣ : ٤٧١) والبيان (١ : ٥٧) .

المنيّة واخترمتْه ، إذا ذهبتْ به . يقول : هـذا القفر يُعْشِى بصرَ الموتِ بظُلْمته ، حتى لا يَرى مَنْ حَصَل فيه ، فلولا انكشافُها عنه لَمَـا مات .

الخــوارزمى : عنَى بالانجياب الانكشاف .

٤٧ ﴿رَجا اللَّيْلُ فِيهَا أَنْ يَدُومَ شَبَابُهُ فَلَمَّا رَآهَا(١) شَابَ قَبْلَ احْتِلَامِهِ﴾

التــبريزى : أى رجا الليل فى هذه البلاد أن يدوم شبابُه ، فلمّا جاء هـذا الممدوح إلى هـذه البلاد صيّر الليل نهارًا ، فكأنه شابَ قبل البلوغ .

البطليــوسى : يقول : رجا الليلُ فى هذه الفلاة أن يدومَ له الشباب ، فلمّا رأى هَوْلَها شابَ قبل وقت الشَّيب . وشبّه الليل، لِمـا فيه من النجوم، بالشـيخ الذى شابَ من الكِبَر ؛ كما قال فى موضع آخر :

من الزِّنْج كَهْلٌ شابَ مَفْرِقُ رأسه وأُوثِقَ حـتّى نَهْضُـهُ متثاقـلُ(٢)

الخــوارزمى : الضمير المستكن فى « رآه » لليـل ، والبارز فيـه للممدوح . وشَيْبُ الليل مجازٌ عن طُلوع صُبْحه . أنشدنى بعض الأدباء لِشِبْل الدولة :

مَرَرْنا بدَرْغانَ(٣) والليـلُ طِفلٌ فمـا شابَ إلّا وكُنّا(٤) نَراها

وقرأتُ فى شعر أبى فِرَاس :

عبرن بمَـاسِحٍ(٥) واللّيــلُ طفلٌ وجئْنَ إلى سَلَمْيَةَ حين شابَا

(١) فى الخوارزمى : « فلما رآه » .

(٢) البيت الثالث والثلاثون من القصيدة الثالثة عشرة .

(٣) درغان : مدينة على شاطئ جيحون .

(٤) كذا فى هامش الأصل عن نسخة . وفى الأصل : « الا ذكاتا » .

(٥) يريد تل ماسح : قرية من نواحى حلب . وفى الأصل . « ماسح » بالجيم ، تصحيف . انظر معجم البلدان فى (تل ماسح) .

وقرأتُ فيه أيضـا :

مددنا علينا اللّيلَ والليلُ راضعٌ … إلى أن تحلّ رأسَــه بمَشيب

يصف أبو العلاء إمّا هيبةَ الممدوح، و إمّا طَلاقةَ مُحيّاه وتَلألُؤَ بِشْرِه .

٤٨ (فَأَنْضَى عَلِيٌّ خَيْلَهُ ورِكَابَهُ … وَلَمْ يَأْتِ إلّا فَوْقَ ظَهْرِ اعْتِزَامِه)

التـبريزى : أنضى خيلَه و رِكابَه بِجدّه فى السير، و إمضائه عَزيمَتَه لِما نواه من قَطْع بلاد عُقَيْل إلى موضعه .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : فأنضى، عطف على « سَرَى نحوه »(1) . علىٌّ ، هو الممدوح .

٤٩ (يَشُقُّ عُقَيْلًا وهى خُزْرٌ عُيُونُهَا … بِكُلِّ كَمِىٍّ رِزْقُهُ مِنْ حُسَامِه)

التـبريزى : الخُزْر : جمع أخْزَر، وقـد مرّ ذكره فى قوله : « كالأخزر المتشاوس »(2) . والكمىّ : الذى تكمّى فى سِلاحه، أى تَستَّر، ومنه كَمَى شهادتَه، أى ستَرها .

البطليـوسى : أنضى : أضعف وهَزَل، يقال بعيرٌ نِضْوٌ، أى هَزِيل . والرِّكاب : الإبلُ . يقول : أضعف خيلَه و إبلَه بطُول السفر، وهو راكبٌ على ظهر عزيمةٍ لا يُنْضيها تَنَائى الديار، وتَطاوُلُ الأسـفار . واستعار للعزيمة ظهراً ورُكُوباً، كما قال أبو الطيّب :

سلكتُ صُرُوفَ الدّهرِ حتى لَقِيتُه … على ظهر عَزْمٍ مُؤْيَداتٍ قوائمُه

---

(١) انظر البيت ٢٩ من هذه القصيدة .

(٢) البيت السابع من القصيدة الثانية عشرة ص ٤٠٧ .

وقال أيضا :

لوكلّت الخيلُ حتى لا تَحمّلهُ   تَحمّلتهْ إلى أعدائه الهِمم

وعُقَيْلٌ : قبيلةٌ من بنى عامر بن صَعْصعَة ، وأبوهم عُقَيل بن كَعْب بن ربيعة بن عامر . والخُزْر : جمعُ أخزَر ، وهو الذى ينظر فى شِقٍّ . والكَمِىّ : الشُّجاع .

الخــوارزمى : الضمير فى «يشقّ» للمدوح . يريد : يجوب ديارَهذه القبيلة . الخُزْر : جمع أخزر ، وهو الناظر بمؤْخِرِ عينه ، وذلك نظرُ العداوة . «وهم إلينا خُزْرُ العيون» . ونحو المصراع الثانى بيتُ السقط :

* والزُّرْقُ منها إذا حلّوا أمَاريتا (١) *

٥٠ (ولاَقٍ دُوَيْنَ الوِرْدِ كلَّ مُغَيَّبٍ   عَنِ الرُّشْدِ يَقْتادُ الخنَا بِزِمامِه) (٢)

التبريزى : الخنا : الفُحْش والكلامُ القبيح . أى لاقٍ على دون الوِرْد كلَّ جاهل فحّاش لا يَقْرِى الضيفَ ، ولا يأتيه طارقٌ إلّا طمِع فيه .

البطليوسى : سيأتى .

الخــوارزمى : الضمير فى «لاقٍ» لعلىٍّ . «كل مغيَّب عن الرشد» ، أى كل أعرابىٍّ جِلْفٍ منحرف عن رسوم الناس وشعار الإسلام . كلّمه بالخَنَا ، وهو الفحش وهو فى الأصل مصدرٌ من خَنِىَ عليه ، بالكسر ، وأخنى عليه فى كلامه ، إذا أفحش عليه . وألفه منقلبة عن الواو ، لقولهم : خَنَا يخنو ، بمعنى خَنِىَ يَخْنَى . ونحو هذا البيت بيت السقط :

جَهولٌ بالمَنَاسِك ليس يَدْرِى   أغَيًّا بات يَفْعَلُ أم رَشَادا (٣)
طَمُوحُ السَّيْفِ لا يخشَى إلهًا   ولا يرجو القِيامةَ والمَعَادَا

(١) صدره : «عنها الحديث إذا هم حاوروا سحرا» وهو البيت الرابع عشر من القصيدة السابعة والستين .
(٢) الخوارزمى : «فلاق» . (٣) البيتان ٤٩ ، ٥٠ من القصيدة ١٧ .

وهذا من قول أبي الطيب :

شيخٌ يرى الصّلواتِ الخمسَ نافلةً ويستحلُّ دمَ الحُجّاجِ في الحَرَمِ [(١)]

٥١ (أشَدُّ الرّزايا عنده عَقْرُ نابِهِ وأبعدُ شيءٍ ضيفُهُ عن طعامِهِ) [(٢)]

التبريزي : الرزايا : جمع رزيّة ، وهي المصيبة . والناب : المُسِنّة من الإبل . وإذا كان أعظمُ المصائب عنده عَقْر نابه ، فكيف يَقْرِي من ينزل به !

البطليوسي : سياق .

الخوارزمي : خصَّ النابَ من سائر أنواع الإبل ، لأنها من النوق المُسِنّةُ . قال القُتَبيّ : سُمّيت بذلك لأن نابها تطولُ إذا هَرِمَتْ ، وهي لا تُختار للقِرَى . يعني : لأن يُفجَع بأعزّ أقاربه أسهلُ عليه من أن ينحرَ أرذل نوقه للقِرَى . فَصَل بين أفعل التفضيل وهو « أبعد » وبين المتعلق به وهو «من» التفضيلية ، بخبر المبتدأ . وأصل الكلام : وأبعد شيء من طعامه ضيفه . وارتكاب ذلك لا يجوز إلا في ضرورة الشعر . ونحوه بيت السقط :

أنتم ذَوُو النسبِ القصيرِ فطَوْلُكُمْ بادٍ على الكُبَراء والأشرافِ [(٣)]

وقول الرضيّ الموسويّ :

* مُقامُ الفتى عجزٌ على ما يَضيمُهُ * [(٤)]

(١) قبله ، كما في الديوان (٢ : ٣٠٥) :

بكل منصلت ما زال منتظري حتى أدلت له من دولة الخدم

(٢) الخوارزمي والديوان والتنوير : « من طعامه » .

(٣) البيت ٤٦ من القصيدة ٦٠ .

(٤) عجزه كما في الديوان (ص ٤٠ طبع الهند) :

* وذلُّ الجريء القلب إحدى العجائب *

٥٢ (أَخُو طَمَعٍ لا يَنْزِلُ الرَّكْبُ أَرْضَهُ فَيَرْحَلَ إِلَّا مُوقَرًا مِنْ مَلَامِهِ)

التبريزى : مُوقَرًا : مُثْقَلًا . أوقرتُه ، إذا أثقلتَه . والوِقْر : الحِمْل . ولا يجوز فى قوله « فيرحل » إلا الرفع ، ونصبُه غير جائز ؛ لأنه لم يجعل نزول الركب سببًا للرحيل ، وإنما عطف «فيرحل» على «ينزل» ؛ لأن المعنى أن الركب ينزل فيرحلُ مُوقرًا من مَلامه ، ولو نُصِب لَفَسَد المعنى .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : قوله « فيرحل » مما يجوز فيه الرفع والنصب ؛ أما الرفع فعلى انعطافه على قوله « لا ينزل » ، يعنى : لا ينزل الركب أرضَه فلا يرتحل عنها إلا مثقلًا من ذمّه . ونظيره : ما تأتينا فتحدّثُنا ، ولا يُؤْذَنُ لهم فيعتذرون ، أى فلا يعتذرون . وأما النصب فعلى أنه جواب النفى ، والمعنى : لا ينزل الركب أرضَه إلّا لم يَرْحَلْ غيرَ مُوقَرٍ من مَلامه ، أى مِنَ الركب نزولٌ كثير ، ولا رحيلَ إلا مُوقرًا من ملامه . ومثلُه : ما تأتينا فتحدّثَنا ، بالنصب ؛ أى ما تأتينا أبدًا إلّا لم تحدّثنا ؛ ومعناه : منك إتيانٌ كثيرٌ ولا حديثَ ؛ وهذا تفسير سيبويه (١) . ونظيره فى هذا الوجه بيتُ السقط :

وذاكَ لِباسٌ ليس يَجتابُهُ الفَتَى فتختلفَ الأهواءُ فى بُعْدِ شأوِهِ (٢)

وفى نجديّات الأبِيوَرْدىّ :

ولو نِمْتُ زارتْنى الّتى ما ذكرتُها فتَشْرَقَ إلّا بالنَّجيعِ المدامعُ

(١) لسيبويه فى تخريج المعنى مع النصب بعد الفاء وجهان هذا أحدهما ، انظر سيبويه (١ : ٤١٩ س ٨) .

(٢) البيت الثانى من القصيدة ٩٠ .

٥٣ (إذا أعرضتْ نارُ الحُبَاحِبِ في الدُّجَى سَعَى قابِسًا مِنْ نارِها بِضِرامِهِ)

التبريزى : نار الحُبَاحِب : طائرٌ صغير يطير بالليل ، يَبِينُ كأنه شرارة . وقالوا : النار التى تنقدح من حَوافر الخيل ، هى نار الحُباحب . وقيل : حُباحِب : لص معروف من لصوص العرب ، وكان يوقد نارًا ضعيفةً ، ونيرانُ اللصوص كذلك تكون ، فضَرَبتِ العرب بناره المثلَ ، لضعفها وقلّتها . والضِّرَام : جمع ضَرِمة[1] ، وهو الشَّخْت من الحَطَب ، وهو ضدّ الجَزْل ، تُقبَس[2] به النار . وأعرضتْ : أمكنت من عُرْضِها ، وهو ناحيتُها .

البطليوسى : الوِرْدُ على ثلاثة معان : يكون وُرودَ الماء ، ويكون الماءَ بعينه ، ويكون الواردين للماء . والخنا : الفساد والإفحاش فى المنطق . والناب : المُسنّة من الإبل . وأعرضتْ : تعرّضتْ وظهرت . واختلف الناس فى الحُبَاحب الذى يُضْرَب المثلُ بناره ، فقال ابن الأنبارى : الحُباحب : رجلٌ كان لا يُوقِدُ نارا لئلا تُرَى فتُقْصَد[3] ، وإن أوقدها فرُئِيَتْ أطفأها . وقيل : هى التى تُوقِدها الخيلُ بحوافرها إذا مشتْ . وقيل : هو طائرٌ يُرَى منه شِبه النار . وقال ابن الأعرابىّ : الحَبْحبةُ : الضعف ، ومنه نار الحُبَاحِب . وأُمّ حُبَاحِب : دُوَيْبَّةٌ مثلُ الجُنْدَبِ ، فيها خُضْرة وصُفَرة ورُقْطة ، يقول لها الصبيان إذا رأوها : «أخْرِجى بُرْدَىْ أبى حُبَاحِب» فتنشر جَناحيها . والقابس : الذى يقتبس النار . والضِّرام : ما تُضْرَم به النار ، أى تُوقد .

(١) فى حـ : «جمع ضرم» . وكلاهما صحيح .
(٢) عبارة كتب اللغة : «تثقب به النار» أى تشعل .
(٣) أ من البطليوسى : «فيقصد» .

الخــوارزمى : فى أمثالهم : « أخلَفُ من نار الحُبَاحب » . كان بخيلًا من العرب لا يُوقِد بالليل نارًا ، كراهة أن يُقْبَس منها . وقيل : كان لِصًّا يُوقِد نارًا ضعيفة، ونيران اللصوص كذلك . وقيل : هى النار التى تُورِيها بسَنَابكها الخيلُ . وقيل : هى طائر كالذُّبَاب يتراءى فى الظَّلام كشُعْلة نارٍ .

٥٤ (وَإنْ ضُرِبَتْ أَطْنَابُهُ فِي تَنُوفَةٍ[1] ... نَأَى الضَّبُّ عَنْهَا خِيفَةً مِنْ عُرَامِهِ)

التــبريزى : العُرام: الشِّرّة ومجاوزةُ الحدّ فيها. وإذا كان يَطْمَع فى الاقتباس من نار الحُبَاحب ولا يَسْلَم منــه الضبّ، فكيف يأوى إليه ضيف يرجوه للقرى !

البطليــوسى : الأطناب : حِبالُ الخِباء، واحدُها طُنُبٌ . والتَّنوفةُ : الفَلاة . ونأى : بَعُد . والضبّ : شــبه الحِرْذَوْن وليس به . والعُرام : الشِّرّة والحِدّة . أراد أنه يصيد الضِّباب ويأكلُها ؛ فالضِّباب تَفِرّ عن موضعه الذى يَحُلّ به . وكان مِن العــرب مَن يأكل الضبّ، وكان منهم من لا يأكلُه ويذمُّ آكلَه؛ ولذلك قال الشــاعر :

فلو كانَ سَيْفِى باليَمين تباشَرَتْ ... ضِبابُ الفَلَا مِن جَمْعِهم بقَتيــلِ

يقول : لو كان سيفى بيمينى لقتلتُ منهم قتيلًا، فسُرَّتِ الضِّبابُ بموته، لاستراحتِها من صيده إيّاها؛ ولذلك قال بعضُ الأعراب يردُّ على مَن عابه بأكل الضبّ :

وأنتَ لو ذُقْتَ الكُشَى بالأكبادْ ... لَمَا تركْتَ الضّبَّ يَعدُو بالوادْ

الخــوارزمى : يقول : ذلك الخِلْف لكثافته وتعرُّضه لكل حيوانٍ، ممن يحرش الضب — [أى] إنه من حَرَشَةِ الضِّباب وأَكَلَةِ اليرابيع — فينأى عنه بجانبه .

---

(١) البطليوسى : « بتنوفة » .

٥٥ ﴿إذا هِيضَ عَظْمُ البَكْرِ وَدَّ لَوَ انَّهُ   فَدَاهُ مِنَ الإعْنَاتِ بَعْضُ عِظَامِهِ﴾

التبريزى : إذا كُسِر العظم بعد جُبُورٍ ثم انكسر ثانيةً قيل : هِيضَ . والعَنَتُ : الحَمْلُ على المكروه ؛ يقال : أعنته يُعْنِتُه إعناتًا . والعَنَتُ الاسم .

البطليوسى : الهَيْضُ : الكَسْر ، وأكثر مايُستعمل فى الكَسْر بعد الجَبْر . والبَكْرُ : الفَتِيُّ من الإبل . والإعناتُ : الإضرار ومايَشُقّ على الإنسان ؛ ويقال : عَنِتَ عَظْمُه[1] ، إذا أصابه شيء يُؤذيه ، كَسَره أو لم يَكْسِرْه ؛ وهونحوٌ من قول الآخر :

سِيَّانِ كَسْرُ رَغيفِـهِ   أوكَسْرُ عَظْمٍ من عِظَامِهْ

الخوارزمى : هذا كقول غيره :

سيّانِ كسر رغيفـه   أوكسرعظم من عظامه

٥٦ ﴿وَمَا نَغَمُ الأَوْتَارِ فِى سَمْعِ أُذْنِهِ   بِأَحْسَنَ صَوْتًا مِنْ رُغَاءِ سَوَامِهِ﴾

التبريزى : سَوامه : إبلُه السائمة . ويقال : رَغَتِ النـاقةُ تَرْغُو رُغَاءً . ومن أمثالهم : « أَرْغُوا لها حُوارها تَقِرّ[2] » .

البطليوسى : الرُّغاء : أصوات الإبل . والسَّوام : كلُّ مارَعَى من المـال . وقد ذكرنا أكثر هـذه الألفاظ فيما مضى . يقول : مِنْ مَحَبَّتِـه فى إبله ، وحُسْنِها فى عينه ، يلتذّ بأصواتها كما يلتذّ بنَغَمَات الأوتار ؛ فهو لا يبتذل منها شيئا ، ولا يَقْرِى منها ضيفا . وهو عكسُ قول سالم بن قُحْفان العَنْبرىّ :

إذا سَمِعتْ آذانُها صـوتَ سائِلٍ   أصاخَتْ فلم تأخُذْ سلاحًا ولا نَبْلَا[3]

---

(١) فى اللسان : « عنت العظم عنتا فهو عنت : وهى وانكسر » .

(٢) فى مجمع الأمثال : «أصله أن الناقة إذا سمعت رغاء حوارها سكنت وهدأت » .

(٣) انظر بعض أبيات هذه القصيدة فى الحماسة (ص ٦٩٤ بن) . وفى معنى هذا البيت قول ليلى الأخيلية :

ولا تأخذ الكوم الجلاد رماحها * لتوبة فى نحس الشـتاء الصنابر

انظر الأغانى (١٠ : ٧٦ بولاق) .

الخــــوارزمى : الإضافة فى « سوَامه » تُفيد أن استواء رَنّة النَّغَم وحَنّة النَّعَم عنده ، ليس لجهله ، بل لفرط بُخْله .

٥٧ (فيَارَبِّ لا تُمْرِرْ[1] بِدارٍ يَحُلُّها مِن المُزْنِ إلّا خَالياتِ جَهَامِهِ)

التـــبريزى : الجَهَام : الذى قد هَرَاق ماءه .

البطليـــوسى : ســيأتى .

الخــــوارزمى : ســيأتى .

٥٨ (وَإنْ كانَ غَيْثٌ فاعْدُهُ عَنْ بِلادِهِ وإنْ كانَ مَوْتٌ فَاسْقِهَا[2] مِنْ زُؤامِهِ)

التـــبريزى : عَدَاه يعدُوه : صَرَفه . والزُّؤام : الموت الصَّعْب .

البطليـــوسى : المُزْن : السحاب ؛ وقيل : هو الذى فيه بياض خاصّة . والجهام : السحاب الذى أراق ما فيه من الماء ، واحدته جَهامةٌ ؛ قال امرؤ القيس :

تروحُ إذا راحتْ رَواحَ جَهامةٍ بإثـرِ جَهامٍ رائحٍ مُتفـرّقِ[3]

والغيث يكون المطرَ بعينه ، ويكون أيضا النبات الذى ينبت عن الغيث . وَاعْدُه : اصْرِفه . والزُّؤام : أشدّ الموت .

الخــــوارزمى : الزؤام : هو الموت السريع . والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقدّم .

٥٩ (وَلَوْلا احْتِقارٌ مِنْ عَلِىٍّ لِشَأْنِهِ[4] لَسَلَّ عَلَيْهِ الذَّمُّ سَيْفَ انْتِقامِهِ)

التـــبريزى : أى لولا أنه مُحْتَقَر الشان عنــده لانتقم منه بالهجاء والذمّ .

(١) فى البطليوسى وحد من التبريزى والتنوير : « لا يمرر » .

(٢) فى البطليوسى : «فاسقه» .

(٣) البيت ليس فى ديوان امرئ القيس .

(٤) كذا فى البطليوسى . وفى سائر الأصول : «بشأنه» .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا كقوله :

نَجا بك لُؤْمُكَ مَنْجَى الذُّبابِ ... حَمَتْـهُ مَقَاذِرُه أنْ يُنـالَا

وقوله : « لسلّ عليه الذمّ سيف انتقامه » كلام فى غاية الفصاحة .

٦٠ (هُوَ الشَّهْدُ مَجَّتْهُ الخُطُوبُ مَرارَةً ... وَقَدْ فَغَرَتْ أفْواهَها لِالْتِهامِهِ)

التبريزى : يقال : مَجَّ المـاءَ وغيرَه من فِيه يَمُجُّه مجًّا، إذا أخرجه من فيه دفعةً واحدة. وفغرت أفواهها: فتحتها؛ ويقال: فَغَر فاه، وفَغَر فُوه، لازمُه ومتعدِّيه سواء. وكذلك شَحَا فاه، وشحا فُوه. والالتهام: الابتلاع؛ يقال: التهمه ولَهِمَه. قال الراجز[1]:

كالحُوتِ لا يُروِيه شىءٌ يَلْهَمُهْ ... يُصْبِحُ ظَمآنَ وفى البَحْرِ فَمُهْ

البطليوسى : الشأن : الأمر . والشَّهْدُ والشُّهد، لغتان؛ فأهل العالية يضمّون شِينَه، وغيرُهم يفتحونه. مجّته: لَفَظَته من أفواهها وطَرَحته. وخُطوب الدهر: نَوائبه. وفَغَرتْ: فتحتْ. والالتهام: الابتلاع. يقول: هو حلوٌ لأوليائه، ومرٌّ لأعدائه؛ كما قال تأبّط شرًّا[2]:

ولـه طَعْمانِ أرْىٌ وشَـرْىٌ ... وكلا الطَّعمين قـد ذاقَ كُلُّ

الخوارزمى : فغر فاه، أى فتحه. ومنه انفغر النّور، أى تفتّح. التهمه، إذا ابتلعه.

---

(١) هو رؤبة . انظر ديوانه ص ١٥٩ والحيوان (٣ : ٢٦٥) .

(٢) البيت من أبيات فى الحماسة (٣٨٢ بن) . وتروى لخلف الأحمر . قال التبريزى : « وهو الصحيح » . وانظر هذا التحقيق فى شرح التبريزى .

٦١ (تَهابُ الأَعادِي بأسَهُ وهْوَ ساكِنٌ كَما هِيبَ مَسُّ الجَمْرِ قَبلَ اضْطِرامِهِ)

التبريزى : البأس : الشدة . واضطرمت النار : التهبت .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٦٢ (وَرُبَّ جُرازٍ يُتَّقَى وهو مُغْمَدٌ وَلُجٍّ تُهالُ النَّفْسُ دُونَ اقْتِحامِهِ)[1]

التبريزى : الجراز : السيف ؛ يقال : سيف جراز ، إذا كان صارما . ولُجّ : جمع لُجّة ، وهو مجتمع الماء . والاقتحام ، من قولهم : اقتحم الرجل اقتحاما ، وانقحم انقحاما ، إذا هَوَى من علو إلى سفل ، أو دخل فى شىء من غير هدى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : فقوله « مس الجمر » ، من باب إضافة المصدر إلى الفاعل . سيف جُراز . قطّاع ؛ وجرزه يَجرُزه جَرْزًا : قطعه ؛ وأرض جُرُز ومجروزة ، أى مقطوع عنها المطرُ والنبات . والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .

٦٣ (إذَا ضَحِكَتْ عُجْبًا بِهِ كُلُّ بَلْدَةٍ بَكَى مَالُهُ مِنْ ظُلْمِهِ واهْتِضامِهِ)

التبريزى : يقال : هضمه واهتضمه ، إذا ظلمه . ومنه قول الشاعر[2] :

وحَبَّذَا حين تُمسِى الريحُ باردةً وادى أُشَيٍّ[3] وفتيانٌ به هُضُمُ

هُضُم : جمع هَضوم ، أى ظلوم . يعنى أنهم يظلمون المال ، أى يكسبونه ويُنفقونه . هكذا ذكر لى أبو العلاء وقت القراءة عليه . وسمعت أبا القاسم الرَّقّىَّ

(١) أ من البطليوسى ، والخوارزمى ، والديوان المخطوط : « قبل اقتحامه » .

(٢) هو زياد بن منقذ ، أخو المرار بن منقذ ، كما فى معجم البلدان (رسم أشى) . ويروى أيضا لزياد بن حمل ، كما فى الحماسة (٦٠٨ بن) .

(٣) وادى أشى : موضع باليمامة . وهو مصروف وغير مصروف .

يذكر فى تفسير هذا البيت لمّا قرأت عليه أن قولَه «هُضُم» جمع أهضم ، وهو الضامر البطن . فلمّا ذكرتُ له ما سمعته من أبى العلاء أنشد :

إذا قالتْ حَذَامِ فصدِّقُوها ... فإنّ القولَ ما قالتْ حَذَامِ

البطليوسى : تَهاب : تخاف . والبأس : الشجاعة . والاضطرام : الاشتعال . والجُراز : السيف الذى يأتى على كل شىء يُضْرَب به . ولُجُّ الماء : معظمه . وقوله « تُهال النفس » ، أى تُراع منه وتُفْزَع . والاقتحام : الدخول فى الشىء بشدة . والعُجْب : السرور . والاهتضام : الانتقاص والأخذ من الشىء .

الخوارزمى : سيأتى .

٦٤ (تَحَفَّظَ منه خِيفَةً من رَحِيلِهِ ... وكَمْ مالِ مَلْكٍ ضاعَ تَحْتَ خِتامِه)

التبريزى : الختام والختم ، واحد . أى تَحَفَّظ منه ولم يُحْفَظْ ، لأنه لا يختِمه بل يُنفقه ولا يحفظه ، كما يُخْتَمُ غيرُه فيضيع ولا ينفعه الختام . ومعناه : أن ماله حين فرّقه ولم يختِمه نفعه ؛ لأنه كَسَب له الذكر الجميل والثناءَ الحسن . ومالُ غيره لمّا لم يفرِّقه فيما يكسِب له الذكر وخُتِم عليه ، كان ضائعا ؛ لأنه لا ينتفع به .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : فسّر اهتضامه المالَ فى البيت الثانى . عليك بالتحفُّظ من الناس ، وهو التوقِّى . يقول : مالُ الممدوح يعلَمَ أنه عن قليلٍ يُفنيه ، فهو أبداً فى حَذَره وتَوَقِّيه ؛ وربَّ مالٍ للملوك حفظوه حتى ضاع ، ولم يُرزَقوا به الانتفاع .

٦٥ (وَذَامَتْهُ أَفْنَاءُ العِرَاقِ وَإِنَّمَا ... تَرَحُّلُهُ عَنْهُنَّ أَكْبَرُ ذَامِه)

التبريزى : ذامته : عابته ؛ والذامُ والذّان ، بالميم والنون : العيب .

قال قيس بن الخطيم :

رَدَدْنا الكتيبةَ مفلولةً ... بها أَفْنُها وبها ذَانُها

والذابُ، بالباء، مثلُه . و يقال : إن كَنَّازًا الجَرْمىَّ أنشد :

* بها أَنْفُها وبها ذابُها *

بالباء . والأشبه أن يكون هذا البيت إذا رُوى بالباء ليس فى قصيدة قيس ، ولكن يجىء فى غيرها، و يكون مُرَدَّدًا[1] فى إحدى القصيدتين . وهو من جنس قول[2] آمرئ القيس :

* يقولون لا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ *

وقولِ طَرَفَة :

* يقولون لا تهلك أسى وتجلَّدِ *

هذا كلامه[3] . أما بيت قَيْس فلا يمكن أن يُرْوَى بغير النون، لأن القصيدة رويُّها النونُ، وأوّلها :

أَجَدَّ بعَمْرَةَ غُنْيانُها   فتَهْجُرَ أم شأنُنا شانُها

والباء فى شعر كَنَّاز :

رددنا الكتيبة مفلولةً   بها أَنْفُها وبها ذابُها[4]
ولستُ إذا كنتُ فى جانبٍ   أذُمُّ العشيرةَ مُغْتابَها[5]
ولكنْ أُطاوِعُ ساداتِها   ولا أَتَعَلَّمُ ألقابَها

(١) فى الأصل : «مزيدا» .

(٢) فى حـ : « ... من جنس مجىء قول ... » وفى ى : «مثل مجىء قول ...» .

(٣) لم يرد مرجع الضمير فيما مضى . ولعل أصل الكلام «قال أبو العلاء» فى أوّل شرح هذا البيت .

(٤) ومما يشبه البيتين مع الاختلاف فى القافية قول عويف القوافى (فى اللسان — ذيم) من قصيدة مطلعها :

ألمت خناس وإلمامها * أحاديث نفسى وأسقامها

ومنها :

يردّ الكتيبة مفلولة * بها أفنها وبها ذامها

(٥) فى اللسان (ذين) : «أغتابها» .

فيه إقواء بالرفع والنصب، وهو الذى يسمى الإصراف .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٦٦ (فكانَ الصِّبا إذْ لَمْ يَجِدْ فيهِ عائبٌ مَقَالًا لِخَلْقٍ[1] عابَهُ بِانْصِرامِهِ)

التبريزى : الصبا، بكسر الصاد مقصور، وإذا فتحت الصاد مددت فقلت صَبَاء . والصِّبَاء، بفتح الصاد وبالمد : فعلُ الكبير ما يفعله الصغير فى صِباه . وقد أتى بالمعنيين فى قوله :

وما بعدَ مَرِّ الخمسَ عَشْرةَ من صِبًا ولا بعدَ مَرِّ الأربعِينَ صَبَاءُ[2]

والصِّبَا ، فى موضع نصب ؛ لأنه خبر « كان » واسمها مُضْمر فيها . والتقدير : فكان هو الصِّبَا . ويتصل هذا البيتُ بقوله :

* تَرَحُّلُه عنهنَّ أكبرُ ذامِهِ *

يقول : أكبرُ عيبه رحيلُه عنهنّ . ومعنى قوله «فكان الصبا» أى مَثَلُه مَثَلُ الصِّبا، لمّا لم يجد فيه مقالًا لعائب عابه بانصرامه ؛ لأنه يقال : ما أحسنَ الصِّبَا لولا انصرامُه؛ فكذلك هذا الممدوح لو لم يرحل عن بَغْدَاد لمّا ذامته أفناء العراق .

البطليوسى : الخِتام : الخَاتَمُ . وذامته : عابتْه وتنقّصته . والأفناء : الأخلاط من الناس . والذامُ : العيب . والانصرام : الانقطاع والانقضاء . يقول : خافوا رحيله عنهم فحفظوه لئلّا يرحل؛ فلم يكن ذلك الحفظ مما يُمسكه عن الرحيل؛ فكان كالمال الذى يختِم عليه مالكه ليحفظه وهو ضائع تحت خَتْمه .

(١) فى البطليوسى والخوارزمى وحـ من التبريزى : « بخلق » .

(٢) البيت من المقطوعة الأولى من لزوم ما لا يلزم .

الخوارزمى : يقال : هو من أفناء الناس، إذا لم يُعْلَمْ ممن هو ، واحدُها فِنْوٌ . كذا حكاه فى جامعه القَرْغانىّ عن ابن الأعرابى . الذام والذان والذمّ ، أخوات . والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقدّم .

٦٧ (وَلَوْ أَنَّ بَغْدَادًا اسْتَطَاعَتْ لَأَشَّبَتْ(١) عَلَيْهِ الثَّنَايَا رَغْبَةً فى مُقَامِه)

التبريزى : الثنايا : جمع ثنيّة ، وهى المُطَّلَع فى الجبل ؛ قال جميل ابن مَعْمَرٍ :

إذا ما رأَوْنِى طالعًا من ثَنِيّةٍ يقولون مَنْ هٰذا وقد عَرَفونِى

وأشَّبَتْ : أطبقت ؛ ومنه شجرٌ أَشِبٌ(١)، إذا التفّ بعضه ببعض .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٦٨ (مَتَى يَحْبِسِ الدَّجْنُ المُطَبِّقُ بَارِقًا يَجُبْهُ وَيَخْرُجْ سَاطِعًا من رُكَامِه)

التبريزى : الدجن : إطباق الغيم . وجابه يجو به ، إذا قطعه وخرج منه . والساطع : المرتفع . ورُكام : كثيرٌ بعضه على بعض . يقول : لم تتمكن بغداد من إقامته بها ، كما لم يتمكن الدَّجْن من حبس البارق .

البطليوسى : يقال : أشَّبْتُ الموضع تأشيبًا، إذا منعتَ من الوصول إليه . وأصل الأشَب، أن يكثُر الشجر والشوكُ فى المكان حتى لا يَقْدِرَ أحدٌ على سُلوكه ؛ ومنه قيل : أشَّبَ بينهم الشرَّ، إذا هاجه . والدجن : إلباس الغيم السماء. والمُطَبِّق : الذى صار على الأفق كالطَّبَق لا فُرْجةَ فيه . ويَجُبْه : يَخْرِقه ويَنْفُذه . والرُّكام :

(١) ا : « ... أشب أى ملتف » .

ما تراكم من السحاب وتكاثف . يقول : جَهَدُوا فى حبسه فلم يمنعه ذلك من المسير، كما أن تَكَاثُفَ السحاب على البرق لا يمنعه من الخروج والظهور .

الخوارزمى : أشِبَّ عليه، إذا طبِّق عليه . وهذا من قولهم: غَيْضٌ أَشِبٌّ، أى ملتفّ . يقول: لو أمكن بغدادَ لمنعتْه الذهابَ ، وأطبقتْ عليه الهضابَ . والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقدِّم .

٦٩ (عَلَىَّ لأمْلاكِ البِلَادِ نَصِيحَةٌ يَقُومُ بِهَا ذُو حِسْبَةٍ فى قِيَامِهِ)

التبريزى : يقال : مَلِكٌ وأَمْلاكٌ ومُلُوكٌ . وحِسْبَةٌ : احتساب .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٧٠ (أَخُصُّ بِهَا مِنْ كُلِّ حَىٍّ عَمِيدَهُ وَأَصْرِفُهَا مُسْتَكْبِرًا عَنْ طَغَامِهِ)

التبريزى : عميد القوم: سيِّدهم . وعِمَادُهم : سَنَدهم. والطَّغَام: الجُهَّال، وقد مرّ تفسيره .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٧١ (بِأَنَّ عَلِيًّا، كُلُّ مَنْ فَازَ بالغِنَى فَقِيرٌ إِذَا لَمْ يَدَّخِرْ مِنْ كَلَامِهِ)

التبريزى : قوله « كل من فاز بالغنى فقيرٌ » جملةٌ فى موضع رفع؛ لأنه خبر « أن » .

البطليوسى : الحِسْبةُ : الاحتساب . الحىّ : القبيلُ . والعميد : السيِّد الذى يُعْمَدُ إليه، أى يُقْصَد ؛ وبذلك سمّى عميدًا . ويجوز أن يكون مشتقًّا من

قولهم : عَمَدتُ البناء أعْمِدُه، إذا أقمتَه؛ سمّى بذلك لأنه يقوّم الأمور ويُصلحها . فيكون فى هذا الوجه فعيلًا بمعنى فاعل ، وفى الوجه الأوّل فعيلًا بمعنى مفعول . والطَّغام : سُقّاط الناس وسِفلَتُهم ومَنْ لا عقلَ له ولا معرفةَ عنده .

الخوارزمى : أى محتسبٌ للأجر فى قيامه بتلك النصيحة . والمصراع الثانى فى محل الرفع على أنه صفة نصيحة . عميد القوم : سيِّدهم ، فعيلٌ بمعنى مفعول؛ لأنه إليه يُعْمَدُ فى المُهِمّات ، أى يُقصَد . ونحوُه الصَّمَدُ ، للسيِّد . الطَّغام : أوغادُ الناس . قوله « بأن عليًّا » بدلٌ من قوله « بها » فى « أخصّ بها » .

٧٢ (سَنَنْتُ لأرْبابِ القَرِيضِ امْتِداحَهُ كَما سَنَّ إبْراهيمُ حَجَّ مَقامِهِ)

التبريزى : يقال : سَنّ فلانٌ سُنّةً حسنةً أو سيئةً ، واستَنّ فلانٌ بسنّة فلان ، أى ائتمّ به . وفى الحديث : « مَنْ سَنّ سُنّةً حَسَنةً فله أجْرُها وأجْرُ من عمِل بها إلى يوم القيامة ، ومَنْ سَنّ سُنّةً سيئةً فعليه وِزْرُها ووِزْرُ مَنْ عمِل بها إلى يوم القيامة » .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٧٣ (فَيُثْنِي عَلَيْهِ ضَيْغَمٌ بِزَئِيرِهِ وَيُثْنِي عَلَيْهِ شادِنٌ بِبُغامِهِ)

التبريزى : الضيغم : الأسد . وزئيرُه : صوتُه . قال النابغة :

أُنبئتُ أنّ أبا قَابُوسَ أوعدنى ولا قَرارَ على زَأْرٍ من الأسَدِ

يقال : زَأَر الأسدُ يزأَر زَأْرًا وزئيرا . والشادن : ولد الظبية . وبُغامه : صوتُه . يقال : بَغَمتِ الظبيةُ تَبْغَم بُغَامًا . ومعناه أنه يُثْنِى عليه كلُّ لسان .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٧٤ (وَهَذَا لأَهْلِ النُّطْقِ شَرْعِى وَمَذْهَبِى فَمَنْ لَمْ يُطِعْنِى عَقَّ أَمْرَ إِمَامِهِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : القريض : الشعر . والضَّيغم : الأسَد . والشادن : الغزال الذى قد قَوِىَ على المَشْى والتصرُّف . والزَّئير : صوت الأسد . والبُغَام : صوت الظَّبى .

الخوارزمى : شبَّه المُتنبِّىَ فى قَرْض الشِّعر ونَشيده بالأسَد وصِياحه، وشبَّه المبتدئ فى إنشاء الشعر ونشيده بولد الظبى وتَرَنُّمه . والبيت الثالث والثانى تقرير للبيت المتقدّم .

[القصيدة السادسة عشرة]

وقال أيضا فى الثانى من الطويل، والقافية متدارك[1] :

١ (أَلَا فى سَبِيلِ المَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلُ   عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلُ)

التبريزى : هذه الأشياء التى ذكرها إنما تجتمع لمن له المجد . يقول : جمعتُ العِفّةَ والشجاعَة والحَزْمَ والجُودَ، وسلوكُ هذه الطريقة هو المجد .

البطليوسى : يقول : كلّ ما أسعَى فيه وأتصرَّف ، فإنما هو فيما يكسِبنى النباهةَ والشرَف ؛ فمن أين يتطرّق الذمّ إلىّ ، ويُقْبَلُ مَنْ يختلق الكذبَ علىّ ! ثم فسّر الأمور التى كَسَبَتْه المجدَ والفضائلَ ، فذكر أنّها العفافُ والإقدامُ والحزم والنائل . والمجد : الشرف . والإقدام : الجُرْأة . والحَزْمُ : صِحّة التدبير؛ وأما العزم، فإنه النَّفَاذُ فى الأمور . وكذلك تقول العرب : «قد أحْزِمُ لو أعْزِمُ» . وقد كان الوجه ها هنا أن يذكر العَزْمَ مع الحزم ليكون أبلغَ فى غَرَضه الذى قصَده ، ولكن ذِكْره الإقدام أغناه عن ذكر العَزْم . والنائل : العطاء، بمعنى النوال .

الخوارزمى : سيأتى .

٢ (أَعِنْدِى وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ   يُصَدَّقُ وَاشٍ أَوْ يُخَيَّبُ سَائِلُ)

التبريزى : مارستُ : فاعلت، من قولهم : رجلٌ مَرِسٌ ومُمَارِس : صبورٌ على مِراس الأمور . أى بعد أن جرّبت الأمورَ وعرفتُها كيف أُصَدِّق واشيًا أو أُخَيِّب سائلا !

(١) فى البطليوسى : «وقال من قصيدة خاطب بها بعض أهل الشام ، وكان نزل عليه فأساء معاملته ، ونسبه إلى التعطيل ، وهو الذى أشار إليه بقوله :

صحبنا بالبديه من حصين   وحصن شر من صحب الرجالا» .

وفى الخوارزمى : «وقال أيضا فى الطويل الثانى ، والقافية من المتدارك» .

البطليوسي : الممارسة : معالجةُ الأمور ومعاناتُها . وهـذه الهمزة التى فى قوله « أعندى » معناها الإنكار . يقول : كيف يُتَوَهَّم علىّ أنِّى أُصَدِّق واشياً يزيِّن المُحَال ، وأُخَيِّب سائلاً يرجو النـوالَ؛ وقد مارستُ الأيام ، وعلمتُ تقلُّبَها بالأنام! والعرب تسمِّى كلَّ مَنْ نمَّق الباطلَ وزيَّنه واشياً . واشتقاقُه من قولهم : وَشَيْتُ الثوب أشيه . ويقال للذى يطبعَ الدنانير والدراهم واشٍ؛ قال الشاعر :

فما هِبْرِزِىٌّ من دنانيرِ أيلةٍ ... بأيدى الوُشاةِ ناصعٌ يتأكَّلُ(١)
بأحسنَ(٢) منه يومَ أصْبَحَ غاديًا ... ونَفَّسَنِى فيه الحِمامُ المُعَجَّلُ

الخوارزمى : سيأتى .

٣ (أَقَلُّ صُدُودِى أَنَّنِى لَكَ مُبْغِضٌ ... وَأَيْسَرُ هَجْرِى أَنَّنِى عَنْكَ رَاحِلُ)

التبريزى : يقول: أقلّ صدودى البغض، وأيسر هجرى الرحيلُ، وهو غاية الصدود ونهاية الهجر؛ لأنه قد يكون الصدود ولا بغض، ويكون الهجرُ ولا رحيل، فبالَغ فى قوله هذا .

البطليوسي : إنما قال هـذا لأن الرجل قد يَصُدّ عن صاحبه من غير أن يُبغضه ، فإذا انتهت به الحال إلى أن ينطوى له على بِغْضة وحِقْد فتلك نهايةُ الإعراض والصدود . وكذلك قد يهجر الرجلُ صاحبَه ولا يرحَل عنه، فإذا انتهت به المُهاجرة الى اختيار الرحيل فقد بلغ من مهاجرته الغايةَ، واستوفى النهاية . فقصد أبو العلاء المبالغةَ فى مُنافرة هذا المهجو ، فجعل الأمر الذى يُعَدّ نهايةَ الصدّ أقلَّه وأدناه، لشدّة مُخالفته له ومُباينته إيّاه .

(١) يتأكل : يأكل بعضه بعضا من حسنه .

(٢) فى ا : « بأصبح » . والبيتان من أبيات فى معجم البلدان (فى رسم أيلة) لأحَيحة بن الجلاح يرثى ابنه . ونفسنى فيه ، أى رغبنى فيه . انظر لسان العرب (مادة نفس) .

الخــــوارزمى : يقول : الذى أشتغلُ به فى سبيل المجد هــذه الأربعة . وقوله « يُصَــدّق واش » يلاحظ « الحَزْمَ » . وقــوله « أو يخيِّب سائل » يرجع إلى «النائل» . وقوله «أقلّ صدودى أننى لك مبغض» ينظر إلى «العفاف» . وقوله «وأيسر هجرى أننى عنك راحل» يُقابل «الإقدام» . وسمعتُ بعض العلماء يقول : الخصال أربع ؛ وذلك لأن القُوَى بحَسَب الأعضاء الرئيسة ثلاث : قوّة الشهوة ، وقوّة الغضب ، وقوّة النُّطْق . ولكلّ واحدةٍ من هــذه القوى ثلاثُ مَرَاتِب . أمّا قوّة الشهوة فوَسَطُها العِفّة ، وطَرَفَاها الخُمُود والفُجور . الوَسَطُ جيِّد ، والطَّرَفان رَدِيّان . وأمّا قوّة الغضب فوَسَطُها الشجاعةُ ، وطَرَفَاها الجُبْن والتهوُّر . الوسط جيِّــدٌ والطَّرفَانِ رَدِيّان . وأمّا قوّة النطق فوَسَطُها الحزم ، وطرفاها البَلَهُ والحَيْرَةُ . الوسط جيِّد والطرفانِ رديّان . فهــذه ثلاث . والرابعة العَــدْلُ ، وهو تعــديلُ هذه الثلاث .

وقول أبى العلاء يشتمل على هذه الأربع ، إلا أنه أقام النائلَ مُقامَ التعديل ، كأنه يُنيل كلَّ واحدةٍ من هــذه الأخلاق حقَّها وموضعَها . ونحوُه :

* وأنت الذى تُعْطِى المكارم حقها *

٤ (إِذَا هَبَّتِ النَّكْبَاءُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَأَهْوَنُ شَيْءٍ مَا تَقُولُ العَوَاذِلُ)

التــــبريزى : النكباء : كل ريح تَهُبّ بين مَهَبَّىْ رِيحين . ومعناه : إذا بَعُــد ما بينى و بينكم فأهْوَنُ شيء قولٌ يقالُ خَلْفِى .

البطليــــوسى : النكباء من الرياح : التى تهبّ منحرفةً عن مهابّ الرياح ، سُمِّيت بذلك لأنها نَكَبَتْ عن الجهات الأربع ، وهى أربعٌ لأن الرياح أربع ، فما بين كل ريحين نكباء . ومنهم مَنْ يجعلها ثمــانيًا ، وليس ذلك بمشهور ، والمشهور هو القول

الأوّل . وإنما خصّ النكباء ها هنا بالذكر لأن بلدَ هذا المهجوّ كان منحرفاً عن مهابِّ الرياح الأربع .

الخوارزمى : ريح نكباء : تَنْكُبُ عن المهابّ القُوّم . يقول : إذا فارقتكم حتى صار ما بينى وبينكم أثرًا بعد عين، بمنزلة رِبَاعٍ صاح فيها غراب البين، فقد حصَل الغرض؛ فإن عذَلَتْنى العاذلاتُ فلتعذُلْنى فأنا بذلك غير مُبالٍ . ويشهد لصحة ما ذكرتُ بيتُ العراقيات :

قِفَا بحيث محا مَسَاحِبَ ذَيلِها ... نكباءُ غادرتِ الديارَ رُسُوما

وخص النكباء لأنها أسرعُ من غيرها هبوبًا . وعليه :

ولكننا فى مَهْمهٍ تُعْجِل الخُطَا ... على وَجَلٍ هُوجُ الرياحِ[1] به نُكْبَا

وعليه أيضا :

سماحٌ إذا ألقى الشتاءُ جِرَانَهُ ... وهبَّتْ له النكباءُ من كلّ مَنَاجِ[2]

أى مَهَبٍّ .

٥ (تُعَدُّ ذُنُوبِى عندَ قومٍ كثيرةً ... ولا ذنبَ لى إلّا العُلَا والفواضلُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : الفواضل : العطايا . وليست المعالى والفواضل من الذنوب والمعايب، وهذا شىء تستعمله العرب إذا قصدوا المبالغة فى المدح، فيقولون : ما فى فلانٍ عيبٌ إلا الكرم . ومعناه أنه لا عيب فيه البتة، إلا أن يعتقد قومٌ أن الكرم عيب، فيعدّ ذلك فى ذنوبه ومعايبه . ووَجْهُ ذلك أن الخسيس الطبع لمّا كان مضادًّا

(١) فى الأصل : « على وجل هوج الركاب » . والتصويب من ديوان الأبيوردى .

(٢) البيت للأبيوردى أيضا .

للكريم الطبع، صار يعتقد فى المحاسن أنها قبائح، وفى القبائح أنها محاسن؛ لأن خساسة همّته ونُقصان فِطْرته قد صوّرا فى نفسه الأمورَ بخلاف الحقائق؛ كما يُرْوَى أن رجلًا قال للأحنف بن قيس : « ما أُبالى أَمُدِحْتُ أم هُجِيتُ » . فقال الأحنف : « اِسترحتَ يا أخى من حيث تَعِب الكرامُ » . وهذا المعنى كثير فى الشعر .

الخوارزمى : ... ...

٦ ﴿كَأَنِّى إِذَا طُلْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ   رَجَعْتُ وَعِنْدِى لِلأَنَامِ طَوَائِلُ﴾

التبريزى : يقال : طُلْتُ فلانًا أَطُولُه ، إذا فُقْتَه . وطوائل، جمعُ طائلةٍ، وهى التِّرَةُ؛ يقال : بينى وبين فلان طائلةٌ، أى تِرَةٌ وذَحْلٌ .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : طاولنى فطُلْتُه . بينهم طائلةٌ ، أى عداوةٌ وشحناء؛ ذكره الغورى، وجمعها طوائل . والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقدّم .

٧ ﴿وَقَدْ سَارَ ذِكْرِى فِى البِلَادِ فَمَنْ لَهُمْ   بِإِخْفَاءِ شَمْسٍ ضَوْءُهَا مُتَكَامِلُ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : الطوائل : الأحقاد والتِّرَاتُ ، واحدتُها طائلة . والأنام : الخَلْق . وهذا كقول الأحوص :

إِنِّى إذا خَفِىَ الرجالُ وَجَدْتَنى * كالشمس لا تَخْفَى بكلِّ مكانِ

الخوارزمى : الباء فى « بإخفاء شمس » تتعلق بمضمر تقديره : مَنْ يَكْفُل لهم بإخفاء شمس .

٨ (يَهُمُّ اللَّيالِي بَعْضُ ما أَنَا مُضْمِرٌ   وَيُثْقِلُ(١) رَضْوَى دُونَ ما أَنَا حامِلُ)

التبريزى : الليالى ، فى موضع النصب ، إلا أنه أسكن الياء ضرورةً . ومثلُه :

كأنّ أيدِيهِنّ بالقاعِ القَرِقْ * أيدى جَوارٍ يَتَعاطَيْنَ الوَرِقْ

يريد «كأن أيدِيَهن» ، يصف الإبل . قال أبو عُبَيْد فى تفسير هذا البيت : شبّه بياضَ أيدى الإبل ببياض أيدى الجَوارى . وقال أبو العلاء وقت قراءتى عليه «غريب الحديث لأبى عُبَيْد» : هـذا وَهَمٌ من أبى عُبَيْد ، يجب أن يكون شبّه حمرةَ أيدى الإبل بحمرة أيدى الجَوارى الخاضبات ؛ وذلك أن الإبل إذا سارت بالقاع القَرِقِ نَجلت الحَصَى بأيديها فدَمِيَتْ . والقَرِقُ : الذى فيه الحصى؛ يقال : قاعٌ قَرِقٌ وقَرْقَرٌ وقَرْقُوسٌ(٢)، بمعنى واحد. أى يُهِمُّ بعضُ ما أُضمره اللّيالِيَ . وكذلك رَضْوَى منصوبة مفعولة، وهى جبل، و «دون» هو الفاعل، غير أنه تُرِك على بنائه لمّا كان مضافًا إلى مبنىٍّ وهو «ما» ؛ ومثله قوله تعالى : (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ) فـ«بينكم» هو الفاعل سواء رفعتَه أو تركتَه على بنائه لإضافته إلى «كُمْ» .

البطليوسى : رَضْوَى : اسم جبلٍ . وأجرَى «دُون» مُجْرَى الأسماء، فلذلك رفَعه، ولم يُرِدْ «دون» الذى هو ظرفٌ، وإنما هو الذى يُرادُ به الحقارةُ؛ كقولهم: شىء دُونٌ . ونظير عجز البيت قولُ الآخر :

صبَرتُ على ما لو تحمَّلُ بعضَه * جِبالُ شَرَوْرَى أو شكتْ تتَصَدَّعُ

(١) فى الديوان المخطوط : «وتثقل» .

(٢) الذى فى كتب اللغة : والقرق والقرقر والقرقوس : القاع الصلب الأملس الذى لا حجارة فيه .

الخـــوارزمى : «رضوى» «فى ألاح وقد رأى»[1] . شيءٌ دُونٌ ، أى هيّن ، وهو هنا مرفوع على أنه فاعل « يُثْقِلُ » . ويقرُب من المصراع الأخير فى المعنى بيت الحماســـة[2] :

ولو أنّ سَلْمَى نابَها مثلُ رُزْئنا   لَهُدّتْ ولكنْ تحمِلُ الرُّزْءَ عامِرُ

٩(وَإِنّى وَإِنْ كُنْتُ الأَخِيرَ زَمَانُهُ   لآتٍ بِمَـالَمْ تَسْتَطِعْهُ الأَوائِلُ)

التـــبريزى : أى إنى وإن كنت الذى أُخّر زمانه .

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : «زمانه» مرفوع على أنه فاعل « الأخير » .

١٠(وَأَغْدُو وَلَوْ أَنّ الصَّبَاحَ صَوارِمٌ   وَأَسْرِى وَلَوْ أَنّ الظّلَامَ جَحافِلُ)

التـــبريزى : الصبح يشبَّه بالسيف ، وقـد ذكره فى مواضع من شعره . والجَحْفل : الجيش العظيم ، والجمع جحافل . والظلام يشبّه تارة بالجحفل ، وتارة يشبّه الجحفل بالظلام . والغدوّ : فى أول النهار ، والسرى : فى الليل .

البطليـــوسى : يقول : لا يَثنيني شيء عن مَطلَب أرومه وأحاوله ، ولا يمـلأ صدرى الرعب من عدوّ تُخاف مكايِدُه وغوائله ، ولو أن الصباح صوارم تسل علىّ ، والظلام جحافل توجَّهُ إلىّ . وشبَّه الصباح بالصوارم ، وهى السيوف ، بما لها من البريق والأنوار ، وشبّه الظلام بالجحافل ، وهى الجيوش ، لسواد السلاح وساطع الغُبار .

الخـــوارزمى : الصبح يشبّه بالسيف ، والظلام بالجيش .

---

(١) انظر البيت ٤٨ من القصيدة الخامسة ص ٢٧٥ .

(٢) هو لريطة بنت عاصم من أبيات ص ٢٧٥ .

١١ (وأىُّ[1] جَوادٍ لم يُحَلَّ لِجامُهُ وَنِضْوٍ يمانٍ أغْفَلَتْهُ الصَّياقِلُ)

التبريزى : لم يُحَلّ ، أصله يُحَلىَّ، من الحَلْى . ونِضْوٍ يمانٍ، يعنى سيفا قد صَدِئ لطول عهده بالصقل .

البطليوسى : الجواد : العتيق من الخيل السابقُ . ويحلّ، من الحلية ؛ ووزنه يُفَعَّل، سقطت منه الألف للجزم، من قولك : حَلَّيت الشىء، إذا زيّنته بالحِلية . والنِّضْو : السيف الذى تقادم عليه الزمان، فعلاه الصدأ، وأُغفِل صَقْله فذهب فِرِنْده . وهذان مثلان ضربهما لنفسه . يقول : أنا فى ضياعى، مع مالى من الفضائل والمساعى ، بمنزلة فرسٍ جَواد كان ينبغى أن يحلَّ لجامُه فلم يُفْعَل، و بمنزلة سيف يمانٍ أُغفل فلم يُصْقَل . و « أىّ » مرفوع بالابتداء وخبره محذوف، كأنه قال : وأىّ جوادٍ لم يحلّ لجامه أنا ! وأىّ نضو يمانٍ مُغْفَل أنا ! و « أىّ » هذه تستعمل فى مدح الشىء وتعظيمه، كقولك : أىّ رجل زيدٌ ! قال الرّاعى :

فأومأْتُ إيماءً خفيًّا لحبترٍ ولله عَيْنا حَبْترٍ أيَّما فتى

أراد أيَّما فتى هو، فحذف الخبر .

الخوارزمى : المراد بـ«أىّ» هاهنا هو الاستفهام السّاذج، من غير أن يشوبه إنكارٌ .

١٢ (وإنْ كانَ فى لِبْسِ الفَتى شَرَفٌ لَهُ فَما السَّيْفُ إلّا غِمْدُهُ والحَمائِلُ)

التبريزى : الحمائل : جمع حِمالة السَّيف .

البطليوسى : يقول : إنْ كان شرفُ الإنسان إنّما هو بلباسه لا بفضائله ، فينبغى ألّا يكونَ شرفُ السَّيف إلا بجَودة غِمده وحمائله ؛ و إنّما شَرَفُ الإنسان

(١) فى التبريزى والتنوير : « وأنى » .

بأصغريه، لا بملبس جميل يُرى عليه؛ وشرف السيف بمضاء حدّه، لا بحمائله المحلّاة وغمده . وهذا المعنى كثيرٌ فى الشعر القديم والمحدَث، كقول الشاعر :

قد يُدرِك الشَّرفَ الفتَى ورداؤُه   خَلَقٌ وجيبُ قميصه مرقوعُ

الخوارزمى : فى هذا الكلام نظرٌ؛ لأنّ الملبوسَ إذا أفادَ لابسَه شرفًا لم يُنتِج ألّا يكون للسّيف إلا غمدَه شرف . وكان الواجب أن يقول : وإن كان شرف الفتى فى لِبسه .

١٣(وَلِى مَنطِقٌ لَم يَرضَ لِى كُنهَ مَنزِلِى   عَلَى أَنَّنِى بَينَ السِّمَاكَينِ نَازِلُ)

التبريزى : كُنه الشيء : وقته، وقيل مِقداره . وكُنه الشّيء : حقيقته، ومِثله أيضا؛ يقال : مصيبة ما لها كُنهٌ، أى مِثل . أى منطق لا يرضَى لى بهذه المنزلة مع ارتفاعها، و يقتضينى أعلَى منها .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

١٤(لَدَى مَوطِنٍ يَشتَاقُهُ كُلُّ سَيِّدٍ   ويَقصُرُ عَن إدرَاكِهِ المُتَنَاوِلُ)

التبريزى : لدَى موطن، بمعنى عندَ موطن؛ يقال: لدى زيد، ولدنُ زيد. قال ابن دُريد : هى كلمةٌ تقرّب الشيءَ من الشيء .

البطليوسى : كُنه الشيء : غايته . وكنهه أيضا : وَجْهُه وقَدْره . وهذا شبيهٌ بقول أبى الطيِّب المتنبّى :

ويجهلُ أنّى مالكَ الأرضِ مُعسرٌ[1]   وأنّى على ظَهر السِّماكين راجِلُ

(١) مالك الأرض، نصب على الحال، أى يجهل هذا الرجل أنى إذا ملكت الأرض كنت فى حال العسر عند نفسى . أنظر العكبرى (٢ : ١٣ — ١٣١) .

تحقَّر عندى همَّتى كلّ مطلبٍ ويَقْصُرُ فى عينى المدَى المتطاولُ

الخــوارزمى : السِّماكان، هما الأعزل والرامح . والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقــدّم .

١٥ (ولَمّا رَأَيْتُ الجَهْلَ فِى النّاسِ فَاشِيًا تَجاهَلْتُ حَتَّى ظُنَّ أَنِّى جاهِلُ)

التبريزى : يقال : فشَا الشّىء يفشُو، إذا كثُر .

البطليوسى : ... ...

الخــوارزمى : تَجاهَلَ : أرَى من نفسه أنّه جاهلٌ وليس به . ومن هــذا الباب قول الأمير أبى فِراس :

تغابَيتُ عن قومى فظنُّوا غباوةً بمَفْـرِقِ أغبانا حَصًى وتُرابُ

قوله « أنى جاهل » فى محلّ الرفع بأنّه فاعل «ظُنَّ»(١). ومعنى البيت من المثل السائر : « مَنْ دَخَل ظَفَارِ حَمَّر(٢) »، أى تكلّم بالحميريّة .

١٦ (فَواعَجَبا كَمْ يَدَّعِى الفَضْلَ ناقِصٌ وَوَاأَسَفا كَمْ يُظْهِرُ النَّقْصَ فاضِلُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : هذا من الكلام البـديع الحسَن الذى يدلُّ على حِذْق قائـله بصناعة الشعر، لأنه قرن العَجب بادّعاء الناقص للفَضْل، والأسفَ بإظهار الفاضل للنقص، فوضَعَ الألفاظ فى المواضع اللائقة بها . ولو عكس الأمر لأخلّ بالنَّظْم، وأوجَدَ فيه موضعَ انتقادٍ لذوى الفهم . والأسف هنا : التحسُّر والتلهُّف .

الخــوارزمى : « كم يدّعى » و « كم يُظهر» فى محل النّصب على الظرفية .

---

(١) يريد نائب الفاعل . (٢) ظفار، كقطام : مدينة باليمن قرب صنعاء .

١٧ (وكَيْفَ تَنامُ الطَّيْرُ في وُكُنَاتِها إذا نُصِبَتْ[1] للفَرْقَدَيْنِ الحَبائِلُ)

التبريزى : وُكُنات : جمع وُكْنة؛ يقال: وُكْنة ووُكَنات ووُكُنات ووُكَن ويقال: أُكْنة أيضا، لأنّ الواو إذا انضمّت يجوز همزها، نحو أُقّتت وأُجوه، بمعنى وقّتت ووُجوه. والوُكْنة : الموضع الذى ينام فيه الطّير لا العشّ. والحبائل : جمع حبالةٍ، وهى الشّبكة التى تُنصَب للصّيد.

البطليوسى : الوُكُنات : الأعشاش، ويقال لها أيضا وُكُرات وأُقُنات. والحبائل : جمع حِبالة، وهى التى يُصطاد بها الوَحْش. يقول : كيف تأمَن الطّيرُ فى أعشاشها مع قُربها من المتناوِل، إذا كان الفرقدانِ مع بُعدهما تُنصَب لهما الحبائل! وهذا مثلٌ ضربَه، أراد بهَ أنّه إذا كان يُتعاطَى الممتنعُ الذى لا سبيل إليه، فكيف يأمن الممكن الذى لا دفاع لديه! وإنّما ذكر الحبائلَ فى هـذا الموضع إحكامًا للصّنْعة؛ لأنّ الفرقـدَ لفظةٌ مشتركةٌ يسمّى بها الكوكبُ وولدُ البقَرة الوحشيّة، ومن شأنِ الوُحوش أن تُنصَب لها الحبائل. ولنحوٍ من هذا المنزع قال فى موضع آخر :

جَــلَا فَرْقَدَيهِ قبــلَ نوحٍ وآدمٍ إلى اليومِ لَمّا يُدْعَيا فى القَراهِبِ[2]

الخوارزمى : الطّير فى وُكُناتها، أى فى أعشاشها ومواقِعها، جمع وُكْنة. والتوكُّن، هو التمكُّن. جعل الفرقدين مماّ يصاد؛ لأنّ الكوكبَ يشبهُ بالطّير. وعليه بيتُ السّقط فى صفة النُّجوم :

كأنّها سِرْبُ حَمامٍ واقعٍ فى شَبَكٍ من الظّلام يَنْتَزِى[3]

(١) فى الديوان المخطوط والتنوير و ى من التبريزى : « وقد ».
(٢) فى الأصل : « فى الغياهب » وما أثبتنا من اللزوم. والقراهب : ثيران الوحش المسان.
(٣) البيت الخامس من القصيدة الثالثة عشرة ص ٤١٧.

وأنشد جارُ الله :

وردتُ اعتسافاً والثُّريّا كأنّها   على قِمّةِ الرأس ابنُ ماءٍ مُحَلِّقُ (١)

١٨ (يُنافِسُ يَوْمِي فِيَّ أَمْسِي تَشَرُّفًا   وتَحْسُدُ أَسْحارِي عَلَيَّ الأَصائِلُ)

التـبريزى : ينـافس : يفاعِل ، من قولهم : نَفِسْتُ بالشَّىء أَنْفَسُ ، إذا ضَنِنْت به . يقول : الوقت الذى أكونُ فيه يتشرَّف بى، [وسائر] (٢) أوقاتى تحسد الوقت الذى أنا أكون فيـه . وقوله « أصائل » : جمع جمع الجمع، لأنّ واحده أصيل ، ثم أُصُل، ثم آصال، ثم أصائل .

البطليـوسى : يقول : كلّ وقتٍ من الزمان كان يودّ أن أكون فيـه دون سائر الأوقات ، فوصفَ أوّلاً انّ أمسَه ينافس فيه يومَه، ثم زاد مبالغةً بأنْ وَصَف انّ أصيل يومه يحسُد عليه سحرَه . وإنّمـا صارت منافسةُ الأصيل للسَّحر أبلغَ من منافسة الأمس لليوم الذى هو فيـه ، لأنّ الأصيل والسّحرَ يجمعهُما يومٌ واحد ، والأمسَ واليومَ الذى يشتمل عليه مختلفان ، لأنه يمكن أن يحصُل فى الأصيل ولا يمكن أن يعود إلى الأمس . والمنافسة : شدّة الرغبة فى الشىء النفيس القدر، ولذلك ذكر معها الشّرف لتشاكُل اللّفظين . وأما الحسـد ، فقد يكون فى الشىء الخسيس كما يكون فى النّفيس . والمنافسة تكون من اثنين يحسُد كلُّ واحدٍ منهما صاحبه، وقد تكون من واحد ، وعلى هـذا المعنى الثانى استعملها أبو العلاء؛ لأن أمسَه يحسُد يومَه الذى هو فيه ، ويومَه الذى هو فيه لا يحسد أمسَه . لأنه إنمـا يُنافِس فى الشىء مَنْ عَدِمَه لا مَنْ حصَل له . وقد يجوز أن تكون مفاعلةً من

(١) البيت لذى الرمة . انظر ديوانه ص ٤٠١ . وابن ماء : ضرب من طيور الماء .

(٢) دقة التعبير تقتضى هذه الكلمة التى أثبتناها استئناسا بمـا فى شرح البطليوسى والتنوير .

آثنين ، فيكون قد أراد أن يومَه الذى يحصُل فيه كان يُنافِس أمسَه قبل أن يفارقه. فلما آنتقل عنه إلى غيره صار أمسُه يُنافِس ذلك الذى آنتقل إليه .

الخـــوارزمى : هذا كقوله :

وقد أغتدى والليـلُ يبكى تأسفًا على نفسه والنجم فى الغرب مائلُ (١)

١٩ (وطَالَ اعْتِرافِى بِالزَّمانِ وَصَرْفِهِ فَلَسْتُ أُبَالِى مَنْ تَغُولُ الغَوَائِلُ)

التـــبريزى : يقال : غاله يغوله ، إذا أهلكه . والغوائل : جمع غائلة .

البطليـــوسى : الاعتراف هاهنا ، بمعنى المعرفة ، وهو أبلغُ فى المعنى من المعرفة ؛ لأن هذه الزيادةَ إذا لحقت الفعلَ دلّت على زيادةٍ فى المعنى ، كقولك : قَدَر واقتدر ، وكَسَب واكتسب ، وكذلك عَرَف الشىءَ واعترفه . قال النُّعمان بن بشير الأنصارىّ :

مُعاوِىَ إلّا تُعْطنا الحقّ تعـترفْ لِحىِّ الأَزْد مَسـدُولًا عليها العمائمُ (٢)

وقال آخر :

إنّى آمرؤٌ بالزمانِ معـترفٌ علّمـنى كيف تُوكَلُ الكتِفُ

وتغول : تُهلك . والغوائل : المَهالك .

الخـــوارزمى : ... ...

٢٠ (فَلَوْ بَانَ عَضْدِى مَا تَأَسَّفَ مَنْكِبِى وَلَوْ مَاتَ زَنْدِى مَا بَكَتْهُ الأَنَامِلُ)

التـــبريزى : يقال : عَضْدٌ وعِضْد وعُضْد (٣) . يهوّن على نفسه الخطوبَ بعد معرفة الزمان وصَرْفه .

(١) البيت الخامس والعشرون من هذه القصيدة .
(٢) فى الأغانى (١٤ : ١٢٦ طبعة بلاق) : « مشدودا » .
(٣) العضد ، بالفتح ، وبالضم ، وبالكسر ، وككتف ، وندس (بفتح فضم) ، وعنق .

البطليـــوسى : وهذا أيضـا من انتقاده للكلام ، وقَصْدِه إلى المشاكلة بينه والالتئام ، لأنّه قرن المَنْكِبَ بالعضد ، والأناملَ بالزَّنْد ، فضمَّ إلى كلِّ عضوٍ مايجاوره. واستعار للمنكب التأسّف ، وللأنامل البكاء ؛ لأن البكاء بالأنامل أَلْيَقُ منه بالمنكِب ، لأنّ الأيديَ تُوصف بالنَّدْوة والانسكاب ، وتشبَّه بالبحر والسَّحاب ، والمنكب لا يوصـفُ بشيء من ذلك ، وإنمـا يوصَف المنكب والعـاتقُ بحَمْلهما للأشـياء الثقيـلة ، وتقلُّدهمـا للأمور الجليـلة ، فكانَ وصْـف المنكبِ بالأسَف أَذْهَبَ فى الفحوى وأقربَ إلى المعنى ؛ لأنّ الأسـف ثِقْلٌ يحمله المتأسّف ، وعبءٌ يتقلّده المتلهّف ، وأمّا البكاء فإنه يخفّف ثِقْلَ الأسَف ، ويزيل عِبْءَ اللَّهَف . ألا ترى إلى قول حَبيب :

* والدمعُ يحمل بعضَ ثِقْلِ المُغْرِمِ[١] *

وقال أيضـا :

حَمَلَ العِبءَ كاهلٌ لك أمسَى ... لِخُطوب الزَّمانِ بالمرصادِ
للحَمَالات والحمـائلِ فيـه ... كلُحوبِ الموارِدِ الأعدادِ[٢]

واسـتعار للزّند الموتَ دون البَـين ؛ لأنّ الموت أهولُ الخطوب ، وأعظم على المكروب ؛ من حيث كانَ مَن بَانَ يُرجَى اقترابُه ، والميت لا يؤمّل إيابه . فإذا كان لا يبكِي للأعظم والأكبر ، فهو أخلَقُ بألّا يبكى للأقلّ الأصغر .

الخـــوارزمى : عضدى[٣] . والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .

---

(١) البيت فى ديوان أبى تمام :

نثرت فـريد مدامع لم تنظم * والدمع يحمل بعض شجو المغرم

(٢) الحمالات : جمع حمالة بالفتح ، وهى ما لزم من غرم أو دية . والحمائل : جمع حمالة السيف ، بكسر الحاء . واللحوب : جمع لحب ، بالفتح ، وهو الطريق الواضح . والأعداد : جمع عد ، بالكسر ، وهو الماء القديم الذى له أصل لا يخشى فناؤه . (٣) كذا ، وفى الكلام نقص .

٢١ (إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَّ بِالبُخْلِ مَادِرٌ وَعَيَّرَ قُسًّا بِالفَهَاهَــةِ بَاقِلُ)

التبريزى : الطائىّ ، يعنى حاتمًا الطائى . ومادر : رجلٌ من بنى هلال ابن عامر صعصعة ، يُضْرَب به المثلُ فى البخل . وإنّما قيل له مادر، لأنّه سقى إبلَه من بعض حِياض العرب، فلما شربت إبلُهُ وصَدَرت عن المـاء مَدَر الحوضَ بسَلْحه، أى لطّخه به، حتّى لا يشرب غيره، فقيل: «أبخل من مادر» . وذَكروا أنّ بنى فزارة وبنى هلال بن عامر، تنافروا إلى أنَس بن مُدْرِك الخثعمىّ، وتراضوا به . فقالت بنو عامر : يا بنى فَزَارة، أكلتم أير الحمار ! فقالت بنو فزارة : أكلناه ولم نعرفه (١) . ولكن منكم يا بنى هلال مَنْ قَرَى (٢) فى حوضه فسقَى إبلَه ، فلمّا رَوِيَتْ سَلَح فيه بُخلاً أن يُشرَب مِن فَضْلِه . فقضَى أنسٌ على الهلاليّين، فأخذ الفزاريُّون منهم مائةَ بعيرٍ (٣) كانوا تراهَنُوا عليها . وفيهم يقول الشاعر :

لقد جَلَّلَتْ خِزْيًا هِلالُ بْنُ عامرٍ بنى عامرٍ طُــرًّا بسلحة مادِرِ
فأفٍّ لكم لا تذكُروا الفَخْرَ (٤) بعدَها بنى عامرٍ أنـتم شِـرارُ المعـاشِرِ

وأما أكل بنى فزارة أيرَ الحمار، فمن حديثهم أنّ ثلاثةَ نفرٍ اصطحبوا: فزاريًّا (٥) وتغلبيًّا (٦) وكلابيًّا، فصادوا حِمارا، ومضَى الفَزارىّ فى [بعض] (٧) حاجته، فطبخا وأكلا وخبآ للفزارىّ جُردانَ الحِمـار، فلما رجع [الفزارى] (٧) قالا له : قد خبَأنا لك فكُلْ . فأقبل

(١) انظر مجمع الأمثال (١ : ٩٧) .
(٢) قرى فى حوضه : جمع الماء فيه .
(٣) فى ى : «مائة وتسعين ناقة» . صواب هذه : «مائة بعير وناقة» .
(٤) فى ى : «الخير» .
(٥) اسمه حذف . (انظر الاشتقاق ص ١٧٣ وسمط اللآلى ص ٨٦٠) .
(٦) فى مجمع الأمثال (١ : ٩٧) أنه «ثعلبى» .
(٧) من مجمع الأمثال .

يأكله ولا يسيغه ، وجعلا يضحكان ، ففطِن فقال : « أ كلُّ شِواء العَير جُوفان » . وجُوفان العَـير : أيره . ثم أخذ سيفَه وقام إليهما وقال : لتأ كلانِّه أو لأقتلنكما . ثم قال لأحدهما ، وكان اسمه «مِرْقمة» : كلْ منه . فأبَى ، فضربه فأبَان رأسَه . فقال الآخر : «طاح مِرْقمة» . فقال الفزارىّ : «وأنت إنْ لم تَلقَمَهْ» . أراد إن لم تلقمْهُ . فألق حركة الهاء على الميم وسكنت الهاء .

وممـا قيل فى بنى فزارة فى هذا المعنى قول الكُميت[1] :

نصحتُكَ يا فَزارُ وأنتَ شـيخٌ   إذا خُيِّرتَ تُخطِئُ فى الخِيـارِ[2]

أصَيْحانيّـــةٌ أُدِمَتْ بزيتٍ[3]   أحَبُّ إليــك أم أيْرُ الحمـارِ

بـلَى أيـــرُ الحمـارِ وخُصيتاهُ   أحبُّ إلى فزارةَ من فَزارِ

وقال الشاعر[4] :

لا تأمَنَنَّ فَـزارِيًّا خـلوتَ به   على قَلُوصِك واكتُبْها بأسـيارِ

لا تأمَنَنْــهُ ولا تأمَنْ بوائقَــهُ   بعدَ الذى امتَلَّ[5] أيرَ العَير بالنّارِ

وقُسُّ بن ساعدة الإيادىّ ، كان رجلًا حكيماً من حكماء العرب . وقالوا : هو أوّل من قال : « أما بعـد » . وله خطبٌ حسنة وشِـعر . ويقال : رجل فَهٌّ بيِّن الفهاهة ، إذا كان عَيِيًّا ؛ قال الشاعر :

ولم تُلفِنِى فَهًّا ولم تُلْفَ حُجّتى   مُلَجلَجةً أبغِى لها من يقيمُها

---

(١) الشعر للكميت بن ثعلبة (انظر خزانة الأدب وسمط اللآلى) . (٢) فى السمط :

أتفخر يا فزار وأنت شيخ * إذا فوخرت تخطئ فى الفخار

وفى مجمع الأمثال : * نشدتك يا فزار وأنت شيخ *

(٣) فى مجمع الأمثال والخزانة (١ : ٣٩٥) : « بسمن » .

(٤) الشاعر هو سالم بن دارة . (انظر سمط اللآلى ومجمع الأمثال) .

(٥) امتله : وضعه فى الملة ، وهى الرماد الحار .

وباقل : رجلٌ من العرب معروف بالعِىّ، اشترى ظبيةً بأحدَ عشرَ درهما ، وجاء بها إلى أُمّه ، فسألتْه عن ثمنها ، فنشَر يديه وأخرج لسانَه وخَلّى الظّبية، يريد: أحدعشر درهما. فضربت العربُ به المثلفقالوا: «أعيا من باقل». قال حُميد الأرقط:

أتى يَخبِطُ الظّلماءَ والليلُ دامسٌ يسائلُ عن غيرِ الذى هو آمِلُ
فقلتُ لها قُومى إليه فيسِّرى طعامًا فإنّ الضّيفَ لا بدّ نازلُ
يقول وقد ألقى المراسِىَ للقِرَى أبِنْ لِىَ ما الحجّاج بالنّاسِ فاعلُ
فقلتُ لَعمرِى ما لهذا طرقتَنى فكُلْ ودعِ الحجاجَ ما أنتَ آكلُ(١)
أتانا وما داناه سَحبانُ وائِلٍ بيانًا وعَقْلًا(٢) بالذى هو قائلُ
فما زالَ عنه اللّقمُ حتّى كأنّه من العِىّ لمّا أنْ تكلّم باقلُ

البطليوسى : الطائى : حاتم بن عبد الله ، الذى سار به المثلُ فى الجود .

وأمّا مادرٌ فإنّه رجلٌ من بنى هلال بن عامر بن صعصعة، سار به المثلُ فى البخل . وسُمّى مادرًا لأنّه سقى إبلَه فبقى فى أسفل الحوض شىءٌ من الماء ، فبَخل به أن يَنتفِع به غيرُه، فسلح فيه ومَدَر الحوضَ بالسَّلْح، أى لطّخه وطلاه . وفى ذلك يقول بعضُ الشعراء :

لقد جلّلت خِزْيًا هلالُ بنُ عامرٍ بنى عامرٍ طُرًّا بسَلْحَة مادرِ
فأُفٍّ لكم لا تذكُروا الفخرَ بعدَها بنى عامرٍ أنتم شرارُ المَعاشرِ

وأمّا قُسّ فإنه قُسّ بن ساعدة الإيادىّ أسقُف نَجْران ، وكان من حكماء العرب وبلغائهم، وهو أوّلُ من خطَب متوكّئًا على عَصًا ، فصار ذلك سُنّةً بعده ، وأوّل

(١) فى مجمع الأمثال : « ودع الإرجاف » .
(٢) فى مجمع الأمثال : « بيانا وعلما » . والبيت ساقط من حـ .

مَن كتب : « من فلانٍ إلى فلان»، وأوّل من قال: «أما بعدُ» من العرب . وفيه يقول الأعشى يَضرِب به المثل :

وأبلغُ من قُسٍّ وأجْرا من الذى … بذِى الغِيل من خَفّانَ أصبحَ خادِرا [1]

وأما باقل فإنّه رجلٌ من إياد، اشترى ظبياً بأحدَ عشر درهما، فمرّ بقومٍ وهو يحمله، فقالوا له : بكم اشتريتَ هذا الظبي ؟ فأشار بيديه — يريد عشرة — وأخرج لسانَه ليتمّ به الأحدعشر، فأفلَتَ الظّبيُ . فضُرب به المثل فى العِيّ . وقال فيه بعض الشعراء:

يَلُومون فى عِيِّـهِ باقــلًا … كأنّ الحماقةَ لم تُخلَقِ
خُروجُ اللّسانِ وفَتحُ البَنانِ … أخفُّ عليه من المنطِقِ

والفهاهة : العِيّ .

الخوارزمى : سيأتى .

٢٢ (وقَالَ السُّهَا للشَّمسِ أَنْتِ خَفِيَّةٌ … وَقَالَ الدُّجَى يا صُبْحُ لَوْنُكَ حَائِلُ)

التبريزى : السُّها : كوكب خفيّ، والناس يمتحنون به أبصارهم . ومن أمثالهم : « أُرِيها السُّها وتُرِيني القَمرَ » [2] . والحائل: المتغيّر .

البطليوسى : السُّها : كوكبٌ خفيّ فى بنات نَعْشٍ الكُبرى ، يَمتحِنُ النّاس به أبصارَهم . وفيه جَرى المثل فقيل : « أُريها السُّها وتُرِيني القمر » . وفيه يقول القائل :

شَكَونا إليه خَرابَ العِراقِ … فعابَ علينا لحومَ البقَرْ
فكُنّا كما قال مَنْ قبلَنا … أُرِيها السُّها وتُرِيني القمرْ

(١) خفان: مأسدة قرب الكوفة .

(٢) زيد بعده فى أ من التبريزى : «وتزعم أنى قليل النظر» . وتراها مقحمة .

والعرب تسمّى الشُّها هودَ بن أمية . وفى حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنّه كان يقول فى دعائه : « اللهم ربَّ هود بن أمية ، أعوذ بك من كل سَبُعٍ وحيّة » .

الخــوارزمى : ســيأتى .

٢٣ ﴿وَطَاوَلَتِ الأَرْضُ السَّمَاءَ سَفَاهَةً وَفَاخَرَتِ(١) الشُّهْبَ الحَصَى وَالجَنَادِلُ﴾

التــبريزى : الشُّهب : الكواكب . والجنادل : الحجارة الكبار ، واحدها جندلة وجندل .

البطليــوسى : ســيأتى .

الخــوارزمى : فى أمثالهم : « أجْوَد من حاتم » . كان جوادًا شُجاعا ، حيثما نَزَلَ عُرِف منزلُه . وكان ظَفِرًا(٢) ، إذا قاتل ظَفِر وغلَب ، أو غنِم أنْهَب ، ومتى سئل وهَب ، أو ضرب بالقداح سبَق ، وإن أَسَر أطلَق ، أو أثرى أنْفق ؛ وكان أقسم بالله لا يقتلُ واحدَ أُمِّه .

وفيها : « أبخل من مادر » . وهو من بنى هلال بن عامر بن صعصعة ، سقى إبلَه فبقى فى أسفل الحوض مُوَيْهٌ فسلح فيــه ومدَر الحوض بالسَّلح ، أى لطّخه به ؛ فلُقِّب بذلك .

وفيها : « أبلغ من قُسّ » و « أخطَبُ من قُسّ » و « أنطَقُ من قُسّ » . هو ابن ساعدة الإيادىّ أسقُف نجـران ، وكان من حكماء العرب ، وأوّل مَن خطَب متوكّئا على عصًــا ، وأوّل من كتب : « من فلانٍ إلى فلان » ، وأوّل من قال : « أما بعد » . وفيه يقول الأعشى :

وأبلـغ من قُسٍّ وأجْرَا من الذى بذى الغِيلِ من خَفّان أصبح خادِرا

(١) فى البطليوسى : « وكاثرت » .

(٢) يقال : رجل مظفر وظفر (بفتح فكسر) وظفير (كسكير) : لا يحاول أمرا إلا ظفر به .

وفيها : «أعيا من باقل» ، يضرب به المثَل فى العىّ، وكان من إياد، اشترى ظَبيًا بأحد عشر درهما، فقيل: بكم اشتريته؟ فمدّ يديه — يريد عشرة دراهم — ودلع لسانَه، يريد درهما آخر ، وكان الظّبي تحت إبطه فشرَد .

السها فى: «إليك تناهى »[1] ،حال لونه ، إذا تغيّر واسودّ . وفى كلام أبى زيد البلخىّ : « وربّما كان ذلك سببًا لأن ينشأ قميئًا فى بدنه ، بطيئًا فى حركاته ، حائلَ اللون » ، والأبياتُ متقاربة المعنى .

٢٤ (فَيَامَوْتُ زُرْ إنَّ الحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ وَيَانَفْسِ جِدِّى إنَّ دَهْرَكِ هَازِلُ)

التبريزى : .. ..

البطليوسى : طاولت ، يجوز أن يكون فاعلْت من الطَّوْل، الذى هو الفَضْل، أى ادّعتْ أنّ لها فَضْلًا عليها . ويجوز أن يكون من الطُّول، الذى ضِدّ العرض. وأصحاب الهيئة يجعلون طُول الفلك ما بين نُقطتَى المشرق والمغرب ، ويجعلون عَرْضه ما بين نقطتَى الشّمال والجنوب، وهو ما مال عن خطّ الاستواء جنوبًا وشمالا .

الخوارزمى : هذا جواب الشّرط المتقدّم[2] .

٢٥ (وَقَدْ أَغْتَدِى وَاللَّيْلُ يَبْكِى تَأَسُّفًا عَلَى نَفْسِهِ وَالنَّجْمُ فِى الْغَرْبِ مَائِلُ)

التبريزى : هذا كقوله :

* وتحسُدُ أسحارِى علىّ الأَصائلُ[3] *

لأن اللّيل يتأسّف على نفسه كيف يفارقه .

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٧٦ س ١٦ .

(٢) يشير إلى البيت ٢١ من هذه القصيدة .

(٣) البيت الثامن عشر ص ٥٣٠ .

البطليوسى : وصْفُه اللّيلَ بأنّه يبكى على نفسه تأسُّفا، من بديع الاستعارة، ومليح الإيماء والإشارة؛ وذلك أنّ الليل لمّا كان قد أشرَف على الزّوال، والنّهار قد أخذ فى الإقبال؛ شبّه اللّيلَ بالذى قد أشرف على حَتْفِه، فهو يبكى على نفسه؛ لأنّ الليل يشَبّه حين إقباله بالشابّ المقتبَل الشّباب، وعند انقضائه بالشّيخ المُشْفِى على الهلاك والذّهاب. قال أبو فِراس:

لبِسنا رداءَ اللّيـلِ والليلُ راضعٌ ... إلى أن تَرَدّى رأسُـهُ بمشيبِ[1]

ويجوز أن يريد بـ «النجم» الثريّا؛ كما قال ذو الرُّمّة:

فقلتُ اجعلِي ضَوءَ الفراقِـدِ كلّها ... يميناً وضوءَ النّجمِ مِن عَنْ شِمالكِ[2]

ويجوز أن يريد النّجوم المنْحدرة للغُروب.

الخوارزمى : قال العُتْبىّ: الثريّا إذا طلَعت تستقبل النّاظرَ إليها بأنفها، وإذا غربت تعرّضت، أى تحرّفت كأنها جانحة كتحرُّف ثِنْى الوِشاح إذا أُلقى. ونظير هذا البيت فى المعنى قد مضى.

٢٦ (بريحٍ أُعيرتْ حافِرًا مِنْ زَبَرْجَدٍ ... لَهَا التِّبْرُ جِسْمٌ والُّجَيْنُ خَلاَخِلُ)

التبريزى : بريح، يعنى بفرس كالرِّيح سرعةً. والحافر إذا كان أخضرَ كان صُلْبا؛ فلذلك جعلَه من زبرجد. والفرس أشقر محجّل، فلذلك جعل جسمَه من الذّهب، وخلاخِلَه[3] من الفِضّة.

(١) انظر إنشاد البيت فى ص ٥٠٢. (٢) لم نجد البيت فى ديوان ذى الرمة المطبوع.

(٣) فى ى: «وتحجيله».

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : عنى « بريح أعيرت » فرسًا مثل الريح[١] فى السُّرعة . « أُعيرتْ حافرًا من زَبَرْجد » فى « أعن وخد القلاص »[٢] . معنى المصراع الثانى أنّه أشقر محجّل . وفى ديوان المنظوم[٣] :

خاضَ اللُّجينَ وبالعقيق تَسربَلتْ أعطافُه ومشى عَلَى فيروزج

٢٧ ﴿كَأَنَّ الصَّبَا أَلْقَتْ إِلَىّ عِنَانَهَا تَخُبُّ بِسَرْجِى[٤] مَـرَّةً وتُنَاقِـلُ﴾

التبريزى : الخبَب : ضربٌ من السَّير . والنِّقال أيضًا : ضرب منه ؛ ومنه قول ذى الرمّة فى الخبَب :

فراحَ مُنْصَلِتًا يحدُو حلائلَه أدنَى تَقاذُفِـه التّقريبُ والخبَبُ

يصف حمار وحْش وأُتُنَه .

البطليوسى : قوله : « بريح » أراد فرسًا ، شبّهها فى سُرعتها بالرِّيح ، وشبّه جسمَها بالتّبر ، وهو الذّهب . وحوافرَها بالزَّبرجد ، وتحجيلَ قوائمها باللُّجين ، وهى الفضة ؛ لأنّ الحوافرَ يُستحبّ فيها أن تكون خُضْرًا أو سُودا ؛ لأنّ البياضَ فيها رِقّة ؛ ولذلك قال امرؤ القيس :

ويَخطُو على صُمٍّ صِلابٍ كأنّها حِجارةُ غَيلٍ وَارِساتٌ بطُحْلُبِ[٥]

---

(١) فى الأصل : « من الريح » .

(٢) البيت الثالث والخمسون من القصيدة الأولى ص ٩٠ .

(٣) عنى به ديوان الزمخشرى المنظوم ؛ فإن للزمخشرى أيضا ديوانا منثورا ، هو ديوان رسائله ، ذكره فى كشف الظنون . والبيت من قصيدة للزمخشرى فى ديوانه ، الورقة ٢١ ، ٢٢ مخطوط دار الكتب رقم ٥٢٩ أدب .

(٤) فى البطليوسى : « برحلى » وليست بشىء ، فإن كلامه فى الفرس لا الناقة .

(٥) الغيل ، بالفتح : الماء الجارى على وجه الأرض . والوارسات : المصفرات . والحجارة تصفر إذا كان عليها الطحلب .

وقد شبّهت العرب بياضَ الحجول بنحوٍ من هذا الذى ذكره أبو العلاء . ألا تراهم سمّوه تحجيلا وحُجولا ، وإنّما الحجول الخلاخيل والقُيود . وقال جرير :

ولمّـا أتى القينُ العراقىُّ باستِه فَرَغْتُ إلى القَين المقيَّـد بالحِجلِ (١)

وقال النّابغة فى الحِجل الذى هو الخلخال :

على أنَّ حِجليها وإن قلتُ أُوسِـعا صَمُـوتان من مَلْءٍ وقلّة منطقِ (٢)

وقالوا : فرس مخدّم وأخدم، وهومشتقٌّ من الخَدَمة، وهى الخَلخال. وقالوا: فرس مُوَقَّف، إذا أصاب أوظفتَه بياضٌ ولم يَعْدُها إلى أسفلَ ولا فوق، وذلك مشتقٌّ من الوَقْف، وهوالخَلخال . والخبَب : سيرٌ سريع . والمناقلة : أن يضع رجليه مكانَ يديه .

الخـــوارزمى : مُناقلة الفـرس : أن يضـع يدَه ورجلَه على غير حَجَرٍ وهُوّة، لحُسْن نقـله . وكأنّه عنى بالمناقلة هاهنا المشْىَ الرفيق اللّين؛ إذ لا يمكن أن يضَع على غيرحجرٍ وهُوّةٍ يدَه ورجلَه إلّا إذاكان المشىُ رفيقا .

٢٨ ﴿إِذَا اشْتَاقَتِ الْخَيْلُ الْمَنَاهِلَ أَعْرَضَتْ عَنِ الْمَاءِ فَاشْتَاقَتْ إِلَيْهَا الْمَنَاهِلُ﴾

التـــبريزى : المنهل : المورد . يصف فرسَه بالصّبر عن المـاء وورودِه .

البطليـــوسى : المناهل : موارد المـاء، واحدها مَنهل . وصَفَها بقلّة العطش وشـدّةِ الصّبر عن المـاء؛ وهـذا من المبالغة المُفْرِطة . ونحوه قوله فى موضع آخَر يصف خيلًا :

وما وَرَدَتْها من صدًى غيرَ أنّهـا تُريد بوردِ المـاءِ حفظَ المَسَاحِلِ (٣)

الخـــوارزمى : فى أساس البلاغة : « اشتقت إليك ، واشتقتك » .

---

(١) يريد بالقين العراقى : البعيث، وبالقين المقيد فى الحجل : الفرزدق . انظر النقائض ١٦٥ .

(٢) من أبيات له فى أواخر ديوانه المخطوط رقم ٥٣٤ أدب بدار الكتب المصرية ، وليست فى الديوان المطبوع .

(٣) البيت الثالث من القصيدة التاسعة والأربعين . والمساحل : جمع مسحل . والمسحلان : حلقتان فى طرفى شكيمة اللجام .

٢٩ ﴿ وَلَيْلَانِ حَالٍ بالكَواكِبِ جَوْزُهُ وآخَرُ مِنْ حَلْيِ الكَواكِبِ عَاطِلُ ﴾ (١)

التبريزى : جَوز كلّ شىء : وسَطه . يريد أنّ أحد الليلين مُحَلًّى بالكواكب ، والآخر لا كواكب فيه . والعاطل : الذى لا حَلْى عليه . وعنى بالليل الذى لا كواكب فيه فرسًا أدهمَ (٢) .

البطليوسى : أراد الليْلين وفرسًا أدهمَ شبّهه بالليل لدُهمته . فقال : وربّ ليلَين أحدهما عليه حِليةٌ من الكواكب، والآخر عاطلٌ منها . وأراد بالعاطل من حَلْى الكواكب الفرسَ ، وإنّما أراد أنه أدهم خالصُ اللون لا شِيَةَ به ؛ لأنّ الشِّياتِ تشبّه بالنجوم ؛ قال آمرؤ القيس :

كأنّ نُجومًا عُلِّقتْ فى مَصامِه بأمراس كَتّانٍ إلى صُمّ جندلِ (٣)

كذا رواه أبو عبيدة ، وقال : أراد الفرس وشبّه أوضاحَه وشياتِه بالنّجوم . وقال أبو الطّيب :

وعَينِى إلى أُذْنَىْ أغرَّ كأنّه من اللّيل باقٍ بينَ عينَيه كوكبُ

وجَوز الليل : وسطه .

الخوارزمى : عنى بالليلين ليلا مُضْحِيًا وليْلا متغيِّمًا . خصّ جوزَ اللّيل لأنّ أكثرَ الكواكب تبدو فى أواسط اللّيل لا فى أوائله وأواخره .

(١) فى البطليوسى : « وليلين » .

(٢) عبارة ى : «يريد أن أحد الليلين محلى بالنجوم وهو الليل حقيقة ، والآخر لا حلى عليه من الشهب وهو فرس أدهم» .

(٣) المعروف أن البيت فى وصف الليل بالطول . والرواية السائرة :

* كأن الثريا علقت فى مصامها *

٣٠ (كَأَنَّ دُجَاهُ الهَجْرُ وَالصُّبْحُ مَوْعِدٌ[1] بِوَصْلٍ وَضَوْءُ الفَجْرِ حِبٌّ مُمَاطِلُ)

التبريزى : دُجاه، أى دجى اللّيل غير العاطل. والحِبّ : الحبيب . يصفه بطُوله، فلذلك شبّهه بالهجر .

البطليوسى : شبّه سواد اللّيل بالهجر؛ لأن الهجر يوصَف بالسّواد، والوصلَ بالبياض . وكذلك تقول العرب لكلّ شيء حسنٍ : أبيضُ، ولكلّ شيء قبيح : أسودُ، وإنْ لم يكن هناك سوادٌ ولا بياض؛ قال الأخطل :

رأينَ بياضًا فى سَوادٍ كأنّه بياضُ العَطايا فى سوادِ المَطالبِ[2]

وشبّه الفجرَ لشدّة تشوّقه إليه وتأخّر طلوعِه، بحبيبٍ وعد بالزّيارة وهو يمطُل بها . وهذا المعنى موجودٌ فى قول أبى الطيّب :

كأنّ الفجرَ حِبٌّ مُستَزارٌ يُراعِى مِن دُجُنّته رَقيبا

الخوارزمى : محصول هذا البيت أن ذلك اللّيلَ كان مُتطاوِلًا .

٣١ (قَطَعْتُ بِهِ بَحْرًا يَعُبُّ عُبَابُهُ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا التَّبَلُّجَ سَاحِلُ)

التبريزى : عُباب البحر : ارتفاع أمواجه واضطرابُه . والتبلّج : إضاءة الصُّبح . وقوله : « قطعت » أى بالليل المظلم الذى لا حَلْى عليه، وهو الفرس . وأراد بالبحر بَرّيّةً . والأجود أن يكون المراد بالبحر اللّيل، ويكون المعنى أنّى قطعتُ بفرسٍ أدهمَ يُشبِه اللّيلَ، ليلًا يُشبه البحر . وهذا الوجهُ أحسن؛ لأنّ تشبيهَ اللّيل بالبحر هو الوجهُ، لتشبيهِ التبلّج بالسّاحل .

(١) فى البطليوسى : « والفجر موعد » .

(٢) البيت ليس فى ديوان الأخطل . وقد نسب إلى الأخطل فى الموازنة (١ : ٥٠) مخطوطة دار الكتب المصرية . ومنه أخذ أبو تمام :

وأحسن من نور يفتحه الصبا بياض العطايا فى سواد المطالب

البطليوسى : شبَّه اللَّيل بالبحر، كما فعل امرؤ القيس فى قوله :

* وليلٍ كموج البحر أرخَى سُدولَه *

وشبّه التبلّج بالساحل تتميما للمعنى . وهـذا وإن كان فى بيت امرئ القيس غير بَيِّنٍ، فإنّه فيه مضمّن . والعُباب والأُباب: الموج؛ يقال: عبَّ البحرُ وأبّ . والتبلُّج : إضاءة الفجر، شُبِّه بالبلَج فى الحاجبين، وهو انفصالُ بعضهما من بعض .

الخوارزمى : الضمير فى « بـه » ينصرف إلى ما ينصرف إليـه الضمير فى «دُجاه»، وهو اللَّيل العاطل من الكواكب . والباء فيه للتجريد . الليل يشبّه بالبحر . وفى أشعار السقط :

قالَ صَحْبِى فى لُجَّتين من الحِنْـ ـدِسِ والبِيدِ إذْ بدَا الفرقَدانِ[1]
نحنُ غَرْقَى فكيف يُنقذنا نَجْـ ـمانِ فى حَومة الدُّجى غَرِقانِ

أثبتَ فى البيت الأوّل لجّـة الليل، وفى البيت الثانى جعل صَحْبَه[2] والفرقدين غرقَى فى الدُّجى . قوله « التبلّج » مستثنًى مقدّم، فلا يجـوز فيه إلّا النصب . ومعنى البيت : إنّى ما اخترت للسُّرَى من الليالى إلّا الداجِىَ المُغيم؛ وهـو كقـول أبى العلاء :

إذا جلَّى ليالِى الشَّهرِ سـيرٌ عليك أخذْتَ أسبغَها حِدادَا[3]

وتفسير هذه الأبيات الثلاثة على ما ذكرته، من أسرار هذا الديوان .

(١) البيتان العاشر والحادى عشر من القصيدة الرابعة عشرة ٤٩١ .

(٢) فى الأصل : « جعله » .

(٣) البيت الثامن من القصيدة ٣٣ .

٣٢(وَيُؤْنِسُنِي فِي قَلْبِ كُلِّ مَخُوفَةٍ حَلِيفُ سُرًى لَمْ تَصْحُ مِنْهُ الشَّمَائِلُ)(١)

التبريزى : حليف سُرًى، يعنى الليل؛ لأنّ السُّرى يكون فيه . أى يؤنسني الليلُ فى البَرِّية إذا استوحش منه غيرى . والشّمائل : الخلائق، واحدها شِمال؛ قال الشاعر :

* ... وما لَومِى أخى من شِماليا * (٢)

البطليوسى : سيأتى .

ومعنى لم تَصْحُ الشمائل : أنه يتغيّر ولا يبقى على حالةٍ؛ لأن اللّيل يكون تارةً مظلما وتارة مُقمِرا .

الخوارزمى : عَنَى بـ«حليف سُرًى» اللّيلَ؛ لأنّ السُّرى فيه يقع، فكأنّ الليل قد حالف السُّرى . الشمائل : جمع شِمالٍ، وهى الخُلُق . أنشد ابنُ دريد :

* وأن ليس إهداءُ الخنا من شماليا * (٣)

قوله «لم تصف منه الشمائل» أى هو مظلم مَخُوف . ويروى : «لم تصح» بالحاء .

٣٣(مِنَ الزِّنْجِ كَهْلٌ شَابَ مَفْرِقُ رَأْسِهِ وَأُوثِقَ حَتَّى نَهْضُهُ مُتَثَاقِلُ)

التبريزى : أى يؤنسني ليلٌ أسود . ونَسَبه إلى الزّنج لسواده . وقوله «كهل»، أى اكتهل بالنّجوم، نحو الثريّا والمجرّة . وقوله «وأوثق حتّى نهضُه متثاقلٌ» كقول امرئ القيس :

فيالكَ مِن ليلٍ كأنّ نجومَه * بكل مُغارِ الفتْل شُدّتْ بيذْبُلِ

---

(١) فى الخوارزمى : «لم تصف» . (٢) من بيت لعبد يغوث وهو :
ألم تعلما أن الملامة نفعها قليل وما لومى أخى من شماليا
(٣) هذا عجز بيت لصخر بن عمرو بن الشريد السلمى، وصدره :
* أبى الشتم أنى قد أصابوا كريمتى *
انظر الجمهرة (٢ : ١٩٢) .

البطليوسى : الحليف : الصاحب الذى يحالفك على ألّا تخذله ولا يخذلك . وسمّى حليفا، لأنّ المعاقدة إنما تكون بالأيمان . والسُّرى : سير اللّيل . ومعنى لم «تصحُ منه الشمائل» : لم تنتقل طبائعه عمّا عُهِد منه . وأراد به اللّيل . جعل الليل كالصّاحب له، لكثرة سيره فيه . والعرب تقول : فلان ابن الليل، وأخو الليل، إذا كان كثير السّفر فيه . قال الشَّنْفَرَى :

إذا أوحَشَ اللّيلُ الهِدانَ وجدتنى هو الأنسُ لى والمَشْرَفىُّ المُهنَّدُ[1]

وقال آخر :

دعوتُ بها أبناءَ ليلٍ كأنّهم وقد أبصروها مُعطِشونَ قَدَ أنْهَلُوا

وقال ضِرارُ الصُّدائىّ[2] فى صفة علىّ عليه السلام : «يَستوحِش من الدُّنيا وزَهْرتها، ويأنس بالليل ووحشته» .

وجعلَ اللّيلَ لسواده وما فيه من النجوم كزنجىٍّ شابَ رأسُه . وجعله كهلًا إشارةً إلى شدّة الظلام واستحكامه، وعند ذلك يكون أشدّ على راكبه . وقوله « وأوثق حتّى نَهْضُهُ متثاقلُ »، جعل الليل لطُوله كأنّه مُوثَقٌ لا يبرح ؛ كما قال أبو الطيّب :

كأنّ نُجومَهُ حَلْىٌ عَلَيْهِ وقد حُذِيَتْ قَوائِمُهُ الجَبُوبا[3]

وأوّل من أثار هذا المعنى أمرؤُ القيس بقوله :

كأن الثُّريا عُلِّقت فى مَصامِها بأمراس كَتّانٍ إلى صُمِّ جندلِ

---

(١) الهدان : الضعيف الجبان . (٢) الذى فى لسان العرب (مادة صدأ) : « صداء، كغراب : حى من اليمن . والنسبة إليه صداوى بمنزلة الرهاوى . قال : وهذه المدة وإن كانت فى الأصل ياء أو واوا فإنما تجعله فى النسبة واوا كراهية التقاء الياءات » . على حين اقتصر صاحب القاموس على النسبة إليه بلفظ « الصدائى » . والحق أن الوجهين جائزان ومسموعان .

(٣) الجبوب : وجه الأرض ؛ وقيل الأرض الغليظة ؛ ولا يجمع .

وقد شبّه أبو العلاء النّجومَ بالشّيب فى موضع آخر فقال :

رآها سليلُ الطّين والشيبُ شاملٌ ⁂ لها بالثُّريّا والسِّماكين والوَزْنِ (١)

الخوارزمى : سياقى .

٣٤ (كأنَّ الثُّريّا والصّباحُ يَرُوعُها ⁂ أخو سَقْطةٍ أو ظالِعٌ مُتَحامِلُ)

التبريزى : ظالع ، من قولهم : ظلَعت الدابّة ، إذا غمَزت . وإنّما أراد تأكيدَ وصفِ الليل بالطُّول .

البطليوسى : أراد أنّ الثريا لمّا فاجأها الصّباحُ بادرَتْ إلى المغرب متثاقلةً فى النهوض ، تروم الإسراع ولا تقدر ؛ لأنّها قد أعيَتْ من طُول السّير ، ولذلك شبّهها بالذى قد سقط من الدوابّ ، أو أصابه ظَلْعٌ فهو يتحامل على ما به . وهذا نحوُ قوله فى موضع آخر :

وَرَدْتُه ونجومُ اللّيل وانيةٌ ⁂ تشكو إلى الفجر أن لم تَطْعَمِ الغُمُضا (٢)

وقالَ أبو الطيّب :

النومُ بعدَ أبى شجاعٍ نافرٌ ⁂ والليلُ مُعْيٍ والكواكبُ ظُلَّعُ

وقال سُويد بن أبى كاهل :

يسحبُ اللّيلُ نُجومًا ظُلَّعًا ⁂ فتَواليها بطيئاتُ التَّبَعْ (٣)

وقال مُهلهل :

كأنّ النّجمَ إذ ولّى سُحَيْرًا ⁂ فِصالٌ جُلْنَ فى يومٍ مَطِيرِ

كواكبُها زواحفُ لاغباتٌ ⁂ كأنّ سماءَها بيدَىْ مُدِيرِ

(١) البيت الحادى عشر من القصيدة الحادية والأربعين .

(٢) البيت الثانى عشر من القصيدة الرابعة والعشرين .

(٣) انظر المفضليات (١ : ١٩٠) .

الخـــوارزمى : مَفْرِق رأسه ، إمّا استعارةٌ لانبلاج الفجر ، و يشهد له البيت الثانى ، ولأنّ شيب اللّيل إذا أُطلِق فالمراد طلوعُ الفجر . ومن أبيات السقط :

ثمّ شاب الدُّجى وخافَ من الهجْـ ـرِ فغَطَّى المشيبَ بالزَّعفرانِ (١)

و إما استعارةٌ لبياض نجومه ، وعليه بيت السقط :

رآها سليلُ الطِّين والشَّيبُ شاملٌ لهـا بالثريّا والسِّماكين والـوَزْنِ

الرواية « حتّى نهضُه متثاقلُ » . ولو رُوِى : « حتّى نوءُه متخاذل » كما فى بيت الحماسة :

* تُغادِر صَرْعَى نَوءُها متخاذلُ (٢) *

لكان أيضا فصيحًا . ولقد أوهَمَ حيثُ جعل اللّيلَ متثاقِل النُّهوض ، بعد ما وصَفَه بالمشيب ؛ لأنّ من شأن الأشيَب أن يثقُل نهوضُه ، و يتعسّر اضطرابُه . تحاملتُ فى المشْى : تكلّفته على مشقّة . ذكره الإمام المحقّق عبدُ القاهر الجرجانىّ .

٣٥ (إذا أنتَ أُعطِيتَ السَّعادةَ لَمْ تُبَلْ وَإنْ نَظَرَتْ شَزْرًا إلَيْكَ القَبائِلُ)

التـــبريزى : لم تُبَلْ ، أى لم تُبَالِ ، لحذف الألف تخفيفًا عند الخليل . ولأبى علىّ فيه كلام يطول شرحه (٣) .

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : تُبَلْ ، مجزوم مرّتين (٤) . نظر إليه شَزْرًا ، هو نظرٌ فى إعراض كنظر المُباغِض .

(١) البيت السابع عشر من القصيدة الرابعة عشرة ٤٣٨ .
(٢) هذا عجز بيت لجعفر بن علبة الحارثى ، وصدره كما فى الحماسة ص ٢٠ طبعة بن :
* فقلنا لهم تلكم إذا بعد كرة *
(٣) انظر لسان العرب (بلو) .
(٤) جزم أولا بحذف حرف العلة فى آخره ، ثم بإسكان اللام .

٣٦ (تَقَتْكَ عَلَى أَكْتَافِ أَبْطَالِهَا القَنَا وَهَابَتْكَ فِى أَغْمَادِهِنَّ المَنَاصِلُ)

التبريزى : تَقَتْك ، أى اتّقتك ؛ يقال : تَقَاهُ يَتَقِيه ، كما يقال اتّقاه يتّقيه . قال الشّاعر :

تَقَاك بكعبٍ واحدٍ وتـلذّه يداك إذا ماهُزَّ بالكفّ يَعسِلُ (١)

البطليوسى : الشّزْر : نظر فيه إعراض . و « تَقَتك » لغة فى اتّقتك ، وهو محذوف منه . ولذلك قالوا تَقَى يَتَقِى ، فحرّكوا التاء من الفعل المضارع . ولو كان أصلا فى بابه غير محذوف لسكّنوا التاء فى المضارع ، وجَرَى تَقَى يَتَقِى مجرى رمى يَرْمى . أنشد يعقوب :

جَلاهَا الصّيقلونَ فأَخلَصُوها خِفافًا كلُّها يتقِى بِأَثْرِ (٢)

والقنا : الرّماح . والمناصل : السّيوف

الخوارزمى : سياق .

٣٧ (وَإِنْ سَدَّدَ الأَعْدَاءُ نَحْوَكَ أَسْهُمًا نَكَصْنَ عَلَى أَفْوَاقِهِنَّ المَعَابِلُ)

التبريزى : المعابل : جمع مِعْبلة ، وهى نَصْلٌ عريض لا عَيْرَ له (٣) . قال الشاعر :

قَعدتُ له بمِعْبلةٍ طَرِيرٍ بقارعة الطّريق وما دريتُ (٤)

أى ماختَلت . والمعنى أنّك إذا كنت مسعودًا ، لايقدر عليك العدوّ ، ويُرَدّ كيدُه فى نحره .

---

(١) نسبه فى اللسان (عسل) إلى أوس .

(٢) يتق بأثر : يستقبلك بفرنده . والبيت لخفاف بن ندبة ، كما فى اللسان (وق) .

(٣) عير النصل : الناتئ وسطه .

(٤) ى : « بمعبلة عريض » . والطرير : المسنون .

البطليوسى : التسديد : تقويم السَّهم للرَّمْى، وتقويمُ الرُّمح للطَّعن ، وكذلك كلُّ شيء هديتَه إلى قصده . والنُّكوص : الرُّجوع إلى خلف . وأفواق السهام : أطرافها التى توضَع على الوتر عند الرَّمى ، واحدها فُوق ، ويقال أيضا فُوقَة وفُوَق ، مثل سُورة وسُوَر . قال رؤبة :

* كَسَّر من عَيْنَيه تقويمُ الفُوقْ[1] *

والمعابل : جمع مِعبلة ، وهى نصل طويل عريض ، قال عنترة :

* وفى البَجْلىِّ مِعبلةٌ وقيعُ[2] *

الخوارزمى : تَقَاه يَتَقيه ، بفتح التاء فى المضارع ، تخفيف اتّقاه يتّقيه . الضمير فى « أبطالها » للقنا . قوله « على أكتاف أبطالها » ، حال من « القنا » ، و « فى أغمادهن » حالٌ من « المناصل » . النون فى « نكصْنَ » للأسهُم . وقوله : « على أفواقهنّ المَعابلُ » جملةٌ ابتدائيّة فى محل النصب على الحال من الضمير فى « نكصن » . ويحتمل أن يكون النون فيه أختَ الواو فى « أكلُونى البراغيث » . وفيه وجوه ، أحدها أنّ الواو فيه حرفٌ يُؤْذِن من أوّل الأمر بأنّ الفعل للجماعة ، كتاء التأنيث الساكنة تُؤذن فى الابتداء بأنّ الفعل لمؤنّث ، وليس لمضمر . وهذا عند سيبويه . الثانى أنّ الواو ضمير على شريطة التّفسير ، والبراغيث بدل . الثالث أن البراغيث مبتدأ ، وأكلونى خبر مقدّم عليه . وكان الوجه أكلتنى ، لكن شبّه ما لا يعقل بما يعقل ، ونظيره : ﴿يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ . والذى يوازى بيتَ السّقط قولُ أبى تمّام :

فلو كانتِ الأرزاقُ تَجرى على الحِجا هَلَكْنَ إذنْ مِن جَهْلهنَّ البهائمُ

(١) ويروى أيضا « تقويم الفوق » بفتحتين . والفوق ، مصدر فوق السهم فهو أفوق ، إذا كان فى فوقه ميل أو انكسار . انظر اللسان (فوق) .

(٢) البجلى ، بسكون الجيم : نسبة إلى بجلة ، بطن من سليم . وصدره كما فى الصحاح (بجل) واللسان (وقع) : * وآخر منهم أجررت رمحى *

وقولُ الفرزدق :

* بِحَوْرانَ يَعصِرْنَ السَّليطَ أقاربُهْ[(1)] *

وما أنشده السِّيرافىّ :

يلومونني في اشـتراءِ النَّخيـ ـل أهـلى فكلُّهمُ يَعـذُلُ

٣٨ (تَحَامَى الرَّزايا كُلَّ خُفٍّ ومَنْسِمٍ وتَلْقَى رَدَاهُنَّ الذُّرَى والكَواهِلُ)

التـبريزى : الذُّرى : جمع ذُروة ، وذِروة كلِّ شىء : أعلاه . والكواهل : جمع كاهل ، والكاهل : أعلى الظَّهر . يعنى أنّ الشدائدَ تلحق الكبارَ دون الصِّغار .

البطليـوسى : تَحامَى : تترك وتعدل عنها إلى غيرها . والمَنْسِم : طَرَف خُفّ البعير . والرَّدَى : الهلاك . والذُّرَى : أسنمة الإبل ، واحدتها ذِروة وذُروة ، بكسر الذال وضمها ، فإذا جمعوها اتّفقوا على ضمّ الذال . والكواهل : جمع كاهل ، وهو أعلى الكَتِفين وما يليه من أصل العُنق . وهذا مثلٌ ضربه ، فشبَّهَ أكابرَ النّاس وأشرافَهم بالذُّرى والكواهل ، وشبّه أصاغرَهم وخِساسَهم بالأخفاف والمناسم .

قال رجلٌ من فَزارة :

إذا تَشَزَّرتْ نفسى تذكَّرتُ مامَضَى وقومِىَ إذْ نحنُ الذُّرَى والكواهلُ

وقال الفرزدق :

فنحنُ سَـنامٌ والمنـاسمُ غـيرُنا ومَن ذا يُساوِى بالسَّنامِ المَناسِما

ونظير بيت أبى العلاء قولُ أبى تمّـام :

إنّ الرياح إذا ما أعْصَفَتْ قصفتْ عِيـدانَ نجـدٍ ولم يَعبأنَ بالرَّتَمِ[(2)]

وهذا المعنى كثيرٌ متعاوَر .

(1) صـدره : * ولكن ديافى أبوه وأمه * . ودياف ، نسبة إلى دياف ، موضع بالجزيرة ، وهم نبط الشام . انظر الخزانة (٢ : ٣٨٦) . (2) الرتم ، محركة : نبات دقيق .

الخـــوارزمى : ســـيأتى .

٣٩ (وتَرْجِعُ أعْقابُ الرِّماحِ سَلِيمةً ... وَقَدْ حُطِّمَتْ فِى الدّارِعِينَ العَوامِلُ)

التـــبريزى : وهذا مثله سواء . والعوامل : جمع عامل الرُّمح، وهو ما دون السِّنان بقدر ذراع أو أكثر .

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : ســـيأتى .

٤٠ (وإنْ كُنْتَ تَهْوَى العَيْشَ فابْغِ تَوَسُّطًا[1] ... فَعِنْدَ التَّناهِى يَقْصُرُ المُتَطاوِلُ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : هذا خلافُ قوله فى موضع آخر :

وأصبَحَ واحِدُ الرَّجُلَيْنِ إمّا ... مَلِيكًا فى المعاشر أو أَبِيلا[2]

وأعقاب الرِّماح : مآخيرها . وعواملها : صُدورُها .

الخـــوارزمى : ... ...

٤١ (تُوَقَّى البُدُورُ النَّقْصَ وَهْىَ أهِلَّةٌ ... وَيُدْرِكُها النُّقْصانُ وَهْىَ كَوامِلُ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : هى الأربعة متقاربة المعنى .

---

(١) فى البطليوسى : « فإن » . وفى ى من التبريزى : « فإن كنت تبغى العيش » . وفى التنوير : « فإن كنت تبغى العز » .

(٢) البيت الخامس من القصيدة الثالثة والستين .

[القصيدة السابعة عشرة]

وقال أيضا فى الوافر الأول، والقافية متواتر :

١ ﴿أَرَى العَنْقَاءَ تَكْبُرُ أَنْ تُصَادَا   فَعَانِدْ مَنْ تُطِيقُ لَهُ عِنَادَا﴾

التبريزى : العنقاء : التى يضرب بها المثل ، فيقولون : عنقاء مُغْرِب . وتزعم العرب أنّها كانت طائرًا عظيما ، فاختطفت جاريةً أو صبيًّا ، فدعا عليها حنظلةُ بن صَفْوان ، وهو نبىّ أهل الرّسّ(١) ، فغابت إلى اليوم . وهذا من أحاديث الأعراب التى تجرى مجرى غيرها ؛ قال الشاعر :

فلولا سليمانُ الخليفةُ حَلّقتْ   به من يد الحجّاج عنقاءُ مُغْرِب

ويقال : عنقاء مُغرِبٌ، على الصّفة، وعنقاءُ مُغْرِبٍ، بالإضافة . والصّفة أقيَس .

البطليوسى : العنقاء : العُقاب ؛ سمّيت بذلك لأنّها تُعْنِق بصيدها فلا يُقْدَر عليه . ولذلك قالوا فى الشىء الذى يذهب فلا يُرجَى : طارت به العنقاء ، وطارت به العقاب ؛ قال آمرؤ القيس فى إبِلٍ ذهبتْ له :

كأنّ دِثارًا حَلّقتْ بلَبونِهِ   عُقابُ تَنُوفَى لاعُقابُ القَواعِلِ(٢) .

وزعم قومٌ أنّ العنقاءَ طائر عظيم ، كان فى الزّمان القديم يختطف الناس ، وأنّه اختطف جارية — وقال بعضهم : صبيا — فى زمن حنظلة بن صفوان، نبىّ أهل الرّسّ، فدعا عليه حنظلةُ اللّهَ تعالى وقال: «اللهمّ اكفِ الناس شرّه». فغابَ فلم يُرَ بعدَها ؛ فضربت العربُ المثلَ به لكلّ شىء ممتنع . والعِناد والمعاندة : الخلاف .

(١) الرس : ماء لبنى منقذ بن أعيا ، من بنى أسد .

(٢) دثار : آسم راعى آمرئ القيس . ونسب اللبون إليه وجعلها له إذ كان يرعاها . وتنوفى : موضع فى جبال طيئ . والقواعل : موضع فى جبل ، أو هى رءوس الجبال ، أو هى الجبال الصغيرة .

ومعنى بيت أبي العلاء أنه يقول : ما تريده من الأيام ممتنعٌ عليك، كامتناع صيد العنقاء ، فعانِدْ مَن تقدر على عناده ؛ وأمّا الدهر فلا قدرةَ لك على معاندة أمره ، وليس لك إلا الرِّضا والتسليمُ لحكمه .

الخوارزمى : سياق .

٢ (وَمَا نَهْنَهْتُ فِى طَلَبٍ[1] وَلٰكِنْ هِىَ الأَيَّامُ لَا تُعْطِى قِيَادَا)

التبريزى : نهنهت : كففت . ويقال : فلان أعطى القِياد والمَقادة ، إذا انقاد لما يُراد منه .

البطليوسى : هذا البيت مبيِّنٌ لمعنى البيت الأوّل . ومعنى نهنَهت : ارتدعت وقصّرت . وأصله « نأنات » ، فأبدل من الهمزة هاء . يقال : نأنا فى الأمر نأناة ، ورجل نأنأ[2]، قال امرؤ القيس :

لَعَمْرُكَ ما سعدٌ بخُلّةِ آثمٍ ولا نَأْنَأٍ يومَ الحِفاظِ ولا حَصِرْ

وأما قولهم : نهنهت الرّجلَ عن الشىء ، إذا كففتَه عنه وزجرتَه ، فإنّ الهاء فيه أصل غير بدلٍ من همزة . ولا يستقيم أن يُحمَلَ بيتُ المعرّى على هذا ؛ لأنه لا يقال من هذا : نهنه الرجلُ ، إنّما يقال : تنهنه الرّجل عن الشىء ، ونهنه غيرَه . فكان يجب أن يقول : وما تنهنهت . ولو أراد : نَهنهت نفسى ، ويحذفُ المفعولَ ، لزمه أن يقول « عن طلب » ، والرواية « فى طلب » .

الخوارزمى : ضربَ العنقاءَ مثلًا للأيام فى تمرُّدها وقلّة تمكينها ؛ بدليل قوله :

* هى الأيام لا تُعطى قِيادا *

(١) فى التنوير : « عن طلب » .

(٢) ويقال فيه أيضا : « نأناء » .

نهنهتُه فتنهنَهَ، أى كففته فكفّ . فكأنّه ضمّن النهنهة هاهنا معنى التقصير، فأُجرِيَتْ مُجراه فى استغنائها عن المفعول . وهذا لأنّ مَنْ كفّ نفسَه عن أمورٍ فقد قصّر فى ذلك الأمر . «هى» ضمير القصة، وقوله «الأيامُ لا تعطى قيادا» هى القصة، كأنه قال : القصة هذه، وهى أن الأيام لا تُعطِى قِيادا ، أى لا تنقاد لأحد ولا تُظفِر آمراً بإدراك مطالبه . ونظير ضمير القصة هاهنا : ﴿ قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ ﴾ . ويروى : «لا تُعطِى مُرادا» . يقول : تبتغى من الأيام أن تؤمّرك وما تدرك مبتغاك، وإن كنتَ ملحّا عليها فى ذاك ؛ لأنّ الأيام صعبة القياد ، لا تخلّى بين أحد وبين المراد . والدليل على أن مطلوبه من الأيام هو المُلْك قوله فى هذه الداليّة :

لعلّكَ أن تَشُنّ بها مُغارًا فتُنْجِحَ أو تجشّمَها طِرادا
مقارعةً أحِجّتَها العَوالى مجنّبةً نواظرَها الرّقادا

ألا ترى كيف وصفَه عند الغارة والطّراد، بدَرَك المُنَى ونَيْل المراد .

٣ ﴿فَلَا تَلُمِ السَّوابِقَ والمَطَايَا إِذَا غَرَضٌ مِنَ الأَغْرَاضِ حَادَا﴾

التبريزى : حَاد، أى عدل . أى إن لم يتّفق ما ترومُه من غرضك وفاتك إدراكه، فلا تلم فيه الخيلَ والإبل ، فلعلّك تصيب بها غرضًا آخر .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : حاد، إذا مال، حيدودةً[(١)] .

٤ ﴿لَعَلَّكَ أَنْ تَشُنَّ بِهَا مُغَارًا فَتُنْجِحَ أَوْ تُجَشِّمَهَا طِرَادَا﴾

التبريزى : يقال : شنَنت الغارةَ أشُنُّها شنًّا ، إذا فرقتها . ويقال : سنلت أيضًا، بالسين، والشين المعجمة أكثر. ويقال : شنّ عليه الدِّرع، إذا نثلها[(٢)]، وسنّها عليه؛

(١) فى القاموس : « حاد حيدا وحيدانا ومحيدا وحيودا وحيدة وحيدودة : مال » .
(٢) نثل عليه الدرع : صبها . ونثل عنه الدرع : ألقاها عنه .

والسين غير منقوطة فيها أكثر . وسنّ المــاءَ على فلان يَسُنّه ، إذا صبّه عليه وفرّقه؛ وقد يقال شنّه . يقول : لعلّها تُنجح فى حاجةٍ إن فاتتها الأولى .

البطليــوسى : السوابق : الخيــل . والمطايا : الإبل . وحاد : انحــرف . ويقال: شنّ عليهم الغارةَ، إذا فرّقها وأرسلها . والمُغار، بمعنى الإغارة؛ يقال : أغار يُغير إغارة ومُغارًا . قال الشّاعر :

وما هى إلّا فى إزارٍ وعِلْقــةٍ[1] مُغارَ ابنِ همّــامٍ على حَىّ خَثْعما

والتجشيم : التكليف . والإنجاح : بلوغ المــراد . والطِّراد : مطاردة الأعداء . يقول : إذا رمتَ بُغيةً لحُرمتَها ولم تَصلْ إليها، فلا تَلُم السوابقَ والمطايا فلا لومَ عليها؛ لأنّ الأقدارَ هى التى عاقتك عن المُراد، وأمّا هى فقــد بذَلت لك ما كان عندها من الاجتهاد؛ وإن لم يَنجح سعيُها فى وقتٍ فلعــلّه سيُنْجِح فى غيره من الأوقات، فتصلَ بها إلى ما تؤمّل من المطاردة والغارات .

الخــوارزمى : ســيأتى .

٥ (مُقارِعَةً أَجِحَّتَهـا العَــوالِى مُجَنَّبَــةً نَوَاظِــرَها الرُّقَــادَا)[2]

التــبريزى : يروى : أجحّتُها وأجحّتَها، بالرفع والنصب . فإذا نصبت الأجحّة فالعوالى مرفوعة بفعلها، وإذا رفعت الأجحّة فموضع العوالى نصب، وتلك ضرورة؛ لأنّ الياء تسكّن . والأجحّة : جمع حِجاج وحَجاج ، وهو عَظْم الحاجب . و« مقارعة » و« مجنبة » نصبٌ على الحال .

---

(١) العلقة (بالكسر) : قميص لا كمّى له يتخذ للصغير .

(٢) البيت ساقط من البطليوسى .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : عامَلَ «لعلّ» معاملةَ « عسى » لأنّه قد جعلَ خبرها الفعلَ المضارعَ [المقرون] بأن تكبر عسى ، ومثله بيت السقط :

* لعلّ نَواها أن تَرِيع شَطُونُها (١) *

وبيتـه :

* لعـلّه أن يجىء مُدَّرِعا (٢) *

وقول عنترة :

* لعلّك يومًا أن تلمّ ملمةٌ (٣) *

كما تقاس « عسى » على « لعلّ » فتُجرى مُجراها . ومنه بيت السقط :

* عَساك تعذر إن قصّرتُ فى مِدَحى (٤) *

« مقارعة » منصوب على الحال من الضمير فى « تُجشّمها » . ويروى « أحجنُّها » بالرفع ، وهو فاعل « مقارعة » ، و « العوالى » فى مقام النّصب على أنه مفعولها . ويروى « أحجنّها » بالنصب ، وهو مفعول « مقارعة » ، و « العوالى » فى مقـام

(١) عجزه : * وأن تجلى عن شموس دجونها * . والبيت مطلع القصيدة المتمة الأربعين .

(٢) البيت الثامن من القصيدة ٨٢ ، وعجزه :

* يوم رجوع النفوس فى الرمم *

(٣) عجز هذا البيت :

* عليك من اللائى يدعنك أجدعا *

كما فى الخـزانة للبغـدادى (جـ ٢ : ٤٣٣) والكامل للبرد (ص ١١١ ، ٢٥١) والمفضـليات (ص ٥٤٤) ولم نجده فى شعر عنترة .

(٤) عجزه : * فإن مثـلى بهجران القريض عسى *

وهو البيت الأخير من القصيدة السابعة والعشرين .

الرفع بأنه فاعلها . والرواية الأولى أمدح وأوفق للصراع الثانى . وهذه كناية عن كونها مظفّرة . ونحوه قول أبى الطيّب :

ينظرن عن مُقَلٍ أدمَى أحجتَها قرعُ القَوارس بالعَسّالة الذُّبلِ[(١)]

٦ (نَـلُومُ عَلَى تَبَـلُّدِهَا قُـلُوبًا تُكابِدُ مِنْ مَعِيشَتِهَا جِهَادا)

التبريزى : تكابد : تقاسى ؛ يقال : كابدت الشىءَ مكابدةً وكِبادًا ، إذا قاسيتَه بشدّة . يقول : هذه القلوبُ تكابد الجهادَ من المعيشة ، ونحن نلومُها على تبـلُّدها . والتبلُّد ، من قولهم : تبـلَّد الرجُل ، إذا لَحِقتْه حَيرةٌ فضرب بيده على بَلْدة نَحره[(٢)] .

البطليوسى : يقول : نلوم القلوبَ على ما يلحَقُها من التبلُّد والتحيُّر ، ونحن أحقُّ بأن نعذرها ؛ لأنّها فى مُكابَدة ومجاهَدة من المعيشة والتفكُّر .

الخوارزمى : سيأتى .

٧ (إذَا مَا النَّـارُ لَمْ تَطْعَمْ ضِرَامًا فَأَوْشِـكْ انْ تَمُرَّ بِهَـا رَمَادَا)

التبريزى : الضِّرام : الوَقود . وأوشِكْ ، أى أسْرِعْ . يقول : إنّ القلوب إذا لم تُرَفَّه ولم يخفَّف عنها تبلّدت ، كما أنّ النار إذا لم تشبَّع بالحطب[(٣)] خمدت .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقال : تجلّد فلان ثم تبلّد . الضمير فى « تبـلُّدها » ينصرف إلى « قلوبا » ، وإن كان صاحب الضمير متأخّرا منصوبا . وهذه المسألة فى « أعن

(١) فى الديوان : « ينظرن من » .

(٢) بلدة النحر : ثغرة النحر وما حولها ، أو وسطها .

(٣) شبع النار : ألقى عليها حطبا يذكيها به . وفى الأصول : « لم تشبع » بالباء الموحدة ، تحريف .

وخد القــلاص » . التاء فى « تمز » للخطاب . كأنّه رَمى نفسَه بالتّقصير فى طلب المُلك ، ومطاياه بالفتور فى السّير ، وقلبَه بالتبلُّد ؛ فذبَّ عن نفسه بقوله : « وما نهنهت » ، وعن مطاياه بقوله : « لعلك أنْ تشُنّ » ، وعن قلبه بمكابدة الجهاد . والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .[1]

٨ (فَظُنَّ بِسَـائِرِ الإخْوَانِ شَرًّا   وَلَا تَأْمَنْ عَلَى سِـرٍّ فُؤَادَا)

التـبريزى : ... ...

البطليـوسى : يقول : إذا لم يصادف الحازمَ المدبِّرَ معونةٌ من الله تعـالى ، بَطَلَ تدبيرُه وفسد ، كما أن النـار إذا لم تُعَنْ بمـا يُضْرِمها طَفِئَ جمرُها وهمـد . ومثله ما نُسب إلى علىٍّ عليه السلام[2] :

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى   فأكثرُ ما يجنى عليـه اجتهادُه

ويقال : أوشكْ بكذا ، أى ما أوشكَه . والوشيك : السّريع . والضِّرام : ما تُوقَد به النار .

الخـوارزمى : الفاء فى « فظُنّ » تتعلّق بـ « لعلك أن تشنّ » . كان أبو زيد البلخىّ يقول : « من طلب لسرّه حافظًا أفشاه » . يقول : لعلّك وعساك ، أن تَسعد بمناك ، فإيّاك و إذاعةَ سرِّك ، إلى أحد من بنى عصرك .

٩ (فَلَوْ خَبَّرْتَهُـمُ الجَوْزَاءُ خُبْرِى   لَمَـا طَلَعَتْ مَخَافَةَ أَنْ تُكَادَا)

التـبريزى : ... ...

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : خصّ الجوزاء من بين سائر البروج لأنّه بيت عُطارد ، وعُطارد هو الذى ينسب إليه السِّلْم .

(١) انظر شرح الخوارزمى للبيت الواحد والثمانين من القصيدة الأولى صـ ١١٢ .

(٢) فى أ من البطليوسى : « قول على رضى الله عنه » .

١٠ ﴿تَجَنَّبْتُ الأَنَامَ فَمَا أُوَاخِي وَزِدْتُ عَلَى العَدُوِّ فَمَا أُعَادِي﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يقول : لو جرّبت الجوزاءُ من كيدهم ما جرّبت ، وعلمت من خُبث سرائرهم ما علِمت ، لما طَلَعت عليهم ، مخافةَ أن يصل إليها كيدٌ من كيدهم . وإنّما خصّ الجوزاءَ بالذّكر لِما قدّمنا ذِكْره، من أنّهم يسمّون الجوزاء التوءمين ، ويجعلونها كأخوين تعانقا مودّةً واضطجعا ، رءوسهما إلى الشّمال ، وأرجلُهما إلى الجنوب؛ ولذلك كانوا يقولون: إنّ الجوزاء تقطع السّماء على جَنْب . والأنام : الخَلْق؛ قال الله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ .

الخوارزمى : يقول : ليس لى صديقٌ ولا عدوّ .

١١ ﴿وَلَمَّا أَنْ تَجَهَّمَنِي مُرَادِي(١) جَرَيْتُ مَعَ الزَّمَانِ كَمَا أَرَادَا﴾

التبريزى : تجهّمني : تنكّر لى ؛ يقال : تجهّمتُ الرجل، إذا تنكّرتَ له . قال الشاعر :

ولا تَجَهَّمُنى المَوْماةُ أركَبُها إذا تجاوبَتِ الأزْداء بالسَّحَرِ

يريد الأصداءَ ، جمع صَدًى ، وهو طائر .

البطليوسى : يقول: إذا كنتُ لا أملك فؤادى وهو بين جَنبىّ، وأروم صَرْفَه إلى ما أريد فيتعذّر ذلك علىّ؛ فكيف أطمع أن يجرى الزمانُ على اعتقادى، وأُحاول فيه أن يُبلِغنى بُغْيتى ومُرادى . ويقال : جَهِمتُ الرجل وتجهّمته، إذا استقبلتَه بما يكره . ويروَى « تجهّمنى مُرادى » ؛ فيكون على هذا مثلَ قول القائل : « إذا لم يكن ما تُريد فأَرِدْ ما يكون » .

---

(١) فى أ من التبريزى : « زمانى » . وفى البطليوسى : « فؤادى » .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : «تجهّمت الرجل، وجَهِمتُه، إذا استقبلته بوجهٍ مكفهرٍّ» .

١٢ (وَهَوَّنَتُ الخُطُوبَ عَلَيَّ حَتَّى كَأَنِّي صِرْتُ أَمْنَحُهَا وِدَادَا)

التبريزى : يقال : مَنَحَه يَمْنَحه ويَمْنِحُه، إذا أعطاه . ويمنحه، بكسر النون، أكثر .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : ... ...

١٣ (أَأُنْكِرُهَا ومَنْبِتُهَا فُؤَادِي وكَيْفَ تُنَكِّرُ الأَرْضُ القَتَادَا)

التبريزى : يقول : كما لا تُنكر الأرضُ القَتاد لأنّ مَنْبِته منها ، كذلك قلبى لا يُنكر الخطوب .

البطليوسى : الخُطوب : أمورُ الدهر وأحداثُه . وسمِّيت خطوباً لتلوّنها واختلافها؛ من قولهم : أخْطَبَ الحنظلُ، إذا صارت فيه خطوطٌ مختلفة . ويمكن أن تكون سمِّيت بذلك لأنّ الإنسان إذا اعتبر بها رأى عواقبَ الأحوال وما تُفْضِى إليه؛ فكأنها تُخاطبه بما يكون . وقد ذكر ذلك القائل فى قوله :

ويَفْهَمُ وجهَ الحزمِ حتى كأنّما تُخاطبه من كل أمرٍ عَوَاقِبُهْ

ومعنى أمنحها : أُعطيها . يقال : مَنَح يمْنَحُ ويَمْنِح ، بفتح النون وكسرها . والقَتاد : الشوك .

الخوارزمى : أجرى التنكير مُجْرَى الإنكار، لأنّ الإفعال والتفعيل كثيرا ما يشتركان .

١٤ (فَأَىَّ النَّاسِ أَجْعَلُهُ صَدِيقًا وأَىَّ الأَرْضِ أَسْلُكُهَا ارْتِيَادَا)(١)

التبريزى : « فأىّ الناس » الوجه فيه النصب ؛ لأنه استفهام . وأىّ ، قد نابتْ عن الهمزة والاسم المستفهم عنه . فكما أنّ الوجه النصب إذا صرّحت بالهمزة والاسم ، كذلك يكون الوجه النصبَ إذا جئتَ بأىّ ؛ لأنها تنوب عن الحرف والاسم ، ويكون التقدير : فأىّ الناس أجْعَلُ أجْعَلُهُ . يقال : ارتاد الموضعَ ، إذا تخيّره لينزلَ فيه ؛ وقد بعث القومُ رائدهم ورُوّادهم ، إذا بعثوا مَنْ يلتمس لهم الموضع المُخْصِب . ومن أمثالهم : « الرائد لا يَكْذِبُ أهلَه » . ويقال : قد رادوا النبّاتَ بالرُّوّاد . وإنما قيل رائد ، من قولهم رَادَ يَرُودُ ، إذا جاء وذهب . قال القُطَامىُّ :

مُحَدَّدين لِبَرْقٍ صابَ من خَلَلٍ وبالقُرَيَّةِ رادُوه بُرُوّادِ(٢)

ويقال : حدّد نحوه ، إذا قصد نحوه(٣) .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الرواية فيما رأيته من النُّسخ « فأىُّ الناس » بالرفع ، والصواب والقياس على قولهم « أعبدَ الله ضربتَه » بالنصب .

١٥ (وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ لَدَىَّ مَالٌ نَفَتْ كَفَّاىَ أَكْثَرَهَا انْتِقَادَا)

التبريزى : هذا يؤكد قوله « فأىّ الناس أجعله صديقا » ؛ لأنه إذا كانت معرفته بالنجوم وانتقادها كما ذكره ، على بُعْدها منه ، فكيف يكون تَجْرِبَتُه للناس ،

---

(١) فى ا و ب من التبريزى والتنوير : « أسلكه » .

(٢) من خلل : من خلل السحاب . والقرية : موضع . وفى الأصل : « مجددين » صوابه بالحاء المهملة . انظر الديوان (ص ٨) واللسان (حدد) . ورواية الديوان : « فى خيم » بدل « من خلل » .

(٣) فى الأصل : « جدد نحوه ، إذا قعد نحوه » تحريف . يقال : حدّد بلدا ، إذا قصد حدوده .

وخُبْرِه بهم مع المُخالطة . وإذا وقف على حقيقة أحوالهم فليس منهم مَنْ يصلح أن يكون له صديقًا ، إذْ كانت النجومُ أكثرها يُنْفَى لديه ولا يَرْضَى به[1] .

البطليوسى : الارتياد : الطلب . والانتقاد: تقليب الدراهم وغيرها، وتمييزُ جيِّدها من رديئها . يقول : كيف أرْتضى أخا من الإخوان ، وأختار بلدًا من البُلدان ، ولو حُكِّمت فى النجوم على نَفاستها لنفيتُ أكثرها ، ولم أرضَ منها إلا أقلَّها وأيسرَها .

الخوارزمى : حَسُنَ جعلُ النجوم مالًا لأنّها تشبَّه بالدرّ، والدرّ مالٌ .

١٦ (كَأَنِّى فِى لِسَانِ الدَّهْرِ لَفْظٌ تَضَمَّنَ مِنْهُ أَغْرَاضًا بِعَادَا)

التبريزى : الهاء فى « منه » عائدة إلى اللفظ ، والبيت الثانى يوضّحه .

البطليوسى : يقول : كأنّى لِمَعرفتى بالدهر وأحكامه، وتصاريف لياليه وأيّامه، لفظٌ فى لسانه يُخاطِب به بَنِيه، ويعبّر عن خَفيّات معانيه، وتحته أغراضٌ بعيدةٌ لا تُعْلَم، وأسرارٌ عويصةٌ لا تُفْهَم .

الخوارزمى : الضمير فى «تضمّن» للفظ، وفى «منه» للدهر .

١٧ (يُكَرِّرُنِى لِيَفْهَمَنِى رِجَالٌ كَمَا كَرَّرْتَ مَعْنًى مُسْتَعَادَا)

التبريزى : يقول : كأنّى فى لسان الدهر لفظ تضمّن الدهر منه أغراضا بعيدة، والدهرُ يكرّرنى ليفهمَنى رجالٌ، وهم لا يعرفوننى حقَّ المعرفة ؛ لأنّ الدهر لا يُظهِر لهم حقيقةَ الحال منّى، لأنه يكرِّر اللفظَ بعينه ولا يكشف معناه . واللفظ إذا تضمّن أغراضًا بعيدةً لا تُعْرَف تلك الأغراضُ إلّا بعبارات تُوَضِّحها ، فأمّا

(١) فى ا ، حـ : « إذا كان » . وعبارة ى : « ... صديقا إذا كان ينفى أكثر النجوم ولا يرضى بها » .

إعادة اللفظ بعينه فلا تكشف الأغراضَ التى فى اللفظ. كأنه يريد أن الدهر يريد إظهارَه، وعبارتُه تَقْصُر عن ذلك .

البطليوسى : يجوز «يكرِّرنى» و «تكرِّرنى»؛ لأنّ الضمير الفاعل فيه يعود على اللسان ، واللسان يذكَّر ويؤنَّث . يقول : كأنى لفظٌ فى لسان الدهر يكرِّره مرّة بعد مرّة ، ليفهمه من الرجال مَنْ لم يفهم، ويعلمه منهم مَنْ لم يعلم . وهذا معنًى لا أحفظه لغيره .

الخوارزمى : الضمير فى «يكرِّرنى» للدهر . و «رجالٌ» مرفوع بـ«يفهمنى» . يقول : يعرّف[1] بى الدهرُ وينوّه باسمى ليفهمونى . والتكرير هاهنا ناظر فى استعارة اللفظ .

١٨ ﴿وَلَوْ أَنِّى حُبِيتُ الْخُلْدَ فَرْدًا لَمَا أَحْبَبْتُ بِالْخُلْدِ انْفِرَادَا﴾

التبريزى : حُبِيتُ : أُعطيتُ . والخُلْد : الجنّة هاهنا، وقد تكون بمعنى الآخرة؛ يقال : دار الخلد، أى دار الآخرة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا البيت يتعلّق بقوله «تجنبت الأنامَ فما أُواخى» . يقول : انفردتُ عن الخَلْق وإن كنتُ أُبغض الانفراد، لأنه ليس فيهم من يُصْفِى الوِداد .

١٩ ﴿فَلَا هَطَلَتْ عَلَىَّ وَلَا بِأَرْضِى سَحَائِبُ لَيْسَ تَنْتَظِمُ الْبِلَادَا﴾

التبريزى : يقال : هَطَل السحابُ يَهْطِل هَطْلًا وهَطَلانًا . وهذا تقوية لما تقدّمه؛ لأنه قال : لا أُحبّ الانفراد بالجنّة ، ثم قال : إذا لم يعمّ المطرُ البلادَ فلا سُقِيتُه ولا سُقِيَتْه أرضى . وما أبعد هذا فى الشرف مما ذكره أبو الطيّب فى قوله :

وربّما أُشهِدُ الطعامَ مَعِى * مَنْ لا يُساوى الخبزَ الذى أكلَهْ

(١) فى الأصل : «يعمرلى» تحريف .

وكان يُمكنه أن يذمّه فى غير هـذه الخَصْلة ، والمعانى كثيرة ، وكان الخاطرُ مساعدا ، ولكنّ الطبع أغلب ، « والمرء يعجز لا المحالة » .

البطليـــوسى : حُبِيتُ : أُعطِيت . والهطْل والهَطَلانُ والتّهطال : تتابُعُ المطر واتّصاله . يريد أنه لكرم طبيعته وعلوّ همّته ، لا يحبّ الاستئثار بشىء دون إخوانه وأحبّتــه .

الخـــوارزمى : «ليس» هاهنا ، حرف لا فعل ، الانتظام ، فى «أفوق البدر يوضَع»(١) .

٢٠ (وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ أَمَدِى سَيَلْقَى دُوَيْنَ مَكَانِىَ السَّبْعَ الشِّدَادَا)

التــبريزى : الأَمَدُ : الغاية . والسبع الشداد : السموات .

البطليـــوسى : يعنى بـ«السبع الشّداد» السموات . والأمَد : الغاية التى يُجْرَى إليها ويُسابَق . يقول : مكانى فى الشرف فوق السموات السبع ؛ فالوصول إليه متعذّر على من رامه .

الخـــوارزمى : السبع الشداد ، هى السموات السبع . التصغير فى « دوين » يُشعر بنوع استهزاء ؛ كأنه يقول : طالبُ مَداىَ لا يفتقر إلى كثيرِ طلب ، يُخلّف السموات ثم يلقاه عن كَثَب .

٢١ (يُؤَجِّجُ فِى شُعَاعِ الشَّمْسِ نَارًا وَيَقْـدَحُ فى تَلَهُّبِهَا زِنَادَا)

التــبريزى : أجّجت النارَ ، إذا ألهبتَها(٢) . وزِناد : جمع زَنْد .

(١) البيت الرابع والأربعون من القصيدة السادسة انظر ص ٣٢٠ .

(٢) فى ا : « لهبتَها » : يقال : لهب النار (بالتشديد) وألهبها .

البطليوسى : سبأتى .

الخوارزمى : « فى » هاهنا مثل « فى » الواقعة فى قول شيخنا جار الله :

خُضَارةٌ(١) فى جوده قطرةٌ * ورَضْوَى إلى حِلْمه كالحصاةِ

فى أمثالهم: «أضْيَعُ من سِراجٍ فى شمس». وعن بعض الحكماء: «أضْيَعُ الأشياء سراجٌ فى شمس، ومطرٌ فى سَبَخ، وطعامٌ تُؤُنِّق فى اتّخاذه ثم قُدِّم إلى سَكران، وحسناءُ تُزَفُّ إلى عِنِّين، ومعروفٌ تصنَعه إلى مَنْ لا يَشكرك عليه» . وجاء فى المَضاحك : شيخ من أهل اليمن، عن رجل سماه، عن رجل لم يُسمِّه، عمن حدّثه، قال: سبعة من الكبائر: قُفْلٌ على خَراب، ورَدِيفٌ يسلِّم، وضيفٌ يجرُّ ضيفًا، وسُلَّم فى الصحراء، وسِراج فى الشمس، وعمياء مُنتقبة، وطُفَيْلِيٌّ يتكىء فى المجلس ويُعَرِّبد .

٢٢ (وَيَطْعَنُ فى عُلَاىَ وإنَّ شِسْعِى لَيَأْنَفُ أَنْ يَكُونَ لَهُ نِجَادَا)

التبريزى : الشِّسْع، للنعل . والنجاد، للسيف . أى أدنى منزلة لى يأنف أن يكون أعلى منزلة له .

البطليوسى : التأجيج : إشعال النار . وقدح الزناد: إيراء النار منه . والشِّسْع: شِرَاكُ النعل . والنِّجاد: حِمالةُ السيف . يقول: لا ذِكْرَ لأحدٍ مع ذكرى، ولا فضلَ إذا ذُكِر فضلى، كما أن النار لا ضوءَ لها إذا أُوقدت فى شُعاع الشمس . وهذا كقولهم : « أضْيَعُ من سراجٍ فى شمس» . وكقول الشاعر :

* وما قَدْرُ مِصْباحٍ إذا لاح إصباحُ *

الخوارزمى : يقول : أخسُّ منزلة لى لا تَرضَى أن تكون أعلى منزلة له .

---

(١) خضارة، بالضم : علم البحر . وفى الأصل « حضارة » بالحاء المهملة . وما أثبتنا من ديوان الزمخشرى (نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٥٢٩ أدب) .

٢٣ ﴿وَيُظْهِرُ لِى مَوَدَّتَهُ مَقَالًا وَيُبْغِضُنِى ضَمِيرًا وَاعْتِقَادَا﴾

التبريزى ... ...

البطليوسى ... ...

الخوارزمى : يقول : إنه فى الظاهر يَتَبَصْبَصُ[1] لى، وفى الباطن ما فيه .

٢٤﴿فَلَا وَأَبِيكَ مَا أَخْشَى انْتِقَاصًا وَلَا وَأَبِيكَ مَا أَرْجُو ازْدِيَادَا﴾[2]

التبريزى ... ...

البطليوسى : إنما قال إنه لا يخشَى انتقاصًا لأنه نالَ من الشرف مرتبةً استوجبها واستحقَّها، وقال إنه لا يرجو ازديادا لأنه وصَل من الفضل إلى المكانة التى لامكانةَ فوقها . ونحوُه قول المتنبّى :

مَنْ كان فوقَ محلِّ الشمسِ موضعُه فليس يرفَعُه شىءٌ ولا يَضَعُ

الخوارزمى : «لا» فى «لا وأبيك» مزيدة . ومثله فى : ﴿لَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ .

ومعنى البيت من قول أبى الطيِّب :

مَنْ كان فوقَ محلِّ الشمسِ موضعُه فليس يرفَعُه شىء ولا يضعُ

٢٥﴿لِىَ الشَّرَفُ الَّذِى يَطَأُ[3] الثُّرَيَّا مَعَ الْفَضْلِ الَّذِى بَهَرَ الْعِبَادَا﴾

التبريزى : يقال: بهَرَه يبْهَرُه، إذا غلبه. ويقال: بهر القمرُ النجومَ، إذا غلبها بنوره؛ والقمر باهرٌ . ويقول الرجل للرجل : بَهْرًا لك، كأنه يدعو عليه بالغلبة . قال الشاعر[4] :

ثم قالوا تُحِبُّها؟ قلت بَهْـرًا عَدَدَ القَطْرِ[5] والحصَى والتُّرابِ

(١) التبصبص : التملق . وفى الأصل : «يتبضبض» بالضاد المعجمة . (٢) صدره فى البطليوسى : «ولا وأبيك» . (٣) فى أ من التبريزى و أ من البطليوسى : «وطئ» . (٤) هو عمر ابن أبى ربيعة . (٥) وفى ديوان عمر: «عدد النجم» . وفى اللسان (مادة بهر) : «عدد الرمل» .

وقال الأصمعي : كنت أحسب قولَه «بَهْرًا» من الدعاء عليه ، فسمعتُ رجلًا من أهل مكة يقول : معنى قوله بهرًا ، أى جهرًا لا أُكاتم .

البطليوسى : سياق .

الخوارزمى : « الوطء » مع « الثريا » إيهام .

٢٦ (وَكَمْ عَيْنٍ تُؤَمِّلُ أَنْ تَرَانِي . وَتَفْقِدُ عِنْدَ رُؤْيَتِي السَّوَادَا)

التبريزى : هذا البيت يحتمل وجهين ، أحدهما أن يكون المراد أنها تؤمِّل أن تراه ، فإذا رأته لم تعرفه حقيقة المعرفة وخفِى عليها ، فكأنّها فقدت السواد فلم تره ؛ كما قال أبو الطيِّب :

و إذا خَفِيتُ على الغبيّ فعاذرٌ ألّا تـرانى مقـلةٌ عميـاءُ

والوجه الآخر أن يكون له مُبْغِضًا ، فإذا رآه أعرض عنه ؛ كما قال الآخر :

إذا أبصرتَنى أعْرَضْتَ عـنِّى كأنَّ الشمسَ من قِبلِى تدورُ

وهذا الوجه أوجه(١) ؛ لقوله فيا قبلُ :

* ويَطْعَنُ فى عُلَاىَ و إنْ شِسْعى *

لأنه يدل على أنه يُبغضه . و « تفقِد » معطوف على قوله « تؤمِّل » ، ولا يجوز نصبه ؛ لأنه لم يجعل الأول سببًا للثانى ، ولو أراد ذلك لفسد المعنى .

البطليوسى : سياق .

الخوارزمى : هذا [مثلُ] قولِ أبى الطيِّب :

و إذا خَفِيتُ على الغبيّ فعاذرٌ ألّا تـرانى مقـلةٌ عميـاء .

---

(١) فى ا : « أحسن » .

ويحتمل أن يكون مثل بيت الحماسة[1] :

إذا ما رآنى قَطَّع الطَّرْفَ بينَه و بينىَ فعلَ العارف المتجاهلِ

ونحـــوه :

إذا أبصرتَنى أعرضتَ عـنِّى كأنَّ الشمس من قِبَلِى تدورُ

قال التبريزى : وهذا الوجه أوجه ؛ لقوله :

* ويطعن فى عُلَاى وإنَّ شِسْعِى *

٢٧ ﴿وَلَـوْ مَلأَ السُّهَا عَيْنَيْهِ مِنِّى أَبَرَّ عَلَى مَدَى زُحَلٍ وَزَادَا﴾

التـــبريزى : أبرّ عليــه ، إذا زاد وأوفى عليه فى التأثير ؛ لأن السُّها ليس من المؤثِّرات ، وزُحَلُ مؤثِّر .

البطليـــوسى : بَهَر : غلب ؛ ومنه قيل للبدر : باهر ؛ لأن ضوءه يغلب على ضوء النجوم وعلى ظلام الليــل . والسُّها : كوكبٌ خفىٌّ فى بناتِ نَعْشٍ الكُبْرَى ملاصقٌ للكوكب الأوسط منهـا ، وهو الذى يسمّى العَنَاقَ ، و يقال للسها أيضا الصَّيْدَقُ ، وهُودُ بن أسية ، ونُعَيْشٌ . ورُوِى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال فى دعائه : " اللَّهمّ رَبَّ هُودِ بن أسيَّةَ ، أعوذ بك من كل سَبُعٍ وحَيّة " . ومعنى أبرّ : غلب ، المدى : الغاية .

الخـــوارزمى : السها : كوكب خفىّ يمتحن به الناس أبصارَهم . وأما زُحَلُ فجِرْمه مثل جِرْمِ الأرض إحدى وثمانين وخُمُسًا وسُدُسَ مرّة .

(١) البيت للطرماح . أنظر الحماسة (١١١ بن) .

٢٨ (أَفُلُّ نَوَائبَ الأيَّامِ وَحدِى إِذَا جَمَعَتْ كَتَائبَهَا احْتِشَادَا)

التبريزى : أفُلُّ : أكسِر وأَهْزِم . وقوم فَلٌّ : منهزمون . والاحتشاد : الاجتماع .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : «احتشدتُ لفلان فى كذا : أعددتُ له» . كذا ذكر فى أساس البلاغة . وفى عراقيات الأبيوَرْدىّ :

وكَمْ لك من مَوَاطِنَ صالحاتٍ بِهِنّ لفـادحِ الكَرْبِ آحتشادُ

وانتصاب «احتشادا» على التمييز .

٢٩ (وَقَدْ أَثبَتُ رِجْلِي فِي رِكَابٍ جَعَلْتُ مِنَ الزَّمَاعِ لَهُ بِدَادَا)

التبريزى : الزَّمَاع : الهِمّة بالشىء . يقال : أزمع القوم، إذا عزموا على رحيلٍ أو نحوه . وهو مستعار فى هذا الموضع . قال الشاعر :

لقد راعك الأحبابُ بالبَيْنِ إذ جَدُّوا وإذ أزمعوا[(1)] إنْ لم يَرُوحُوا بأنْ يغدو

البطليوسى : أفُلُّ : أهْزِم وأكسِر . ونوائب الأيام : حوادثُها التى تنوب الإنسانَ، أى تعتاده وتُلِمُّ به . والكتائب : العساكر، واحدتها كتيبة . يقول : معى جيشٌ من الصبر أفُلُّ به جيوشَ النوائب إذا احتشدت ، وأردّها على أعقابها إذ وردتْ . قال أبو الطَّيِّب المتنبِّى :

أُطَاعِنُ خيلًا من فَوَارِسها الدَّهْرُ وحيدًا وما قولى كذَا ومَعِى الصَّبْرُ

لمّا قال إنه يُطاعنها وحيدًا رجع عن ذلك فقال : كيف أقول إنى وحيد والصبر معى، ومَنْ صَحِبه الصبر فمعه أقوى ناصرٍ وأعزُّ مانعٍ ! والزَّماعُ : العزيمة على الشىء

(1) فى ا : «أجمعوا» .

والبداد: لِبْدُ السرج الذى يُوَطّأ به لظهر الدابة . يقول : ركبتُ العزمَ وأثبتُّ رجلىّ فى رِكابَيْـه ، واتّخذت الصبر جندًا وعوّلت عليه ؛ فغلبتُ النوائب ، ولم أحفل بالمصائب .

الخوارزمى : البدادان فى القَتَب، بمنزلة الكَرّ فى الرَّحْل . والقتب : رحلٌ صغير . والكَرّ، هو الأديم الذى به يُضَمُّ الظَّلِفتانِ و يدخل فيهما . والظَّلِفتانِ : الخشبتان الواقعتان على جَنْبَيِ البعير . لمّا ذكر فى الأبيات المتقدّمة كثرةَ الأعداء وقلّة الأصدقاء ، ذكر هاهنا أنه عزم على الذهاب ، وقد أثبتَ رجلَه فى رِكاب .

٣٠ (إذَا أوْطَأْتُهَا قَـدَمَىْ سُهَيْـلٍ فَلاَ سُقِيَتْ خُنَاصِرَةُ العِهَادَا)

التبريزى : قَدَمَا سُهيلٍ : نجمان خَلْفَه . وخُناصِرةُ : موضع بالشام . وقد ذكرها عدىّ بن الرِّقاع فى قوله :

وإذا الربيعُ تتابعتْ أنواؤه فسَقَى خُنَاصِرةَ الأحَصِّ وَجادَها

الأحصّ : موضع بقرب خُناصرة (١) . وجمعها الراعى النُّمَيْرِىُّ بما حَوْلَها وأجراها مُجْرَى عَرَفات، فقال :

رَعَيْنَا الحَمْضَ حَمْضَ خُنَاصِرَاتٍ بما فى القُرْعِ (٢) من ماء الغَوادِى

البطليوسى : قَدَما سهيلٍ: كوكبان وراءه . وقد ذكرهما فى موضع آخر فقال (٣) :

قَدَماهُ وراءَه وَهْوَ فى العَجْـ ـزِ كساعٍ ليستْ له قَدمانِ

وخص قَدَمَىْ سهيل بالذكر هاهنا دون سائر الكواكب لقوله :

* وقد أثبتُّ رجلى فى رِكابٍ *

---

(١) فى معجم البلدان أن الأحص كورة كبيرة قصبتها خناصرة .

(٢) القرع : اسم لأودية فى بادية الشام ؛ لأنها لا تنبت شيئا .

(٣) البيت السادس عشر من القصيدة الرابعة عشرة ص ٤٣٧ .

فأراد المشاكلة بين الألفاظ . وخُناصرة : بلدٌ من بلاد الشام . والعهاد : الأمطار التى تأتى بعد الوَسْمىّ، كأنها تتعهّد الأرضَ . يقول : إذا وَطِئتُ قَدَمَىْ سُهيل بقَدَمَىّ، وحللتُ ذِروةَ الشرف التى تطمح فيها العيون إلىّ ؛ فلستُ أُبالى ما حلّ بالبلاد، من صلاح أو فساد. وخصّ «خُناصرة» بالذكر لقول عَدِىّ بن الرِّقاع العاملىّ :

و إذا الربيعُ تتابعتْ أنواؤه فسَقَى خُنَاصِرةَ الأَحصِّ وجادَها

الخوارزمى[1] : الضمير فى « أوطأتها » للرّجل . قَدَمَا سهيلٍ فى « عللانى » وعنى بهما البلاد التى فى مسامتتهما . خُناصرة، بضم الخاء المعجمة وكسر الصاد المهملة، من أعمال حِمْص، بها مات عُمَر بن عبد العزيز رحمه الله . ذكر فى البيت المتقدّم أنه قد عزم على السفر،وفى هذا البيت عيَّن رِحلتَه التى إليها يُسافر،وهى بلاد اليمن . فيقول : إذا أتيتُ اليمن فقد ظَفِرتُ بالمرام، واستغنيت [عن] بلاد الشام . فإن لم تُسْقَ فلا تُسْقَ[2] . و إيطاء قَدمَىْ سُهيلٍ إغراب .

٣١ ﴿ كَأَنَّ ظِمَاءَهُنَّ بَنَاتِ نَعْشٍ يَرِدْنَ إِذَا وَرَدْنَ بِنَا الثِّمَادَا ﴾

التبريزى : الثِّماد : المياه القليلة، واحدها ثَمْدٌ وثَمَدٌ.يقول : كأنّ ظِماءهن — وهنّ العطاش، يعنى الإبل — يَرِدن بناتِ نعش إذا وردن الثِّماد . وذلك أن الثِّماد مياهٌ قليلة تكون تحت الرمل، فيُحْفَرُ عنها حُفَرٌ يقرُب بعضُها من بعض؛ فلذلك شبّهها ببنات نعش. قال[3] : ليس المعنى إنّا نفرَح بورود الثِّماد، فكأننا قد بلغنا

(١) انظر الحاشية (٣ ص ٥٧١) .
(٢) فى الأصل : « فلا تسق » .
(٣) كذا فى الأصول . ولعله عزو إلى أبى العلاء .

رتبةً عالية لأنا كنّا على ظَمَإٍ من الورد . وإنما الغرض تشبيه الماء فى القرب والبعد ببنات نعش . و « بنات نعش » منصوبة بـ « يَرِدْن » .

البطليوسى : الظِّماء : العِطاش . والثِّماد : المياه القليلة ، واحدها ثَمْدٌ . و « بنات نعش » منصوبة بـ « يردن » ، كأنه قال : كأنّ ظماءهن يَرِدْن بناتِ نعش إذا وردن بنا الثِّماد . وإنما أراد أن الإبل اشتدّ عطشُها ، فإذا ظفِرتْ بثِماد الماء فكأنها قد ظفِرت ببنات نعش لسرورها بما نالته . وشبّه ثِماد الماء ، لقلّتها وبُعْدِها ممن أرادها ، ببنات نعش . وخصّ بناتِ نعش بالذكر دون غيرها لأنها تتّصل بالحوض ؛ ومن شأن الإبل أن تَرِد الحِياض . والحوض : سبعة كواكب فيما بين بنات نعش الكبرى ونَفَزاتِ الظباء ، وهو على شكل نصف دائرة ، ويسمّى أيضا سريرَ بناتِ نعش . ونَفَزات الظباء : وثباتها . يقال نَفَزَ ونَقَز وقَفَز ، بمعنى واحد ، وهى ستة كواكب ، يسمّى كلُّ كوكبين منها نَفْزةً . وكانت العرب تقول : إنّ الأسد ضَرَب بذَنَبه فوثبت الظِّباء ثلاثَ وَثَباتٍ ووردت الحوض ، وبين كل نَفْزتين مقدارُ عشرين ذراعاً فى رأى العين . وتسمّى أيضًا القوافز[1] ، والنوافز ، والنواقز .

الخوارزمى : الضمير فى « ظماءهن » للإبل وإن لم يَجْرِ لها ذكْرٌ . بنات نعش ، منصوب على أنه مفعولُ « يَرِدن » . الثِّماد ، فى حُفَر الرمل يكون متقاربًا بعضُها من بعض ، فتُشبِه الكواكبَ المجتمعة . يقول : هذه الإبل تَسير فى مفاوز قليلة الماء ، فمتى أصابت ثِمادًا فكأنها نالت نجومَ السماء . وقيل معناه : ورودُ الثَّمَدِ متعذِّر فى تلك السباسب ، كما يتعذر ورودُ الكواكب .

---

(١) فى الأصل « القرائن » تحريف .

٣٢ ﴿سَتَعْجَبُ مِنْ تَغَشْمُرِهَا اللَّيَالِي[(١)] تُبَارِينَا كَوَاكِبُهَا سُهَادَا﴾

التبريزى : يقال : تَغَشْمَرَ ، إذا رَكِبَ رأسَه وفَعَل مالا يُحْفَل بالجُرْأة فيه. وقوله « تُبارينا » تُفَاعِل ، من قولهم : فلانٌ يُبَارِى فلاناً ، إذا عارضَه بفعله . وأصلُه من قولهم : بَرَى له كذا وكذا ، إذا عَرَض له . قال ذو الرُّمَّة :

تَبْرِى له صَعْـلةٌ سحماءُ خاضعةٌ فالأرضُ دونَ بَناتِ البَيْضِ تُنْتَهَبُ[(٢)]

يصف ظليماً ، وهو ذكر النعام . أى تَعْرِض له نعامةٌ صَعْلةٌ ، وهى الصغيرة الرأس . وسحماء : سوداء . وبنات البيض : الفِراخ . يعنى أنهما يتناهبان الأرض فى عَدْوِهما إلى فِراخهما .

البطليوسى : التَّغَشْمُر : ركوبُ الرأس فى الأمر والتعسُّف . والمباراة : أن تُعارض الرجلَ فى فعلِه فتتعاطَى مثلَ ما يتعاطى . والسُّهَاد : السهر . يقول : نحن أصبر على السُّهاد وسُرَى الليل من الكواكب ، فما نتعاطاه من مباراتنا فى ذلك تَعسُّفٌ منها ، ستعجب منه بعد حينٍ إذا عجزَت عن ذلك وقصَّرتْ ، وبانَ لها خَطَؤها فيما فعلتْ . وإنما وصف الكواكبَ بالسُّهاد لأن الكواكب تُشَبَّه بعيون تَطْرِف أجفانُها ، لِمَا يعرِض لها من الحركة والاضطراب . وأشدّ مايكون اضطرابها إذا كانت فى الآفاق قبل أن ترتفع . ولذلك قال جِرانُ العَوْد :

أُراقب لَوْحاً من سُهَيْلٍ كأنّه إذا مابَدَا من آخر الليل يَطْرِفُ

الخوارزمى : تغشمر ، إذا ركب رأسه . وفى شعر أبى الطيِّب :

* تغشمرتْ بى إليكَ السَّهْلَ والجبلا *[(٣)]

(١) فى الديوان المخطوط : « الليالى » .

(٢) فى الديوان : « خرجاء » بدل « سحماء » . و « فالحزن » بدل « فالأرض » .

(٣) صدره : * أنكحت صم حصاها خف يعملة * .

باراه ، إذا عارضه بمثل فعله . وأصله من بَرَى له الشىءُ، إذا عَرَض . الكواكب تشبَّه بالعيون الناظرة، فلذلك تُوصف بالسُّهاد . وفى عراقيات الأبيوَرْدى :

يُراقبُ[1] أفراطَ الصباحِ بناظرٍ يُسَاهِرُ فى المَسْرَى جُدَيًّا وفَرْقَدَا

٣٣ (كأنَّ فِجَاجَها فَقَدَتْ حَبيبًا فَصيَّرتِ الظَّلامَ لَهَا حِدَادَا)

التبريزى : فِجَاج : جمع فَجّ، وهو الطريقُ فى الجبل . قالوا : وهو الواسع من الطريق ، أوسع من الشِّعْب . والمراد فى البيت شدّة ظُلمة الليل . والحِدَاد : ثوبٌ أسود .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى « فجاجها » لليالى ، وفى « فقدتْ » و « صيّرت » و « لها » للفجاج .

٣٤ (وَقدْ كَتَبَ الضَّرِيبُ بِهَا سُطُورًا فَخِلْتُ الأَرْضَ لَابِسَةً بِجَادَا)

التبريزى : الضَّرِيب : نَدًى يسقط من السماء فيُصبح أبيضَ على وجه الأرض . والبِجاد : كِساءٌ مخطَّط من أكسية الأعراب .

البطليوسى : الفِجاج : الطُّرُق بين الجبال . والحِداد : لُبْس السَّوَاد وترْكُ الزِّينة للمصائب . والضريب : الثَّلج؛ يقال: ضُرِبت الأرضُ ضَرْبًا[2] . قال الراجز :

* رِجْلًا عُقابٍ يومَ دَجْنٍ تُضْرَبُ[3] *

والبجاد : كساء أخضر فيه خطوط بيض .

---

(١) فى الأصل « تراقب » . بالتاء المثناة من فوق . وقبله :

فلله فهرىّ إذا الورد رابه أبى الرى واختار المنية موردا

وأفراط الصباح : تباشيره .

(٢) ويقال : ضربت الأرض تضرب ضربا (وزان فرح) مثل ضربت الأرض (بالبناء للمجهول) اذا ضربها الثلج . (٣) أى يضربها البرد فتسرع فى الطيران . وفى شعر النابغة :

والخيل تمزع غربا فى أعنتها كالطير تنجو من الشؤبوب ذى البرد

الخوارزمى : الضريب : ما يسقُط من الندى الشبيه بالثلج فى ليالى الشتاء، وهو فعيل بمعنى مفعول؛ لأن الرِّيح الباردة تَضرِبه فينعقد . البِجاد : كساء مخطط، وبه لُقِّب « ذو البِجادين » (١) . يقول : كأنّ الأرض لبست كساءً مخططا خَطًّا أبيضَ بالصقيع وخطًّا أسودَ بالظلام .

٣٥ (كأنَّ الزِّبْرِقانَ بِهَا أَسِيرٌ تُجُنِّبَ لا يُفَكُّ ولا يُفَادَى) (٢)

التبريزى : الزبرقان : القمر، اسمٌ له ؛ ويقال : أراه زَبَارِيقَ المَنِيَّة، أى لمعانَها .

البطليوسى : الزِّبْرِقان : القمر . ومعنى «تُحُومِى» : أُسلِم وتُرِك . شبّه القمر لطول الليل بأسيرٍ مُوثَق لا يُفَكّ من وَثاقه . وهذا نحوٌ من قول امرئ القيس :

كأنّ الثريّا عُلِّقتْ فى مَصَامها بأمراسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

وقد ذكر نحوَ هذا فى موضع آخر فقال :

تأخّر عن جيش الصباح بضعفِه فأوثقه جيشُ الظَّلامِ إسَارا (٣)

الخوارزمى : سيأتى .

٣٦ (وبَعْضُ الظَّاعنِينَ كَقَرْنِ شَمْسٍ يَغِيبُ فإنْ أَضاءَ الفَجْرُ عَادَا)

التبريزى : قرنُ الشمس : أوّل شُعاعها .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

---

(١) هو عبد الله بن عبد نُهْم بن عفيف المزنى ، صحابى مات فى غزوة تبوك . قال عبد الله ابن مسعود : «دفنه النبى صلى الله عليه وسلم وحطه بيده فى قبره وقال : اللهم إنى قد أمسيت عنه راضيا فارض عنه» . انظر الإصابة ٤ ٨٠٤ ومايعول عليه . وفى القاموس : « عبد الله ذو البجادين دليل النبى صلى الله عليه وسلم » .

(٢) فى البطليوسى : « تحوى لا يفك » .

(٣) هو البيت الحادى عشر من القصيدة التاسعة عشرة .

٢٧ (ولكنّي الشّبابُ[1] إذا تولّى فجهلٌ أن تَرُومَ له ارتدادا)

التبريزى : أى بعض الظاعنين يشتاق إلى وطنه فيعود، كالشمس إذا أضاء الفجر، وأنا مَثَلِي مثلُ الشباب، إذا انقضى زمانُه فلن يعود أبدًا .

البطليوسى : الظاعنون : الراحلون . وقرن الشمس : أعلاها وأوّلُ ما يبدو منها عند الطلوع . يقول : بعض الراحلين يُفارق مكانه ثم يعود اليه، كالشمس تغيب تارةً وتطلع تارةً . ولست أنا كذلك، ولكنى بمنزلة الشباب الذى إذا فارق صاحبه لم يعد إليه أبدًا . ونحوٌ منه قول أبى فِراس الحَمْدانىّ :

وليس فِراقٌ ما استطعتُ فإن يكن فِراقٌ على حالٍ فليس إيابُ

ونحوه قول مَعْن بن أَوْس المُزَنىّ :

إذا انصرفتْ نفسى عن الشىء لم تَكَدْ إليه بوجهٍ آخِرَ الدهرِ تُقبِلُ

الخوارزمى : هذا البيت يتعلّق بقوله : « إذا أوطأتها قَدَمَىْ سهيل » . يقول : عزمت على أن أُفارق لا إلى تلاق، إذا كان بعض الظاعنين يعود بعد الفراق . والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقدّم .

٣٨ (وأَحْسَبُ أنّ قلبِي لو عصاني فعاوَدَ ما وَجدْتُ له افتقادا)

التبريزى : هذا البيت يؤكد ما قبله .

البطليوسى : يقال : فقدتُ الشىء فَقْدًا وفُقودًا وفِقْدانًا، وافتقدتُه افتقادًا . يقول : لو عصانى قلبى ثم عاد لطاعتى، لأعرضتُ عنه ولم يُؤلمنى فقدُه . ونحوٌ منه قول أبى الطيِّب المتنبى :

(١) التبريزى والديوان : «ولكن الشباب» برفع الشباب، على تقدير لكن أنا الشباب، بتخفيف « لكن » وحذف همزة الضمير وإدغام النونين . انظر الخزانة (٤ : ٤٩٢) .

وأعلمُ أنّ البَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَه فلستَ فُؤادى إنْ رأيتُك شاكيا

الخــــوارزمى : وجدت، من الوَجْد وهو الحزن والهمّ . ولقد أوهم حيث قرنه بالافتقاد .

٣٩ ﴿تَذَكَّرْتُ البِدَاوَةَ فِى أُنَاسٍ تَخَالُ رَبِيعَهُمْ سَنَةً جَمَادَا﴾

التـــبريزى : يقال : بَدَاوةٌ وبِدَاوةٌ، وَحَضارةٌ وحِضارةٌ . والسَّنَة الجَماد : القليلة المطر التى يجمُد فيها المـاء من البَرْد .

البطليـــوسى : ســــيأتى .

الخــــوارزمى : البداوة : خلاف الحضارة . عينٌ جَمُودٌ : لا ماءَ فيها . وسَنَةٌ جَمَادٌ : لا مطرَ فيها . وناقة جَمَادٌ : لا لبنَ لهـا . ومعنى المصراع الثانى أنهم أهلُ بادية ممحلة ربيعُها شتاء ، وخِصْبها جُدوبة . ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يتوسّعون فى قِرَى الأضياف ، الظاعنـةِ إليهم من الأطراف؛ فكأنّهم فى مَحْلٍ من الأوقات، لعدم ادّخارهم من الأقوات .

٤٠ ﴿يَصِيدُونَ الفَوَارِسَ كُلَّ يَوْمٍ كَمَا يَتَصَيَّدُ الأُسْدُ النِّقَادَا﴾

التـــبريزى : النِّقاد : جمع نَقَدٍ، وهو ضرب من الغنم الصغار . قال الراجز:

قَبُحْتُمُ يا آلَ زُرَيْقٍ عَدَدَا لو كنتمُ لحمًا لكنتمْ غُدَدَا

أو كنتمُ صوفًا لكنتمْ قَرَدَا أو كنتمُ ماءً لكنتمْ ثَمَدَا

* أو كنتمُ ضأنًا لكنتم نَقَدَا *

القَرَد[1] : جمع قَرَدةٍ، وهى قطعةٌ من صوف . قال الشاعر :

---

(١) القرد : ما تلبد من الصوف، وقيل نفايته ، ثم استعمل فيما سواه من الوبر والشعر والكتان .

سَيُبلِغُهُنَّ وَحْىَ القـولِ عـنّى ويُدْخِلُ رأْسَـه تحت القِرَامِ
أُسَـيِّدُ ذُو خُرَيِّطَـةٍ ضئيـلٌ من المتلقِّطى قَـرَدِ القُمَامِ

أُسَـيِّد : تصغير أَسْـوَد . وضئيلٌ : هزيل . والضـؤولة : الدِّقـة . والقُمَام : ما يُكْنَس من البيوت . والقِرامُ : السِّتر .

البطليـوسى : يقـال : بَدَاوةٌ وبِداوة، للبادية ، بالفتح والكسر؛ وكذلك حَضارة وحِضارة، للحاضرة . والسنة الجماد : التى لا مطَر فيهـا، وتكون أيضا التى يكثر الثلج فيها ويجمُـد المـاء . والنِّقاد : صغارُ الغنم . يصف قومًا صعاليك نزل عليهم . وكأنه سَلَك مسلك أبى الطيِّب فى قوله وإن كان ليس مثلَه :

ومُدْقِعـين بسُـبْرُوتٍ صَحِبْتُهُـمُ عارين من حُلَلٍ كاسِينَ من دَرَنِ
خُرّابُ باديـةٍ غَرْثَى بُطونُهـمُ مَكْنُ الضِّـبابِ لهم زادٌ بـلا ثَمنِ (١)

وقوله « تخال ربيعهم سـنةً جمادا »، يقول : لا تلقاهم أبدًا إلا على حال إقلال، وقـلّة أموال؛ لأنهم لا يتعرّضون للمكاسب، ويُتلفون أموالَهم بالمواهب . وهـذا المعنى موجودٌ فى قول أبى تَمّام :

فإذا ما الخطوبُ أعفتْه كانتْ راحتـاهُ حَـوَادثاً وخُطُـوبَا

وينحو نحوَه قولُ الآخر :

والله ما بلغتْ لى قَطُّ ماشـيةٌ حَـدَّ الزكاة ولا إبْلٌ ولا مَالُ

الخـوارزمى : النِّقاد : جمع نَقَد، وهوغنمٌ صِغارُ الأرجلِ، تكون بالبحرين . يقال : « هو أذَلُّ من النَّقَد » .

---

(١) الخراب : جمع خارب، وهو الذى يسرق الإبل خاصة . ومكن الضباب : بيضها .

٤١ ﴿طَلَعْتُ عَلَيْهِـمُ وَالْيَوْمُ طِفْـلٌ   كَأَنْ عَلَى مَشَارِقِهِ جِسَادَا﴾

التبريزى : قوله « واليوم طفل » يعنى أوّل النهار ، وقد مر ذكره . والجساد : الزعفران .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقال : أتيته طَفَلًا أى بعد طلوع الشمس، وطَفَلًا أى مُمْسيًا؛ نقله الغورى عن صاحب التكملة . « طلعت عليهم » ، فى غاية الحسن . يريد أن سُمُوّه لهم ووفودَه عليهم بمنزلة طلوع الشمس . يعنى أنهم كرماء يَهَشُّون لنزولى بهم ضيفًا كما يهشّون لطلوع الشمس ، وأن دنياهم المظلمة تُنير بى كما تنير بطلوع الشمس ، وأنهم يَعُدُّونى من أنفع الأشياء لهم كالشمس ، وأنّى لديهم رفيع الرتبة سامى المنزلة مثل الشمس، وأنى أُغْنِى عنهم غَناءً كاملا شبيها بغَناء الشمس، وأنى قد برزت إليهم وقتَ بروز الشمس . الجساد ، هو الزعفران .

٤٢ ﴿إِذَا نَزَلَ الضُّيُوفُ وَلَمْ يُرِيحُوا   كِرَامَ سَوَامِهِمْ عَقَرُوا(١) الْجِيَادَا﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : الجساد : الزعفران . وهذا نحوٌ من قوله فى موضع آخر :

كأنّ سَنَا الفجرين لمّا تواليَا   دَمُ الأخوين زَعْفرانٍ وأَيْدَعِ(٢)

والسَّوَام : المالُ الراعى ، وهو اسم للجمع، والواحد سائم .

الخوارزمى : هذا البيت على أُسلوب قوله :

إذا نحن لم نَقْرِ المُضافَ ذبيحةً   تَمَرْنَاهُ تَمْرًا أو لَبَنَّاه داعيا(٣)

إلا أن بيت أبى العلاء أحسن من وجوه .

(١) فى حـ من البطليوسى : « نحروا » .
(٢) الأيدع : صبغ أحمر . والبيت من القصيدة الخامسة والستين .
(٣) داعى اللبن وداعيته : ما يترك فى الضرع ليدعو ما بعده .

٤٣ ﴿ بُنَاةُ الشِّعْرِ مَا أَكْفَوْا رَوِيًّا وَلَا عَرَفُوا الْإِجَازَةَ وَالسِّنَادَا ﴾

التبريزى : أكفَوْا ، من الإكفاء فى الشعر ، وهو اختلاف الروىّ . والإجازة نحو الإكفاء ، وقيل : بل الإجازة مثل قول عَبِيد :

سَاعِدْ بأرضٍ إذا كنتَ بها ولا تَقُلْ إننى غريبُ

فهذا بيت فيه زيادةٌ على مثل قوله :

مَنْ يسألِ الناسَ يَحْرِمُوهُ وسائلُ الله لا يَخِيبُ

والإجازة ، بالزاى والراء جميعا ، ذكرهما البارقىّ فى كتاب له فى القوافى . والسِّناد ، على خمسة أضرب : فالأوّل سِنادُ التأسيس ، وهو أن يجىء بيتٌ مؤسَّسا و بيتٌ غير مؤسَّس . والثانى سِناد الحَذْو ، وهو [اختلاف] الحركة التى تكون قبل الرِّدْف ؛ فإن كان ضمّةً ، مع كسرة لم يكن عيباً ؛ كقول عمرو بن كُلْثوم :

* ألَا هُبِّى بِصَحْنِك فاصْبَحِينَا *

ثم قال : * تَرَبَّعَتِ الأجارِعَ والمُتُونا * (١)

و إن جاءت الفتحة مع الضمة والكسرة فذلك سنادٌ ؛ قال عمرو بن كلثوم فى هذه القصيدة : * تُصَفِّقُها الرياحُ إذا جَرَيْنَا * (٢)

والثالث سناد التوجيه ، وهو أن يكون قبل حرف الروىِّ المقيَّد فتحةٌ مع ضمّة أو كسرة . فإن كانت الضمة مع الكسرة لم يكن ذلك عيبا ، و إن جاءت الفتحة

(١) هذا عجز بيت له فى معلقته برواية التبريزى ٢١٣ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٧٦ :

* ذراعى عيطل أدماء بكر *

(٢) صدره : * كأن متونهن متون غدر *

مع إحداهما فهو سِنَادٌ عند الخليل . وكان سعيد بن مَسْعَدَةَ[1] لا يراه سِنادًا ، لكثرته فى أشعار العرب . ومثل ذلك قول آمرئ القيس : «اليوم قَرّ»[2] مع « أَنّى أَفِرّ »[3] . والرابع سناد الإشباع . والإشباع : حركةُ ما بين التأسيس والروىّ فى الشعر المطلق . فإن جاءت الفتحة مع الضمة أو الكسرة فذلك عيب . ولا يَعيبون الضمة مع الكسرة . ومن المَعيب قول الراجز :

يَا نَخْلَ ذاتَ السِّدْرِ والجَرَاوِلِ ... تَطَاوَلِى ما شئتِ أنْ تَطَاوَلِى

والخامس سناد الرِّدْف ، وهو أن يكون بيتٌ مُرْدَفًا ، و بيتٌ غيرَ مردف ؛ ومنه قول الكُسَعِىّ فيما يزعمون :

نَدِمْتُ نَدَامَةً لو أنّ نفسى ... تُطَاوِعُنِى إذًا لقطعتُ خَمْسِى[4]

تَبَيّنَ لى سَفَاهُ الرأى مِنّى ... لَعَمْرُ اللهِ حين كسرتُ قَوْسِى

و بعض الناس يجعل كلَّ عيب فى القافية سِنادا .

البطليوسى : بُنَاة : جمع بانٍ . والروىّ : الحرف الذى يَبْنِى عليه الشاعرُ شعره ، وليس بعده إلا الوصل أو الوصل والخُروج . والإكفاء ، فى قول بعض العروضِيِّين ، هو الإقواء بعينه ، برفع قافيةٍ وخَفْضِ أخرى . ومنهم مَنْ يجعله اختلافَ الحركات قبل حرف الروىّ المقيَّد بالفتح والكسر ، أو بالفتح والضم ؛ فإن كان ضَمًّا وكسرًا لم يُعَدَّ إكفاء ، نحو قول رُؤْبة :

* وقاتِمِ الأعماقِ خاوِى المُخْتَرَقْ *

(١) هو الأخفش الأوسط ، كانت وفاته سنة ٢١٥ أو ٢٢١ .

(٢) البيت :

إذا ركبوا الخيل واستلأموا ... تحرقت الأرض واليوم قر

(٣) البيت :

فلا وأبيك ابنة العامرى ... لا يدعى القوم أنى أفر

(٤) فى حـ : « لبتكت » .

ففتح ما قبل القاف، ثم قال :

* إنّ الشتاءَ ليس بالراعى الحَمِقْ *

فكسر ما قبل حرف الروىّ، ثم قال :

* مضبورةٌ قَرْواء هِرْجابٌ فُنُقْ *

فضم ما قبله . ومنهم مَنْ يجعله اختلافَ حروف الروىّ؛ كقوله :

يارُبَّ جَعْدٍ فيهمُ لو تَدْرِينْ يضرب ضَرْبَ السُّبُطِ المَقَادِيمْ (١)

والخليل يسمّى اختلاف الروىّ إجازةً . وأمّا السناد ، فهو كل فسادٍ يعرِض للقافية ، كمجىء بيت مؤسّس مع بيت غير مؤسّس ؛ نحو قول العجّاج :

* يادارَ سَلْمَى ياأسْلَمِى ثمّ اسْلَمِى *

ثم قال :

* فخِنْدِفٌ هامةُ هذا العالَمِ *

وكاختلاف التوجيه ، وهو حركة ما قبل الروى المقيَّد ، فى نحو ما أنشدْناه من قول رؤبة . وكاختلاف الحذو، وهو حركة ما قبل الرِّدْف فى قوله :

* وأصبح رأسُه مثلَ اللُّجَيْنِ (٢) *

مع قوله فى بيت آخر :

* كأنّ عُيونَهن عيونُ عِينِ *

---

(١) قبله كما فى الاقتضاب للبطليوسى ٤١٤ :

قالت سليمى لا أحب الجعدين ولا القصار إنهم مناتين

(٢) عجز بيت لعبيد بن الأبرص من قصيدة فى ديوانه ص ٤٥ واللسان (٤ : ٢٠٧) . وصدره :

* فإن يك فاتنى أسفا شبابى *

وصواب رواية عجزه ، كما فى اللسان والديوان ، ونحوه فى الخوارزمى :

* وأضحى الرأس منى كاللجين *

ومن الناس مَنْ يسمِّى اختلافَ حروف الروىّ إجارةً ، بالراء غير معجمة، ويسمِّى اختلافَ التوجيه قبل الروىّ إجازة، بالزاى معجمة .

الخــــوارزمى : الإكفاء ، من عيوب الشعر ؛ وهو اختلاف الروىّ بحرفين متقاربَى المَخْرَج فى قصيدة؛ وذلك مثل قول الراجز :[1]

إذا ركبتُ فاجعلونى وَسَــطَا   إنِّى كبيرٌ لا أُطيــق العُنَّدَا

فجمع بين الطاء والدال لقُرْب مخرجهما . والعُنَّد : جمــع عاندٍ ، وهو البعير الذى يجور عن الطريق . واشتقاقه من أكفأت البيتَ، إذا جعلتَ له كِفاءً، وهو كساء حول الخِباء يُطْرَح كالإزار حتى يبلغ الأرض، وهو مخالفٌ للبيت، يشــبِّه بمخالفته مخالفةُ بعض الروىّ بعضًا . أو من أكفأت القومَ ، إذا أرادوا وجهاً فصرفتَهــم إلى غيره ؛ لأنه صَرْفٌ عن وجهة الروىّ؛ ولذلك سمِّى الإجارة بالراء ، من أجاره عن وجهه أى جعله جائرا . وسمِّى أيضا الإجازة بالزاى، من أجازه إذا جعله جائزا له أى متخطّيا . وقيل : الإجازة بالزاى، اختلاف الروىّ بحرفين مُتَباعِدَى المَخْرَج.

« الروىّ » فى « عَلّلانى »[2] . السِّناد ، على ضروب : أحدها إردافُ قافيةٍ وتجريدُ أخرى فى قصيدة ؛ كقوله :

إذا كنتَ فى حاجةٍ مُرْسِــلًا   فأرسِلْ حكيماً ولا تُوصِــهِ

وإنْ بابُ أمرٍ عليــك التوَى   فشَــاوِرْ لبيبًــا ولا تَعْصِــهِ

فالواو فى « لا تُوصه » تسمَّى ردفًا . الثانى تأسيسُ قافية وتعريةُ أُخرى فى قصيدة؛ كقول العَجَّاج :

* يا دَارَ سَلْمَى يَا اسْــلَمِى ثمَّ اسْلَمِى *

(١) انظر الاقتضاب ص ٤١٥ .

(٢) انظر البيت ٥١ من القصيدة ١٤ ص ٤٦٠ .

نعتزي القافية ولم يؤسسها ، ثم قال :

* نخنـدفُ هامـةُ هـذا العَـالَمِ *

فأسس القافية . الثالث اجتماع الواو المضموم ماقبلها بالواو والياء المفتوح ماقبلها ، أو اجتماع اليـاء المكسور ما قبلها باليـاء والواو المفتوح [ما قبلها] فى قصـيدة ؛ كقول الشماخ [(1)] :

لقـدْ ألِجُ الخِبـاءَ على جَوَارٍ كأنَّ عُيونَهن عيونُ عِينِ

فكسر ما قبل الرِّدْف، ثم قال فيها :

* وأمسى الرأسُ منِّى كاللُّجَيْنِ *

ففتح . الرابع اختلافُ حركة الدَّخيل؛ كقول الأمير أبى فِراس :

لعـلَّ خيـالَ العـامرِيّة زائرُ فيَسعدَ مهجورٌ ويُسْـعِدَ هاجِرُ

وفيهـا :

إذا سَلَّ سيفُ الدولةِ السيفَ مُصلِتًا تحكَّم فى الآجال يَنْهَى و يأمُرُ

الخامس اختلافُ حركة ما قبل الروىِّ المقيَّد؛ كقول الأمير أبى فِرَاس :

أ كنتُ الحبيبَ وكنتُ القَريبَ لَيـالِيَ أدعـوك من عَنْ كَثَبْ

فـلو لم أكُنْ بـك ذا خِـبْرةٍ لقلتُ صـديقُك مَنْ لم يَغِبْ

هذا النّوع من عيوب الشّعر ، شـبِّه بسِناد بيوت الشَّعْر ؛ وذلك أن تُسانِد الجبل فيسترها السَّنَدُ ، وهو ما قابَلك من الجبل وعلاَ من السَّفْح ، وعند ذلك تستغنِى أن تُستَر بشىء من الخِرَق واللُّبود . وهذا عيبٌ وضرورة .

(1) لم نجد الشـعر فى ديوان الشماخ . والصـواب أنه لعبيد بن الأبرص . انظر الحاشـية الثانية ص ٥٨٣ .

٤٤ (عَمَدْتُ لِأَحْسَنِ الحَيَّيْنِ وَجْهًا ... وَأَوْهَبِهِمْ طَرِيفًا أَوْ تِلَادَا)

التبريزى : إن حملتَ «أوهبهم» على معنى قولك: هو أَوْهَبُ الناسِ الدراهمَ، فنَصْبُه بإضمار فعلٍ؛ لأن «أَفْعَل» فى معنى التفضيل لا يعمَل إلّا أن يُضْمَر بعده فعلٌ . وعلى ذلك حملوا قولَ الشاعر[1] :

فلم أرَ مثلَ الحَيِّ حَيًّا مُصَبَّحًا ... ولا مِثْلَنَا يومَ الْتَقَيْنَا فَوَارِسَا
أَكَرَّ وأَحْمَى للحقيقةِ منهمُ ... وأَضْرَبَ منّا بالسيوفِ[2] القَوَانِسَا

كأنه قال : نضرب القَوانس . والقوانس : جمعُ قَوْنَسٍ، وهو أعلى البَيْضة . وطريفٌ وتلاد ، نكرتان ، فيجوز نصبُهما على التمييز؛ ولو أنّهما معرفتان كان نصبُهما على إضمار فعلٍ .

البطليوسى : عمَدت : قصدت . والطريف من المال : الحديثُ المكتسَب . والتِّلاد : القديم . وكأنه أشار بقوله «عمدتُ لأحسن الحيَّين وجها» إلى قوله « اُطلبوا الخيرَ عند حِسَانِ الوُجوه » . وأما انتصابُ طريفٍ وتلادٍ فعلى وجهين ، إن جعلتَ قولَه « وأوهبهم » من باب «أفعل» الذى يراد به المفاضلة؛ كقولك : زيدٌ أحسنُ الناسِ وجهاً، نصبتَ « طريفاً » بفعل مضمر يدلّ عليه «أوهبَ»؛ كأنه قال: يَهَبُ طريفًا وتِلادا؛ لأن «أفْعَل» هذا لا يعمَل إلّا فى التمييز. ومثله قول العبّاس بن مِرْداس :

أَكَرَّ وأَحْمَى للحقيقةِ منهمُ ... وأضربَ منّا بالسيوفِ القَوانسا

وإن جعلت « أوهب » هاهنا بمعنى واهبٍ ولم تقصد المفاضلةَ ، نصبتَ به الطريف والتِّلاد، ولم تُضمر شيئا . و«أفعل» قد يجىء لغير المفاضلة؛ كقول الشاعر:

(١) هو العباس بن مرداس كما سيأتى فى شرح البطليوسى . والبيت من قصيدة فى الأصمعيات ٣٥ . وانظر الخزانة (٣ : ٥١٧) . (٢) فى حـ : « فى اللقاء » .

خالِي أبو أَوْسٍ وخالُ سَرَاتِهِمْ   أَوْسٌ فأيُّهما أدَقُّ وألأَمُ

أراد : فأيّهما الدقيق واللئيم . ولو أراد المفاضلة لجعل لخاله نصيباً من الدقة واللؤم والأحسن فى صنعة البيت أن يكون «أفعل» الذى يراد به المفاضلة ، لتقدّم «أحسن» فى صدر البيت ، ولمَا يتبعه من المفاضلة فى البيت الذى بعده .

الخوارزمى : أعمل أفعل التفضيل ، وهو «أوهبهم» فى «طريفًا» . ومثله :

* وأضربَ منّا بالسيوف القَوانسا *

٤٥ (وأَطْوَلِهِمْ إذَا رَكِبُوا قَنَاةً   وأَرْفَعِهِمْ إذَا نَزَلُوا عِمَادَا)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : العرب تمدح بطُول الرمح وتذمّ . فإذا مَدحوا بذلك أرادوا شدّة الأَسْر والحِذْق بالطعن ؛ لأنّ الرمح إذا طال اضطرب فى يد حامله واعترص،(١) فلا يصرِّفه إلّا الحاذق الشديد . ولذلك قال مُتمّم بن نُوَيْرَة لعُمَر بن الخطّاب رضى الله عنه حين سأله عن أخيه مالِكٍ : «كانَ والله أخى مالكٌ يركب الجملَ الثِّفَال،(٢) ويجنُبُ الفرسَ الجَرُور،(٣) وعليه الشَّمْلَةُ الفَلُوت،(٤) وبيده الرُّمح الخَطِل،(٥) وهو بين المَزَادتين ، فى الليلة ذاتِ الصُّرّاد والأَزِيزِ،(٦) ثم يُصبح متبسِّما»(٧) . وقال أعرابىّ :

لَقِيناهُمْ بأرماحٍ طِوَالٍ   تُبَشِّرُهم بأعمارٍ قِصَارِ

(١) اعترص ، بالصاد المهملة : اضطرب ومثله عرِص ، بكسر الراء . وفى الأصل : «اعترض» محرف .

(٢) الثفال (بفتح الثاء) : البطىء السير من الإبل وغيرها .

(٣) الجرور من الخيل : البطىء الذى يكاد لا ينقاد مع من يجنبه ، إنما يجر الحبل .

(٤) كساء فلوت : لا ينضم طرفاه من صغره .

(٥) الخطل : الطويل المضطرب .

(٦) الصراد : الريح الباردة مع ندى . والأزيز : البرد .

(٧) فى الكامل ٧٦٣ ليبسك : «حتى يصبح فيصبح أهله متبسما» .

فهـذا وجهُ المدح بطوله . وأما وجه الذمّ فيريدون بذلك أنه جَبَانٌ يحبّ الرمح الطويل، ليَبْعُدَ عن قِرْنه . ولذلك قالوا : «رُمح الجبانِ أطْوَل»، والمعنى واحد. ويجعلون قِصَر الرمح والسيف من الشّجاعة، كما قال كعب بن مالك الأنصارىّ :

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخَطْوِنا ... قُـدُماً ونُلحِقُها إذا لم تَلْحَقِ

وأمّا طول البيت وارتفاعُ عماده فيجعلونه مدحا، ويجعلون ضدّه ذمّا، لأن الكريم كان يرفع خِباءه ويُطيله، ليُعْلَمَ موضعُه فيُقْصَد . وكان اللئيم يُقَصِّر خِباءه ويُخْفِي موضعَه، فِراراً من الأضياف ولوازم الحقوق . ولذلك قال بعض الشعراء يهجو قوماً، أنشده ابن الأعرابىّ :

قِصَارُ البيوتِ لا تُرَى صَهَواتُها ... من اللُّؤْم جثّامون عند التَّرائك

الخـوارزمى : إنهم يفتخرون بطول الرماح .

٤٦ (فتًى يَهَبُ اللُّجَيْنَ المَحْضَ جُوداً ... ويَدَّخِرُ الحَـديدَ لهُ عَتَـاداً)

التـبريزى : المحض : الخالص . والعَتاد : العُدّة .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : الضمير فى «له» يرجع إلى نفس اللُّجين لا إلى ما تقدّم ذكره من اللُّجين الموهوب . ونظيرُه بيت الحماسة :

إذا رَنَّقَتْ أخلاقَ قومٍ مُصيبةٌ ... تَصَفَّى بها أخلاقُهم وتَطِيبُ [(١)]

ألا ترى أنّ الضمير فى « بها » يرجع إلى نَفْس المُصيبة لا إلى ما تقـدّم ذكره من المصيبة المرنِّقة . ويحتمل أن يكون الضمير فى «له» لـ « فتًى » .

---

(١) البيت لجـزء بن ضرار أخى الشماخ . انظر الحماسـة ١٦٩ — ١٧٠ بن . والرواية فيها : « تصفى لها » .

٤٧ (وَيَلْبَسُ مِنْ جُلُودِ عِدَاهُ سِبْتاً[1] وَيَرْفَعُ مِنْ رُءُوسِهِمُ النِّضَادَا)

التبريزى : السِّبْت : نعالٌ يُحْلَقُ عنها الشَّعر، وقيل : بل هى المدبوغة بالقَرَظ . والنِّضاد : جمع نَضَد، وهو ما يَنضِدُه القومُ من مَتاعهم، أى يجعلون بعضَه على بعض .

البطليوسى : يَهَبُ : يُعطى . واللُّجَيْن : الفضّة . والمَحْض : الخالص الذى لا شَوْبَ فيه . والعَتَاد : العُدّة . والأديم : الجلد، وهو واحدٌ يُراد به الجمع . والعِدا : الأعداء . والسِّبْت : النِّعال المدبوغة . والنِّضاد : جمعُ نَضَد، وهو المتاع يُنْضَدُ بعضُه فوق بعض .

الخوارزمى : السِّبْت من جلود البقر : المدبوغة بالقَرَظ يُحْتَذَى منه النعالُ السِّبْتية، وهى من نِعال المتنعّمين . يسمَّى بذلك لأنّ شعره فى الدّباغة يسقط، فكأنه يُسْبَتُ، أى يُحْلَق . وهو فِعْلٌ بمعنى مفعول . النِّضاد : جمعُ نَضَد . وهو فى الأصل ما يُنْضَدُ من المتاع، أى يُجْعَلُ بعضُه فوق بعض .

٤٨ (أَبَنَّ الغَزْوَ مُكْتَهِلًا وَبَدْرًا وَعَوَّدَ أَنْ يَسُودَ وَلَا يُسَادَا)

التبريزى : أَبَنَّ، أى لَزِم . يقال : بَنَّ بالمكان وأَبَنَّ به، إذا أقامَ به . ويقال غلامٌ بَدْرٌ، إذا تمّ شبابُه ؛ شُبّه بالبَدْر الطالع . والمُكْتَهِل : الذى قد جاز حدّ الشّبيبة . وجاء فى الحديث أنّ الكَهْل ابن ثَمَانٍ وعشرين سنةً . وقيل : هو ابن الثلاثين . وهو مأخوذٌ من اكْتَهَلَ النبتُ، إذا أَزْهر ؛ فيقال للإنسان : مُكتهل، إذا شاب .

(١) فى البطليوسى : «أديم عداه» .

البطليوسى : أَبَنّ، أى لزم . ويقال : أَبَنَّ بالمكان، إذا أقامَ به . قال ذو الرُّمّة :

أَبَنَّ به عَوْدُ المَبَاءَةِ طَيِّبٌ ... نَسِيمَ البِنَانِ فى الكِنَاسِ المُظَلَّلِ[1]

والمكتهل : الذى توسّطتْ سِنُّه بين الشباب والشَّيخ[2] . وقيل : هو الذى شاب ؛ من قولهم : اكتهل النبتُ، إذا أَزْهَر . والبَـدْرُ من الغلمان : الذى امتلأ جسمُه وتمّ شبابه؛ شبِّه بالبدر الذى تمّ نُورُه .

الخوارزمى : أَبَنَّ الغزو : لَزِمه؛ مِنْ أَبَنُّوا بالمكان، إذا أقاموا به . وأصلُ الإبنان من بَنَّة الغنم، وهى رائحتها غلامٌ بَدْرٌ، أى ممتلئ كالبدر الذى هو القمر .

٤٩ (جَهُولٌ بِالْمَنَاسِكِ لَيْسَ يَدْرِى ... أَغَيًّا بَاتَ يَفْعَلُ أَمْ رَشَادَا)

التبريزى : يصفه بأنه بدوىٌّ قُحٌّ لا يُخالط أهلَ الحَضَر . والغىّ : ضدّ الرشد .

البطليوسى : أراد بالمناسك هاهنا : الذَّبائح . يقول : هو سيِّد نشأ على السيادة وعُوِّدَ أن يكون مخدومًا لا خادما ؛ فليس له بَصَرٌ بجزر[3] الإبل وتَفْصيل أعضائها . وكانت العرب تَعُدّ الجهل بذلك مدحًا، والمعرفةَ به ذمًّا . ولذلك قال ابن رُمَيْض العَنَزِى[4] :

---

(١) الضمير فى « به » يعود إلى « بهو » فى بيت سابق . والمباءة : المنزل، وهى هنا : الكِناس . ويريد بعـود المباءة الثور . والبنان : جمع بنـة ، وهى الرائحة طيبة كانت أو غير طيبة . وإنما نصب النسيم لمـا نوّن الطيب ، وكان من حقه الاضافة ؛ فضارع قولهم : هو ضارب زيدا . ومنه قوله تعالى : ﴿ ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا ﴾ أى كفات أحياء وأموات . انظر لسان العرب (مادة بنن) وديوان ذى الرمة ص ٥٠٤ .

(٢) الشيخ، بالتحريك : مصدر لشاخ يشيخ .

(٣) حـ : « يزجر » وفى أ : « بجزر » صوابهما ما أثبتنا .

(٤) فى نسبة هذا البيت لرشيد بن رميض خلاف ، فقد قيل إنه لأبى زغبة الخزرجى، وقيل هو للحطم القيسى . انظر اللسان (مادة وضم) وسمط اللآلى ص ٧٢٩ .

لَيس بِرَاعِى إبِلٍ ولا غَنَمْ ولا بجَزَّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ

وقال شُقْرانُ مولى قُضَاعَةَ :

جُفَاةُ المَحَزِّ لا يُصيبون مَفْصِلًا ولا يأكلون اللَّحْمَ إلا تَخَذُّمَا(١)

الخوارزمى : سيأتى .

٥٠ (طَمُوحُ السَّيْفِ لا يَخْشَى إلٰهاً وَلَا يَرْجُو القِيَامَةَ وَالْمَعَادَا)

التبريزى : طَمُوحٌ : فَعُولٌ ، من طَمَحَ طِمَاحًا وطُمُوحًا ، إذا شخص بعينه وركب رأسَه . يقول : سيفه يطمح ، أىْ يقتل من لا يجب قتلُه . وقوله : «ولا يرجو القيامة» يحتمل أن يكون من الرجاء ، وأن يكون من الخوف . والأجود أن يكون « لا يرجو » فى هذا الموضع بمعنى لا يخاف ؛ كما قال الهُذَلىّ(٢) يصف مُشْتارَ العَسَل :

إذا لَسَعَتْه النَّحْلُ لم يَرْجُ لَسْعَها وخالَفَها فى بيتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ(٣)

أى لم يَخَفْ لَسْعَها . ونُوبٌ : جمعُ نائب ؛ يريد النحل .

البطليوسى : الطُّموح : الإفراط وتجاوزُ الحدّ . يقال : طمَح فى السَّوْم ، إذا طلب فى سلعته أكثر مما تُساوِى . والضمير فى قوله « لا يخشى إلٰهًا » يرجع

(١) المحز ، أى الحز ، أى لا يتأنقون فى فصل اللحم كفعل الجزار . والتخذم : القطع . يقول : إذا أكلوا اللحم على موائدهم لم يتناولوه إلا قطعا بالسكاكين لا نهشا بالأسنان . وانظر الحماسة ٢٠٧ بن .

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلى . والبيت فى ديوانه ص ١٤٣ طبع دار الكتب .

(٣) رواية الديوان : «إذا لسعته الدبر» . وفى شرحه : «قال : وربما أنشدت : وحالفها» . وقال فى اللسان (١٩ : ٢٣) : ويروى : « وحالفها . قال : خالفها لزمها . وخالفها دخل عليها وأخذ عسلها » .

على السيف لا على الممدوح . يقول : لا يغترَّ الجاهلون بحلم هذا الممدوح وتَقواه، فإنّ سيفه لا يتّقي اللهَ ولا يخشاه ؛ فإن اضْطُرّ إلى الحرب بتَعَدِّيهم ، سَلّ عليهم سيفَه فلم يَرْعَ الله تعالى فيهم . وهذا معنًى كثيرٌ في الشعر المُحْدَث والقديم ، إلا أن المَعَرّىّ استعمله بلفظٍ شديد البَشاعة ، ظاهر الشَّناعة ؛ يُنكره من يراه ، ويتأوله على غير معناه ؛ واستعمله غيرُه بألفاظ لا تَمُجُّها الطِّباع ، ولا تنبو عنها الأسماع . فمن أحسنَ في ذلك كلَّ الإحسان أبو الطيِّب المتنبي في قوله :

ولا عِفَّــةٌ في سَـيْفِه وسِــنَانِه ولكنَّها في الكَفِّ والفَرْجِ والفَمِ

وقوله في موضع آخر :

مُقَــلَّدُ طــاغِي الشَّفْرتَيْنِ مُحَــكَّمٌ على الهــامِ إلّا أنه جائرُ الحُكْمِ
تحــرَّجَ عن حَقْنِ الدِّماء كأنّمــا يرى قَتْلَ نفسٍ تَرْكَ رأسٍ على جِسْمِ (١)

وقد أشار إليه أبو تمّــامٍ الطائيُّ في قوله :

سَـفِيهُ الرُّمْحِ جاهــلُه إذا ما بَدَا فضــلُ السَّفيهِ على الحليمِ

وقال النابغة الجَعْدِيُّ :

وما يَشْعُرُ الرحُ الأَصَمُّ كُعوبُه بـثروة رَهْطِ الأبلخِ المُتَظَـلِّمِ (٢)

وقال الأشعث بن قيس :

يذكِّرُني حامِــيمَ والرُّمْحُ شاجِرٌ فهــلّا تَلَا حاميمَ قبــلَ التقدُّمِ

الخــوارزمي : ســباق .

---

(١) بين هذا البيت وسابقه بيت آخر في الديوان (٢ : ٣١٣) :

وجدنا ابن إسحاق الحسين كجَدِّه على كثرة القتــلى بريا من الإثم

(٢) الأبلخ : المتكبر . وفي الأصــل : « الأبلج » محــرف . والمتظلم : الظالم . ويروى : « الأعيط المتظلم » والأعيط : الأبي المتمنع . انظر اللسان (مادة عيط ، ظلم) .

٥١ (وَيَغْبِقُ أَهْلَهُ لَبَنَ الصَّفَايَا   وَيَمْنَحُ قُوتَ مُهْجَتِهِ الجَوَادَا)

التبريزى : الصفايا : جمع صَفِىٍّ[1] من النوق، وهى الغزيرة اللبن . أى يُؤْثِر فرسَه على نفسه بالقُوت .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : فرسٌ طَمُوحٌ، بمعنى جَمُوح . وهو ها هنا للسَّيف استعارة . عنى بالرَّجاء ها هنا الخَوف . يُقال : لقيتُ هولًا ما رجوتُه، وما أرتجيه . قال :

* تَعَسَّفْتُها وحدِى ولم أَرْجُ هَوْلَها *

وقال أبو ذُؤيب :

* إذا لسعتْه النحلُ لم يرجُ لسعَها *

قال الفَرّاء : الرَّجاء بمعنى الخوف لا يكون إلا مع الجَحْد . الصَّفَايا : جمع صفى، وهى الناقة الغزيرة اللبن . ولقد أحسنَ حيث كنَى عن جرأته وشدّة بأسه بأنّه طَموح السيف . يريد : كاد ينسلّ سيفُه بدون السَّلّ ، وينفلُّ عدوُّه بدون الفَلّ . وقد أتى هذا المعنى مصرّحا به فى بيت السقط :

تكادُ سيوفُه من غير سَلٍّ   تَجِدُّ إلى رِقَابِهِمُ انْسِلَالًا[2]

وحيث كَنَى عن سيادته بأنّ له أهلًا وأتباعًا وبأنّ له نُوقا . وحيث جعله يغبق أهلَه، يريد أنه قد وُجِد فيه شرائطُ السيادة، يَعُول أهلَه ويقوم بمعاشهم . وحيث جعل ذلك الغبوقَ جميع ما تَدُرّ به نُوقه من اللبن، يريد أنه يوفِّر عليهم المأكول

(١) فى الأصل : « صفية » . وقال سيبويه فى الكلام على الصفايا : « ولا يجمع بالألف والتاء لأن الهاء لم تدخله فى حد الإفراد » . انظر اللسان (١٩ : ١٩٧) .

(٢) البيت ١٢ من القصيدة الأولى . انظر ص ٤٤ .

والمشروب ولا يدخر منه شيئا ، وحيث جعل تلك النُّوق كثيرة غزيرة ، يريد أنه يُبالغ فى إطعام أهله وإشباعهم . وحيث جعله[١] لا يرفع لنفسه من ذلك اللَّبن إلا مقدار القوت ، يريد أنه يُعاشرهم معاشرةَ الكرام ، لا يتفوّق عليهم ، بل يتنزّل منزلة واحد منهم أو أدْون ، ويريد أيضا أنّه ليس له على الأكل والشرب شَرَهٌ . وحيث جعله يمنح غيره قوتَ نفســه ، يريد أنه مهذَّب الخُلق كثير الرياضة والمجاهدة . وحيث جعله يمنح قُوتَه الفرسَ ، يريد أنه صاحب غَزَوات لا يستغنى عن الفرس ، ويريد أيضا أنه حازم يستعدّ للوقائع قبل مغافصتها[٢] . وحيث جعله لا يصرف قُوتَه إلى كلِّ فرس بل إلى الجواد منــه ، يريد أنه عالم بأمر الخيل والحرب ، يضع الهِناء موضع النُّقْب[٣] . وحيث جعله يقتصر فى تعهُّد الفرس على نفسه ، يريد أنه يكفيهم بنفسه على الانفراد ، ما يُلِمّ بهم من النوائب الشِّداد . وحيث جعله يفعل ما يفعله كرَمًا لا خشيةَ الله ، لأنه جهولٌ غيرُ أوّاه .

٥٢ (يَذُودُ سَخَــاؤُهُ الأَذْوَادَ عَنْــهُ   وَيُحْسِنُ عَنْ حَرَائِبِــهِ الذِّيَادَا)

التــبريزى : الأذواد : جمع ذَوْدٍ من الإبل ، وهو من الثلاثِ إلى الخمس . والحــرائب : جمع حَرِيبة ، وهو ما يملكه الإنسان من المــال ، وهو ما يجب عليك حفظُه والذبُّ عنــه من مال وغيره . ومعناه أن سخاءه يمنع عنــه مالَه فلا يقدر على حفظه ، وهو مع ذلك يمنَع الحريمَ ويحفظه .

البطليــوسى : الغَبُوق شرب العَشِىِّ . والصفايا من النوق : الكثيرةُ اللبن ، واحدها صَفِىٌّ . ويمنَح ، أى يُعطى ، بفتح النون وكسرها . والمُهْجة : دَمُ القلب ؛

(١) فى الأصل : « جعلهم » .

(٢) المغافصة ، بالغين المعجمة : المفاجأة والأخذ على غرة . وفى الأصل : « معافصتها » بالعين المهملة ، تصحيف . (٣) النقب ، بالفتح ويضم : الجرب .

هـذا أصلها ، ثم تسمّى النّفسُ مهجةً . ويذود : يدفع . والأذواد : جمعُ ذَودٍ ، وهو ما دون العشرة من الإبل ، وأكثر ما يستعمل فى الإناث . والحرائب : جمع حَريبة ، وهو كل ما يملكه الإنسان مما يُحارِب عليه . والذِّياد : الدِّفاع .

الخـــوارزمى : أخذتُ حَرِيبَته ، وهو ماله الذى به يعيش ؛ كذا فسّره الغورى .

٥٣ (يَـرُدُّ بِتُرْسِـهِ النَّكْبَاءَ عَـنِّى ويَجْعَلُ دِرْعَه تحْتِى مِهَادَا)(١)

التـــبريزى : ســـيأتى .

البطليـــوسى : النكباء : الرِّيح التى تَعْدِل عن مَهابّ الرياح الأربع . وخصّها بالذكر إشارةً الى شدّة البَرْد ، لأن الرياح النُّكْبَ تكثُر فى الشتاء ، كما قال ذو الرمّة :

* إذَا النكباءُ نَاوَحتِ الشَّمالَا(٢) *

والمِهـاد : الفِراش . وإنما أراد أنه مُتَصَعلِكٌ مُصْحِرٌ فى الفَـلَوات ، وليس ممن يأوى الى الدُّور المشيَّدة ، والبيوت المُنَجَّدة ، وأنه لا يدّخر مالًا ولا يكتسبه ، وإنما مالُه سِلاحُه الذى يستعمله ويصرِّفه . وقد قال فى نحو هذا حاتمٌ الطائىُّ :

مَتَى ما يَجِئْ يوماً إلى المـالِ وَارِثِى يَجِدْ جُمْعَ كَفٍّ غيرَ مَلْأَى ولا صِفْرِ(٣)
يَجِـدْ فرسًا مثـلَ القنـاةِ(٤) وصارمًا حُسَامًا إذا ما هُـزَّ لم يَرْضَ بالهَبْرِ
وأسْمَـرَ خَطِّيًّـا كأنّ كُعوبَه نَوَى القَسْبِ قدأرمَى ذِراعًا على العَشْرِ

الخـــوارزمى : ســـيأتى .

(١) أ من التبريزى : « يرد بيأسه » .
(٢) صدره : * تناخى عند خير فتى يمـان *
(٣) فى الديوان ص ١٢١ من مجموع خمسة دواوين العرب : « متى يأت يوما وارثى يبتغى الغنى » .
(٤) مثل القناة فى الضمر . وفى الأصل : « مثل العنان » وروجه، من الديوان .

٥٤ (فَبِتُّ وَإِنَّمَا أَلْقَى خَيَالًا كَمَنْ يَلْقَى الْأَسِنَّةَ والصِّعَادَا)

التبريزى : الصِّعاد : جمع صَعْدةٍ ، وهى قَناةٌ تنبتُ لا عُقَدَ فيها ، ولا تبلغ أن تكون رُمحا . قال الأفوهُ الأودِىُّ :

فارسٌ صَعْدَتُه مسمومةٌ تَخْضب الرُّمْحَ إذا طارَ الغُبَارُ

وقد شبَّهوا المرأة بالصَّعْدة . قال الشاعر :

وثَدْيانِ كالحُقَّيْنِ فى صدر صَعْدةٍ تمكَّن فيها الحُسْنُ فاعتمَّ واعتدلْ

والمعنى أنى لمّا بِتُّ وعلىَّ سلاحٌ وتحتى سلاحٌ ، كنتُ أرى الخيالَ وكأنّما ألقَى الأسِنَّة لِمَا كانَ معي من السِّلاح .

البطليوسى : يقول : بِتُّ وتحتى سلاحٌ وفوقى سلاح ، فكأنّى أُريد لِقاءَ الأسِنَّة والأبطال ، وأنا لا ألقَى شيئًا غيرَ ما أراه فى نومى من الخيال . والأسِنّة : شَفَراتُ الرِّماح ، واحدها سِنانٌ . والصِّعاد من القنوات : المعتدلةُ ، واحدتها صَعْدة .

الخوارزمى : كأنّ قامته الصَّعْدةُ ، وهى القَناة النابتة مستقيمةً ، وجمعُها صِعَادٌ . يقول : بِتّ مُتَرِّسًا مُدَّرِعًا كأنى بمرصَدٍ من القِتال ، وإن كنتُ لا أترصّد سوى الخيال .

٥٥ (وأَطْلَسَ مُخْلِقِ السِّرْبالِ يَبْغِى نَوافِلَنَا صَلَاحًا أَوْ فَسَادَا)

التبريزى : الأطْلَسُ ها هنا : الذِّئب . والطُّلْسةُ : غُبْرةٌ إلى سَواد . وقوله « صلاحًا أو فسادًا » يعنى أنه إذا رُمِىَ إليه شىء فأخذه فهو صلاحٌ ، وإن لم يُرْمَ إليه شىء فربّما فَرَس فهو فساد .

البطليوسى : الأطلس : الأغبر اللون، يعنى ذئبًا استضافه . وأراد بالسِّربال ما عليه من الوَبَر . وجعل سِرباله مُخَلَّقًا لبؤسه وتمعُّط وَبَره . ويبغى : يطلب . والنوافل : العطايا التى لا تجب على مُعطيها . وإنما يصف أنه نزل فى فلاةٍ مُجدبة لا شىءَ فيها ، فالذئب يلتمس فيها ما يأكله فلا يجده ، فهو يتعرض للمسافرين، ولا يُبالى بما عاد عليه من صلاح أو فساد، لشدّة جوعه .

الخوارزمى : سيأتى .

٥٦ (كأنّى إذ نَبَذْتُ لهُ عِصامًا (١) وهَبْتُ لهُ المَطِيّةَ والمَزادا)

التبريزى : العِصام : ما يُشَدّ به فَمُ القِربة ، وربّما كان من جِلْد . والجلد مما يأكله الذئب .

البطليوسى : العِصام : ما يُشَدُّ به فم القربة من شِراك أو خيط . يريد أن الذئب طَرَقه جائعًا، فرمى إليه الشِّراك الذى كان يشدّ به فم قِرْبته ، ففرح بذلك كفرحه لو وهبت له المطيّة والمزادَ . وهذا كقول تأبّط شرًّا :

وَوادٍ كجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ قطعتُه ... به الذئبُ يَعْوِى كالخَليعِ المُعَيَّلِ (٢)
طرحتُ له نَعْلًا من السِّبْتِ طَلَّةً ... خِلافَ نَدًى من آخر الليلِ مُخْضِلِ
فوَلَّى بها جَذْلانَ يَنْفُضُ رأسَه ... كصاحبِ غُنْمٍ ظافرٍ بالتمَوُّلِ

الخوارزمى : سيأتى .

٥٧ (وبالِى الجِسْمِ كالذَّكَرِ اليمانِى أَفُلَّ بِهِ اليَمانيةَ الحِدادا)

التبريزى : يعنى بعيرًا صُلْبًا، شبهه بالسيف، أو صاحبًا له هذه صفته .

(١) فى البطليوسى : « وهبت » .
(٢) هذا البيت يروى أيضا فى معلقة امرئ القيس .

البطليوسى : يعنى رجلًا قد بَلِى جسمُه وأنضاه السفر، شبّهه بالسيفِ الذكَرِ اليمانى فى مَضَائه ونفوذه . وأفُلَّ : أُكْسِر وأُغْلِب . وذَكَّرَ السيوفَ اليمانية وهو يريد أصحابَها .

الخوارزمى : قوله : « وأطلسَ » معطوفٌ على « أُناس » فى « تذكَّرت البداوة فى أُناس »(1) . وكذلك قوله « وبالى الجسم » معطوف على « أطلس » كأنه قال : تذكَّرتُ البداوة بين قومٍ كرام، وذئبٍ أغبر(2)، وجَمَّالٍ مُجِدّ . الطُّلْسة : غُبْرةٌ إلى سواد . والمراد بالأطلس هو الذئب . وقوله «مُخْلَق السِّربال» أى هو مهزول عارٍ من اللحم . ألَا ترى إلى قوله(3) :

* إذا راحَ فَحْلُ الشَّوْلِ أحدَبَ(4) عَارِيَا *

كيف وصفَ بالعُرْىِ الهزيلَ . « يبغى * نواقلنا صلاحا أو فسادا » إنهم إذا أرادوا [أن] يصفوا جدوبة المكان قالوا بأن الذئب فيه يتصدَّى ويسأل، من الغذاء مابه يتعلَّل . وعليه بيت السقط :

والذئبُ يسألنا الشِّراكَ ودونَه ... طَيَّانُ أشعثُ كالفقيرِ البائسِ(5)

وقال المُرَقِّش :

ولمَّا أضأْنا(6) النارَ عنـد نُزولنا ... عَرَانا عليها أطلسُ اللَّوْنِ بائسُ

(1) انظر البيت التاسع والثلاثين من هذه القصيدة .
(2) فى الأصل : « ذوائب غبر » تحريف .
(3) هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد، كما فى الحماسة (١ : ٤٥٤) .
(4) فى الأصل : « أحدث » تصحيف . وصدر البيت كما فى الحماسة :
* لنعم الفتى أدى ابن صرمة بزه *
(5) البيت التاسع من القصيدة الثانية عشرة ص ٤١٠ .
(6) فى الأصل : « أضا » تحريف . والأبيات من قصيدة لمرقش الأكبر . انظر المفضليات (٢ : ٢٦) .

نبذتُ إليـه فِلْذةً من شوائنا * حياءً وما يُخشَى على من أُجالسُ (١)

فآض بها جذلانَ ينفُض رأسَه * كما آضَ بالنَّهْبِ الكَمِيُّ المُخالِسُ (٢)

وقال الكميت :

ومُسْتَطْعِمٍ يُكْنَى بغيرِ بَنَاتِه * جعلتُ له حظًّا من الزاد أوفَرَا

يريد أنه يُكْنَى بأبى جَعْدَة وأبى جَعادة، وليست له بنتٌ تسمّى ذلك . يقول : إنّ الذئب يبغى منّا غذاء ، فإن أرضيناه وإلا بغى علينا . ومرّ بى فى طبائع الحيوان أنّ فى بعض النواحى ذئاباً ترصُد صيّادى السّمك ، فيلْقُون لها من الصّيد شيئا وإلّا قطعت المَصايد حين تُبسَط . العِصام : مايُشَدّ فمَ المزادة والقِربة . واشتقاقه من العِصمة . عَنَى ببالى الجسم صاحبًا قد براه كثرةُ السّفر، حتّى عاد كاليمنىّ الذّكَر .

٥٨ ﴿طَرَحْتُ لَهُ الوَضِينَ فَخِلْتُ أَنِّى طَرَحْتُ لَهُ الحَشِيَّةَ والوِسَادَا﴾

التبريزى : الوضين : حِزام الرَّحْل . والحَشِيّة : الفِراش المحشوّ . والأجود أن يكون المراد به صاحبًا له . وهـذا البيت يدلّ عليه ، وإن كان فيه شبهة اللّغز بالوَضين ، لأن الوضين لا يستعمل إلّا فى حزام الرحل ، فكأنّه أراد : طرحتُ لصاحبى الوضين ، لآمره (٣) بشدّ الرّحْل والمَسير ، فكان ذلك عندهُ كالنّوم على الفراش ، لسهولة المسير عليه .

البطليوسى : الوضين : بِطانٌ عريضٌ منسوج من سُيور ؛ قال الراجز :

* جاءتك تَهـوِى حَرِجًا وَضِينُها (٤) *

---

(١) فى المفضليات : « حزة » و « وما لحشى » مكان : « فلذة » ، « وما يخشى » .

(٢) ويروى : « المحالس » بالحاء المهملة . وقد رجحها ابن الأنبارى فى شرح المفضليات . والمحالس : الشديد الذى لا يبرح مكانه . (٣) فى ا : « لا من » تحريف .

(٤) الحرج : الجائل القلق . وقد حرج حرجا : قلق واضطرب .

والحشيّة : الفِراش والوسادة . ووقع فى النسخ : «نخلت» ، والوجه : «نخال أنى» . يصف رجلًا سار حتّى أضعفه السّفَر وأبلى جسمَه ، فلمّا عَرّسوا للرّاحة رمَى إليه وضِينَ رَحْلِه لينام عليــه ، فظنّ أنّه قد رمى إليه بحشيّة ووسادة ، لحُسْن موقعه منه ، وأنّه أغناه عن توسُّد ذراعيه ؛ كما قال الحُوَيْدِرة :

عَرّسْتُه ووِسادُ رأسِى ساعِدٌ * بادى النواشر لحمُــه لم يَدْسَــعِ[1]
فرَفَعْتُ عنــه وهو أحمرُ فاترٌ * قد بانَ عَنّى غيرَ أنْ لم يُقطَعِ

الخــوارزمى : وضين المودج ، مثل النِّسْع . طَرَح له حشيّة ولهم حشايا ، وهى الفُرُش المحشوّة ؛ كذا ذكره فى أساس البلاغة . يقول : أجلست ذلك الصاحبَ على نِسع المطيّة ، نخِلْتُ لنَكَدِ حاله أنّى أجلستُه على الحشيّة . وهــذا البيت شاهدٌ على أنّ المراد ببالى الجسم صاحبٌ بدوىّ .

٥٩ (وَلِى نَفْسٌ تَحُلُّ بِىَ الرَّوَابِى وَتَأْبَى أَنْ تَحُلَّ بِىَ الوِهَادَا)[2]

التــبريزى : الرَّوابى : جمع رابية . والوِهاد : جمع وَهْد ، والوهد : هو المطمئنّ من الأرض . والرابية ضدّها .

البطليــوسى : الروابى : المواضــع المرتفعة ، ضَرَبها مثلًا لمعــالى الأمور . والوِهاد : المواضع المنخفضة ، ضربَها مثــلًا لخسائس الأمور . والأَنَفةُ : الحميّة ، وعِظَمُ الهمة عن فعلِ مايَشِينُ من الأمور . و يقال أيضا : أَنَفٌ ، بغير هاء ؛ قال الشّاعر :[3]

---

(١) فى اللسان مادة (دسع) وفى المفضليات (١ : ٤٥) : « خاظى البضيع عروقه لم تدسع » . دسع : امتلا .

(٢) البطليوسى : « وتأنف أن تحل » .

(٣) البيت التالى من أبيات لرجل من بنى عبس . انظر الحيوان (٣ : ٨٧) .

وذَلِكُمُ أن ذُلّ الجارِ حالَفَكم * وأنّ أُنفكم لا تعرِف الأَنَفا

الخوارزمى : سيأتى .

٦٠ ﴿تَمُدُّ لِتَقْبِضَ القَمَرَيْنِ كَفًّا   وَتَحْمِلُ كَىْ تَبُذَّ النَّجْمَ زَادَا﴾

التبريزى : ...

البطليوسى : القمران : الشّمس والقمر ، وتبذّ : تغلب ، وهذا كقول أبى الطيّب :

يَرمِى النُّجومَ بعينَىْ مَنْ يُحاوِلُها * كأنّها سَلَبٌ فى عين مسلوبِ

الخوارزمى : الرواية « تقبض » بالضاد المعجمة ، « كفا » منصوب على أنه مفعول « تمدّ » ، و « زادا » منصوب على أنه مفعول « تحمل » ، والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .

[القصيدة الثامنة عشرة]

وقال أيضا فى الطويل الثالث والقافية من المتواتر[1] .

١ (لَقَدْ آنَ[2] أنْ يَثْنِي الجَمُوحَ لِجَامُ   وَأَنْ يَمْلِكَ الصَّعْبَ الأَبِيَّ ذِمَامُ)

التبريزى : الجَموح ، من جمح الفرسُ ، إذا غَلَب فارسَه على رأسه ، و(يَجْمَحُونَ) فى القرآن ، فسّروه : يُسْرِعون . وهو راجعٌ إلى المعنى الأوّل .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الجَموح من الأفراس : له معنيان ، أحدهما ذمّ ، والآخر مدح . أمّا الذمّ فهو أن يَركبَ رأسَه لا يَثنيه شىءٌ ، وهذا كثير . وأمّا المدح فكقول امرئ القيس :

جَموحًا مَرُوحًا وإحضارُها   كمَعْمَعةِ السَّعَفِ المُوقَدِ

والمراد فيما نحن بصدده الذمّ .

٢ (أَيُوعِدُنَا بِالرُّومِ نَاسٌ وَإِنَّمَا   هُمُ النَّبْتُ والبِيضُ الرِّقَاقُ سَوَامُ)

التبريزى : البيض الرِّقاق : السيوف . يريد أنّ السيوف تأتى عليهم كما تأتى السَّوامُ على النبات .

البطليوسى : يقال : آن الشىء يئين ، وأَنَى يَأْنِى ، إذا حان . والجَموح من الخيل : الذى لا يُقْدَر على مَنْعه من الذّهاب . يقول : فى هذه الوقعة التى كانت على الرُّوم ما يكفّ جِماحَهم ، ويردُّ طِماحَهم . وهذا نحوُ قولِ أبى تمّام :

---

(١) هذه عبارة التبريزى والخوارزمى . وفى البطليوسى : «وقال يصف وقعة كانت للمسلمين على الروم بموضع يعرف بالروج قريب من المعرّة . وكان رئيس المسلمين بنجوتكين التركى فى أيام العزيز بالله» .

(٢) فى الخوارزمى : « أما آن » .

قُدِعْتُمْ فَمَشَيتُمْ مِشْيَةً أَمَمًا كذاك يحسن مَشْىُ الخيلِ فى اللُّجُمِ

ونحوه قولُ أبى الطيّب :

فأقرحتِ المَقاوِدُ ذِفْرَيَيْها وصَعّر خَدَّها هـذا العذارُ

والإيعاد والوعيد : التهديد . والسُّوامُ : المـال السارحُ فى المرعَى .

الخـوارزمى : قد بيّن الجُموحَ والصُّعوبةَ فى هذا البيت .

٣ (كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ المَخَاضِ وَحَارِمٍ كَتَائِبُ يُشْجِينَ الفَـلَا وَخِيَامُ)

التـبريزى : المَخَاض : نهرٌ يُخاض، فى الأرض التى تعرف بالرُّوج[1] ، وهى قريبةٌ من معرّة النُّعمان . والتقى فى هـذا الموضع عسكران، أحدهما للسلمين، وأمير العسكر الذى للسـلمين بَنْجُوتَكِين التُّركى، الذى اصطنعه أبو منصور نِزارٌ، الملقّب بالعزيز بن مَعَـدٍّ[2] الملقّب بالمُعِزّ، فتقاتَلَ العسكران والمَخاض بينهما ، ثمّ عبَر المسلمون إليهم، فانهزموا . وحارِم: بلد قريب من أنطاكيَة . وقوله «يُشجين» ، أى يُغْصِصْنَ .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : المخاض : نهر بالقرب من مَعَرّة النعمان . حارِم : مدينة قريبة من أنطاكية، كانت بهـا وقعـة بين الرُّوم والمسلمين ، فانهزم الرّوم . أشجاه، من الشجا، وهو ما ينشَب فى الحَلْق من عَظْمٍ أو غيره .

٤ (وَلَمْ يَجْلِبُوها مِنْ وَرَاءِ مَلَطْيَةٍ تُصَدِّعُ أَجْبَالٌ بِهَـا وَإِكَامُ)

التـبريزى : الهـاء فى «يجلبوها» راجعةٌ إلى الخيل، ولم يتقدّم لها ذكر ؛ وذلك كثير موجود إذا كان السامع يعلم المراد، ومنه قول النابغة الذبيانىّ :

---

(١) فى الأصل : « بالبروج» . والروج ، بالضم والجيم : كورة من كور حلب فى غربيها بينها و بين المعرة . أنظر مراصد الاطلاع ومعجم البلدان . (٢) فى الأصل : «بالعزيز بن أسعد» تحريف .

يُقَذْنَ مع آمرئٍ يَدَعُ المُوَيْقَى ... ويَعْمِد للمُلِمَّاتِ العِظَامِ[1]

وملطية، فتحها المسلمون فى زمان الصَّحابة، ثم غلب عليها الرُّوم بعد سنة[2] ثلاثمائة[3].

البطليوسى : المَخاض : نهر يُخاض، قريبٌ من المعرّة، بأرض تعرف بالرُّوج. وحارم : بلدٌ قريب من أنطاكية. وكان التقى بهذا الموضع عسكر المسلمين وعسكر الروم، فتقاتل الفريقانِ والمخاضُ بينهما، ثم عَبَر المسلمون إليهم النَّهْرَ فانهزموا. والكتائب : العساكر. ويُشْجِين : يملأن، وهو من قولهم : شَجِى باللُّقمة، إذا اختنق بها[4]. والفلا : جمع فَلَاة. أراد أنَّ الكتائبَ لكثرتها ملأت الفَلَوات، فصارت كالمختنقة بها؛ كما قال أوس بن حَجَر :

ترى الأرضَ منّا بالفَضاء مَرِيضةً ... مُعضَّلةً منّا بجمعٍ عَرَمْرَمِ[5]

ومَلَطْية : بلدٌ من بلاد الروم، وهى التى ذكرها أبو الطيّب فى قوله :

وكُرّتْ فمرّت فى دماءِ مَلَطْيةٍ[6] ... مَلَطْيةُ أمٌّ للبنينَ ثَكُولُ

والإكام : الكُدَى.

الخوارزمى : الضمير المنصوب فى «لم يجلبوها» للكتائب. مَلَطْية : على طرف [بلاد] الروم، وهى مشدّدة، خفّفها أبو العلاء ها هنا[7]. وعلى التخفيف قول أبى الطيب :

* مَلَطْية أمٌّ للبنينَ ثكولُ *

(١) البيت من قصيدة فى ديوانه ص ٧٥ من مجموع خمسة دواوين العرب. والرواية فيه : « للهمات العظام ». (٢) ملطية (بفتح أولها وثانيها وسكون الطاء وتخفيف الياء، والعامة تقوله بتشديد الياء وكسر الطاء) : بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام. (٣) فى ب : «بعد ثلاثمائة سنة».

(٤) فى أ : « الحشر ». (٥) يقال : عضل بهم المكان، إذا ضاق.

(٦) فى أ : « من وراء » وفى ب : « فى ديار ». والصواب من الديوان.

(٧) انظر الحاشية الثانية من هذه الصفحة.

والمصراع الثانى كنايةٌ عن اشتداد تلك الكتائب وكثرتها ، وهى فى محلّ النّصب على الحال من الضمير المنصوب فى « لم يجلبوها » .

٥ ﴿كَتَائِبُ مِنْ شَرْقٍ وَغَرْبٍ تَأَلَّبَتْ(١) فُرَادَى أَتَاهَا الْمَوْتُ وَهْىَ تُؤَامُ﴾

التبريزى : تألَّب القوم، إذا تحـزّبوا وأعان بعضُهم بعضا ؛ ويقال : هم أَلْبٌ علينا ، أى حَرْبٌ(٢) . وهذا البيت يُرْوَى لكعبِ بن مالكٍ الأنصارىّ يخاطب النبىَّ صلى الله عليه وسلم :

النّاس أَلْبٌ علينا فيكَ ليس لنـا إلّا السيوفَ وأطرافَ القَنا وَزَرُ

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٦ ﴿غَرَائِبُ دُرٍّ جُمِّعَتْ ثُمَّ ضُيِّعَتْ وَقَدْ ضَمَّ سِلْكٌ شَمْلَهَا وَنِظَامُ﴾

التبريزى : يعنى أنّ هـذه الكتائبَ جُمّعتْ ثم ضُيِّعت . يعنى تَفَرُّقَهم وانهزامَهم . واشتقاق «الكتيبة» من قولهم : كتبت الشىءَ، إذا جمعته . ومنه : كتبتُ البغلةَ، إذا جمعتَ بين شـفْرَيها بحَلْقة ؛ ومنه الكُتَب : الخُرَز ، واحدتها كُتْبة، لأنّها ضمُّ شىءٍ إلى شىء .

البطليوسى : تألّفت : تجمّعت . وفُرادَى : جمع فَرْد ، على غير قياس؛ كأنّه جمع فَرْدان ؛ وليس بمستعمل . وتُؤام : جمـع توءم . يقول : جاءتها المَنايا حين اجْتمعتْ بهذا الموضع . وهو نحوٌ من قول أبى الغُول الطُّهَوىّ :

هُمُ مَنَعُوا حِمَى الوَقَبَى بضَرْبٍ يؤلّف بين أشـتاتِ المَنُونِ

(١) فى البطليوسى : « تألفت » .

(٢) فى ا ، حـ : « حزب » بالزاى المعجمة ، وكلاهما صحيح .

فى بعض الأقوال . ثم شبّه الكتائب فى اجتماعها وافتراقها بعد ذلك بدُرٍّ نُظِم ثم ضُيّع ولم يُحفَظ، فانقطع سِلْكه وافترق .

الخوارزمى : يقول : تلك الكتائبُ كانت نُخبةَ البلاد، ونُقاوة النّاس، جُمِعتْ ثم ضيِّعت، فهم بمنزلة لآلئَ نُظمت ثم نُثرتْ .

٧ (بيَوْمٍ كأنَّ الشَّمْسَ فِيهِ خَريدَةٌ عَلَيْهَا مِنَ النَّقْعِ الأَحَمِّ لِثَامُ)

التبريزى : خريدة : امرأة حييَّة . والنقع الأحمّ : الغُبار الأسود .

البطليوسى : سياق .

الخوارزمى : أسود أحمُّ ويحموم .

٨ (كأَنَّهُمُ سَكْرَى أُرِيقَ عَلَيْهِمُ بَقَايَا كُؤوسٍ مِلْؤُهُنَّ مُدَامُ)

التبريزى : يعنى الذين صُرِعوا فى المعركة، شبّههم بالسّكْرَى .

البطليوسى : الخريدة : الجارية الشديدة الاستحياء . والنّقع : الغُبار . والأحمّ : الأسود . واللّثام : ما يُستَر به الوجه . أراد أنّ الغبار ملأ الأُفُقَ، وستَر ضوءَ الشّمس، فكأنّ عليها لثامًا من الغبار .

الخوارزمى : يقول : تَراهُمْ صَرْعَى مضرَّجين بالدّماء، كأنّهم سُكارى، صُبَّ عليهم ما أساروه من الصّهباء. وفى كلام أبى النّصر العُتْبىّ : «ونَشِبتِ الحربُ بينهم أيّامًا وِلاء، وأُديرت عليهم كؤوس الطّعن والضّرب مِلاءً، حتّى سكر الفريقان، من سَورة الطِّعان» .

٩ (فَأَضْحَوْا حَدِيثًا كالمَنَامِ، ومَا انْقَضَى فَسِيَّانِ مِنْهُ يَقْظَةٌ ومَنَامُ)[2]

التبريزى : سِيّانِ، أى مِثلان . يقول : الشىء المنقضى يستوى فيه اليقظة والمنام .

(١) ذكر التبريزى فى شرح هذا البيت وجوها ثلاثة (انظر شرح الحماسة ص ١٤ ين) .

(٢) التبريزى : «فسيان فيه» وفى البطليوسى : «فمثلان منه» .

البطليوسى : يقول : أمرُهم يُشبه حالَ النوم، لعدَمهم بعد وجودهم ؛ ويُشبه حالَ اليقظة، لما بقى من ذِكرهم بعدَهم؛ لأنّ ما بقى ذِكره ولم ينقطع، فهو كالموجود وإن عُدِم . ولذلك قال أبو الطيِّب :

ذِكْرُ الفتى عُمْرُه الثانى وحاجتُه ما قاتَه وفُضولُ العَيْش أشغالُ

الخوارزمى : أى فسيّانِ من رؤيته يَقَظَتُك ونومُك . يعنى لا يمكنك أن تَرَاه فى اليَقَظة والنوم إلّا تخيُّلا .

١٠ (مَحَلٌّ بأَرْضِ الشّامِ يَطْرُدُ أَهْلَهُ وَلٰكِنَّهُمْ عَمّا يَقُولُ نِيامُ)

١١ (وَقَدْ تَنْطِقُ الأَشْياءُ وَهْىَ صَوامِتٌ وَمَا كُلُّ نُطْقِ المُخْبِرِينَ كَلَامُ)

التبريزى : هذا تفسيرُ البيتِ الذى قبله، والبيت الذى بعده يزيده إيضاحًا .

البطليوسى : يقول : هذا المحلُّ فيه دلائل تدلُّ من اعتَبر بها على أنّ أهلَه سيُخْرَجون عنه، ولكنّ أهلَه نيامٌ عن الاعتبار بتلك الدّلائل . وقوله: « وقد تنطق الأشياء وهى صوامت » يريد أنّ ما فى الشىء من دلائل الاعتبار يجرى مجرى الكلام والنُّطق، وإن لم يكن له صوتٌ يُسمَع . وهذا مذهبٌ قد اتّفقت عليه الحكماءُ من العرب والعجم ؛ ولذلك قال عنترة :

* يا دارَ عَبْلةَ بالجِواءِ تَكلَّمِى *

وقال زُهَيْر :

* أمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكلَّمِ *

وقد تقدّم نحوُ هذا فيما سلَف من كتابنا هذا .

الخوارزمى : عنى « بالمحلّ » بقعةً فى أيدى الرُّوم كانوا يسكنون بها . أنشدنى بعض المتعلّمة للفاضل أبى العلاء ، من جامع الأوزان :

إنْ كان قد نَطَقَ البليغُ ولم يَعِظْ أحدًا فقد وَعظَ الزّمانُ وما نَطَقْ

وقيل للنظّام : ماالأمور الصامتة الناطقة؟ فقال: "الدّلائل المُخبِرة ، والعِبرُ الواعظة" يقول : تلك البُقعة تَعِظ أهلَها لو اتّعظوا ، وتنصحُهم لو انتصحوا ، فتقول : لا تستوطنونى ، فإنّ مَنِ استَوطننى قُتِل ، وفُعِل به اليوم ما فى الأمس فُعِل .

١٢ (كَفَى بِخِضَابِ الْمَشْرَفِيَّةِ مُخْبِرًا بأنّ رُءوسًا قَدْ شَقِينَ وَهَامُ)

التبريزى : هامٌ : جمع هامة . وارتفاعه بفعل يدلّ عليه « شقين » ؛ كأنه قال : وشَقِيتْ هامٌ . ويجوز أن يكون معطوفًا على الضمير فى « شَقِين » .

البطليوسى : كذا وقع فى بعض النسخ . والرءوس ، هى الهام بأعيانها . وهى تحتمل عندى وجهين : أحدهما ، أن يريد رءوس القوم ، وهم رؤساؤهم وأكابرهم ؛ والثانى ، أن يكون الهام جمع هامة ، وهى طائر كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل إذا لم يُؤخَذْ بثأره ؛ فيصيح : اسقونى ، اسقونى ! حتّى يُقتَلَ قاتلُه . وإنّما كانوا يقولون ذلك حضًّا على طلب الثأر . قال ذو الإصبع العَدْوانىّ :

يا عمرُو إلّا تدَعْ شَتْمِى ومَنْقَصتِى أضرِبْك حتّى[1] تقولَ الهامةُ اسقُونِى

فأراد أنّ الرءوس شَقِيت بالقَطع ، وشقيت هامُها بكثرة الصِّياح لامتناع الثّأر من أن يُدرَك .

(١) فى ب من البطليوسى : « حيث تقول الهامة » وهى رواية المفضليات (١ : ١٥٨ ، ١٦١) .

الخـــوارزمى : قوله : «وهام» عطف على الضمير المتّصل فى «شقين» . ومثله قولُ عمر بنِ أبى ربيعة :

* قُلتُ إذ أقبلتْ وزُهْرٌ تَهادَى[(١)] *

ألا ترى أن قوله «وزُهْرٌ» معطوفٌ على الضمير المستكنّ فى «أقبلت» . وهذا من ضرورات الشـعر . فإنْ قلت : لم لا يجوز أن يكون العطفُ هاهنا بمنزلة العطف فى قول جرير :

إنّ الخلافةَ والنبوّة فيهـــمُ والمكرماتُ وسادةٌ أطهارُ

قلتُ : لا يجوز هاهنا ذلك ، لأنّ كونَ «إنّ» مع اسمها مرفوعةُ المحلّ ، من خصائص المكسورة ، لا المفتوحة . وخضابُ المشرفية مع شقاء الرءوس إيهام .

١٣ (فإنْ قَعَدَتْ عَنْهُ الحَوَادِثُ حِقْبَةً فَهَاهِيَ فِيمَا لَا يَشَاءُ قِيَامُ)

التـــبريزى : عنه ، أى عن المحلّ . وحقبة : دهرٌ طويل . أى إن قعـدَتْ عن هذا المحلّ الحوادثُ دهرًا ، فقد قامت بمـا يكرهه .

البطليـــوسى : ســيأتى .

الخـــوارزمى : الضمير فى «عنه» و«يشاء» : للمحلّ ، وفى «هاهى» للحوادث .

١٤ (مَضَى زَمَنٌ والعِزُّ بَانٍ رِوَاقَــهُ عَلَيْهِ وَسَيْفُ الدَّهْرِ عَنْهُ كَهَامُ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : الضمير فى قوله « عنـه » يرجع إلى المحلّ الذى تقدّم ذكره . يقول : إن كانت الحوادثُ قد قَعَدَتْ عن هـذا المحلّ مدّةً من الزّمان ولم تَتعرّضْ

---

(١) تمـامه : * كنعاج الفـلا تعسفن رملا *

له بمكروه، فقــد قامت الآنَ تطلبُــه ، وكلُّ ما طلَبــه الدّهرُ فلا بدّ من هلاكه . والكَهام من السيوف : الذى لا يَقْطَع ، وهو الكَهِيم أيضا .

الخــــوارزمى : ... ...

١٥ (وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا دَوْلَةٌ ثُمَّ صَوْلَةٌ وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا صِحَّـةٌ وَسَقَامُ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : البيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقدّم .

١٦ (زَمَانَ قَرَوْا بِالْمَشْرَفِيِّ ضُيُوفَهُمْ مَـآلِكَ قَـوْمٍ وَالْكُمَاةُ صِـيَامُ)[1]

التـــبريزى : قَرَوهم : أضافوهم . والمآلك[2] : جمع مألَكة ومألُكة ، وهى الرِّسالة . والكُماة صِيام، أى قيام . وأصل الصَّوم الإمساك والقيام، قال النابغة :

خيلٌ صِيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ تحتَ العَجاجِ وخيلٌ تَعْلُكُ اللُّجُما

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : « زمانَ قَرَوْا » : منصوبٌ على العنـاية ، يريد أعنى بذلك الزمنَ الذى مضى ، زمانَ قَرَوا . الرواية فى أكثر النسخ : « ممـالك » بميمين ، وهو الصواب . يقول : كانوا من الإغارة على الأطراف، يتّخذون قِرَى الأضياف . فإن قلت : كيف يكون الكُماة صياماً زمانَ القِرى، إنّما كونُهم كذلك وقتَ الحرب؟ قلتُ : المراد «بزمانَ قَرَوا» زمانَ تدنَّوا من القِرى، وهو زمانُ الإغارة على الممالك، وعليه بيت السقط :

أشْـعِرِيها بَدِيلَ كُرَّتِها المِسْـ ـكَ إذا ما الدُّعاء صارَ كَرِيرا[3]

والقِرَى مع الصِّيام إيهام .

(١) التبريزى والتنوير : « مآلك قوم » . وفى البطليوسى : « والملوك صيام » .

(٢) هذا بناء على روايته التى سبقت الإشارة إليها . (٣) البيت ٢٧ من القصيدة ٧٩

١٧ (فَلَوْ دَامَتِ الدَّوْلَاتُ كَانُوا كَغَيْرِهِمْ رَعَايَا وَلٰكِنْ مَا لَهُنَّ دَوَامُ)[١]

التـــبريزى : رعايا : جمع رعيّة . أى لو رضُوا أن يكونوا رَعيّةً لمّا ذهبتْ دَوْلتهـــم .

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : قوله «كغيرهم» خبر كان . ورعايا : عطفُ بيانٍ للكاف .

١٨ (وَرَدُّوا إِلَيْكَ الرُّسْلَ وَالصُّلْحُ مُمْكِنٌ وَقَالُوا عَلَى غَيْرِ الْقِتَالِ سَلَامُ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : القِرَى : الضيافة؛ وهى هاهنا استعارة، لأنّ المشرقىّ لا يُقْرَى به . والضمير فى «قَرَوا» : يرجع إلى أهل «المحلّ» الذى تقدّم ذكره . يقول : قد كان لأهل هـذا المحلّ عِزٌّ وظُهور على الملوك ، ولكنّ الدهر له دَولة ثم صَولة ، وعِزّة ثم ذِلّة ؛ لا يدوم على حال ، ولكنّه وشيكُ الانتقال . والضمير فى قوله : « وردّوا إليك الرسل » مخاطبةٌ للعزيز بالله . يقول : لو شاء الله دوامَ دَولتهم ، وبقاءَ عزّتهم ، لكانوا رعاياك ، ولراسلوك طالبين للصُّلح منـك ؛ ولكنّ مخالفتهـم لأمرك ، هى التى تُذهب عزّتهم ، وتستأصل دولَتهم .

الخـــوارزمى : «ردّوا» عطف على «قروا» . يريد أنّهم لم يصالحوك مع إمكان الصُّلح . السلام هاهنا ، للتاركة . وعليه قول البحترىّ :

أُعاتِبُ الدّهرَ فيما جاء واحدةً ثمّ السَّـلامُ عليـه لا أُعاتبُـه[٢]

---

(١) الخوارزمى والديوان المخطوط والتنوير : « ولو دامت » .

(٢) فى هامش الخـــوارزمى عن نسـخة أخرى : « أعاتب المرء » . وهى رواية الديوان (١ : ٣٩) .

١٩ (فَلَا قَوْلَ[1] إلّا الضَّرْبُ والطَّعْنُ عِنْدَنَا   وَلَا رُسْلَ إلّا ذَابِلٌ وَحُسَامُ)

التـبريزى : يقولَ : مالَهم عندَنا بعدَ الرُّسل إلّا قصدُهم وقتالُهم .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : هذا أيضًا داخلٌ فى جملة ما قالوا .

٢٠ (فَإنْ عُدْتَ فَالمَجْرُوحُ تُوسَى جِرَاحُهُ[2]   وَإنْ لَمْ تَعُدْ مِتْنَا وَنَحْنُ كِرَامُ)

التـبريزى : تُوسَى : تُدَاوَى . يقال : أَسَوْتُ الجُرحَ آسُوه أَسْوًا، إذا أصلحتَه . والآسِى : الطبيب . وقوله « وإن لم تَعُدْ متنا ونحن كرام » أى لنا بِكَ أسوة، لا نُفارقك على أىِّ حالةٍ كنت .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : سـيأتى .

٢١ (فَلَسْنَا وَإنْ كَانَ البَقَاءُ مُحَبَّبًا   بِأَوَّلِ مَنْ أَخْنَى عَلَيْهِ حِمَامُ)

التـبريزى : يقال : أخنى عليهم الدهر، أى أهلكهم[3] . قال النابغة يصف الـدّار :

أَضْحَتْ خَلاءً وأَضحى أهلُها[4] احْتَمَلُوا   أَخْنَى عليها الذى أَخْنَى على لُبَدِ

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : هـذا أيضًا من جملة قولهم . يقول : كانوا يقولون : أَبَيْنا أن نُعطيك أَبينا، فإنْ رجعتَ عنّا أصلَحْنا جروحَنا وداوَينا، وإن كان لك على الحرب دوام، قُتِلنا ونحن كرام . والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .

(١) أ من التبريزى : « فلا القول » .
(٢) أ من التبريزى والخوارزمى : « يوسى جراحه » .
(٣) أ من التبريزى : « أخنى عليه الدهر أى أهلكه » .
(٤) فى حـ : « وأمسى أهلها » .

٢٢ (وَحُبُّ الفَتَى طُولَ الحَيَاةِ يُذِلُّهُ   وَإِنْ كَانَ فِيهِ نَخْوَةٌ وعُرَامُ)

التبريزى : النّخوة : الكِبْر . والعُرام : الشِّرَّة .

البطليوسى : الذابل : الرمح الذى قد ذهبت عنه الرُّطوبة ، فاشتدّ وصَلُب . والحُسام : السيف القاطع . وتُوبَى : تُطَبّ . والآسِى : الطبيب . يقول : إنْ عدتَ إلى ما كنتَ عليه من المسالمة ، فالأمر قد يُتدارَك إصلاحُه بعد فساده ؛ وإن أبيتَ إلّا المحاربة ، لم نَجبُنْ عنك ، ولقيتَ منّا ما قد عهدتَه من كرم النفوس . وأخنَى : فسَد وأفسَد . والحِمام : الموت ؛ وحقيقته أنه جمع حُمّة ، وهى ما حَمّه الله ، أى قدّره وقضَى به . والنَّخوة : التكبّر . والعُرام : الشِّرَّة .

الخوارزمى : وهذا أيضًا تقرير لقوله : « وإن لم تعْدُ مُتنا ونحنُ كِرام » .

٢٣ (وَكُلٌّ يُرِيدُ العَيْشَ والعَيْشُ حَتْفُهُ   وَيَسْتَعْذِبُ اللَّذَّاتِ وَهْيَ سِمَامُ)

التبريزى : مثله قول الشاعر[1] :

يحبُّ الفتَى طولَ السّلامةِ والغِنَى   فكيفَ تُرَى طولُ السّلامةِ يَفعلُ

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا كبيت السقط :

ويُلْفَى المرءُ فى الدُّنيا صحيحًا   كحرفٍ لا يُفارقُه اعتلالُ[2]

وفى كلام أبى بكر الخوارزمى : « وعلمت أنّ ابنَ آدم ضعيفٌ منحلُّ التركيب ، دواؤه داؤه ، وبقاؤه فناؤه ، وأعضاؤه أعداؤه » . وقول حُميد بن ثور :

* وحَسْبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَمَا[3] *

وكثيرًا ما كان سيبويه يتمثّل بقوله :

(١) هو النمر بن تولب كما فى المعمرين ٦٣ والحيوان (٦ : ٥٠٣) . (٢) البيت الخامس من القصيدة التاسعة والستين . (٣) فى الأصل : « وتسقما » والوجه ما أثبتنا . وصدره كما فى الكامل ١٢٥ :

* أرى بصرى قد رابنى بعد صحة *

إذا بَـلَّ من داءٍ به ظَنّ أنّه نجا، وبه الداءُ الذى هو قاتلُهْ

وكُلّ ذلك مستفادٌ من قوله عليه السلام : «كفَى بالسَّلامةِ دَاءً» .

٢٤ (فَلَمَّا تَجَلَّى الأَمْرُ قَالُوا تَمَنِّيًا أَلَا لَيْتَ أَنَّا فِى التُّرَابِ رِمَامُ)

التـبريزى : رِمام : جمع رِمّة، وهى العظم البالى . وتجلّى الأمرُ : تكشّف .

يقول : لمـّا ظهر لهم حقيقةُ الأمر تمنّوا أنّهم كانوا من الأموات .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : اشـتقاق التمنّى من مَنَى الأمرَ يمنِى، إذا قدّره ؛ لأنّ المتمنِّى يقدِّر فى نفسه أشياء .

٢٥ (وَرَامُوا الَّتِى كَانَتْ لَهُمْ وَإِلَيْهِمُ وَقَدْ صَعُبَتْ حَالٌ وَعَزَّ مَرَامُ)

التـبريزى : أى طلبـوا السّـلم التى كانت الرُّسُـل سارت إليهـم فيهـا ، فـردُّوها .

البطليـوسى : الحَتْف : الموت . وسِمام : جمع سُمّ وسَمّ [وسِم] . وتجلّى : تكشّف . والرِّمام : العظام البالية، واحدها : رميم ؛ ويقال فى جمع رميم أيضا رِمّة، كما يقال صبىّ وصِبْية . ومعنى عزّ : تعذّر، من قولهم شىء عزيز، إذا قلّ وجوده . والمرَام : مصدر رُمْتُ الأمر، إذا عالجتَه .

الخـوارزمى : هذا كقول أبى الطيب :

* وتَطلبُ ما قد كان فى اليدِ بالرِّجْلِ[(١)] *

---

(١) صدره كما فى الديوان (٢ : ٢١٠) :

* فولت تريغ الغيث والغيث خلفت *

٢٦ (وظَنُّوكَ مِمَّنْ يُطْفِئُ البَرْدُ نارَهُ   إذا طَلَعَتْ عِنْدَ الغُرُوبِ جَهامُ)

التبريزى : أى ظنّوك ممّن إذا هَجَم عليه الشّتاءُ كَفّ عن قتالهم وانصرف . والجَهام : السحاب الذى هَراق ماءَه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٢٧ (وأنّكَ تَثْنِيها قُبالَةَ جِلِّقٍ   مَتَى لاحَ بَرْقٌ واسْتَقَلَّ غَمامُ)(١)

التبريزى : تَثْنيها ، أى تثنى الخيل . وجِلّق : يراد به دمشق ، وقيل موضع بقرب دمشق . وهو معرب . وقيل : إنّه صورة امرأة كان الماءُ يخرج مِن فيها ، فى قريةٍ من قُرى دمشق . و«استقلّ غمام» : ارتفع ، وذلك يكون فى الشتاء .

البطليوسى : الجَهام : جمعُ جَهامة ، وهى السّحابة التى هراقت ماءَها . وتثنيها : تعطفها وتَصرفها . وجلّق : موضع ، تفتح وتكسر لامه . ولاح : ظهر . واستهلّ : أمطرَ بصوت . وفى بعض النسخ « واستقلّ » بالقاف ، ومعناه : ارتفع . والغمام : السّحاب . يقول : حسبوا أن المطر يَثْنيك عن أسفارك ، وأنّ البرد يطفئُ حَرَّ نارك ؛ ولم يعلموا أنّ مثلك لا يبالى من المطر والبرد ، ولا يُردُّ عن وجهةٍ ولا قَصْد . والضمير فى « تثنيها » عائدٌ على الخيل .

الخوارزمى : سيأتى .

٢٨ (وقالُوا شُهُورٌ يَنْقَضِينَ بِغَزْوَةٍ   وما عَلِمُوا أنّ القُفُولَ حَرامُ)

التبريزى : القفول : الرجوع ، ومنه القافلة . قفل الجُنْد من مَبْعَثِهم ، أى رجعوا .

البطليوسى : سيأتى .

---

(١) البطليوسى : « واستهل غمام » .

الخــوارزمى : عنى بالغروب غروبَ الشمس ، وإنّما يكثرُ طلوع السُّحب عندَ غروب الشمس فى الشّتاء . أنشدنى بعض إخوانى من الأفاضل :

أَنْ ألقتِ الشّتوةُ الشّهباء كَلْكَلَها ... وراحتِ السُّحْبُ ترمى الجوَّ بالكَدَرِ

الضمير فى «تَثنيها» للخيل . جِلّق ، بكسر الجيم واللام المشدّدة : دمشق ، وقيل موضعٌ بقربها ، وقيــل صورة امرأة يجرى من فمها المــاءُ فى بعض قُرى دمشق . استقلال الغمام : ارتفاعه . ومعنى البيت من قول أبى الطيّب :

تَوَهَّمَها الأعرابُ سَوْرَةَ مُتْرَفٍ ... تُذَكِّرُهُ البيــداءُ ظِلَّ السُّرادِقِ[1]

والأبيــات الثلاثة متقاربة المعانى . يقول : ظنّوا أنك عنــد هجوم الشتاء ، ممّن يطفئ نار الهيجاء ، وعند قدوم الربيع بنَداه ، يَرتحِل إلى ذَراه .

٢٩ (لَقَدْ حَكَمُوا حُكْمَ الجَهُولِ لِنَفْسِهِ ... رُوَيْدَهُمُ حَتَّى يَطُولَ مُقَــامُ)

التــبريزى : رُوَيد ، عند البصريين : تصغير الترخيم ، من قولهم أرودَ إروادا ، والإرواد : التقصير فى الشىء ، ومنه البيت المنسوب إلى امرئ القيس بن حُجْر ، أو إلى امرئ القيس بن عابس الكِنْدىّ ، وهو قوله :

وأعددْتُ للحــرب خَيفانةً ... جــوادَ المَحَثّــة والمُــرْوَدِ

يُنشَد بضمّ الميم فى «مرْوَد» وفتحها ، وهو مصدر أرودت إروادًا ومُرْوَدًا . والفرّاء يجيز فتح الميم فى مُرْوَد ، وفيما جرى مجراه . وقال قوم : رُوَيْد تصغير رُود ، يقال : فلان يمشى على رُود ، أى على رِفْق . قال الشّاعر[2] :

(١) أى توهم الأعراب وثبة سيف الدولة وثبة متنعم ، إذا سار فى البيداء ذكرته طيب العيش فى ظل سرادقه . أنظر العكبرى (١ : ٤٤٢) . (٢) هو الجموح الظفرى . انظر اللسان (٤ : ١٧١) .

يكادُ لا يَثْلِمُ البطحاءَ وطأتُه كأنه ثَمِلٌ يمشى على رُودِ[1]

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٣٠ (وَحَتّى يَزُولَ الحَوْلُ عَنْهُم ومِثْلُهُ ويَذْهَبَ عامٌ بَعْدَ ذاكَ وعامُ)

التبريزى : ...

البطليوسى : ...

الخوارزمى : اللام فى «لنفسه» تتعلّق بالمجهول . رُويدهم، التفات مليح . والبيتان مترمّلان بالفصاحة .

٣١ (فَلَوْلاكَ بَعْدَ اللهِ ماعُرِفَ النَّدَى وَلَا ثارَ بَيْنَ الخافِقَيْنِ قَتامُ)

التبريزى : يقال : ثار الغبار يثور، إذا ارتفع . الغُبار والقَتام واحد . يقول : لولاك ما عُرِف الكرَمُ والشّجاعة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٣٢ (وَلا سُلَّ فى نَصْرِ المَكارِمِ صارِمٌ وَلا شُدَّ فى غَزْوِ العَدُوِّ حِزامُ)

التبريزى : ...

البطليوسى : القُفول : الرُّجوع من السّفر . والمُقام : الإقامة . وثار : سطع وارتفع . والخافقان : المشرق والمغرب . والقَتام : الغُبار . والصّارم : السيف القاطع .

الخوارزمى : البيتان متقاربا المعنى .

(١) رواية اللسان :

« لا تثلم البطحاء وطأتها * كأنها ثمل ... ... »

[القصيدة التاسعة عشرة]

وقال أيضا فى الطويل الثالث والقافية متواتر[1] :

١ (تَخَيَّرْتُ جُهْدِى لَوْ وَجَدْتُ خِيَارَا ... وَطِرْتُ بِعَزْمِى لَوْ أَصَبْتُ مَطَارَا)

التـبريزى : قال ابن دُرَيْد : الجُهد والجَهد واحد . وقال غيره : الجُهْد : الطاقة، ومنه قولهم : اجْهَدْ جُهْدَك، والجَهْد : المشقة . وقيل بضدّ ذلك .

البطليـوسى : الجُهْد، بضم الجيم : الطاقة . والجَهد، بفتح الجيم : الغاية . وقد قيل : هما لغتان بمعنى الطاقة . والمَطار، يكون مصدرًا بمعنى الطَّيَران، ويكون الموضع الذى يُطار فيه . والعَزْم : النفوذ والمَضاء . والحزم : صحّة الرأى وحسن التدبير . ومن أمثال العرب : « قد أَحْزِمُ لو أَعْزِم »، أى أرى وجهَ الصواب ولكنْ لا أُمضيه .

الخـوارزمى : سـياتى .

٢ (جَهِلْتُ فَلَمَّا لَمْ أَرَ الجَهْلَ مُغْنِيًا ... حَلُمْتُ فَأَوْسَعْتُ الزَّمَانَ وَقَارَا)

التـبريزى : أى لمـّا لم ينفعنى الجهل رجَعت إلى الحلم .

البطليـوسى : يقول : استعملْتُ الجهلَ مع مَنْ جهِل علىّ، فلمّـا رأيتُ أنّ ذلك لا يُغنى عنّى أعرضْتُ عنه ولم ألتفِتْ إليه . وللعرب فى ذلك مذهبان : منهم مَنْ يرى أنْ يُقابِل الجهْلَ بمثله ؛ كما قال عمرو بن كُلْثوم :

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَـدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

---

(١) فى أ من البطليوسى : « وقال أيضا » وفى حـ : « وقال من الأصـل وهو السقط » . وفى الخوارزمى : « وقال أيضا فى الطويل الثالث، والقافية من المتواتر » .

ومنهـم مَن يرى أنّ الإعراضَ عن الجاهل أبلغُ فى إذلاله ؛ وهو كما قال الآخر، وهو حاتم :

وأغفِرُ عوراءَ الكريمِ ادّخارَهُ وأعرِضُ عن شَتْمِ اللئيمِ تكرُّما

وقال آخر :

مُتارَكَةُ السَّفيهِ بلا جـواب أشدُّ علَى السَّفيهِ من الجَوابِ

الخـــوارزمى : «جهدى» أى جاهدًا، وهو فى محل النصب على الحال. ومثله : فعلته جهدك وطاقتك . فى أمثالهم : «لو خُيِّرتُ لاخترتُ» ، قاله بَيْهَسٌ الملقّب بنَعامةَ، لأمّه حين قالت له : كيف نجوت من بين إخوتك؟ وكانت تحبهم دونه . يضرب لمن أصاب شيئا وكان مرادُه غيرَه[1] . يقول : لو استقام تدبيرى الأمرَ لدبرتُ، ولإحراز مقصودى ابتدَرت؛ لكن ليس ذلك بالتدبير، بل بسابق التقدير . والبيت الثـانى تقرير للبيت المتقدّم .

٣ ﴿إلَى كَمْ تَشَكَّانِى إِلَىَّ رِكَائِبِى وَتُكْثِرُ عَتْبِى خُفْيَةً وَجِهَارَا﴾

التـــبريزى : تشكّانى، أى تتشكّانى .

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : ســـيأتى .

٤ ﴿أَسِيرُ بِهَا تَحْتَ الْمَنَايَا وَفَوْقَهَا[2] فَيَسْقُطُ بِى شَخْصُ الحِمَامِ عِثَارَا﴾

التـــبريزى : أى يحمل نفسَه على المهالك حتّى يعثر به شَخْصُ الحِمام ولا يقدِر عليـــه .

البطليـــوسى : الركائب: الإبل، واحدها رَكُوبة . والعَتْب: السُّخط واللّوم، ويقال خُفْية وخِفْيـــة، بضم الخاء وكسرها . وصف أنّ إبلَه تشكوه وتلومُه لكثرة

(١) فى الأصل : «أجاب» . (٢) فى البطليوسى : «فوق المنايا وتحتها» .

أسفاره ، وأنّه يتقحّم بها المَهالك ويسير فوق المنايا وتحتَها . وذِكر الفوْق والتّحت إشارةٌ الى إحداق المنايا به من كلّ وجه . واستعار للحِمام شخصًا وإن كان لا شَخْص له ، حين وصفه بالعِثار والسُّقوط؛ كما وصف تأبّط شرًّا الموت بالخزْى فى قوله :

نجا الْقَشْعَرِيُّ الأرض لم يَكْدَحِ الصَّفَا ... به كَدْحَةٌ والموتُ خَزْيانُ يَنظُرُ

وأمّا قوله فى الإبل إنها تشكوه خُفيةً وجهارا، فإنه أراد بالخفية ما تُضمره من الغيظ والحقد عليه، وبالجهار ما تُبديه من الرُّغاء والضَّجَر، والتبرُّم بطول السفر، وما نالها من نحول الأجسام وغؤور العيون . والعرب تجعل هذا كلّه شَكْوَى . قال عنترة :

فازورّ مِنْ وَقْعِ القَنا بلَبانه ... وشَكَا إليَّ بعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ

وقال الراجز :

يشكو إليَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى ... صَبْرًا جَمِيلًا فكِلانا مُبْتَلَى

الخوارزمى : عنى بالسُّقوط العَثْرة . والبيتان متقاربا المعنى .

٥ (وَكُنَّ إذَا لاقَيْنَنِي لِيرِدْنَنِي ... رَجَعْنَ كَمَا شَاءَ الصَّدِيقُ حِرَارَا)

التبريزى : لاقيننى ، يعنى المنـايا . ويَرِدْننى، من الوُرود . والحِرار : العِطـاش .

البطليوسى : هذه الضمائر كلُّها راجعةٌ إلى المنايا المذكورة فى البيت المتقدّم . والحِرار : العِطاش؛ يقال : رجلٌ حَرّانُ وامرأةٌ حَرَّى . وإنما ذَكَرَ الحِرارَ لذِكره الورود، إكمالًا للصنعة، وطلبًا لتشاكُل الألفاظ ، وتَمّمَ المعنى الذى قصده بقوله « كما شاء الصديق » . وهذا كلُّه تأكيدٌ لِما قدّم ذكره، من مغالبته[1] المنايا وتخلُّصه منهـا .

---

(١) فى الأصول : « فى مغالبته » .

الخوارزمى : الضمير فى « كنّ » و « لاقينى » و « يردنى » و « رجعن » : للمنايا . الحِرار : جمع حَرّان ، كالعِطاش جمع عطشان ، وزنًا ومعنًى . ويَرِدْن ، من ورد الماء .

٦ ﴿فَلِلّهِ طَعْمِى مَا أَمَرَّ مَذَاقَةً[1] وَلِلّهِ عَنْسِى[2] مَا أَقَلَّ نِفَارَا﴾

التبريزى : ما أمرّ مذاقه ، لأنّ الحِمام لا يَقْدِر عليه ، وإذا ورده رجع عنه عطشانَ . وكذلك قوله « ما أقلّ نفارا » لأنها لا تنفر من المنايا .

البطليوسى : الطعم ، بفتح الطاء : ما يؤدّيه[3] الذوق . والعَنْس : الناقة الشديدة . وصف أنّ ناقته قد أَلِفت السفر وركوبَ الفَلَوات ، فهى لا تنفِر من شىء تراه . وأراد : ما أمرّ مذاقتَه ، وما أقلّ نِفارَها ، فحذف[4] المنصوبَ بالتعجّب لمّا فُهِم المعنى ؛ كما قال الآخر[5] :

الخوارزمى : لله كذا ، كلمة تقال عند التعجب من الشىء ، على معنى أنه لا يقدر على خَلْقه واختراعه إلّا الله تعالى . محفوظى « مذاقة » على التنكير . يروى : « عيشى » أى حياتى . ويروى : « عِيسِى » ، وهى جمع أَعْيَس وعَيْساء . ويروى : « عَنْسِى » بالنون . قوله « ما أقلّ نِفارا » ، يعنى ما أقلّ نُفْرتها عمّا أُجشّمها من التعب والمشاقّ .

(١) فى التبريزى والديوان : « مذاقه » . (٢) فى الخوارزمى والديوان المخطوط : « عيشى » . (٣) أ : « مايردفه » ب والتيمورية : « ما يرد به » . والوجه ما أثبتنا .

(٤) على ما بين به الشارح المراد ، يكون المحذوف الضمير المضاف إلى المنصوب بالتعجب ، لا المنصوب بالتعجب . وتستقيم عبارة الشارح لو كان المراد : ما أمره مذاقة ، وما أقلها نفارا .

(٥) هنا سقط . ومن شواهد حذف المنصوب بالتعجب :

جزى الله عنى والجزاء بفضله ربيعة خيرا ما أعف وأكرما

٧ (وَأَسْوَدَ لَمْ يَعْرِفْ لَهُ الإِنْسُ وَالِدًا   كَسَانِيَ مِنْـــهُ حُـلَّةً وَخِمَـارَا)

التبريزى : أسود، يعنى به الليل . كساه حلّة، لأنه يسير فيه، فكأنه قد لبســه[1] .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : عنى بـ « أسْوَد » ليلًا مظلما .

٨ (سَرَتْ بِيَ فِيهِ نَاجِيَاتٌ مِيَاهُهَا   تَجُـمُّ إِذَا مَاءُ الرَّكَائِبِ غَارَا)

التبريزى : ناجيات : إبلٌ تنجو برُكّابها، واحدتها ناجيةٌ . وتجم : تكثُر . وغارَ : نَقَص .

البطليوسى : عَنَى بـ«الأسود» الليلَ، وضربَ الحُلّةَ والخِمارَ مثلًا لمِـا شَمِله من ظلام الليل؛ لأنّ العرب تشبِّه الليلَ باللِّباس . قال الله تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) . وقال ذو الرُّمّة :

فلمّا لَبِسْنَ الليلَ أو حينَ نَصَّبتْ   له مِنْ خَذَا آذانِها[2] وهو جانِحُ

والناجيات : الإبل السريعــة . والركائب : الإبل التى تُركَب للسفر، واحدها رَكُوبةٌ ورَكُوب . ويقـال : جمّ المـاء يَجُمّ، إذا كَثُر . وهـذا يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون ضَرَب جُمومَ المـاء وغؤورَه مَثَلين لكثرة السير وقلّتـه، وليس هناك ماء فى الحقيقة، وإنمـا أراد أنّ سيرها يكثُر ككثرة المـاء إذا جمّ؛ فيكون كقول امرئ القيس :

يَجُـمّ على الساقَيْنِ بعـد كَلَالِهِ   جُمومَ عُيونِ الحِسْىِ بعـد المَخِيضِ[3]

(١) فى حـ : « وكأنه قرابه » .   (٢) خذا آذانها : استرخاؤها .

(٣) المخيض : الذى قد مخض بالدلاء واستنزف ماؤه . يقول : إذا غمز هـذا الفرس بالساقين وحث بهما، جم كما تجم البئر ويجتمع ماؤها . أى كلما جهد بالجرى أخرج الجهد منه من الجرى أضعاف ما مضى . وفى الأصول : « المفيض » .

وكما قال النَّمِرُ بن تَوْلَب :

جَمُـوم الشَّـدِّ شـائلة الذُّنابَى تَخَـالُ بياضَ غُـرَّتِها سِرَاجَا

والثانى أن يريد بالمـاء العَرَقَ ؛ لأن قلّة العَرَق مما يُكْرَه ؛ فيكون كقول آمرئ القيس:

* وأخلف ماءً بعد ماءٍ فَضِيضِ[1] *

والمعنى الأوّل عندى أَجْوَدُ .

الخـــوارزمى : هذا كبيت السقط :

وكائنْ قـد وردتُ به غـديرًا وللهجات بالـوِرْدِ ارتهانُ[2]

٩ (تخَرَّقْنَ[3] ثَوبَ اللّيْلِ حَتّى كَأَنَّنِي[4] أَطَرْتُ بِهَـا فِى جَانِبَيْهِ شَرَارَا)

التـــبريزى : يصف سُرْعتَهن فى السير .

البطليـــوسى : يريد أنّ الإبل الناجياتِ التى ذَكَر سرتْ فى اللّيـل فقدَحتْ بأخفافها النارَ من الحجارة ، فكأنّها أحرقت ما كساها الظلام من لباسه ، وأطارت منه الشرار ، لكثرة ما قَدَحتْه من النـار . وذَكَر الجانبين ، لِقَدْحِها النارَ عن أيمانها وعن شمائلها ، أو من مَقادمها ومآخرها . و إنمـا أخذ هذا من قول أبى الطيِّب :

إذا اللّيـلُ وَارَانَا أرتنـا خِفافُها بقَدْحِ الحَصَى ما لا تُرينا المشاعلُ

الخـــوارزمى : يقول : الحُمْرتان فى أوائل الليل وأواخره ليستا شَفَقًا ولا صُبْحًا ، إنمـا حرّقت ثوبَ الليـل ناجياتٌ فكأنى أوْرَيْت بهـا قدحا . ومحصول معنى البيت أن هذه الناجياتِ سرتْ من أوائل الليل إلى آخره .

---

(١) صدره : * فآب إيابا غير نكد مواكل * . والفضيض : المصبوب .

(٢) البيت الخامس والأربعون من القصيدة الثالثة ص ٢٠٩ .

(٣) فى الخوارزمى : « تحرقن » بالحاء المهملة .

(٤) فى البطليوسى : « كأنما » .

١٠ (وَبَاتَتْ تُرَاعِي الْبَدْرَ وَهْوَ كَأَنَّهُ مِنَ الْخَوْفِ لَاقٍ بِالْكَمَالِ سِرَارَا)

التبريزى : صار البدر يخافهنّ لمّا خرّقن ثوبَ الليل . يقال سَرَارٌ، وسِرَارٌ، وسَرَرٌ، وسِرَرٌ، أربع لغات .

البطليوسى : السَّرار والسِّرار، بفتح السين وكسرها : آخر الشهر، سمّيت بذلك لاستسرار القمر فيها[1]. ويقال سَرَرٌ بفتح السين لا غيرُ، على مثل حَجَرٍ. ومعنى تُراعى البدر : ترقُبه وترمى أبصارَها نحوه . ووصَف البدر بالخوف والجزَع لِما ذكَرَ فى البيت بعد هذا من أَسْرِ الظلام إيّاه . يريد أن جيش الليل هزَم جيش النهار، وأخذ البدرَ أسيراً وأوثقه . فكأنه وإنْ كان كاملاً قد أشرف على السَّرار، لِما يخافُه من الهلاك والبَوار . وهذه مبالغةٌ فى وصف الليل بالطول . وقد تم المعنى بالبيت الذى بعده .

الخوارزمى : الباء فى قوله « بالكمال » مثل الباء فى قول أبى الطيّب :

* تدوسُ بنا الجَماجِمَ والتَّريبَا[2] *

يقول : البدرُ يخاف أن يحترق منها كما احترق الّليل، أو يخاف الشمسَ فيفرّ . وقد وقع المعنى الأخير مصرّحا به فى بيت السقط :

والبدرُ يحتثّ نحو الغَرْب أَيْنُقَهُ فكلّما خاف من شمس الضُّحى رَكَضا[3]

والبيت الثانى يشهد بهذا المعنى .

---

(١) فى الأصل : « لاسرار » . (٢) صدره :

* فرت غير نافرة عليهم *

والتريب والتريبة : واحدة الترائب، وهى موضع القلادة .

(٣) البيت العاشر من القصيدة الرابعة والعشرين .

١١ (تأخّرَ عن جيشِ الصّباحِ لضَعفِهِ[(١)] فأوثقَهُ جيشُ الظّلامِ إسارا)

التبريزى : يعنى أن البدرَ لم يبلُغ إلى الصباح وغاب فى اللّيل .

البطليوسى : هذا معنًى مليح لم يُسْبَق إليه، و إن كان الشعراء لم يوردوه على هذه الصفة فقد نبّهوا عليه . ومعنى هذا أن الليل والنهار لمّا كانا ضِدّين يذهب أحدهما عند إقبال الآخر، جعلهما بمنزلة جيشين ٱلتقيا ، فهزم جيشُ الليل جيشَ الصباح، وأخذ البدرَ أسيراً وأوثقه ، وغلَب الليلُ على الأُفق وتملّكه، وصار النهار لا يُرْجَى . وهذه مبالغةٌ فى وصف الليل بالطول؛ كما قال امرؤ القيس :

كأنّ الثُّرَيّا عُلِّقتْ فى مَصَامِها بأمراسِ كَتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

فذكر المعرّىّ إيثاقَ الليل القمرَ كما ذكر امرؤ القيس إيثاقه للثّريّا ؛ فأفاد من الإشارة إلى طول الليل مثلَ ما أفاده امرؤ القيس، وزاد زيادةً مليحة من ذكر غلبة جيش الليل لجيش النهار وأَسْرِه للقمر . وزاد أيضا زيادةً أُخرى، وذلك أنه جعل البدرَ من جيش النهار، وجعل النهارَ أولى به من الليل؛ لأن النور كلّه يُضَادّ الظلمة ، فهو بالنهار أولى منه باللّيل . وهذه إشارةٌ إلى ما ذكره المتقدّمون من أن نور القمر والكواكب مقتبس من نور الشمس ، وأنّ الشمس هى النَّيِّر الأعظم التى تُفيد الكواكبَ كلَّها النورَ . وقد ذكر أبو الطّيّب بعضَ هذا فى قوله :

تَكَسَّبُ الشمسُ منك النورَ طالعةً كما تَكَسَّب منها نُورَها القمرُ

ولو ذكر المعرّى الكواكبَ فى هذا البيت مع البدر لكان أكملَ للغرض الذى رمى إليه، وحام بفكره عليه . وقد وصف الكواكبَ بنحو هذه الصفة فى قصيدة أُخرى فقال :

(١) فى البطليوسى : « بضعفه »

أَبَلَّ به الدُّجَى من كلِّ سُقْمٍ   وكوكبُه مريضٌ ما يُعَادُ (١)
ولو طلَع الصباحُ لَفُكَّ عنه   من الظلماء غُلٌّ أو صِفَادُ

وقال فى قصيدة أُخرى :

كأنّ الزِّبْرِقانَ بها أسيرٌ   تُجُنِّبَ لا يُفَكُّ ولا يُفَادَى (٢)

وقد أكثرت الشعراء من تشبيه الليل والنهار بالهازم والمهزوم . فمن ذكر ذلك الشمّاخ فى قوله :

ولاقتْ بأرجاء البسيطةِ ساطعًا   من الصُّبح لمّا صاح بالليل بَقَّرَا (٣)

ومن مليحه قولُ محمد بن هانئ :

خليلَىَّ هَبَّا فانْصُرا ها على الدُّجَى (٤)   كتائبَ حتّى يَهْزِمَ الليلَ هازمُ
وحتى نرى الجوزاءَ تَنْثُرُ عِقْدَها   وتسقُط من كفّ الثريّا الدراهمُ

وقال أبو الطيِّب :

لَقِيتُ بدَرْبِ القُلّةِ الفجرَ لُقْيَةً   شفتْ كَمَدِى والليلُ فيه قتيلُ

الخوارزمى : الإسار ، هو القِدُّ ، وانتصابه على المصدر ، ونظيره ضربته سوطًا . يقول : مالَ البدرُ عن الشرق إلى الغرب ، لعلمه أنه ماله بمقاومة الصبح يدانِ ، فخلْنا أنّ الليل قد فَنِى ، فإذا هو بحاله باقٍ والبدرُ غير غارب .

(١) البيتان السابع والعشرون والثامن والعشرون من القصيدة السادسة ص ٣٠٨ ، ٣١٠ .

(٢) البيت الخامس والثلاثون من القصيدة السابعة عشرة ص ٥٧٦ . (٣) رواية البيت فى ديوان الشماخ :

وقد لبست عند الإلاهة ساطعا   من الفجر لما حام بالليل بقرا

والإلاهة : موضع بالجزيرة ، وقيل قارة بالسماوة . والساطع : المرتفع . وحام بالليل ، أى علاه . وبقر : تحير .

وصدر البيت هنا يتفق فى كثير من ألفاظه مع صدر بيت آخر من هذه القصيدة وهو :

فأضحت بصحراء البسيطة عاصفا   تولى الحصى سمر العجايات مجمرا

(٤) رواية الديوان ٧٢٣ : « هبا » .

١٢ (وَأَوْفَتْ رِعَانًا لِلرِّعَانِ كَأَنَّمَا تُحَادِثُهَا[1] الشِّعْرَى العَبُورُ سِرَارَا)

التبريزى : أوفتْ : أشرفتْ . والرِّعان : جمعُ رَعْنٍ من الخيل، وهو القطعة منها، وجمعُ رَعْنِ الجبل، وهو أنفُه وأعلاه . وأراد بالرِّعان الأول هاهنا العيسَ؛ يعنى أنها قد صارت لأنوف الجبال أُنوفا . وكل من أوفى على شيء فقد أشرف عليه . ويُروى لِمَامَةَ الإيَادىّ[2]، وهو أبو كَعْبٍ الذى يُضرب به المثلُ فى الجُود :

ما كانَ من سُوقَةٍ أَسْقَى على ظَمَإٍ خمرًا بماءٍ إذا ناجودُها بَرَدَا
من آبن مامةَ كَعْبٍ ثم عَىَّ به زَوُّ المنيّةِ إلا حِرَّةً وَقَدَى
أوفَى على الماءِ كعبٌ ثمّ قِيلَ له رِدْ كَعْبُ إنّكَ ورّادٌ فما وَرَدا

قوله «وَقَدَى» هى على فَعَلَ، من الوَقْد. وزَوُّ المنية: قَدَرُها . أى عيّت به الأحداثُ إلّا قَتْلَه عطشًا . وكان كعب إذا جاوره إنسانٌ فمات عنده وَدَاه، وإنْ هَلَكَ له مالٌ أخلفَ عليه . فجاوره أبو دُوَادٍ ، فكان يفعل ذلك؛ حتى ضَربتِ العربُ به المثل، فقالت : « جار كجار أبى دُوَاد » . قال الشاعر :

أُطَوِّفُ ما أُطوِّفُ ثمّ آوِى إلى جارٍ كجارِ أبى دُوَادِ

البطليوسى : أوفتْ : أشرفتْ، يعنى الإبل التى ذكرها . والرِّعان : أنوف الجبال، واحدها رَعن . وقال « رِعانا » إشارة إلى شدّة ارتفاعها فى الهواء .

(١) فى البطليوسى : « تجاذبها » .

(٢) نسبه البكرى فى السمط ص ٨٤٠ والمبرد فى الكامل ص ١٣٢ إلى أبى دواد، يقوله فى كعب آبن مامة . وقد قال الأستاذ الميمنى فى التعليق على البيت فى الصفحة المذكورة : والمعروف أنه لمامة بن عمرو الإيادى فى أبيه، كما فى الألفاظ ٢٢٨ وأمثال الضبى ٦١، ٧٨ والأزمنة (٢ : ٢٢١) والميدانى (١ : ١٢٤، ١٦٢، ١٦٧) والعسكرى ٢٤ .

والمجاذبة : المنازعة . والسِّرار : مصدرُ ساررتُه مُسَارّةً وسِرَارًا ، إذا كلّمته سِرًّا . والهاء فى قوله «تجاذبها» تعود على الرِّعان . يقول : كأنّ هذه الرِّعان لشدّة ارتفاعها أرادتْ مناجاةَ الشِّعْرى العَبُور، فقَرُبتْ منها . وهذا كما قال علىّ بن الجَهْم :

وقُبّـة مَلْكٍ كأنّ النُّجـو م تُفْضِى إليهـا بأسرارها

ولم يخصص الشِّعرَى العبور بمعنًى، إنمـا أراد نحو ما ذكره ابن الجهم فلم يُمكنه . وكأنَّ فى ذكره الشِّعْرَى العَبُورَ إشارةً الى أن الرِّعان المذكورة فى شِقّ الجنوب؛ لأن الشِّعْرَى العبور من الكواكب الجنوبيّة .

الخـــوارزمى : الرِّعان، فى « مَعَـانٌ من أحبّتنا معانٌ »[(١)] . الشِّـعْرَى العبور، فى « علالى »[(٢)] . ومعنى المصراع الأول من قول أبى تمّـام فى صفة الإبل :

* أشباحُها بين الإكامِ إكَامُ[(٣)] *

١٣ (وَبَاتَ غَوِىُّ القَوْمِ يَحْسِبُ أنّهُ أَجَدَّ إلَى أَهْلِ السَّمَاءِ مَزَارَا)

التـــبريزى : أى لمـّا أن بلغوا إلى رُءوس الجبال توهّموا ذلك .

البطليـــوسى : ســـياقى .

الخـــوارزمى : أجَدّ، من الجِدّ لا من الجِدّة . مزارًا، منصوبٌ على أنه مفعولٌ له لا على التمييز .

١٤ (إذَا ضَنَّ زَنْدٌ مَدَّ بالشَّخْتِ كَفَّهُ لِيَقْبِسَ مِنْ بَعْضِ الكَوَاكِبِ نَارَا)

التـــبريزى : أى إذا لم يُورِ الزَّندُ نارًا مدّ هـذا الغوىّ كفَّه إلى الكواكب ليقبس منها النارَ . والشَّخْت : هاهنا الدقيق من الحطب .

(١) انظر البيت الخامس والستين من القصيدة الثالثة ص ٢٢٢ .
(٢) انظر البيت الخامس عشر من القصيدة الرابعة عشرة ص ٢٣٥ .
(٣) صـدره : * بالشدقيات العتاق كأنما *

البطليـــوسى : الغَوِىّ والغاوى : الضالّ . والشُّخْت : الدقيق من الحطب. يقول: بات الغوىّ منّا يحسب أنما نريد الصعودَ إلى السماء، لما يراه من علوّنا فوق الجبال الشامخة، ويتوهّم أنّ النجوم قد قرُبت منه، فهو يروم أن يقتبس منها ناراً.

الخـــوارزمى : الشخت هاهنا : الحطب الدقيق؛ يقال : شَخُتَ ، بالضم، فهو شَخْتٌ .

١٥ (إذَا قُيِّدَتْ فِى مَنْزِلٍ بِتَنُوفَةٍ   حَسِبْتَ مُنَاخًا أُوطِنَتْهُ مُثَارَا)

التـــبريزى : المعنى أن هــذه العِيس جادّة فى الســير، فالراكب يحسَب أن إناخته إيّاها لتستريح إثارةٌ لهـا كى تسير؛ لأنها لا تميـل إلى المُنـاخ . وأُوطِنته، أى جُعِل لهـا كالوطن، كأنها لا تطمئن لشدّة انزعاجها .

البطلـــوسى : ســيأتى .

الخـــوارزمى: يقول : هذه الإبل لجدّها فى السير، لا تلبث فى مُناخ، فتخال إناختَها فيه إثارةً عنه .

١٦ (تَظُنُّ غَطِيطَ النَّوْمِ نَهْمَةَ زَاجِرٍ   فَتَقْطَعُ قَيْدًا أَوْ تَبُتُّ هِجَـارَا)

التـــبريزى : فى «تظن» ضمير راجع إلى « العِيس » . والغطيط : الصوت الذى يُسمع للنائم . وأصل الغطيط : صوت المختنق ، فشبّهوا النـائم بالذى يختنق كأنّ النومَ خنقه، قال امرؤ القيس :

يَغِطّ غطيطَ البَكْرِ شُـدّ خِنَاقُـه   لِيَقْتُلَنِى والمــرءُ ليس بقَتّـالِ

ونَهْمة، من قولهم : نَهَمْتُ الإبلَ، إذا زجرتَها لتسير . والهِجَار : حبلٌ يُشَدُّ به[1] حَقَبُ البعير إلى وظيفه . يقال: بعير مأبوض، من الإباض؛ ومهجور، من الهِجار . قال أبو زُبَيْد الطائىّ :

(١) فى حـ ، ء : « يشدّ من حقب البعير ... » .

فكفكفوهنّ فى ضِيقٍ وفى دَهَشٍ   يَنْزُونَ ما بين مأبوضٍ ومهجورِ

والمعنى أن هذه العِيس لحدّة نفوسها وقلّة مُبالاتها بالسير، إذا سمعتْ غطيط النائم ظنّته زجرًا لهـا، فقطعت القيودَ والهُجُر، لتُسرع فى السير.

البطليـوسى : التنوفة : القفر. والمُثار، ضدّ المُناخ، لأن المُناخ هو الموضع الذى تُناخ فيه الإبل لتستريح ، والمُثار : الذى تُثار منه وتُقام للحركة والركوب . وَصَف هـذه الإبل بأنها قد تعوّدت الجدّ فى السير، وعلمتْ أنّ صاحبها لا يُخَـلّيه إلى راحةٍ ونوم، فإذا أناخها إلى بعض الفَلَوات ظنّتْ تلك الإناخةَ إنمـا هى إثارة للحـركة ، ولم تطمئن كما يطمئن الساكن الوادع توقّعًا للحركة . وهذا نحوٌ من قول الآخـر :

وهُنّ مُنَاخاتٌ يُحاذِرْنَ قَـولةً   من القوم: أن شُدُّوا فَتُودَ الركائبِ

تكاد إذا قُمْنـا يُطيـرُ قلوبَهـا   تَسَرْبُلُنـا ولَـوْثُنـا بالعصـائبِ

ثم أكّد شـدّة حَذَرها وتوقُّعها للركوب، فذكر أنها إذا سمعت غطيطَ النـائم فى نومه حَسِبته زجرًا تُزْجَرُ به لتسـير، فنفرتْ وقطعت حِبالها التى شُـدّت بها . والغطيط : صوت النائم فى نومه . والنَّهمة : الزَّجْرة، يقال : نَهَمْتُ الناقة أنْهَمُها نَهْمًا، إذا زجرتَها لتسير. وتَبُتّ : تقطَع . والهِجار : حبلٌ يُشَـدّ من رُسْغ البعير إلى حَقْوه . يقال : هَجَرْتُه هَجْرًا، قال الشاعر :

فكفكفوهن فى ضِيقٍ وفى دَهَشٍ   يَنْزونَ من بين مأبوضٍ ومهجورِ

الخـوارزمى : النَّهمة : مرّة ، من نَهَمْتُ الإبلَ ، إذا زجرتَها . ومنـه نَهمةُ الأسـد لزئيره . والنَّهْمُ والنَّهْرُ والنَّهيُ، أخوات . شَدّ بالهِجار بعيرَه ، وذلك حبلٌ

يُشَــدّ به يَدُه إلى رجله ، مُخالِفٌ للشِّكال . يقول : هذه الإبل لاعتياد السَّير تخالُ نَخِيخَ النائم لها زَجْراً، فتقطَع قيدَها وتنبعث سَيْرا .

١٧ ﴿أَطَلَّتْ عَلَى أَرْجَاءِ أَزْرَقَ مُتْرَعٍ تَنُوشُ بَرِيرًا حَوْلَهُ وَبَهَارَا﴾

التبريزى : أطلّتْ : أنافتْ . وأزرق مُتْرَع : غديرٌ ملآن . وتنوش ، أى تتناول . والبرير : ثمرُ الأراك وهو رَطْب . والبهار : نبت معروف .

البطليوسى : سياتى .

الخوارزمى : سياتى .

١٨ ﴿يَمِدْنَ إِذَا سُقِّينَ[(١)] مِنْهُ كَأَنَّمَا شَرِبْنَ بِهِ قَبْلَ الضِّيَاءِ عُقَارَا﴾

التبريزى : يَمِدْنَ ، أى يَمِلْنَ كما يميل السكران . والعُقار : الخمر . وقوله «به» أى بالماء .

البطليوسى : أطلّتْ : أشرفتْ . ويعنى بالأزرق غديراً صافىَ الماء . وإذا وُصف الماءُ بالزُّرقة فإنما يُراد الصفاء . قال زُهيرٌ :

فلمّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقًا جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِىَّ الحاضرِ المُتَخَيِّمِ

والمُتْرَع : المملوء . وتنوش : تتناول النباتَ لترعاه . والبرير : ثمر الأراك . وقوله «قبل الضياء» ، يريد أنه أوردها الماءَ قبل الصباح، وأنها لمّا شربت منه مادتْ لِما نالها من الإعياء والكَلال، فكأنها شَربتْ عُقَاراً سَكِرتْ منها .

الخوارزمى : البرير : جمعُ بريرة ، وهى ثمر الأراك . البَهار : نبتٌ جَعْدٌ له فُقّاحةٌ صفراء ينبُت أيام الربيع ، وهو الذى يقال له «عينُ البَقَر» . الباء

---

(١) فى التنوير والديوان المخطوط : «أسقين» .

فى « به » للتجريد . يقول : هذه الإبل قد وردتْ سُحْرةً ذلك الوِرْد ، فلمّا شَرِبتْ منه طَرِبَتْ وتَثنّتْ ، فكأنّها به اصطبحت .

١٩ (إذَا خَفَقَ البَرْقُ الحِجَازِىُّ أَعْرَضَتْ وتَرْنُو إذَا بَرْقُ العِرَاقِ أَنَارَا)

التبريزى : خفَق : اضطرب ولمع . وترنو ، أى تديم النظر .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٢٠ (وتَأْرَنُ مِنْ بَعْدِ اللُّغُوبِ كَأَنَّهُ(١) إلَيْهَا بِجِدٍّ فِى النَّجَاءِ أَشَارَا)

التبريزى : تأرَن : تنشَط . واللُّغوب : الإعياء . والهاء فى « كأنه » راجعةٌ إلى « برق العراق » .

البطليوسى : خفَق : لَمَع واضطرب . وترنو : تُديم النظر . وتأرَن : تَنْشَط للسير وتَهَشّ . واللغوب : الإعياء . والجِدّ : الاجتهاد فى السير والتشمير . والنَّجاء : السرعة . يقول : تَطْرَب وتنشَط إذا رأت البرق يلمَع من جهة العراق لأنه وطنها ، ولا تطرب للبرق الذى يلمع بالحجاز ؛ لأن الحجاز ليس من مواطنها . وقوله « وتأرن من بعد اللغوب » ، يقول : يزول عنها ما تجده من الإعياء إذا رأت بَرْقَ العراق وتَهَشّ لِلَّحَاق به ، فكأنّ البرق يأمرها بالجِدّ .

الخوارزمى : الضمير فى « كأنه » للبرق . جعل ومضةَ البرق بمنزلة الإشارة إليها بالجدّ ، وهذا مليح .

٢١ (ولَيْسَتْ تُحِسُّ الأَرْضُ مِنْهَا بِوَطْأَةٍ فَتَذْعَرَ(٢) سِرْبًا أَوْ تَرُوعَ صُوَارَا)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الصوار ، هو القطيع من بقر الوحش ؛ وهو من صارَه يَصُورُه ، إذا قطعه وفرّقه . وهذا لأن القطيع من الوحش فرقةٌ منه .

(١) فى ى من التبريزى : « كأنما » . (٢) فى التنوير : « فتفزع » .

٢٢ (تَدُوسُ أَفَاحِيصَ القَطَا وَهْوَ هَاجِدٌ فَتَمْضِي وَلَمْ تَقْطَعْ عَلَيْهِ غِرَارَا)

التبريزى : السِّرْب : القطيع من الظِّباء . والصُّوار : قطعةٌ من بقر الوحش . وأفاحيص : جمعُ أُفحوص ، وهو موضع بَيْض القطا . والغِرَار : القليل من النوم . أى لسرعتها وخفّتها لا ينتبه لها القطا إذا مرّت عليه . وإنما قيل لموضع بيض القطا أُفحوص لأنه يَفْحَص التراب عنه . قال الراجز :

أنتم بنو كابيةَ بن حُرْقُوصْ[(١)] وكُلُّكُمْ هامتُه كالأُفحوصْ

البطليوسى : الصُّوار ، بكسر الصاد وضمها : القطيع من البقر خاصّة ، وأمّا السِّرْب فيكون من البقر والظِّباء والنساء . وتروع : تُفْزِع . وتدوس : تطأ بأخفافها . والأفاحيص : جمع أُفحوص ، وهو عُشُّ القطاة . والهاجد : النائم . والغِرار : النوم القليل .

قال الشاعر :

لا أذوقُ النــومَ إلّا غِرارًا مثلَ حَسْو الطيرِ ماءَ الثِّمادِ

وصف الإبل بخفَّة الوطء ، وأنّها تسير بين الوحش فلا تنفّرها ، وتطأ أوكار القطا فلا تقطَع عليها نومَها . وبالغ بذكر القطا لأنه ينفِر من أقلِّ شيء . وزاد المعنى مبالغةً بذكر الغِرار لأنه نومٌ خفيف لا استغراقَ فيه . وهذا كقوله فى موضع آخر :

ولو وَطِئتْ فى سَيرِها جفنَ نائمٍ لمرّتْ ولمّا ينتبه من مَنامِه[(٢)]

الخوارزمى : داسَ الشيءَ برجله دَوْسًا . الأفاحيص : جمع أُفحوص ، وهو المكان الذى يَفحَص عنه القطا ليبيض فيه . الغِرار ، هو النوم القليل . وأصلُه من غِرار السيف ، وهو حَدّه وطَرَفه . وفى شعر التِّهامىّ :

(١) فى الأصل : «أنتم بنى» . وانظر الجمهرة لابن دريد (٢ : ١٦٣) .

(٢) البيت الرابع والثلاثون من القصيدة الخامسة عشرة ص ٤٩٣ .

أَلَمٌ وفى جَفْنِي وفى جَفْنٍ مُنْصُلِي   غِرَارانِ ذا نومٌ وذاكَ مُشَطَّبُ

و « تدوس » مع « تمضى » إيهام؛ لأنه يقال : دُسْتُ السيفَ ، أى صقلته ، ويقال : سيف ماضٍ . و « تقطع » مع « الغرار » إيهام أيضا .

٢٣ (وتَقْنِصُ أُمَّ الحِشْفِ مَا أَبَهَتْ لَهَا   فَتُحْدِثَ عَنْهَا[1] نَبْوَةً وفِرَارَا)

التبريزى : يقال : ما أَبَهْتُ له وأَبِهْتُ، ووَبَهْتُ له ووَبِهْتُ، وما بَهَأْتُ له وما بأهت له ، أى مافطنت له . وأُمّ الحِشْف : الظبية . يعنى أنها من سُرْعتها تُلحِقُ راكبها بأُمّ الحِشْف فيَقْنِصها .

ومن مَدْح هذه القصيدة[2] :

البطليوسى : تَقْنِص : تصيد . ويقال : ما أَبِهْتُ له ، بكسر الباء وفتحها ، أى ماشعرتُ به . والنَّبْوة : التَّجافى عن الشىء؛ يقال : نبا جَنْبُه عن الفِراش، إذا لم يستقرّ عليه، ونبا عن كلامه، إذا لم يقبَلْه ولم يأنَس به . يريد أنها لسُرْعتها وخفّة وطئها تمرّ بأُم الحِشْف فيصيدُها راكبُها وهى لم تشعُر بذلك ولا فَطِنتْ له . ونسب الصيد إليها وهو يريد صاحبها، إذ كانت السببَ إليه .

ومن مديح هذه القصيدة[2] :

الخوارزمى : ما أَبَهْتُ له وما أَبِهْتُ ، بالفتح والكسر ، أى ما فَطِنْتُ . فتُحْدِثَ، منصوب على أنه جوابُ النفى .

ومن مَدْح هذه القصيدة[2] :

(١) فى أ من التبريزى : « منها » .

(٢) يشير الشارح إلى أن هاهنا حذفا من القصيدة . قال فى التنوير « ترك هاهنا بعض أبيات القصيدة ولم يدونها . وهذا عادته ، ربما يحذف بعض الأبيات من أثناء القصائد رغبة عن ذكرها ، فتبتر ولا ينتظم السياق . ومن لم يألف من عادته ذلك ربما لايجد تناسبا بين الابيات فى المعنى فيتهم طبعه ، وإنما ذلك لحذف المدون بعض الأبيات ، كما فى هذا الموضع » .

٢٤(كَأَنَّكَ أَصْغَرْتَ الزَّمانَ وَأَهْلَهُ عَبِيدًا وَلَمْ تَرْضَ الْبَسِيطَةَ دَارَا)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : هكذا وقعت هـذه القصيدة فى سَقْط الزند غيرَ مُتَّصِلٍ بعضُها ببعض، فأثبتناها على ما وجدناه . والبسيطة : الأرض ، وهو اسمٌ يقع على جميع الأرض ولا يخصّ السهلَ منهـا دون الوَعْر . سمِّيت بذلك لأن الله تعـالى جعلها مَقَرّ الحيوان و بِساطًا له ، وسمّاها بذلك فى كتابه . فإذا أردتَ المُسْتَوِىَ من الأرض خاصّة قلتَ بَسَاطٌ ، بفتح الباء . قال العُدَيْل بن الفَرْخ :

ودونَ يدِ الحَجّـاجِ من أن تنـالَنِى بَسَاطٌ لأيدِى اليَعْمَلاتِ(١) عَرِيضُ

الخـوارزمى : فى أساس البلاغة : « أصغر فعلَه ،واستصغره » . « عبيدا » منصوب على الحال من الزمان والأهل .

٢٥(تَظَلُّ الْمَنَايَا فِى سُيُوفِكَ شُرَّعًا إِذَا النَّقْعُ مِنْ تَحْتِ السَّنَابِكِ ثَارَا)

التبريزى : أى كلما ارتفع الغُبار شَرَعت المنايا فى سيوفك لإهلاك من تحاربه .

البطليوسى : سيأتى .

الخـوارزمى : المنايا : جمع مَنِيّة ، وهى فَعِيلةٌ بمعنى مفعولة ، من مَنَى الأمرَ ، إذا قدّره . ومنه الحِمَامُ ، لأنه من حُمَّ ، إذا قُدِّر .

٢٦(فَإِنْ عُدَّ(٢) ضَحْضَاحَ الْحِمَامِ صَوَارِمٌ عُدِدْنَ بُحُورًا(٣) لِلرَّدَى وَغِمَارَا)

التبريزى : هذه مبالغة . يقول : إنْ شُبِّهت السيوفُ بالضَّحْضاح ، وهو المـاء الرقيق على وجه الأرض ، فسيوفُك تشبَّه بالبحار . والغمار : جمع غَمْرة .

---

(١) فى اللسان مادة بسط : « لأيدى الناعجات » .

(٢) فى البطليوسى : « و إن عد » .

(٣) فى أ من التبريزى : « بحارا » .

البطليوسي : الشُّرَّع والشوارع : التى تَشرَع فى الماء لتَشرَب ؛ يقال : شَرَع يَشرَع شُروعًا . ويقال لمورد الماء الشَّريعة والشِّرعة والمَشرَع . والنَّقع : الغُبار . والسَّنابِك : أطرافُ الحوافر . وثارَ : ارتفع وسطَع . والضَّحضَاح : الماء القليل الذى يُخاض بالأرجل . والغِمار : لُجَج الماء التى تغمُر من يدخل فيها ، أى تُغطِّيه ، واحدُها غَمْرة . يقول : سيوفُك فى الحرب مَوارِدُ تَرِدُها المنايا التى قد عَطِشتْ فتُرْوِيها . وإذا كانت سيوفُ غيرِك كالضَّحضَاح من الماء الذى لا يُرْوِى الواردين إذا كثُروا ، فسيوفُك مثلُ الغِمار التى لا يَنزِفها كثرةُ مَنْ يَرِدُها . وهذا مَثَلٌ . والسيف يشبَّه بالماء لما فيه من الفِرِنْد وصفاء الصَّقْل ؛ ولذلك سمِّى لُجًّا تشبيهًا له بِلُجّ الماء . وكان ينبغى أن يقول «شَوَارِع» لأنّ المنايا مؤنّثة ، و«فُعَّل» إنما يكون جمعًا للمذكر دون المؤنّث ، غيرَ أنه حمله على معنى الجمع ، كما قال الآخر :

قَدْ أبصرتْ سُعْدَى بها كَتَائلى مثلَ العَذَارَى الحُسَّرِ العَطَابِلِ (١)

الخوارزمى : يصف رونق السيوف وبهاءها (٢) .

٢٧ (كأنَّ تُرابَ الأرْضِ لَمْ يَرْضَ عِزَّها فأَصْعَدَ يَبْغِى فى السَّماءِ جِوَارَا)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسي : هذا معنًى مليح فى ارتفاع الغُبار ، ولا أحفظ له نظيرًا فيما رأيته من الأشعار . يقول : كأنّ تراب الأرض أنِف من وطء الحوافر إيّاه ورأى أنه لا يعتزّ لمجاورته الأرضَ لأن الأرض ذَلولٌ موطوءة ، فارتفع فى الهواء ، ليستجير

---

(١) الكتائل : جمع كتيلة ، وهى النخلة التى فاتت اليد . والعطابل : جمع عطبل وعطبول ، وهى من النساء والظباء : الطويلة العنق . (انظر اللسان فى مادتى عطبل وكتل) .

(٢) فى الأصل : « رونق السيف ومهابتها » تحريف .

بالسماء التى لا تنالها الأقدام . والإصعاد : الارتفاع . ويبغى : يطلب . والجوار، بكسر الجيم : المصدر من جاورته . والجُوار، بالضم، الاسم .

الخوارزمى : أصعد فى الأرض :ذهب مُستقبِل أرض أرفع من الأخرى. يقول : كلّ شىء وطئته حوافرُ خيلك شرُفَ وعلا، حتى لم يرض بالأرض مسكنا.

٢٨ (بِكُلِّ كُمَيْتٍ مَا رَعَتْ خَبَطَ الْحِمَى وَلَا شَرِبَتْ رِسْلَ اللِّقَاحِ سَمَارَا)

التبريزى : أى كأن التراب لم يرض عزّ الأرض فأصعد عند ارتفاع النهار فى الجو، أى أصعد الترابُ إلى السماء يبغى الجوار فى السماء . بكل كُمَيْت، لأن الخيلَ تثير التراب . والخبَطُ : ورق الشجر تُعلَفه الغنمُ، ويُبلّ بالماء فتُطعمه الإبلُ . والسَّمار من اللبن : الممزوج بالماء . والمراد بذلك أنها خيلٌ مُكرمةٌ لا تُطعَم من ورق الشجر ولا تُسقَى لبنًا ممزوجا بماء . وهذا نحو قول الآخر :

نُوَلِّيها الصَّريحَ إذا شَتَوْنا مكانَ عيالِنا ونَلِي السَّمارا

أى نسقيها الخالص، ونشرب الممزوج .

البطليوسى : الخبَط، بفتح الباء : ما سقط من ورق الشجر إذا خُبِط، وهو أن يُضرَب بالعصا فينتثر ورقُه، وتُعلَفُه الخيل والإبل . وإنما يُفعَلُ ذلك عند عدم المَرعَى . فاذا أردتَ المصدرَ قلت خَبْطٌ، بسكون الباء[1] . والحِمَى هاهنا : موضعٌ بعينه . والحمى : كلّ موضع يُحمَى فلا يُقرَب . والرِّسْل : اللبن . واللِّقاح : الإبل التى لَقِحتْ، أى حَمَلتْ، واحدتُها لَقوحٌ ولِقحةٌ . والسَّمارُ : اللبن الممزوج بالماء؛ يقال : لبنٌ سَمارٌ[2] وخَضارٌ وشَهابٌ ونَسْجاجٌ وضَياحٌ وضَيحٌ

(١) فى الأصل : « بكسر الباء » .

(٢) فى الأصل : « سمام » تحريف .

ومَذْقٌ ومَمذوقٌ ومَذيقٌ، كلُّ ذلك الذى يُمْزَجُ بالمـاء . وإنمـا وصَفَها بأنها خيلٌ كريمةٌ على أربابها؛ فهم يُؤْثِرونها بأقواتهم ولا يَرضَوْن لها بالسِّمار[1] ولا ورق الشجر؛ كما قال الأسعر الجُعْفِىّ :

تُقْفَى[2] بعيشـةِ أهلِهـا وَثَّابةٌ … أو جُرْشُعٌ نَهْدُ المَراكلِ والشَّوَى

وقال آخــر :

نُوَلِّيهـا الصَّرِيحَ إذا شَـتَوْنَا … على عِلَّاتِنـا ونَـلِى السِّمارَا

الخــوارزمى : الباء فى «بكلِّ كُمَيْتٍ» تتعلق بـ «أصْعَدَ» . أنّث الكُمَيْت على تأويل الدابّة . السمار، هو اللبن المـذيق . وتسمير اللبن : ترقيقه بالمـاء . وكأنه من السُّمرة؛ لأنه لا يبقى للّبن بعد المزج ذلك البياضُ . يقول : تلك الخيلُ مُكرمةٌ لا تَطْعَمُ الورَق ولا تَشرَب المذيق .

٢٩ (إذَا مَا عَلَاهَا فَارِسٌ ظَنَّ أَنَّهُ … تَبَـوَّأَ مَا بَيْنَ النُّجُومِ قَـرَارَا)

التـــبريزى : يقال : تبوّأ المنزلَ ، إذا نزله .

البطليـــوسى : تقول : تبـوّأت المكانَ، إذا اتخذتَه منزلًا ووطنًا . يريد أنّ فارسها واثقٌ بجريها ، وأنها تُخَلِّصه من المَهالك ، فإذا ركبها ظنّ نفسَه بين النجوم لامتناعه ممن أراده . ونحوه قولُ أبى الطيِّب :

* أدركتُها بجَوادٍ ظَهرُه حَرَمٌ[3] *

الخــوارزمى : هذا كقوله فى صفة النَّاقة[4] :

إذا ضَنّ زَنْدٌ مدّ بالشَّخْتِ كَفَّـهُ … لِيَقْبِسَ من بعض الكواكبِ نارا

(١) فى الأصل : « بالسمر » . (٢) تقفى : تؤثر . والقفية : ما يؤثر به الضيف وذو الكرامة . والجرشع : العظيمة الصدر . (٣) صدره : * ومهجة مهجتى منَ هم صاحبها *

(٤) يريد النوق . والبيت هو الثالث عشر من هذه القصيدة .

٣٠(وَلَمْ أَرَ خَيْـلًا مِثْلَهَا عَرَبِيَّـةً تُذِيلُ عَدُوًّا أَوْ تَصُونُ ذِمَارَا)

التـبريزى : تُذيل ، من الإذالة ، وهى الإهانة . والذِّمار : ما يجب عليك حفظُه والذّبُّ عنه .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : سـيأتى .

٣١(أَشَدَّ عَلَى مَنْ حَارَبَتْهُ تَسَلُّطًا وَأَبْعَدَ مِنْهَا فِى الْبِـلَادِ(١) مُغَارَا)

التـبريزى : المُغَار : المصدرُ من أَغَارَ إغارةً ومُغَارًا . أى لم أرَ خيلًا [مثلها](٢) أشـدَّ على مَنْ حاربتـه . والجملتان من قوله فى البيت الذى قبله : « تُذيل عدوًّا أو تصون ذِمارا » فى موضع نصب على الحال . أى لم أرَ خيلًا مثلَها مُذيلةً عدوًّا أو صائنةً ذِمَارًا أشدَّ على من حاربته . وفى البيت تضمينٌ ؛ لأنه لا يتمّ إلّا بالثانى ، وتطبيقٌ بالإذالة والصون .

البطليـوسى : الإذالة : الامتهان ، وهى ضدّ الصِّيانة ؛ فلذلك طابَق بينهما . والذِّمار : كلُّ ما يغضَب له الإنسان وتجب عليـه حمايتُه . يقـال : فلانٌ حامِى الذِّمارِ . والمُغَار : الإغارةُ .

٣٢(يُكَلِّفُهَا الْأَرْضَ الْبَعِيدَةَ مَاجِدٌ يُشَـيِّدُ مَجْدًا لَا يُكَشِّفُ(٣) عَارَا)

التـبريزى : سـيأتى .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : الضمير فى « يكلِّفها » لكل كُمَيْت . قوله « الأرضَ » ، أى قطع الأرض .

---

(١) فى البطليوسى : « فى العدوّ » .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . وعبارة ى : « أى لم أر خيلا أشد نكاية فى الأعداء من هذه الخيل » .

(٣) فى البطليوسى : « لا يكسب » .

٣٣ (غَذَاهُنَّ مُحَمَّرُ النَّجِيعِ قَوَارِحًا ... بِمَا[1] كُنَّ يُغْذِينَ الحَلَايِبَ[2] مِهَارَا)

التبريزي : يشيّد : يُعْلِي . والباء[3] في « يكشف » للجد، أي يُشَيِّد مجدًا غيرَ مَعِيبٍ . والنجيع : الدم . وهذا مثلُ قوله :

ذَكِيّ القلبِ يخضبها نجيعًا ... بما جَعَل الحريرَ لها جِلَالَا[4]

كما يقال : هذا بذلك .

البطليوسي : الماجد : الشريف . والمجدُ : الشَّرَف . وتشييد البُنْيان : تطويله ورَفْعُه . ويروى «لا يُكَشِّف» . والنجيع : الدم الطريّ، وقيل : هو دم الجوف خاصّة . والضَّرِيب : اللبن الذي يُخْلَط حامضُه بحُلْوه وثخينُه برقيقه . وإنما يُفْعَل ذلك عند قلّته . وهذا نحوٌ من قول أبي الطيِّب :

تَعَوَّدَ ألّا تَقضِمَ الحَبَّ خيلُهُ ... إذا الهامُ لم ترفَعْ جُنوبَ العلائقِ

ولا تَرِدَ الغُدْرانَ إلّا وماؤها ... من الدَّمِ كالرَّيْحان تحت الشَّقائقِ

ويروى «بما كنّ» . والباء تسمّى باء المجازاة أو باء العِوَض، كما يقال : هذا بذاك . قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ . يقول : إنما غَذَّاها بالضَّرِيب عند قلّة اللبن وآثرها به على نفسه وأهله، ليغذوها النجيعَ عند حاجته إليها . ونحوُه قول الراجز :

* لمثلِ ذا كنتُ أُحَسِّيكَ الحُسَا *

الخوارزمي : الضريب : لبنٌ يُحْلَب بعضُه فوق بعض، فَعِيلٌ بمعنى مفعول، كأنه ضُرِبَ بعضُه في بعض . والمعنى مثل بيت السقط :

ذَكِيّ القلب يخضبها نجيعًا ... بما جَعَل الحريرَ لها جِلَالَا[4]

(١) في التبريزي والبطليوسي : « كما كنّ » . (٢) في البطليوسي والتنوير والديوان المخطوط : « الضريب » . (٣) يريد ضمير الغيبة الذي تدل عليه الباء .

(٤) البيت ٢٥ من القصيدة الأولى ص ٦٠ .

٣٤ (سَمِعْنَ الوَغَى[1] قَبْلَ الصَّهِيلِ وَمَا انْسَرَتْ مَشَايِمُهَا حَتَّى اكْتَسَيْنَ[2] غُبَارَا)

التبريزى : المَشَايِمُ : جمعُ مَشِيمةٍ ، وهى الجِلْدةُ التى تخرج على الولد . والمراد أنهنّ كُنّ فى بُطون أُمّهاتهنّ وسمعنَ الوَغَى ، وهى الأصوات فى الحرب ، قبل أن يسمعن صهيلَ أُمّهاتهنّ . ولمّا نُتِجْنَ لم تَنْكَشِف عنهنّ المشايمُ حتّى كُسِينَ غُبارا[3] .

البطليوسى : الوَغَى والوَعَى ، بالغين والعين : الأصواتُ المختلفة فى الحرب التى يُسْمَعُ دَوِيُّها ولا يُفْهَم ما يقول أصحابُها . شُبِّهتْ بوَغَى الذُّباب والبَعُوض ونحوها ، وهى أصواتها إذا اختلطتْ . قال الهُذَلىّ :

كأنّ وَغَى الخَمُوشِ بِجَانِبَيْهِ وَغَى رَكْبٍ أُمَيْمَ ذَوِى هِياطِ[4]

وانسرت : انشقّتْ عنها . والمشايم : جمع مَشِيمةٍ ، وهى الغشاء الذى يكون فيه المولود إذا كان فى الرَّحِم . أراد أنها سمعتْ أصوات الحروب قبل أن تسمعَ صهيلَ أُمّهاتها ، فقد أَلِفت الحرب ، واعتادت الطعن والضرب .

الخوارزمى : الوغى والوعى ، هى الجَلَبةُ والأصوات . قال الهذلىّ :

كأنّ وَغَى الخَمُوشِ بِجَانِبَيْهِ مَآتِمُ يَلْتَدِمْنَ على قَتِيلِ[5]

---

(١) فى التنوير : « الوعى » بالعين المهملة ، وهو مثل « الوغى » بالمعجمة .

(٢) فى البطليوسى : « كسين » .

(٣) فى ى : « حتى تجللن بعجاج الحرب » .

(٤) البيت للتنخل الهذلى . ويروى : « وعى » بالعين وبالغين ، و « زياط » بدل « هياط » . انظر اللسان (فى المواد : خمش ، زيط ، وعى ، وغى) وأشعار الهذليين .

(٥) هذه رواية التهذيب والجوهرى . والبيت للتنخل الهذلى من قصيدة له طائية كما تقدّم . انظر اللسان (مادة خمش ووغى) .

الخموش، بفتح الخاء، هو البعوض . وهـذه لغة هذيل [1] ؛ وبه سمّى الحرب وَغًى، لما فيها من الأصوات . المشايم : جمع مَشِيمة بمعنى الغِرْس . وهى مَفْعِلةٌ، من شام السيف ؛ لأنه يخرُج عنها وجهُ الولد، فكأنه يُشَامُ . ويَعْضُدُ ذلك تسميتُهم إيّاها سَلًى، من سَلَا عن الهمّ، إذا خَرج . وسابِياء، من سَبأْتُ جلدَه إذا سلختَه . وفى البيت طِبَاقان بديعان ، أحدهما مطابقة الصهيل بأصوات الحـرب ، والثانى مطابقة اكتساء الغُبار بانخِلاع الأغْرَاس .

٣٥ ﴿ إذَا أفْرَعَتْ مِنْ ذَاتِ نِيقٍ حَسِبْتَهَا تُفِيضُ عَلَى أَهْلِ الوُهُودِ [2] بِحَارَا ﴾

التـبريزى : ذات نيق : قُلّةٌ عالية من الجبـل . وأفرعتْ : انحدرتْ ؛ يقال : فَرَع الجبَلَ وفى الجبل، إذا علاه ؛ وأَفْرَعَ منه، إذا انحدرَ منه . أى إذا انحدرتْ هذه الخيل من قُلّةٍ عاليـةٍ حَسِبتَ القُلّةَ تفيض من هذه الخيل بحارًا على الوِهاد لكثرتها . ويقال : أفْرَعَ، بمعنى الصعود والنزول جميعا .

البطليـوسى : يقال : أفرع، إذا انحدر، وفَرّع وفرَع، بالتخفيف والتشديد، إذا ارتفع . وقد حكى أبو رِيَاش أنّه يقال : أَفْرَعَ، إذا عَلَا، وأنه من الأضداد . والمشهور فيه الانحدار ؛ قال الشمّاخ :

فإنْ كَرِهت هِجائى فاجْتَنِبْ سَخَطِى لا يُدْرِكَنّكَ إفـراعى وتصعيدى

والنِّيق : أعلى الجبل . والوِهاد : المواضع المنخفضة، واحدتها وَهْدةٌ . شبَّه انحدار الخيل من الجبال بفَيْض البحار . وهذا نحوٌ من قول عَنْتَرة :

---

(١) يشير إلى أن الخموش بمعنى البعوض لغة هذيل . كما فى اللسان (مادة خمش) . ويسمى البعوض وغى لطنينه ، وبه تسمى الحرب « وغى » .

(٢) فى البطليوسى و ى من التبريزى : « الوهاد » . وفى كتب اللغة أن الوهد يجمع على أوهد ووهاد ووهدان .

إذا ما مَشَوْا فى السابغاتِ حَسِبْتَهم ... سُيولًا وقد جاشتْ بِهِنّ الأباطحُ

وقال المتنبّى :

ورُعْنَ بنا قلبَ الفُرَاتِ كأنّما ... تَخِرّ عليه بالرجالِ سُيولُ

الخوارزمى : فرعتُ الجبلَ، أى صَعِدتُه. وأفرعتُ فى الوادى، إذا انحدرتَ فيه. الهمزة للسَّلْب. لقيتُ فلانًا فارعًا مُفْرِعًا، أى صاعدًا أنا منحدرًا هو. النِّيق : أرفعُ موضع فى الجبل. وكأنّ اشتقاقَه من النّاقة على طريق التشبيه له بها، كما تُشَبَّه الناقة بأنْف الجبل. وفى هذه الرائيّة :

* وأوفتْ رِعَانًا للرعانِ كأنما *

يُرْوَى تَفِيضُ، وتُفِيض من الإفاضة. والضمير فى «حسبتَها» على الرواية الأولى للخيل. و «بحارًا» هو المفعول الثانى لحسِبْتَ. و «تَفِيضُ على أهلِ الوهود» جملةٌ فى محلّ النصب على الحال من « بحارا ». وعلى الرواية الثانية الضمير فى «حسبتها» لـ«ـذات نِيق ». و «تُفِيضُ على أهلِ الوهود بحارًا» هو المفعول الثانى لحسِبتَ. شبّه الخيلَ فى سُرْعة انحدارها و بياض ماعليها من الأسلحة بالبحار مُنْصَبّةً إلى الوهود.

٣٦(وَ إنْ نَهَضَتْ مِنْ مُطْمَئِنٍّ ظَنَنْتَهُ ... يَجِيشُ جِبَـالًا أَوْ يَمُجُّ حِرَارَا)

التبريزى : أى و إن فَرَعتْ جبلًا ونهضتْ من مطمئِنٍّ ظننتَ المطمئنَّ يجيش منها جبالًا أو [يمجّ] حِرارًا، وهى جمعُ حَرَّةٍ، وهى كلُّ أرضٍ تركبها حجارةٌ سُود. وتجيش، من جاش البحرُ، إذا ارتفعتْ أمواجُه(١)، وأجاشه غيرُه. ويمجّ، من قولهم: مَجّ الرجلُ الماءَ وغيرَه، إذا كان فى فيه فأخرجه منه. والنبتُ يمجّ النّدَى وكذلك يستعار المَجّ فى كل شىء خرج من شىء، نحو الماء واللبن وما يجرى مجراهما من المشروبات.

(١) فى ى : « اضطربت ».

البطليوسى : المطمئنّ : الموضع المنخفض من الأرض . ويَجيش : يفور كما يجيش القِدْر ؛ ومنه سُمِّى الجيش ، لحركته واضطرابه . ويمجّ : يطرَح ؛ يقال : مجّ الماء من فِيه ، ومجّ النحلُ العسَلَ . والحِرَارُ : جمعُ حَرّة ، وهى الأرض السوداء . شبَّه بها الجيشَ لسواده من الحديد ؛ كما قال الآخر :

وأنا النَّذيرُ بحَرَّةٍ مُسْوَدّةٍ   يَصِلُ الأَعَمُّ إليكمُ أقوادَها(١)
أبناؤها مُتَكَنِّفونَ أباهُمُ(٢)   حَنِقُو الصُّدورِ وماهم أوْلادَها

وقال النّابغة :

يَـؤُمُّ بِرِبْعِىٍّ كأنَّ زُهَاءَه   إذا هَبَط الصحراءَ حَرّةُ راجِلِ(٣)

الخوارزمى : الحِرَارُ : جمع حَرّة ، وهى أرض ذات حجارة سُود نَخِرة كأنها بحرارة النار أُحرِقتْ . ونظيرها « اللّابةُ » فإنّها من اللَّوَبانِ(٤) ، وهو شدّة الحَرّ . جعل المطمئن كلَّه كأنه جبالٌ تجيش ، وهو أبلغ من قولك : مطمئنٌّ تجيش جِبالُه . ويوضِّح بينهما الفرقَ قولك(٥) : اشتعل النار فى البيت ، واشتعلَ البيتُ نارًا . شبَّه الخيلَ فى العِظَم والتحصُّن بالجبال ، وفى الكثرة بالحجارة .

(١) فى الأصل وحاشية الخضرى على ابن عقيل فى باب « ما » العاملة عمل ليس : « تصل الجيوش » . والذى أثبتناه رواية معانى الشعر للأشناندانى ص ٦٧ قال فى التعليق على البيتين : « والأعم : الكلأ الكثير ، وكذلك العميم ؛ يقول : قد كثر الكلأ ، فقد وصل إليكم أقواد الخيل التى ترعى ، فتسمن وتقوى على الغزو ؛ فكأن العميم هو الذى قادها إليكم ، ووصلها بكم » . والأقواد : جماعة الخيل ، واحدها قود .

(٢) ويروى : « متكنفو آبائهم » أى رؤسائهم . وقوله : « وماهم أولادها » الهاء راجعة إلى الكتيبة . يقول : لم تلدهم وإنما هم أبناؤها ، على مجاز قول العرب : « بنو فلان بنو الحرب » وليسوا أولادها على الحقيقة .

(٣) ربعى : نسبة إلى الربيع . يريد جيشا يغزو فى الربيع ، فيه قوة ونشاط . وحرة راجل (بالجيم) : موضع .   (٤) اللوبان ، من مصادر لاب يلوب ، إذا عطش .

(٥) فى الأصل : « قوله » .

٣٧ (يَغُولُ سِبَاعَ الطَّيْرِ ضِنْكُ قَتَامِها[(١)] فَيُسْقِطُ[(٢)] مَوْتَى أَعْقُبًا وَنِسَارَا)

التبريزى : أَعْقُب : جمعُ عُقَابٍ . ونِسَار : جمعُ نَسْرٍ . قال القُطامىّ :

وقد علمتْ شُيوخُكُمُ القُدَامَى إذا قعدوا كأنهم نِسَارُ

والمعنى أن القَتام يطلُع فيأخذ بأنفاس العِقْبان والنُّسور فتسقُط ميتةً . و « أَعْقُبًا » و « نِسَارًا » منصوبان بوقوع الفعل عليهما . والتقدير : فيُسقط القتامُ أَعْقُبًا ونِسارا . « موتى » منصوبةٌ على الحال .

البطليوسى : يقال : غاله الشيءُ يغوله ، إذا أهلكه وذَهَب به . والضِّنْك : الضِّيق . والقَتام : الغُبار . أراد أنّ غُبار هذه الخيل يصعَد فى الجو فيأخذ بأنفاس العِقْبان والنّسور ، ويَغْشَى أبصارَها فتسقُط ميّتة . وهذا نحوٌ من قول المتنبّى :

عَجَاجًا تعثُر العِقْبانُ فيه كأنّ الجوَّ وَعْثٌ أو خَبَارُ

ونصب « أعقبًا » و « نسارا » على البدل من السباع . ويروى « فيُسقط » بياء مضمومة ، من أسقط يُسْقِط . أى يُسْقِط القَتامُ أَعقبًا ونِسارا ؛ فيكون على هذا فى « يُسقط » ضمير فاعل يرجع إلى القَتام ، وينتصب الأعقب والنسار نَصْبَ المفعول به .

الخوارزمى : الرواية الجيدة « فيُسْقِط » ، من الإسقاط ، والضمير فيه للقتام ، وهو الغبار . « موتى » فى مقام النصب على أنه حال من « أعْقُبا » . الأَعْقُب والعِقبان : جمعًا عُقَاب . نصّ فى مقدّمة جامعه الغورىّ . ونحوُه ، على ما ذكره ابن دُرَيْد ، غُرَابٌ وأَغْرُبٌ وغِرْبان . وحكى الغورى عن بعضهم أن كلّ فعال ، أوّله مفتوح أو مضموم أو مكسور وهو للمؤنث ، جَمْعُه الأدنى على أَفْعُل . قال ابن

(١) فى ى من التبريزى والديوان المخطوط والتنوير : « غبارها » .

(٢) فى البطليوسى : « فتسقط » .

دُرَيْد : العرب تؤنِّث العُقَاب، ومن ذكَّره فعلى معنى الطائر. النِّسار : جمع نَسْر، ونحوه كِلَابٌ فى جمع كَلْب و بِكَارٌ فى جمع بَكْرٍ . يقول : ذلك الغبار يأخذ بأكظام(1) الطيور، فيُهلك العِقْبان والنسور .

٣٨ (وَيَجْثِمُ فيـه السِّيدُ رُعْبًا(2) فكُلَّمَا أَضَاءتْ لِعَيْنَيْهِ القَوَاضِبُ سارا)

التبريزى : السِّيد : الذئب . والرُّعْب : الفَزَع . والقواضب : السيوف . واشتقاقها من قَضَب، إذا قطع . أى لا يُبصر الذئب الطريقَ من ضَنْك الغبار وشدّة ظُلْمته، فهو يجثِم فى الغبار إلى أن تُضىء السيوف الطريق فيسير .

البطليوسى : السِّيد : الذئب . والذُّعْر : الفزع . والقواضب : السيوف . وهذا تأكيد لما ذكره من كثافة الغُبار . أراد أنّ الذئبَ يُفزعه ما يرى من الغبار الذى ملأ الأُفق ويَغْشَى بصره فلا يعلم أين يذهب، حتى تلمَع السيوف فيهتدى بلَمَعانها . والجثوم : البروك .

الخوارزمى : هو علىٌّ كالسِّيد، وهو الذئب . أضاءت الشمس . وأضاءت النارُ الشخص : أظهرته؛ قال الجَعْدىُّ :

أضاءتْ لنا النارُ وَجْهًا أغر ملتبسًا بالفؤاد التباسا

يقول : لا يأمن الذئب فى ذلك الغُبار، وهو لا يتمكّن من الفِرار؛ لأن ظلمة النقع قد طمَست الطريق، فهو يقعُد فى النقع(3) و ينتظر البريق . وفيه تصريح بأن ذلك الغُبار يحتمل الذئب. وعليه بيت السقْط :

(1) الكظم، بالتحريك : مخرج النفس؛ يقال : كظمنى فلان، وأخذ بكظامى .

(2) فى ا من البطليوسى : « ذعرا » .

(3) فى الأصل : « يصعد النقع » .

باضَ النسورُ به وخيَّمَ مُصعِدًا   حتى ترعرعَ فيه فَرْخُ القَشْعَمِ[(١)]

وقول أبى الطيِّب :

عقدتْ سَنابِكُها عليها عِثْيرًا   لو تبتغى عَنَقًا عليه لأمكَنَا

٣٩ (هَـدَاهُ إلَى مَا شَاءَ كُلُّ مُهَنَّدٍ   يَكُونُ لأسْبَابِ الحُتُوفِ نُجَارَا)

التبريزى : النجار : الأصل . والهاء فى « هداه » راجعة إلى السَّيد .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى « هداه » للسَّيد .

٤٠ (كَأَنَّ المَنَايَا جَيْشٌ ذُو عَرَمْرَمٍ   تَخِذْنَ إلَى الأرْوَاحِ فِيهِ مَسَارَا)

التبريزى : تَخِذْنَ : بمعنى اتَّخذن . والهاء فى « فيه » راجعةٌ إلى المهنَّد .

البطليوسى : المهنَّد : السيف المطبوع بالهند . وقد ذكرنا أنّ التشديد فيه ضربٌ من النسب؛ كما يقال : شَجَّعتُ الرجل، إذا نسبتَه إلى الشجاعة؛ وفَسَّقته، إذا نسبتَه إلى الفسق . والنجار : الأصل ، بضم النون وكسرها ، وكذلك النَّجْر . والحُتُوف : المنايا، واحدها حَتْفٌ . وجعله أصلًا للمنايا إشارةً إلى أنّ المنايا منه تنبعث إذا انبعثت ، و إليه تأوِى إذا أَوتْ . وهو نحوٌ من قول أبى الطيِّب :

فلا مَوْتَ إلّا من سِنانِكَ يُتَّقَى   ولا رِزْقَ إلّا من يمينك يُقْسَمُ

والعرمرم، فى قول الأصمعى : الكثير، وفى قول أبى عبيدة : الشديد، مشتق من العَرامة . وتَخِذْنَ : بمعنى اتَّخَذْنَ . والمَسَار : يكون مصدرًا من سَار ، ويكون المكانَ[(٢)] الذى يُسار فيه . جعل ما فى السيف من الفِرِنْد والشُّطَبِ كأنه طريقٌ تسير

(١) البيت السابع والثلاثون من القصيدة السابعة ص ٣٤٦ .

(٢) فى الأصل : « المصدر » .

عليه المنايا في صِفَة الذّر، حتى تَصِلَ إلى الأرواح . وإنما ذكر الذرّ لأن فِرِنْد السيف يُشَبَّه بآثار النمل وآثار الدَّبى، قال الشاعر :

وصَقِيلٍ كأنما دَرَجَ النمـ ... ـلُ على مَتْنِه لِرَأْيِ العُيونِ
أخضرٌ فيه لامعاتُ المنايا ... لائحاتٌ من بين حُمْرٍ وجُونِ

وهذا البيت نظيرُ قوله في قصيدة أُخرى :

ودَبَّتْ فوقه حُمْرُ المنايا ... ولكن بعد ما مُسِخَتْ نِمالا (1)

الخوارزمي : الضمير في «فيه» لمهند . يصف شكل الفرنْد وهيئته، ولذلك يسمّى الفِرِنْد ذَرِّيَّ السيف . يقال : ما أَبْيَنَ ذَرِّيَّ سَيْفِه، بالفتح، وقيل : بالضم كدُهْرِيّ .

(1) البيت التاسع والستون من القصيدة الأولى ص ١٠٤ .

[القصيدة المُتَمَّة العشرين]

وقال أيضا فى المتقارب الثالث، والقافية من المتدارك[1] :

١ (تَعَاطَوْا مَكَانِى وَقَدْ فُتُّهُمْ فَمَا أَدْرَكُوا غيرَ لَمْحِ الْبَصَرْ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : يقول : رأَوا علوَّ منزلتى ، وارتفاعَ مرتبتى ؛ فأتعبوا لها أرْجُلَهم ، ثم مَدُّوا للتناول أيديَهم ؛ فلم يُدركوا منها غيرَ أنْ أبصروها مَرّةً على وجه الاختلاس ، ثم اختفتْ عن أعين الناس .

٢ (وَقَدْ نَبَحُونِى وَمَا هِجْتُهُمْ كَمَا نَبَحَ الْكَلْبُ ضَوْءَ الْقَمَرْ)

التبريزى : أىْ تأثيرُ نُبَاحهم فىَّ كتأثيرِ نُبَاح الكلب ضوءَ القمر .

البطليوسى : نَبْحُ الكَلْبِ للقمر، مَثَلٌ قد تَعاوره الناسُ قديماً وحديثاً، ويرون معناه أنّ الكلب إذا أصابه أَلَمُ البَرْد، ورأى ضوءَ القمر، توهَّم أنه يُدْفِئُ كما تُدْفِئُ الشمس، فإذا رَقَد فيه فلم يجِدْ له دَفَاءً[2] نَبَح كأنه ضَجِر منه وغضِب على القمر، كما ينبَح أيضا نحو السحاب إذا كثُر مطره ضَجِرًا لما يُصيبه من الضرر بكثرة المطر . قال الأَفْوَهُ الأَوْدِىُّ :

لَهُ هَيْدَبٌ دَانٍ ورَعْدٌ وجَّةٌ[3] وبرقٌ تراه ساطعًا يَتَبَلَّجُ
فباتتْ كِلابُ الحىِّ ينبحن مُزْنَهُ وأضحتْ بناتُ الماءِ فيه تَمَعَّجُ

(١) فى البطليوسى : «وقال أيضا» . وعبارة الخوارزمى تطابق عبارة التبريزى .

(٢) الدفاء، بالفتح والمد : مصدر كالدفأ ، بالتحريك ، والدفء، بالكسر .

(٣) الجة ، بالفتح : الأصوات والجلبة . وانظر الحيوان (٢ : ٧٣) .

وقال الآخر :

ومالِيَ لا أغزو وللدَّهْرِ كَرَّةٌ   وقد نَبَحَتْ نحـوَ السماءِ كِلَابُهـا

يقول : إنما كنت أَدَعُ الغزوَ خشيةَ العطش وقلّةِ المـاء فى الفَلَوات ، فمـا عُذْرِى اليومَ فى ترك الغَزْو وقد كَثُرَت الأمطارُ حتى أضرّت بالكلاب ، فنبحت ضجرًا منها ! وقد ذكر قومٌ فى نُبَـاح الكلب نحو القمر أمرًا مستظرفا ، ذكروا فى معنى قول العرب : « أَجْوَعُ من كَلْبةِ حَوْمَلَ » أنّ حوملَ هذه كانت امرأةً تجوّع كلبتها ، وأنّ كلبتها نظرتْ إلى القمر قد طلَع فنبحتْ ، لتوهّمه رغيفًا أو شيئا يؤكل . وهذا شىء لا يصح له معنى . والقول هو الأوّل .

الخـــوارزمى : فى أساس البلاغه : « نبحته الكلابُ » . يقال : من خاصّة الكلب أن ينبح القمرَ ليـلةَ البَدْر . وهذا المعنى ممـا يُعْثَرُ عليه أحيانًا فى الشعر الفارسىّ . وفى أمثالهم : « لا يَضُرُّ السحابَ ، نُبَاحُ الكلاب » . ويروى : « هل يضرّ » . قال الفرزدق :

وقد ينبح الكلبُ السحابَ ودونَهُ   مَهَامِهُ[1] ... ...

(١) تمـامه كما فى الديوان (٢ : ٧٥) : « تعشى نظرة المتأمل » .

[القصيدة الحادية والعشرون]

وقال أيضا فى المتقارب الأوّل،[1] والقافية متواتر :

١ (لَعَمْرِى لَقَدْ وَكّلَ الظّاعِنونَ بِقَلْبِى نَجْمًا بَطِىءَ الغُرُوبِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : كان الواجب أن يقول : وكلّ الظاعنون عينى بنجم ، كما فى قول بعضهم :

هَلْ عَلِمُوا أَنّى أَقَضّ مَرْقَدِى وأنّ عينى وُكِّلَتْ بالفَرْقَدِ

فقلب الكلام . ثم أقام القلب مقام العين ، مشيرا بذلك إلى عماه . قال : أُراعى النجوم بالقلب لا بالعين .

٢ (أَقُولُ وَقَدْ طَالَ لَيْلِى عَلَىّ أَمَا لِشَبَابِ الدُّجَى مِنْ مَشِيبِ)

٣ (أُقُصّتْ نُسُورُ نُجُومِ السَّمَاءِ فَلَمْ تَسْتَطِعْ نَهْضَةً لِلْمَغِيبِ)

التبريزى : يريد النسر الطائر والنسر الواقع .

البطليوسى : هذا كقول محمد بن هانئ :

كأنّ قُدَامَى النّسْرِ والنّسْرُ واقِعٌ قُصِصْنَ فلم تَسْمُ الخَوَافِى به ضَعْفَا

الخوارزمى : عنى بالنسور النسرَ الواقعَ ،[2] وهو فى « طلانى » والطائرَ ، وهو كوكب منير بين كوكبين عن جَنَاحيه ، فهى ثلاثةٌ مصطفّة . وهو إزاء الواقع ، وبينهما المجرّة . والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقدّم .

---

(١) فى البطليوسى : « وقال أيضا » . وعبارة الخوارزمى مثل عبارة التبريزى .

(٢) انظر البيت الثامن عشر من القصيدة الرابعة عشرة ص ٢٣٨ .

[القصيدة الثانية والعشرون]

وقال فى الخفيف الأول، والقافية متواتر[1] :

١ ﴿حَيِّ مِنْ أَجْلِ أَهْلِهِنَّ الدِّيَارَا وَأَبْكِ هِنْدًا لَا النُّؤْىَ وَالأَحْجَارَا﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : الضمير فى «أهلهن» ينصرف إلى «الديار» . وهذه المسألة فى « أعن وخد القلاص »[2] .

٢ ﴿هِىَ قَالَتْ لَمَّا رَأَتْ شَيْبَ رَأْسِى وَأَرَادَتْ تَنَكُّرًا وَازْوِرَارَا﴾

٣ ﴿أَنَا بَدْرٌ وَقَدْ بَدَا الصُّبْحُ فِى رَأْ سِكَ والصُّبْحُ يَطْرُدُ الأَقْمَارَا﴾

التبريزى : سياق .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : هذا كقول بعضهم فى جارية اسمها « الثُّرَيَّا » :

وَلَمَّا أَنْ تَنَفَّسَ صُبْحُ شَيْبِى طوتْ عنِّى رداءَ الوَصْلِ طَيَّا
تَوَلَّتْ مُنْيَتِى عَنِّى فِرارًا تَرَى وَصْلِى لدى الفَتَيَاتِ غَيَّا
فقلتُ هجرتِ سيِّدتِى فقالتْ وهل تبقَى مع الصُّبْحِ الثريَّا

٤ ﴿لَسْتِ بَدْرًا وَإِنَّمَا أَنْتِ شَمْسٌ لَا تُرَى فِى الدُّجَى وتَبْدُو نَهَارَا﴾

التبريزى : كأنها لما قالت : أنا بدر ورأسك كالصبح ، للشيب الذى بدا فيه ، والصبح والبدر لا يجتمعان ، قال لها : بل أنتِ شمسٌ ، والشمس لا تكون إلّا بالنهار .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : المصراع الأخير فى محلّ الرفع على أنه صفة .

(١) فى البطليوسى : «وقال أيضا من سقط الزند» . وعبارة الخوارزمى تطابق عبارة التبريزى .

(٢) أنظر البيت ٨١ من القصيدة الأولى ص ١١٢ .

[القصيدة الثالثة والعشرون]

وقال أيضا فى السادس من البسيط، والقافية متواتر[١] :

١ ﴿لله أيامُنا المواضى[٢] لو أنَّ شيئًا مضى يعودُ[٣]﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : « لله كذا » فى « تحيرت جهدى »[٤] .

٢ ﴿أبلَى ودادى لكُمْ زمانٌ أليَنُ أحداثِه حديدُ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا كبيت الحماسة :

إذا ما شئتَ أن تَسْلَى خليلًا فأكثِرْ دونه عددَ الليالى[٥]

٣ ﴿لم يبْلَ من بِذلةٍ ولكن يبلَى على طَيِّه الجديدُ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : هذا معنًى مليح لا أحفظه لغيره . يقول : لم يبلَ ما عهدتموه من ودادى إياكم ، من أجل أنِّى بذلته لسواكم ، فيكون بمنزلة الثوب الذى تُبليه كثرة البذلة ، والإفراط فى المهنة ، ولكن كان كالثوب الذى يصونه صاحبه فيبليه كرور الزمان ، وإن كان محفوظا فى الصِّوان ؛ لأن من طَبْع الدهر أن يُبْلِىَ المَصُون والمُبْتَذَل ، والمستعملَ وغيرَ المستعمل .

الخوارزمى : البذلة ، بالكسر ، هى الابتذال ، ومنه ثياب البِذْلة .

---

(١) فى البطليوسى : « وقال أيضا » . وعبارة الخوارزمى تطابق عبارة التبريزى .

(٢) فى ا من البطليوسى : « الخوالى » . (٣) فى البطليوسى : « دهرا » .

(٤) البيت السادس من القصيدة التاسعة عشرة ص ٦٢١ . (٥) أنظر الحماسة (٢ : ١٠٢) .

[القصيدة الرابعة والعشرون]

وقال أيضا فى البسيط الأول، والقافية متراكب[1] :

١ (مِنْكِ الصُّدُودُ وَمِنِّى بِالصُّدُودِ رِضَا ... مَنْ ذَا عَلَىَّ بِهَذَا فِى هَوَاكِ قَضَى)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : « مَنْ ذا علىّ » التفاتٌ طيِّب .

٢ (بِى مِنْكِ مَالَوْ غَدَا بِالشَّمْسِ مَاطَلَعَتْ ... مِنَ الْكَآبَةِ أَوْ بِالْبَرْقِ مَاوَمَضَا)

التبريزى : الكآبةُ : الحُزْن . يقال : وَمَضَ البرقُ وأَوْمَض، إذا أضاء .

البطليوسى : أكثر مايقال: أَوْمَض البرقُ يُومِضُ إيماضًا فهو مُومِضٌ . وقد قالوا أيضا : وَمَض يَمِضُ وَمْضًا ووَمِيضًا فهو وامضٌ . أنشد أبو عمرو الشيبانىّ فى نَوادره :

يا مَىّ أسْقاكِ البُرَيْقُ الوامضُ ... وسُحُبٌ غَادِيَــةٌ فُضَــافِضُ

والكآبة : الحزن . وقوله : «من ذا علىّ بهذا فى هواكِ قضى» ! لفظٌ خرج مخرج السؤال والاستفهام، وليس باستفهام، إنما هو تَوجُّع و إشفاق؛ كما قال كُثَيِّر :

تَوَلَّيْتُ محزوناً وقلتُ لِصاحِبى ... أقَاتِلَتِى لَيْلَى بغَيْرِ قتيلِ

الخوارزمى : مِنْ ، فى « منكِ » لابتداء الغاية ، وفى « من الكآبة » للتعليل .

---

(١) فى البطليوسى : « قافية الضاد . قال أبو العلاء » . وفى الخوارزمى : « وقال أيضا فى البسيط الأول والقافية من المتراكب » .

٣ (إذَا الفَتى ذَمَّ عَيْشًا فِى شَبِيبتَهِ   فَمَا يَقُولُ إِذَا عَصْرُ الشَّبَابِ مَضَى)

التبريزى : أى إذا ذمّ أوّله المحمودَ والمحبوبَ ، فأحْرِ به ألّا يَحْمَدَ آخره .
وعصر الشباب : زمانُه ووقته .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٤ (وَقَدْ تَعَوَّضْتُ عَنْ كُلٍّ[(١)] بِمُشْبِهِهِ   فَمَا وَجَدْتُ لأَيَّامِ الصِّبَا عِوَضَا)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يقول : إذا كان الفتى يذمّ عيشَه فى وقت شبابه ، فهو أحْرى أن يذمّه عند ذهَابه ؛ لأنّ أيّام الصِّبا والاقبال ، هى التى يُوصَل فيها الى الأمانى والآمال ، وهى التى يتنافس فيها المتنافسون ، ويتأسَّف على فَقْدها المتأسِّفون ؛ كما قال القائل :

زمانَ الصِّبَا ليتَ أيّامَنا   رجعنَ لنا السالفاتِ القِصَارَا

الخوارزمى : قال[(٢)] :

لا تُكْذَبَنّ فما الدُّنيا بأجمعها   من الشّبابِ بيومٍ واحدٍ بَدَلُ

والبيتان مُتقارِبا المعنى .

٥ (وَقَدْ غَرِضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَمَنِى   مُعْطٍ حَيَاتِى لِغِرٍّ بَعْدَ مَا غَرِضَا)

التبريزى : غَرِضْتُ ، أى ضجرت ، [و] يقال : غَرِضَ يَغْرَضُ غَرَضًا ، إذا اشتاق ؛ قال الشاعر[(٣)] :

(١) فى البطليوسى : « من » .
(٢) كذا مع إغفال اسم القائل .
(٣) هو ابن هرمة ، كما فى اللسان (مادة غرض) .

مَنْ مُبلِغٌ عنّى عُلَيّةَ مَالَكَا يُهدَى إليها غيرَ قِيلِ الكاذبِ
أنّى غَرِضتُ إلى تَناصُفِ وجهها غَرَضَ المحبِّ إلى الحبيبِ الغائبِ

تناصف وجهها، أن يحسن منه كل شيء : العين والفم والأنف وغير ذلك . والغِرّ : الذى لم يجرّب الأمور . يقول : قد جَرّبت الدنيا ، وضَجِرت منها، فهل زمانى يُعطى حياتى لمن لم يُجرّبها ولم يَضْجَر منها !

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : غَرِضَ غَرَضًا، أى ضَجِر ومَلّ . الإعطاء، يتعدّى إلى مفعولين، وقد يُعَدّى إلى المفعول الأوّل باللام . وفى شعر أبى الطيّب :

* قَوافلُ لا تُعْطى القَفِىّ[1] لسائقِ *

وتعديته باللام هاهنا أحسنُ منه فى بيت أبى الطيّب[2] . «بعدُ» مضموم على الغاية .

٦ (جرّبتُ دَهْرِى وأهْلِيهِ فَمَا تَرَكَتْ لِىَ التّجارِبُ فى وُدّ امرِئٍ غَرَضَا)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يقال: غَرِضْتُ من الشىء، إذا مَلِلْته وكرِهته، وغَرِضْتُ إليه، إذا أحببتَه . يقول : قد مَللتُ من الحياة فى الدنيا وزَهِدْتُ فيها ، لِمَا جرّبت من تقلُّب أحوالها وسوء مُعاشرة أهليها، فليتَ حياتى سُلِبتْ عنّى ووُهِبتْ لغِرٍّ لم يجرِّب الأمورَ ولم يعلم حال الأيام ، فهو لقلّة معرفته بالدهر، حريصٌ على أن يُمَدّ له فى العمر . والغِرّ : الصغير الذى لا معرفة عنده . وبنى «بعدُ» على الضم حين قطعها عن الإضافة . و «ما» نفىٌ . ومعناه لم يَغْرَضْ، أى لم يَمَلّ الحياةَ . وموضع الجملة التى هى « ما غَرِض» خفضٌ على الصفة لغِرّ . والتقدير: لغِرٍّ غيرِ غَرِض بعدُ .

(١) القفى : جمع قفا . ورواية الديوان : « قبائل » . مكان «قوافل» . وصدره :

* وسوق على من معد وغيرها *

(٢) لأن المعدى فى بيت أبى العلاء وصف وهو « معط » ؛ وفى بيت أبى الطيب فعل وهو « تعطى » . وتعدية الوصف باللام حسنة ، وليس كذلك الفعل .

الخوارزمى : هذا من قول أبى الدَّرْداء : « وجدتُ الناسَ اخْبُرْ تَقْلِهْ »(١) ، من قَلَى يَقْلِى ، إذا أبغض .

٧ (وَلَيْلَةٍ سِرتُ فِيهاَ وَابْنُ مُزْنَتِهَا كَمَيِّتٍ عَادَ حَيًّا بَعْدَ ما قُبِضَا)

التبريزى : يعنى بابن مُزْنتها الهلالَ . وإنما يقع عليه هذا الاسم إذا كان مستترًا بالغيم فخرَج منه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : ابن مُزْنَة ، هو الهلال إذا خرج من المُزْن بعد استتاره به . يقول : سرتُ فى ليلة هائلة يموت فيها الهلالُ مَرّةً من الخوف ، ويحيا أخرى .

٨ (كَأَنَّمَا هِىَ إِذْ لَاحَتْ كَوَاكِبُهَا خَوْدٌ مِنَ الزِّنْجِ تُجْلَى وُشِّحَتْ خَضَضَا)

التبريزى : شبّهها بخَوْدٍ من الزِّنْج لسوادها . والخضض : خَرَزٌ صغار بيض تلبسها الإماء . وقوله « وُشِّحت » أى جُعِلَ لها مكانَ الوشاح . والوشاح : ما يكون على خاصرتَى المرأة ، وربما كان لؤلؤًا ، وربما كان غيره .

البطليوسى : المُزْنة : السحابة البيضاء . وأراد بابن المزنة الهلالَ ، كما قال الآخر(٢) :

كأنّ ابنَ مزنتها جانحًا فَسِيطٌ لَدَى الأُفْقِ من خِنْصِرِ

والفسيط : قُلامة الظُّفر . وشبّه الهلالَ حين ظهر بعد مَغيبه بميِّت عادت إليه حياتُه بعد الموت . وشبّه الليلة حين ظهرت فيها الكواكب بزنجيّةٍ لبستْ وشاحًا من خَضَض . والخضض : خرز أبيض تلبسه الإماء . والخَوْد : الفتاة الشابّة . وتُجْلَى : تُبرَز . ولاحتْ : ظهرت . ويقال : زِنْجٌ وزَنْجٌ ، بكسر الزاى وفتحها .

---

(١) انظر الخبر فى اللسان (٢٠ : ٦٠) . ويقال : قلاه يقليه ، وقليه يقلاه .

(٢) هو عمرو بن قميئة ، كما فى اللسان (فسط) .

الخـــوارزمى : الخَضَض، هو الخرز الأبيض الذى يلبسه الإماء؛ حكاه الغورىّ عن الأموىّ .

٩ (كَأَنَّمَا النَّسْرُ مَقْصُوصٌ قَوَادِمُهُ[1] فَالضَّعْفُ يَكْسِرُ مِنْهُ كُلَّمَا نَهَضَا)

التـــبريزى : يريد النسر الطائرَ . وإنمـا يصف اللَّيلَ بطوله .

البطليـــوسى : القوادم : الريش الطِّوال التى فى مُقَدَّم الجَناح . أراد أنّ الليل لطوله يُخيِّل إلى الساهر[2] فيه أنّ كواكبه لا تبرَح ، فكأنّ النسر من كواكبه قد قُصّتْ قوادمه ، فهو لا يقدر على النهوض . وقد ذَكر نحوَ هذا فى قوله :

أُقُصّتْ نسـورُ نجـومِ السماء فـلم تستطع نهضـةً للغيبِ[3]

وقال محمد بن هانئ الأندلسىّ :

كأنّ قُدَامَى النَّسْرِ والنسرُ واقعٌ قُصِصْنَ فلم تَسْمُ الخوافِى به ضَعْفَا

الخـــوارزمى : ... ...

١٠ (وَالْبَدْرُ يَحْتَثُّ نَحْوَ الْغَرْبِ أَيْنُقَهُ فَكُلَّمَا خَافَ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى رَكَضَا)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : يحتثّ : يكدّ ويُسرِع ويستعجل . وأينُق : جمعُ ناقة . والرَّكْض : استحثاث الفرسِ لينهض . ووقع فى بعض نسخ سقط الزند : «والبدر يحتث» . ولا تستقيم هـذه الرواية إلا على أن يريد بابن المزنة القمر . والقمـر يسـمّى ابن المزنة كما يسمّى الهلالُ . وكذا وقع فى روايتنـا . ووجدتُه فى بعض

(١) التبريزى : « قد قصت قوادمه » .

(٢) فى أ : « يخيل للسائر » .

(٣) البيت الثالث من القصيدة ٢١ ص ٦٥١

النسخ : « والنجمُ يحتثّ » . فعلى هـذه الرواية يجوز أن يريد بابن المزنة الهلالَ، ويجوز أن يريد القمرَ . والمراد بالنجم ها هنا الثريّا . وذكره الأينـق لأنّ بجَنْب[1] الثريّا كواكبَ تسمّيها العربُ القِلَاص . والقِلَاص : الفتيّةُ من الإبل . وكانوا يزعمون أنّ الدَّبَرَانَ يَتْبَع الثريّا خاطباً لها ، وأنه ساق عشرين كوكبًا عن مَهْرِها ، وأنّ العَيُّوق يُشير عليها ألا تُقْبِلَ عليه ، ولذلك سمّوه عَيُّوقًا ، وسمّوا الدَّبَرَان حادياً . ولو اتّفق له ذكرُ « الدبران » هاهنا مع ذكر الأَيْنُق لكان أليقَ بالمعنى . وهـذا المعنى أراده طُفَيْلٌ بقوله :

أمّا ابنُ طَوْقٍ فقد أوفَى بذِمّتِهِ ... كما وَفَى بقِلَاصِ النَّجْمِ حَادِيها

الخـوارزمى : استعار الأينق للنّجوم . ويشهد لصحّة هـذه الاستعارة قولُ ذى الرُّمّـة :

إذا عارضَ الشِّـعْرَى سُهَيْلٌ كأنّه ... قَرِيعُ هِجَـانٍ عارضَ الشَّوْلَ جافرُ[2]

ألَا ترى كيف جعَل سهيلًا كالفَحْل وسائرَ الكواكب مثـلَ الشَّوْل . ويحتمل أن يكون الأينق هاهنا من قَبِيل استعارة الشيء للشيء وليس له . ونحوُها بيت السقط :

وإنْ جارَتْكَ هُوجُ الريح كانت ... أكَلَّ ركائبًـا وأقـلَّ زادا[3]

خافه، وقد يقال خاف منه . قال :

* أنا الغريقُ فما خوفى من البلل *[4]

(١) فى أ : « لأن تحت » .

(٢) أنظر ديوان ذى الرمة ص ٢٤٣ . والجافر: الذى أكثر الضراب حتى انقطع وفتر . والرواية فى الديوان : «وقد لاح للسارى سهيل» . وفى اللسان (جفر) : «وقد عارض» .

(٣) البيت السابع من القصيدة ٣٣ .

(٤) عجز بيت المتنبى، وصدره :

* والهجر أقتل لى مما أراقبه *

النسر لمّا كان من الثوابت وأراد صفته بالخوف، جعله ضعيفا مقصوص القوادم. والبدر لمّا كان من السيّارات ورام وصفه بالهيبة، جعله ممرعا نحو الغرب.

١١ (ومَنْهَلٍ تَرِدُ الجَوْزَاءُ غَمْرَتَهُ   إذَا السِّمَاكَانِ شَطْرَ المَغْرِبِ اعْتَرَضَا)

التبريزى: يقول: لصفائه تتبين النجوم فيه. وغمرته: مجتمع مائه.

البطليوسى: المنهل: مورد الماء. وغمرته: كثرة مائه ومعظمه. وشطر المغرب: ناحيته وقَصْده. وأراد بالسماكين: السماك الرامح والسماك الأعزل. ومعنى تَرِد الجوزاء غمرته، أن الجوزاء تُشرف عليه، فتُرَى فيه عند اعتراض السماكين شطر المغرب. وقد أُولع بهذا المعنى فكرره فى مواضع من شعره؛ كقوله:

تَبِيتُ النجومُ الزُّهْرُ فى حَجَرَاتِهِ   شَوارِعَ مثلَ اللؤلؤ المُتَبَدِّدِ (١)

وقوله فى موضع آخر:

به غَرِقَ النجومِ فبينَ طافٍ   وراسٍ يَستَسِرُّ ويُسْتَبانُ (٢)

وقد ذكر نحو ذلك العجّاج فى قوله:

باتتْ تظنُّ الكوكبَ السيَّارَا   فريدةً فى الماء أو مِسْمارا

وقد أكثر المحدَثون فى هذا المعنى؛ كقول القائل (٣):

إذا النجومُ تراءتْ فى جوانبها   ليلا حَسِبت سماءً رُكِّبتْ فيها

وقول الآخر:

تَوهَّمَ ذو العينِ البصيرةِ أنَّه   يَرَى ظاهرَ الأفلاك فى باطن الأرض

(١) البيت التاسع والعشرون من القصيدة الثامنة ص ٣٧١.
(٢) البيت السادس والأربعون من القصيدة الثالثة ص ٢٠٩.
(٣) هو البحترى. وانظر ما مضى فى ص ٣٧١ — ٣٧٢.

وأُخبرت أن بعض علماء وقتنا هذا، زعم أنه أراد بالجوزاء ها هنا الشاة البيضاء الوسط . وهذا لا يصح ولا له معنى يُعْقَل، لأن الشاة لا تَرِد الماء فى هذا الوقت الذى وصفه أبو العلاء . ويزيد هذا التأويل بعدًا أنه إنما وصف ماء فى فَلاة من الأرض ، ومثلُه لا يصل إليه الشياه . فإن زعم زاعمٌ أنه أراد بالشاة ها هنا الثور الوحشىّ، لأن العرب تسمِّيه شاة، فذلك خطأ، لتأنيثه الصفة، ولأن هذه الصفة إنما هى من صفات الضأن لا من صفات بقر الوحش . وبقر الوحش بيض الألوان، ليس فيها سوادٌ إلا فى وجوهها وأكفالها وأكارعها، فلا يصحّ أن توصف بهذه الصفة .

الخوارزمى : يقول : لصفائه تتبين النجوم فيه .

١٢ (وَرَدْتُـهُ ونُجُومُ اللَّيْـلِ وَانِيـةٌ   تَشْكُو إلى الفَجْرِ أنْ لَمْ تَطْعَمِ الغُمُضَا)

التبريزى : وانية : ضعيفة مُعْيِية . الغُمض : النوم .

البطليوسى : الوانية : المُعْيِية لطول السير . والغُمض : النوم . وهذه مبالغة فى وصف الليل بالطول .

الخوارزمى : ورود الجوزاء غَمْرةَ ذلك المَنْهَل كنايةٌ عن طلوعها وظهورها فى ذلك الماء . واعتراضُ السماكين شَطْرَ المغربِ كنايةٌ عن انقضاء الليل . وطلوع الجوزاء عند انقضاء الليل إنما يكون عنده شدّة الحر . قال أبو زُبَيْد الطائىّ :

أىُّ ساعٍ سعى ليقطعَ شِرْبِى   حين لاحتْ للصابح الجوزاءُ
وتَقَى الجُنْدَبُ الحصَى بكُرَاعَيْـ   ـهِ وأوفَى فى عُوده الحِرْباءُ
واستكنَّ العُصْفورُ كَرْهًا مع الضَّـ   ـبِّ وأذكتْ نيرانَها المَعْزاءُ

فإن قلت : إنما يصحّ من حيث المتعارف أن يُحمَل كلامُ أبى العلاء على ما ذكرتَ، أنْ لو أمكن للرائى أن يرى الجوزاء فى الغـدير، عنـد طلوعها غُدوةً من المشرق، والسماكين أيضا فى جهة المغرب . ولايمكن رؤية الجوزاء والسماكين كذلك؛ لأنّ السماكين فى الميزان، فكلّما فرضنا الجوزاء طالعـةً من المشرق فلا بدّ من أن يكون الميزان تحت أُفق المغرب منحطًّا؛لأنه لا يُرَى من موضع واحد أكثر من ستة بروج. قلتُ : فى طَرَف الشّمال عنـد منقطع العِمارة يمكن رؤيتها كذلك ؛ لأن تسعةً من البروج ثَمّةَ تكون أبديّة الظهور. فإذا فرضنا الشمس فى السّرَطان وقد طلعت من المشرق الجوزاء غُدْوةً، فالسرطانُ والأسد والسُّنْبُلة تحت الأرض، ويلزم من ذلك أن يكون حينئذ المـيزان فى أُفق المغرب . وهـذا فى الهيئة يعرف . وعنـد كون الشمس فى السرطان تكون سَـوْرةُ الحَرّ وفَوْرته . فكأنه يقول : رُبَّ منهـلٍ هو منتهى العِمارة من جانب الشمال، تطلُع الجوزاء بُكرة فتُرَى فيه والسماكان فى المغرب، وذلك عند شدّة الحَرّ وعِزّة المـاء، وقد اجتهدت فى السير والسُّرَى حتى وردته. وفى هذين البيتين إيماء إلى أنه يشرب هو والجوزاء من موردٍ واحد، فى وقت واحد.

[القصيدة الخامسة والعشرون]

وقال أيضا فى الطويل الثالث، والقافية من المتواتر، يخاطب بعض العَلَويّين وقد عرضتْ له شَكاة[1] :

١ ﴿عظيمٌ لَعَمْرِى أنْ يُلِمَّ عَظِيمُ　　بآلِ عَلِىٍّ والأنامُ سَلِيمُ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : قوله «أن يلم عظيم * بآل علىّ» فى محل الرفع بالابتداء، و«عظيم» خبر مقدّم عليه .

٢ ﴿ولٰكنّهم أهْلُ الحَفَائِظِ والعُلَا　　فَهُمْ لِمُلِمَّاتِ الزَّمانِ خُصُومُ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يقال : ألمّ به يُلِمّ إلمامًا، إذا نَزَل به . وملمّات الزمان : نَوائبه التى تُلِمّ وتَنْزِل . والحَفائظ : جمعُ حَفيظة، وهى ما يُحافِظ عليه الإنسان ويَغْضَب له ويمنعه ممن رامَه . وخُصوم : جمع خَصْم . وهذا شبيه بقول أبى تمّام :

عَوْدٌ تُساجِلُه أيّامُه فَبِهِ　　مِنْ مَسِّها وبها من مَسّه جُلَبُ[2]

الخوارزمى : هو من أهل الحفيظة، وهى الغضب والحَمِيّة عند حِفْظ الحُرْمة .

---

(١) فى البطليوسى : «وقال فى بعض العلويين وقد عرضت له شكاة» . وفى الخوارزمى : «وقال أيضا فى الطويل الثالث والقافية من المتواتر يخاطب بعض العلويين وقد عرضت له شكاة فاعتذر الشيخ أبو العلاء فى ترك العيادة» .

(٢) رواية الديوان : «فبها * من مسه وبه من مسها جلب» . والجلب : جمع جلبة، وهى القشرة تعلو الجرح عند البرء .

٣ (فَإِنْ باتَ مِنْهَا فِيهِمُ وَعْكُ عِلّةٍ فَفِيهَا جِراحٌ مِنْهُمُ وكُلُومُ)

التبريزى : وَعْك العلّة : أوّلها . وفلان مَوعوك، فى أوّل ما يُحَمّ . وقوله : « منها » يعنى من الملمّات . وكُلوم : جمع كَلْم ، وهى الجراحة .

البطليوسى : هكذا وقع فى النسخ . والكُلوم : هى الجراح بأعيانها . وقد كان يُمكنه أن يقول : « ووُسوم » ، فيخالف بين اللفظين ، فيكون أحسن فى صناعة الشعر . وأنا أظنّه تصحيفًا وقع فى النسخ ، وإنما هو « وكُدوم » ، وهى آثار العضّ ، يقال : كَدَمه يَكْدُمه ، إذا عضّه ؛ قال الهُذَلىّ[1] :

* بِفَائِلِهِ والصَّفْحَتَيْنِ كُدُومُ *

والوَعْك : المرض .

الخوارزمى : به وَعْك الحُمّى ، ووَعْكَةُ الحُمّى . وهو من قولك : وَعَكته الحُمّى ، أى دكّته .

٤ (هَنِيئًا لِأَهْلِ العَصْرِ بُرْءُ مُحَمَّدٍ وإِنْ كانَ مِنْهُمْ جاهِلٌ وعَلِيمُ)

التبريزى ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقول : أُهنئ بصحّة هذا الممدوح بنى العصر وإن كان فيهم مَنْ لا يعرف موقع بُرْئه ونعمة صحّته .

(١) هو ساعدة بن جؤية . وصدر البيت كما فى ديوان الهذليين مخطوطة الشنقيطى ٦ أدب ش ص ٤٣ :

* نجاء كُدُرّ من حمير أتيدة *

وكدر ، بضم الكاف والدال وتشديد الراء : غليظ ، ومثله كُادر وكُندر . وأتيدة ، بضم أوله وفتح التاء : موضع فى بلاد قضاعة ببادية الشام . والفائل : عرق فى باطن الفخذ . وروى بقافية : « ندوب » غير منسوب فى اللسان (٦ : ٤٥٠) ومعجم البلدان (أتيدة) .

٥ (أَلَدُّ بِحَدَّىْ سَيْفِهِ وسِنَانِه إذَا لم يَغْلِبْ غيرُ ذَيْنِ خَصِيمُ)

التبريزى : أى إذا لم يُغَلِّب غيرُ السيف والسنان فهو ألدُّ خصيمٌ . والألَدُّ : الشديد الخصومة .

البطليوسى : يقول : هنيئا لهم بُرْءُ مجد هذا الممدوح وإن كان منهم عالمٌ بمقدار ما فى بُرْئه من المنفعة والصلاح ، ومنهم جاهلٌ بقدر ذلك . والألدّ : الشديد الخصومة . يقول : هو ألدُّ الخصام فى مَواطن الحرب ، ومواضع الطعن والضرب . وشبّه مكان الحرب والقتال ، بمكان التّشاجُر والجدال . وكأنه ألمّ بقول أبى الطيّب :

وردٌ بعضُ القنا بَعْضًا مُقَارَعَةٌ(1) كأنّهُ من نُفُوس القومِ فى جَدَلِ

الخوارزمى : قوله « غيرَ ذين » منصوبٌ ليس إلّا ، لأنه مستثنى مقدّم(2)

٦ (لَكَ اللهُ لا تَدْعَرْ وَلِيًّا بِغَضْبةٍ لَعَلّ لَهُ عُذْرًا وأنتَ تَلُومُ)

التبريزى : إنما اعتذر إليه لأنه كان وجّه إليه يُعاتبه فى تَركه عيادته .

البطليوسى : عَجُزُ هذا البيت مأخوذ من قول القائل :

تَأَنَّ ولا تَعْجَلْ بلَوْمِك صاحبًا لعلّ له عُذْرًا وأنتَ تلومُ

وقوله « لك الله » كلامٌ فيه اختصارٌ وحذف ، ومعنى ذلك : اللهُ حافظٌ ووليٌّ ، ونحو ذلك من التقدير . قال ابن الدُّمَيْنة :

لَكِ اللهُ إنّى واصلٌ ما وَصَلْتِنِى ومُثْنٍ بما أَوْلَيْتِنى ومُثِيبُ

الخوارزمى : عنى بقوله «وليًّا» نَفْسَه . وإنما قال ذلك لأنّ الممدوح كان قد عاتبه فى ترك عيادته ، فهو قد كتب إليه بهذه الأبيات يعتذر إليه ويَستعطفه .

(1) فى أ من البطليوسى : « مجادلة » وما أثبتنا من ب والديوان .

(2) جعل الخوارزمى « خصيم » نائب فاعل ، وجعله التبريزى خبرا بعد خبر .

فى أمثالهم : «لعل له عذرا وأنت تلوم» ؛ يضرب لمن يعذِل مَن له عذرٌ . وصدر البيت :

* تأنَّ ولا تعجَلْ بلَوْمِك صاحباً *

ومثله قولُ أكثم بن صَيْفِيٍّ : « رُبَّ ملُومٍ لا ذَنْبَ له » .

٧ (فلو زارَ أهلَ الخُلدِ عَتْبُكَ زَوْرةً لأوْهَمَهُمْ أنَّ الجِنانَ جَحِيمُ)

التبريزى ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : [جحيم]، فعيلٌ بمعنى فاعل، من جحمت النار، إذا اضطرمتْ .

٨ (إذا عَصفَتْ بالرَّوضِ أنفاسُ ناجرٍ فأىَّ وَمِيضٍ للغَمامِ أشِيمُ)

التبريزى : ناجر : شديد الحر. ويقال لحَزِيرانَ وتمّوزَ شهراً ناجرٍ. ولا يُرتَجى الغمام فيهما . يقول : إذا تغيّرتَ علىّ فمَنْ أرجو سِواكَ !

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٩ (وهَلْ لِى فى ظلِّ النَّعامِ[1] تَقَيُّلٌ إذا مَنعَتْ ظِلَّ الأراكِ سَمُومُ)

التبريزى : النعام: خشبات تُنْصَب وتُظَلَّل بشىء، يُستظلّ بها . والأراك: شجر . والسَّمُوم بالنهار، والحَرُور بالليل، كذلك هو فى أكثر كلامهم . قال الراجز:

اليومُ يومٌ باردٌ سَمُومُهْ مَنْ عَجَزَ اليومَ فلا تَلُومُهْ[2]

باردٌ سَمُومُه، أى دائم ثابت . وقد استعمل العجّاج الحَرُور فى النهار، وذلك قوله :

وبَسَطتْ لوامعُ الحَرُورِ سَبائبًا كسَرَقِ الحريرِ

يعنى السرابَ، والسرابُ لا يكون إلّا نهارا .

(١) فى البطليوسى : « الثغام » وعليها شرحه . (٢) اللسان (برد) .

البطليوسى : يقال: عَصَفتِ الريحُ وأعْصفتْ، إذا اشتدّ هُبوبُها . وناجر: كلّ شهر كان فى صميم الحرّ . وهو مشتقٌّ من قولهم : نَجِرَتِ الإبلُ نَجَرًا، إذا اشتدّ عَطَشُها . قال الراجز :

* حتى إذا ما اشتدّ لُوبانُ النَّجَرْ[1] *

والوميض : لَمْعُ البرق الخفىّ؛ يقال: ومَضَ البرقُ وأومض، إذا لمع لمعاناً ضعيفا . والشَّيْم : النظر إلى البَرْق. والثَّغام : نبتٌ ضعيف قصير، له زهر أبيض، يشبّه به الشيب، فيقال: شابَ حتى كأنّ رأسه ثَغَامة. والأراك : شجرٌ من العِضاه طويل كثير الفروع، يُستاك بأغصانه وعُروقه. والسَّمُوم : الريح الحارّة تهبّ بالنهار، فإن هبّت بالليل فهى حَرُورٌ . وربّما استُعملت كل واحدة منهما مكانَ الأُخرى. قال العجّاج:

ونَسجَتْ لوامعُ الحَرورِ[2] برَقْرقانِ آلِها[3] المَسْجورِ

* سبائبًا كسَرَقِ الحَريرِ *

وهذه أمثالٌ ضربها أبو العلاء للدوح، فقال : إذا هلكتَ لم يبق بعدك من يُرْجَى نداه، ويأوى المُعتفون إلى ذَراه . وكان الذى يلتمس نَيْلًا بعد عدم نَيْلك، وظلًّا بعد تَقلُّص ظلّك ، بمنزلة من يرجو مطرًا يُرَوِّض الأرضَ فى شهر ناجر ، ويستظل بالثَّغام ليستره عن حَرّ الهواجر .

الخــوارزمى : نحن فى شهر ناجرٍ، وهو الشهر الواقع فى صميم الحَرّ، من النَّجَرِ، وهو فَرْط العَطَش ؛ كذا ذكره فى أساس البلاغة . الثَّمام : حشيشٌ تُنْصَب وتُستَر بشىء يستظلّ بها، كأنه مستعارٌ من الطير، لأنه يُشبهه، وكذلك يُشَبَّه بالخيل، ومنه بيت السقط :

(١) انظر اللسان (نجر) . (٢) فى اللسان (٥ : ٢٥٠) : «لوافح الحــرور» وما هنا يوافق الديوان ص ٢٧ . (٣) رقرقان الآل : ما ترقرق من السراب . وفى الأصــل : «من قرقان» صوابه من الديوان واللسان (١١ : ٤١٥) .

خيلٌ شَوامِسُ في الجِلالِ إذا هفَتْ ... ريحٌ وإنْ ركدتْ فغيرُ شوامِسِ (1)

قَالَ وتَقَيَّل، هما من القَيْلُولة. يقول: إذا حَمِيَ الهواء حتى لم يبق للأشجار ظِلٌّ يُلاذُ به من الحرّ، فهل يُمْطَر حينئذ الرَّوْضُ، وأَقِيلُ للاستراحة في مِظَلَّةٍ من الخَشَب مُلْقًى عليها الثياب؟ يريد أن عَتْبَك عليَّ بمنزلة ألَّا يُرْجَى المَطَرُ، ويتناهَى الحرّ، وأنا روضةٌ عَطْشَى أو إنسانٌ في نحو تلك المِظَلَّة.

١٠ (وما كُنتُ أدري أنَّ مثلَكَ يشتكي ... ولم يتغيَّرْ للرِّياحِ نَسِيمُ)

١١ (ولم تُطْبِقِ الدُّنيا الفِجاجَ على الوَرَى ... فيَهْلِكَ محمودٌ بها وذَميمُ)

التبريزى: الفِجاج: الطُّرُق الواسعة، واحدها فَجٌّ.

البطليوسى: سيأتى.

الخوارزمى: يقول: ما كنتُ أعلم أنّ مثلَك يشتكي المرضَ ولا يقع في الدنيا خَلَلٌ عظيم وفسادٌ شنيع. كأنّه يعتذر إليه حيثُ لم يَقِف على شَكاته. ومحصولُ هذا المعنى من قول امرأة في مَرْثِيَةِ عُمَرَ بنِ الخطّاب (2):

أَبَعْدَ قتيلٍ بالمدينةِ أظلمتْ ... له الأرضُ تهتزُّ العِضاهُ بأَسْؤُقِ

١٢ (فإنْ نالَ منكَ السُّقْمُ حظًّا فطالَما ... رأيتَ هِلالَ الأُفْقِ وهو سَقيمُ)

التبريزى: ... ...

البطليوسى: ... ...

الخوارزمى: نِلْته بخير، ونال من عدوِّه.

١٣ (إذا أدرَكَ البَيْنُ السِّماكَ ظَعَنْتُمُ ... وخُوضُوا المَنايا والسِّماكُ مُقيمُ)

التبريزى: عطف بقوله «وخُوضُوا المنايا» على قوله «ظعنتم» لأنه أراد: فاظْعَنُوا وخُوضُوا؛ لأنّ المعنى أنكم تَدُومون كما تدومُ النجوم، ولا تزولون

(1) البيت الثامن من القصيدة الثانية عشر ص ٤٠٨. (2) وروى البيت للشماخ، كما في اللسان (سوق) ورواه أبو تمام في الحماسة (١: ٤٥٢ — ٤٥٤) في ستة أبيات للشماخ. وليست في ديوانه.

إلّا أن تنتثر النجومُ من السماء وتقومَ الساعة ، وحينئذ تَظْعَنون من الدنيا إلى الجنّة . فكأنه قال : إذا فارق السِّماكَ فاظْعَنوا ، وخُوضُوا المنايا ما دام السِّماك مُقيمًا، فما لها عليكم سبيل . وهذا كقولك : إذا رَحَل زيدٌ فارْحَلْ ، وأقِمْ ما دام مُقيما . يجوز أن تقول فيه : إذا رَحَل زيد رحلتَ، وأقِمْ ما دام مقيما .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : قوله « وخوضوا » معطوف على «ظعنتم » و إن كان المعطوف أمرًا وصورةُ المعطوف عليه فعلًا ماضيا ، وعلى عكس ذلك قول علىٍّ رضى الله عنه : « مَنْ أراد البقاء ولا بقاء، فليُباكِرِ الغداء، ويجيد الحِذاء »(١) . ألَا ترى أنه عطف صيغة الخبَر، وهو «يجيد الحِذاء» على الأمر الواقع موقع الجزاء، وهو قوله «فليباكر الغداء» . فإن قلت قوله « و يجيد الحذاء » و إن كان صورته صورة الخبر فمعناه معنى الأمر ، فيناسب المعطوفُ المعطوفَ عليه ، ولا كذلك قولُ أبى العلاء . قلت : لِمَ لا يجوز أن يكون «ظعنتم » فى قول أبى العلاء أمرًا من حيث المعنى . وهذا لأنّ الفعل الماضى إذا وقع موقع الجزاء فقد يراد به الأمرُ ، كقولك فى آخر الكتاب : إن رأى أن يَفْعَلَ كذا فَعَلَ إن شاء الله . كذلك هاهنا يحمل على الأمر ؛ لأنه يريد : إذا قامت القيامة لم تُزْعَجُوا بحكم الاضطرار عن الدنيا ، بل على سبيل الاختيار ترتحلون . يقول : لا تُبالوا بالمَهالك ما لم تَقُم القيامة ، وما دامت السماء مرفوعة ، والكواكب غير منتثرة .

١٤ (فآلُ الثُّرَيَّا والفَرَاقِدِ أنتمُ وإنْ شَبَّهتْكُمْ بالعِبَادِ جُسومُ)

التبريزى : أى شبهتكم جسومكم بالعباد . «آل» بمعنى أهل ، كان الأصل أهلًا ، فأبدلوا من الهاء همزةً فصار أأْلا ، ثم أبدلوا من الهمزة المبدلة من الهاء ألفًا ،

---

(١) الخبر برواية أخرى فى اللسان (٢٠ : ٨٦) ومجالس ثعلب ص ١٣٣ مخطوطة دار الكتب ٢٣ ش لغة .

فصار آلا، كآدم وآخر، وأصلهما أأدم وأأخر، ففُعِل بهما ذلك . ومعناه أنكم من النجوم و إن كانت جسومكم جسوم بنى آدم .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : سياق .

١٥ (فإنّ نُجومَ الأرضِ لَيْسَ بِغائِبٍ سَناها وفى جَوِّ السَّماءِ نُجُومَ)

التبريزى : سناها : ضوءُها . أى أنتم مُقيمون ما دامت نجوم السماء مقيمة .

البطليوسى : النسيم : الريح الضعيفة الهُبوب ؛ يقال نَسَمتْ تَنْسِمُ . والفِجاج : جمعُ فَجٍّ ، وهو كل مكان يتّسع بين الجبال . والوَرَى : الخَلْق . وزعم بعضُ اللغويين أنه لا يستعمل إلّا فى النفى ، وكان يُنكر قولَ ذى الرُّمّة :

وكائن ذَعَرْنا من مَهاةٍ ورامحٍ بلادُ الورى ليستْ له ببلادِ

والبَيْن : الفِراق . والظَّعْن ، بتسكين العين وفتحها : الرحيل . والسَّنَا : الضوء . والجو : ما بين السماء والأرض .

الخوارزمى : المصراع الأوّل تعليلٌ لقوله «وخوضوا المنايا» . قوله «جسوم» أى جسومكم . يريد أنتم نجوم الأرض و إن كان جسومُكم جسومَ العباد . و إسناد التشبيه فيما نحن فيه إلى الجسوم من المجاز الحكمى[1] ، ونحوُه قولُ جمال العرب الأبيوَرْدىّ :

وحولَ خِبائها أشلاءُ قَتْلَى رَفَعْنَ عَقيرةَ الطيرِ المُرِنِّ

جعل أهلَ بيت النبى عليه السلام بمنزلة الكواكب ؛ لأن كُلًّا منهما يُهْتَدَى به ، فبالكواكب فى أمور الدنيا ، و بأهل البيت فى أمور الدين . وهذا من قوله عليه السلام : «النجومُ أمانٌ لأهل الأرض ، وأهلُ بيتى أمانٌ لأمتى» .

(١) يريد المجاز العقلى .

١٦ (فَلَيْتَكَ لِلأفْلاكِ[1] نورٌ مُخَلَّدٌ يَزُولُ بِنا صَرْفُ الرَّدَى وتَدُومُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سياقى .

الخوارزمى : فى هذا البيت بحث إعرابىّ، وهو فى « ألاح وقد رأى »[2].

١٧ (يَرَاهُ بَنُو الدَّهْرِ الأَخِيرِ بِحَالِهِ كَمَا أَبْصَرَتْهُ جُرْهُمٌ وأَمِيمُ)

التبريزى : جرهم وأميم : قبيلتان من قبائل العرب العاديّة[3]، أى القديمة .

البطليوسى : العرب تسمّى كلّ شىء تَطَاول أَمَدُه وبقى بعد ذَهاب غيره مُخَلَّداً ؛ ولا يريدون بذلك أنه لا يجوز عليه العَدَم والفساد . ولذلك قالوا : رجل مُخَلَّد ، إذا أبطأ عنه الشيب . ويسمّون الرجل مُخَلَّداً تفاؤلاً بطول العمر . قال امرؤ القيس :

وهل يَعِمَنْ إلّا سعيدٌ مُخَلَّدٌ قليلُ الهمومِ ما يبيت بأوجالِ

وقال آخر :

فأثْنُوا علينا لا أبا لأبيكُمُ بأفعالنا إنَّ الثناء هو الخُلْدُ

وجُرْهُم وأميم : أُمّتان قديمتان من العرب العاربة . قال أبو بكر بن دُرَيْد : العرب العاربة سَبْع قبائل : عادٌ ، وثمود ، وعِمْليق ، وأَمِيم ، وجاسِم ، وطَسْم ، وجَدِيس . وحكى أبو حاتم الرازىّ فى كتاب « الزّينة » ، عن أبى حاتم ، عن الأصمعىّ ، عن أبى عمرو بن العَلاء ، قال : تسع قبائلَ قديمة : طَسْم ، وجَدِيس ،

---

(١) فى البطليوسى : « فى الأفلاك » .

(٢) انظر البيت الخامس من القصيدة الخامسة ص ٢٤٢ .

(٣) فى ى : « العادية القديمة » .

وجُهَيْنة، وضَخْم، بالخاء المعجمة و بالجيم، وخَثْعَم، والعَماليق، وقَحْطان، وجُرْهُم، وثَمُود . قال : وهؤلاء قُدماء العرب الذين فَتَق الله ألسنتهم بهــذه اللغة العربية . وكان أنبياؤهم عربًا، وهم هُود، وصالحٌ، وشُعَيْب صــلوات الله عليهم . والعرب المتعرِّبة أولاد إسماعيل عليه اســلام ؛ سمُّوا المتعربة لأنهم أخذوا اللغة عن العرب العاربة وتعلّموها منهم .

الخــــوارزمى : جُرْهُم وأميم : من قبائل العرب القديمة ؛ ولذلك جعلهما فى مقابلة بنى الدهر الأخير .

[القصيدة السادسة والعشرون]

وقال أيضاً يجيب بعض الشعراء عن قصيدة مدحه بها [في] الأول من البسيط والقافية متراكب[1] :

١ (أُرْقُدْ هَنِيئًا فَإِنِّي دَائِمُ الأَرَقِ ... وَلَا تَشُقْنِي وَغَيْرِي سَالِيًا فَشُقِ)[2]

التبريزى : سيأتى .

الخوارزمى : يقول : نَمْ طيِّبَ النفس فارغَ البال، فقد أتممتَ ما تُريد بى من السهر . وفى المصراع الثانى زيادةُ تقرير لهذا المعنى . قوله « وغيرى ساليًا فشُقْ» أى اقصِدْ غيرى من المُفيقين، فشُقْه واجعَلْه مثلى حيرانَ هائمًا .

٢ (يَالَلْمُفَضِّلِ يَكْسُونِي مَدَائِحَهُ[3] ... وَقَدْ خَلَعْتُ لِبَاسَ المَنْظَرِ الأَنِقِ)

التبريزى : يقال : شاقه الشىء يشوقه، واشتاق هو إليه يشتاق اشتياقا ويقال : سَلَا عن الشىء يَسْلُو، فهو سالٍ . ويقال : سَلِيَ يَسْلَى، وسَلَا يَسْلَى بمعناه . وهذه الكلمة إحدى الكلمات التى جاءت على فَعَلَ يَفْعَلُ ، وليست عين الكلمة ولا لامُها أحد حروف الحلق ، نحو أَبَى يأبَى، وقَلَى يَقْلَى، بمعنى يَقْلِي . وجبَى يجْبَى، بمعنى يَجْبِي ، من جَبَيْتَ الماءَ فى الحوض، وكذلك الخراج .

---

(١) هذه القصيدة مما لم يرد فى البطليوسى . وعبارة الخوارزمى : « وقال أيضا فى البسيط الأول والقافية من المتراكب يجيب بعض الشعراء من قصيدة أولها :

* الطرف منذ رزوح العيس فى البرق *

نزلنا فى برقة من البرق والبراق ، وهى أرض فيها حجارة سود وبيض . الجواب : » .

(٢) هذا البيت روى فى التنوير على أنه أول القصيدة التى أجاب عنها أبو العلاء .

(٣) فى التنوير : « تكسونى مدائحه » .

وقوله « يا للفضل » . يقول : أعجبُ للفضْل يكسونى مدائحه . «والأَنِق» ، من قولهم : آنقه ، أى أعجبه .

الخـــوارزمى : اللام فى « يا لَلْمُفضَّل » للتعجُّب ، ولامُ التعجُّب مفتوحة .

و يروى : « مَا للفضّل » على الاستفهام .

٣(ومااْزدُهيتُ وأثوابُ الصِّبَا جُدُدٌ فَكَيْفَ أُزْهَى بثَوبٍ مِنْ صِباً خَلَقِ)

التـــبريزى : جُدُدٌ ، بضم الدال : جمع جديد . وقد أجازوا : جُدَد ، بفتح الدال . ولا ينبغى أن يُعْدَل عن ضمّ الدال فى جمع جديد . فأمّا الطرائق فهى الجُدَد ، بفتح الدال . وازدُهيت : استُخْفِفتُ ، وهو من الزَّهو .

الخـــوارزمى : ازدهانى كذا ، أى آستفزّنى .

٤(لِلّهِ دَرُّكَ مِنْ مُهْرٍ جَرَى وجَرَتْ عُتْقُ المَذَاكِى فخَابَتْ صَفْقَةُ العُتُقِ)

التـــبريزى : المَذَاكى : جمعُ مُذَكٍّ ، وهو الذى قد بلغ إلى ذكائه وقوة سِنّه . واستعملوا ذلك فى الخيـــل وحمير الوحش والإنسان . ومن أمثـالهم : « جَرْىُ المُذَكِّياتِ غِلاب » . و يروى «المُذْكِيَات»[2] أيضا . قال زُهَير فى صفة حمار وحشىّ :

يُفَضِّلُه إذا اجتهدا عليـــه[1] تمـامُ السِّنِّ منـه والذَّكاءُ

وقال حاتِمٌ الطائىّ :

على حين أنْ ذَكَّيْتُ وابيَضّ عارِضِى أُسَامُ الَّذِى أعييتُ إذ أنا أمـــرد

وغِلَابٌ ، فى معنى مُغَالبة . و يروى «غِلَاء» ، وهو مصدرُ غَالَيْتُ ، والمعنى متقارب ؛ لأنّ المغالاة تستعمل فى الرمى ؛ يقال غالى الرجل الآخر ، إذا رَمَيا بسَهْمَيْن لِينظُرا

(١) اجتهدا ، أى الحمار والأتان . وعليه ، أى على الوعث فى بيت سابق . و يروى : «اذا اجتهدت» أى الأتان . انظر ديوان زهير ص ٦٩ طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) لم نجد فى المظان ما يؤيد ما ذكره التبريزى فى « المذكيات » من التخفيف . وقد ذكر اللغتين أيضا فى شرحه للحماسة ٢١٨ بن .

أىّ سهميهما كان أبعدَ مَرْمًى . وفى حديث رِهان قَيْس بن زُهَير وحُذَيْفةَ بن بَدْرٍ أنهما تراهَنا على أن يكون المقدار فى مجرى الخيل مائةَ غَلْوة، فقال حُذَيفة فى بعض كلامه : خدعتُك يا قيس . فقال قيس : « تَرَكَ الخِداعَ مَنْ أجرى من مائة » . والعُتُق : جمع فرسٍ عتيقٍ ، وهو السابق . وإنما أُخذ من قولهم : عَتَقَتْ عليه يمينٌ ، أى تقدمتْ . أى هذا الفرسُ يتقدم الخيلَ(١) ، أى يسبق . وقوله « نخابث صَفْقَةُ العتق » أى إنك جريتَ وأنت مُهْرٌ فسبقتَ العُتُق .

الخوارزمى : العُتُق : جمع عتيق ، وهو الرائع البيِّن العِتق ؛ كذا ذكره جار الله . وسُمّىَ الصِّدِّيق عتيقًا لجماله . المَذَاكى : جمعُ مُذَكٍّ ، وهو الذى بلغ ذكاءه وقوة سنه . الصفقة : ضربُ اليد على اليد فى البيع والبَيْعة ؛ ومنه التصفيق . وحَسَنُ إضافة الصفقة إلى العُتُق لأنّ المُهْرَ والخيلَ العتاق لمّا تجاريا ، فكأنه قد وقعت بينهما صفقة مُراهنة .

٤ (إنّا بعثناكَ تبغِى القولَ من كَثَبٍ ... فجئتَ بالنَّجمِ مصفودًا من الأُفُقِ)

التبريزى : الكَثَبُ : القُرْب . ومصفود : مقيَّد .

الخوارزمى : سيأتى .

٥ (وقد تفرَّستُ فيك الفَهمَ مُلتهبًا ... من كلِّ وجهٍ كنارِ الفُرْسِ فى السَّذَقِ)

التبريزى : السَّذَق : عيدُ الفرس يُوقدون فيه النارَ ليلًا .

الخوارزمى : « الفهمَ من كل وجه » كقولهم : عَلِمَه عِلْمَ إحاطة . السَّذَق : ليلة الوقود ، لمّا زوج آدمُ عليه السلام بَنِيه بناتِه وتناسلوا وتمّتْ عِدّتهم مائةً

(١) فى أ ، حـ : « يتقدم به الخيل » . وعبارة ى : « أى هذا الفرس يسبق الخيل » .

أوقدوا ناراً، واتخذوا ذلك اليوم وهو العاشر من « بَهْمَنْ مَاهْ » عيدًا ، و بقى هكذا عيدًا للعجم ، فسمّته الفرس « سَذَه » ثم عُرِّب . وأنا أَصِف لك ما كان لأهل خُوَارَزْمَ فى الأحوال الماضية فى السَّذق : كانوا فى هذه الليلة يُكثرون من إيقاد النيران و إشعال المصابيح، وكان ملوكهم — على ما حكاه أبو الرَّيْحان(١) رحمه الله — بعد الفراغ من مجلس الطعام والشراب يجلسون فى الرّواق المُشْرِف على المَيْدان ، وقد دخله المصارعون من الغزية(٢) والخُوَارَزْمِيّة، موضوعًا لهم كَرَابِيسُ بِيضٌ وملوّنة، يأخذون فى الصِّراع ، فيُعْطَى الغالبُ منهم واحدًا والمغلوبُ اثنين . وقد أُحضر إلى وسط الميدان تَنّورة حديد مجرورة على عَجَلة، والتنُّورة فى سَعَة بيت وسَمْك عشرة أذرع ، ويؤخذ قربَ العصر فى مَلْئها جَوْزًا بمقدار مائتى عِدْلٍ، يُصْعَد إليها بالسَّلالم، وفوقها عِدّة أعدالٍ من لَوْزٍ حتى تمتلئ ، و يُشَدّ فوقها ذِئْبانِ مُتقابلان مَطْليّة ظهورُهما بالنِّفْط ، فإذا غربت الشمس أُدْنِى منهما النارُ فاشتعلا ، وتجاوز منهما الحريق إلى ما فى التنّورة، ثم تخرج الخنازير والضِّباع وأمثالها وقد اقْتُنِصت لذلك مُنَفَّطَة، و يُضْرَم فيها النارُ واحدًا بعد آخر ، وتُخَلَّى فى الميدان مع الطبول والبُوقات إلى أن ينقضى المجلس .

و « تفرست » مع « الفرس » تجنيس .

٦ (أَيْقَنْتُ أَنَّ حِبَالَ الشَّمْسِ تُدْرِكُنِي لَمَّا بَصُرْتُ بِخَيْطِ المَشْرِقِ اليَقَقِ)

التبريزى : فى هذا البيت من الصنعة أنّ الخيط ذُكِر مع الحبال . والمراد أنك لمّا شُوهِدتَ صغيراً عُلِم أنه سيزيد أمرُك ، كما أنّ خيط المشرق وهو الفجر يجىء بعده حبالُ الشمس . واليَقَق : الأبيض .

(١) هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى مؤلف الآثار الباقية ، والجماهر وغيرها ، المتوفى فى عشر الثلاثين والأربعمائة . (٢) كذا . ولعلها « الغزنوية » .

الخوارزمى : حبال الشمس، هى الأنوار التى تنشعب من قُرْص الشمس، وتُرَى على هيئة المخروطات . ومنه بيت السقط :

وحَبْلُ الشمسِ مذ خُلِقتْ ضعيفٌ ... وكَمْ قَنِيتْ لقــوّته حبــالُ (١)

قال :

وللشمس أسبابٌ كأنّ شُعاعَها ... مُمَدُّ حبــالٍ فى خِبَــاءٍ مُطَنَّبِ (٢)

خيط المشرق اليَقَق، هو الخيط الأبيض، والمراد به الفجر الصادق . ومعنى البيت من قول أبى تمّــام :

إنّ الهــلالَ إذا رأيتَ نُمُــوَّه ... أيقنتَ أنْ سيصيرُ بدراً كاملا

والحبال مع الخيط إيهام . وهذا البيت تقرير للبيت المتقدّم .

٧ (هَذَا قَرِيضٌ عَنِ الْأَمْلَاكِ مُحْتَجِبٌ ... فَلَا تُدِلْهُ بِإِكْثَارٍ عَلَى السُّوَقِ)

التبريزى : القريض : الشعر . يقال: إنه شُبِّه بجِرّة البعير التى يخرجها من جوفه . وكانت العرب تُفَرِّق بين القَرِيض والرجز . ويقال : إن عمر بن الخطّاب وجّه إلى الأغلب العِجْلىّ يقول له: ما بَقِىَ من شعرك ؟ فقال :

أرَجَزًا تريد أم قَرِيضًا ... أم هكذا بينهما تعريضا

* كلاهما أُجِيدُ مستريضا (٣) *

ويسمون القصيدة من الرجز أرجوزة، وغيره من الأوزان تسمى الكلمةَ، وتسمى الطويلةُ منه قصيدةً .

الخوارزمى : هو من السُّوقة والسُّوَق، وهم غير الملوك .

(١) البيت الثانى من القصيدة ٦٩ .

(٢) لعل قائله غير أبى العلاء . والبيت ليس من أبيات السقط ولا اللزوم .

(٣) يقال : افعله مادام النفس مستريضا ، أى متسعا طيبا . وينسب هذا أيضا لحميد الأرقط كذا فى لسان العرب (مادة روض) .

٨ (كَأَنَّهُ الرَّوْضُ يُبْدِى مَنْظَرًا عَجَبًا وَإِنْ غَدَا وَهْوَ مَبْذُولٌ عَلَى الطُّرُقِ)

التـبريزى : ... ...

الخـوارزمى : «يبدى منظرا عجبا» فى محل النصب على الحال .

٩ (وَكَمْ رِيَاضٍ بِحَزْنٍ لَا يَرُودُ بِهَا لَيْثُ الشَّرَى وَهْىَ مَرْعَى الشَّادِنِ الخَرِقِ)

التـبريزى : الخَرِق : الذى يَخْرَق ولا يتصرّف ، ويَتمكن منه صائده . والحَزْن : الغليظ من الأرض . أشار بهذا إلى أن شعره مع جودته ليس فى مدح الملوك ، وإنما هو فى غيرهم .

الخـوارزمى : خصّ رياض الحَزْن لأنها أخضر وأنضر لقـلّة الغُبار . شبه تلميذه بالروض . ونحوه قول ابن مسعود رضى الله عنه : « إذا وَقَعْتُ فى آلِ حم وقعتُ فى رَوْضاتٍ دَمِثات أتأنّق فيهن »[1] . فإن قلت : فكيف شبّه ابن مسعود رضى الله عنه كلام الله تعالى بالروضات الدمثات ، وأبو العلاء ذلك الشعرَ برياض الحَزن ؟ قلت : لأن ابن مسعود رضى الله عنه ذهب إلى أنّ تلك الرياض هائجة ملتفة ، كأنه يشير بذلك إلى متانة معانى القرآن وكثرة تشعبها . وأما أبو العلاء فقد ذهب إلى خضرة تلك الرياض ونضارتها ، كأنه يشير بذلك إلى عذوبة ذلك الشعر وسلاسته . خَرِق الغزال ، إذا طِيف به فلزق بالأرض وأصابه بَرَقٌ وخَرَق . وهذا البيت تقرير لقوله « هذا قريض عن الأملاك[2] محتجب » . يقول : شعرُك مع كمال حسنه وغاية جودته ، تُحرِّمُه الملوك ، وتظفَر به السُّوَق ، كما أنّ كثيرا من الرياض الناضرة تخطئها الأسود ، وتُدركها الظباء .

(١) أنظر اللسان (٢ : ٤٥٤) .

(٢) فى الأصل : « على الأفلاك » وهو تحريف ناسخ .

١٠ (فاطْلُبْ مَفَاتِيحَ بابِ الرِّزْقِ من مَلِكٍ أعطاكَ مِفتاحَ بابِ السُّودَدِ الغُلُقِ)

التبريزى : يقال : مِفْتَح ومِفْتاح، ومفاتح ومفاتيح .

الخوارزمى : باب غُلُق بضمتين : مغلق، ومثله باب فُتُحٌ، وفناء فُسُح . يريد فتح الله عليك ما هو مُغْلَق على غيرك من باب قرض الشعر، وخوّلكَ فيه من المعانى ما لم يخوّله أحدا .

١١ (لَفظٌ كأنَّ مَعانِي السُّكْرِ تَسْكُنُهُ فَمَنْ تَحَفَّظَ بَيْتًا منهُ لَمْ يُفِقِ)

التبريزى : يقال : أفاق من سُكْره ومرضه يُفيق إفاقةً ، إذا عاد إلى حاله الأولى من الصحة .

الخوارزمى : « تسكنه » مع قوله « بيْتًا » إيهام .

١٢ (صَبَّحْتَنِي مِنهُ كاساتٍ غَنِيتُ بِها حَتَّى المَنِيَّةِ عَنْ قَيْلٍ ومُغْتَبَقِ)

التبريزى : صَبَّحتَنى : من الصَّبُوح . والقَيل : شرب نصف النهار . والمغتبَق : مفتعل من الغَبُوق ، وهو شرب العَشِىّ .

الخوارزمى : الكاسات : جمع كأس . وعليه قول شيخنا جار الله :

* كَتَبَتْ بنانُ اللَّهْوِ فى كاساتِها * (١)

وفى شعر سيف الدولة ملك الشام :

* يَطُوفُ بكاساتِ العُقارِ كأنْجُمٍ * (٢)

(١) عجزه كما فى الديوان المخطوط الورقة ١١٠ :

* مبتاعها بالروح غير غبين *

(٢) عجزه من أبيات فى اليتيمة (١ : ٢٤) :

* فمن بين منقض علينا ومنقض *

ونحوها أَرَضات وأَهَلات . وهــذا جمعٌ قد ظهر عليــه مِيسَم القِــلّة . قال ابن الأعرابيّ : لا يسمى الكأس كأسا إلا وفيها الشراب . القَيْل : شرب نصف النهار . قالت أمّ تأبّط شرًّا : « ما سَقَيته غَيْــلا، ولا حَرَمته قَيْــلا »[1] . المغتَبق، هو الاغتباق . يقول : سقيتني من شعرك صَبوحًا، فما شربتُ منه غير قليل حتى عدت سكران غير مُفيق إلى الموت .

١٣ (جَزْلٌ يُشَجِّعُ مَنْ وَافَى لَهُ أُذُنًا[2] فَهْوَ الدَّوَاءُ لِدَاءِ الجُبْنِ والقَلَقِ)

التبريزى : أصل الجَزْل فى الحَطَب، وهو الغليظ، ثم استعمل الجزل فى صفة العطاء الكثير. وقالوا : فعلٌ جَزْلٌ، ورأى جزل، أى قوىّ . ويشجِّع، يفعِّل من الشجاعة . والمعنى أن هذا الشعر يشجّع من وافى له أذنا . وفى « وافى » ضمير يرجع إلى الشعر . وفى «له» ضمير يرجع إلى «مَنْ» . والمراد أنه يشجِّع الجبان، وينفى عنه القَلَق من خوف القتل .

الخوارزمى : ... ...

١٤ (إِذَا تَرَنَّمَ شَادٍ لِلْيَرَاعِ بِهِ لَاقَى المَنَايَا بِلَا خَوْفٍ وَلَا فَرَقِ)

التبريزى : اليراع : من القصب، شبَّه به الجبان. وهذا البيت يروى لقَطَرىّ ابن الفُجاءة :

ولا ثــوبُ البقاء بثــوب عِزٍّ فيُطْوَى عن أخى الخَنَع اليَرَاعِ

الخَنَع : الضعف والذلّ . يقول : إذا ترنَّم بهذا الشعر مترنِّم للجبان زايله الجبن، وأقدم بلا خوف ولا فرق، وهو الخوف أيضا .

الخوارزمى : سياتى .

(١) انظر اللسان (١٤ : ٩٨) . (٢) فى التنوير : «ولو روى من وافى له آذنا كان أحسن فى المعنى وأظهر؛ لأن الأذن هو الاستماع ... » .

١٥ (وَإِنْ تَمَثَّلَ صَادٍ لِلصُّخُورِ بِهِ جَادَتْ عَلَيْهِ بِعَذْبٍ غَيْرِ ذِى رَنَقِ)

التـبريزى : الصادى : العطشان . والرنق : الكَدَر . أى إن العطشان إذا ذكر شيئا من هذا الشعر عند الصخر ، جاد له بماء عَذْب غير كدِر .

الخـوارزمى : اليراع فى الأصل ، هو القصب ، ثم يشبَّه به لضعفه الجبان . حُكِىَ عن معاوية أنه قال : هممتُ يوم صِفِّين مَرّاتٍ بالفِرار ، فما حبسنى إلا قول ٱبن الإطنابة :

أبتْ لى عِفَّتى وأَبَى بَلائِى ... وأَخْذِى الحمـدَ بالثمنِ الربيحِ
وإِجْشامى على المكروه نَفْسِى ... وضَرْبِى هامةَ البطلِ المُشيحِ
وقولى كُلَّما جَشَأَتْ وجاشتْ ... مَكانَكِ تُحْمَدِى أَوْ تَسْتَرِيحِى

هكذا أنشدها الجاحظ[1] . والشعر الفصيح متى ٱنطوى على ذكر مكارم الأخلاق ، فسماعُه أقوى محرِّكٍ للنفس إلى ابتغاء تلك المكارم ، لاسيما إذا غُنِّىَ به . والترنُّم والشادى مع اليراع إيهام . ولقد أحسن حيث جعل لشعره رتبة التغنِّى والتمثُّل به ؛ لأنه لا يُتَغَنَّى ولا يُتَمَثَّل إلا بالشعر الفصيح .

١٦ (فَرَتِّبِ النَّظْمَ تَرْتِيبَ الحُلِىِّ عَلَى شَخْصِ الجَلِىِّ بِلَا طَيْشٍ وَلَا خَرَقِ)

١٧ (الحَجْلُ لِلرِّجْلِ وَالتَّاجُ المُنِيفُ لِمَا فَوْقَ الحِجَاجِ وَعِقْدُ الدُّرِّ لِلعُنُقِ)[2]

التـبريزى : الجَلِىُّ : العروس ، فى معنى المجلوَّة . أى رتِّب شعرَك مراتبَ ، فمن كان منخفضًا فاجعَلْ له منه حِجْلا ، ومَنْ كان يجرى مجرَى الرأس فاجْعَلْ له منه تاجا . والحِجاج : عَظْم الحاجب . ومَنْ كان كالعُنق فأعطه منه عِقْدَ دُرّ .

---

(١) انظر الحيوان (٦ : ٤٢٥) وأمالى القالى (١ : ٢٥٨) وعيون الأخبار (١ : ١٢٦) ومعجم المرزبانى ٢٠٤ والكامل ٧٥٣ ليبسك ووقعة صفين ٤٤٩ . (٢) فى أ من التبريزى : «فى العنق» .

الخوارزمى : الجَلِيّ ، هو العروس ، فعيل بمعنى مفعول ، مِنْ جُلِيَتْ فلانةُ على زوجها أحسنَ جِلْوة . يقال : اثنان يُسْتَبْعَدانِ من أخلاق الملوك : تعليق حِلْية الرِّجْل بالرأس ، وحلية الرأس بالرِّجْل . يقول : إنّ الشـعر بمنزلة الحُلِيّ ، فكما أنّ كلّ نوعٍ من الحُلِيّ لا يُنـاسب كل موضع من البدن ، كذا كلّ نوع من الشّـعْر لا يليق بكل ممدوح . و «الجَلِيّ» مع «الحُلِيّ» تجنيس الخط .

١٨ (وانْهضْ إلى أرْضِ قومٍ صَوْبُ أرْضِهِمُ[1] ذَوْبُ اللُّجَيْنِ مكانَ الوابلِ الغَدَقِ)

التبريزى : يقال : غدِق وغَدَق . وأصله فى الماء والسحاب .

الخوارزمى : «الصَّوْب» مع «الذَّوْب» تجنيس .

١٩ (يَغْدُو إلى الشَّوْلِ راعِيهِمْ ومِحْلَبُهُ قَعْبٌ مِنَ التِّبْرِ أوعُسٌّ مِنَ الوَرِقِ)

التبريزى : الشَّوْل من الإبل : التى قد ارتفعت ألبانُها ، وذلك إذا مضتْ لها سبعةُ أشهر ونحوها ؛ قال القُطامىّ :

وصافَتْ فى بَناتِ مَخاضٍ شَـوْلٍ يُخَلْنَ أمامَها قَـزَعًا نِزَاعَا

القَزَع : جمع قَزَعة ، وهى السحابة ليست بالعظيمة . والمِحلب : الذى يَحْلُب فيه الراعى . أى هم قوم ملوك ، فقَعْبُهـم من تِبْرٍ ، أى ذهب ، وعُسُّهم من فضـة ، وهو القَـدَح العظـيم .

الخوارزمى : الشَّوْل فى «ألاح وقد رأى»[2] . القَعْب : قدحٌ من خشب مقعَّر ؛ ومنه حافرٌ مقعَّب ، أى شبيه بالقَعْب . العُسّ ، هو القدح العظيم .

(١) فى الديوان المخطوط والتنوير : «صوب جوهم» .
(٢) البيت الثالث والأربعون من القصيدة الخامسة ص ٢٧٢ .

٢٠ (وَدَعْ أُنَاسًا إِذَا أَجْدَوْا عَلَى رَجُلٍ   رَنَوْا إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْمُغْضَبِ الحَنِقِ)

التبريزى : الحَنِق ، من الحَنَق ، وهو الحِقْد . وأَجْدَوا ، من الجَدَا ، وهو العطيّة ، أى أَنعموا إليه . والرُّنُوّ : إدامةُ النظر .

الخوارزمى : يقال : مايُجْدِى عليك ، من الجَدَا ، وهو العطاء .

٢١ (كَأَنَّمَا القُرُّ مِنْهُمْ فَهْوَ مُسْتَلِبٌ   مَا الصَّيْفُ كَاسِيهِ أَشْجَارًا مِنَ الوَرَقِ)

التبريزى : المراد أنّك من قوم إذا قدَروا على ثياب الناس سلَبوها منهم ، فكأن الشتاء مُنَاسِبٌ لهم ، يسلُب الشجرَ الأوراقَ التى كساها إيّاها الصيف .

الخوارزمى : الضمير فى «كاسيه» ينصرف إلى «ما» ، وهو الثانى من مفعولى الكاسى ، وأما المفعول الأوّل فـ«أشجارا» . وقوله «من الوَرَق» بيان لـ«ما» . وقد وجّه اسمى الفاعل ، وهما «مستلِب» و «كاس» ، إلى مفعول واحد وهو «أشجارا» . يقول : هؤلاء القوم أبدًا يأخذون ولا يُعطون ، فكأنّ البردَ يُشبههم ، حيث يستلب استلابهم ويأخذ مأخذهم .

٢٢ (لَا تَرْضَ حَتَّى تَرَى يُسْرَاكَ وَاطِئَةً   عَلَى رِكَابٍ مِنَ الإِذْهَابِ كَالشَّفَقِ)

التبريزى : قد جرت عادة الراكب أن يجعل يسراه فى الركاب . وأراد : لا ترضَ حتى تطأ قدمُك اليسرى على ركاب سَرْجٍ مُذْهَبٍ كأنه الشفق فى الحُمرة .

الخوارزمى : خصّ الرِّجْل اليسرى لأنها الواطئة على الركاب عند الركوب والنزول . الرواية «الإذهاب» بكسر الهمزة . الشفق : رِقّة ما بقى من شُعاع الشمس . وثوب شَفَقٌ : رقيق النسج . ولى عليه شفقةٌ ، أى أخافُ عليه كلّ شىء ، فكأن

قلبي يرِقّ له . وفى هذا البيت دليل على أن الشفق هو الحمرة لا البياض . ومثله ما رُوِى عن الفرّاء أنه سمع بعض العرب يقول : رأيته وعليه ثوبٌ مصبوغٌ كأنه الشفق . وهذه الحكاية بانفرادها تدلّ على أن ذلك الثوب كان أحمر، فكيف وقد اقترن بها نقلُ الأزهريّ . وفى عراقيات الأبيورديّ يصف دَواةً مُذْهَبة :

نَشَرَ الصباحُ بِهَا الجناحَ ورَقْرَقَتْ   فيها من الشَّفَقِ النُّضارِ أَصائلُ

روى أبو إسحاق الرازيّ أنه خرج أبو يوسف القاضى يوماً وهو على بغلة فى رِكابَىْ ذهبٍ، فقيل: أيها القاضى، مثلُك يركب فى رِكابَىْ ذهب وقد علمتَ النهى عنه ؟ فقال : أردتُ أن أُرِى الناسَ عِزّ العلم .

٢٣ (أَمامَكَ الخَيْلُ مَسْحُوبًا أَجِلَّتُها   مِنْ فاخِرِ الوَشْيِ أوْ مِنْ ناعِمِ السَّرَقِ)

التبريزى : السرق : الحرير، وأصله فارسيّ معرب .

الخوارزمى : «أمامك الخيل» جملة فى محل النصب على الحال من الضمير فى «ترى» . «ومسحوبا أجلتها» حال أخرى من الخيل، وهما مُتداخلان . السَّرَق : شُقَق الحرير، جمع سَرَقة . وأصلها سَرَه ، أى جيِّد، فعرّب كما عُرِّب بَرَقٌ، للحَمَل .

٢٤ (كأنّما الآلُ يَجْرِى فى مَرَاكِبِهَا   وَسْطَ النَّهارِ وإنْ أُسْرِجْنَ فى الغَسَقِ)

التبريزى : الآل : أوّل السراب . والمعنى أنّ مراكب خيلك يُظَنّ الآل يجرى فيها إذا أُسْرِجتْ بالليل ، حتى كأنه فى وسط النهار . وأصحاب الكتب يقولون فى بعض العبارات : الآلُ فى صدر النهار ، والسراب فى وَسَطه . ولا يمتنع أن يسمّى السراب آلًا . أى هذا الذى يسمّى آلًا فى وقتٍ غير هذا الوقت . كما أنك إذا رأيت صبيًا على حالٍ فى بلدٍ ثم رأيته كهلًا أو شيخًا فى بلدٍ آخر، قلتَ: هذا

الصبيّ الذى رأيتُه بموضع كذا . والغسق : الظلمة؛ يقال : غَسَقَ اللّيل وأغسق، إذا أظلم .

الخــوارزمى : الآل فى الأصل: ماتراه فى أوّل النهار وآخره، كأنه يرفع الآل، وهو الشخص، وهذا إنما يكون فى الصحارى عند شدّة الحرّ . وعنى أبو العلاء هاهنا السراب . يقول : متى أُسرجت هذه الخيل رأيتَ ما لا يجرى إلّا وَسَط النهار من السراب جاريًا على سُروجها، وإن كُنّ قد أُسرِجْنَ فى ظلمة من الليــل . يريد أن سُروجها مفضّضة .

٢٥ (كأَنَّها فى نُضَارٍ ذَائبٍ سَبَحَتْ وَاسْتُنْقِذَتْ بَعْدَ أَنْ أَشْفَتْ عَلَى الغَرَقِ)

التــبريزى : ... ...

الخــوارزمى : لها سُوارٌ من نَضْرٍ ونُضَار، وهو الذهب . يقول : هذه الخيل شُقْرٌ غُرٌّ . وهذا البيت بغير شُبهة بيتُ القصيدة .

٢٦ (ثَقِيلَةُ النَّهضِ مِمّا حُلِّيَتْ ذَهَبًا فَلَيْسَ تَمْلِكُ غَيْرَ المَشْيِ والعَنَقِ)

التــبريزى : العَنَق من السير : السريع .

الخــوارزمى : « ما » فى « ممـا حليت » مصدرية . « ليس » ها هنا حرف لا فعلٌ . العَنَق، هو السير الفسيح؛ قاله جار الله . وحقيقته من قولك : أعنق فلانٌ، إذا أشخص عُنُقَه؛ لأن الدابّة إذا سارت العَنَقَ أشخصتْ عُنُقَها . وفى هذا البيت دليلٌ على أن العَنَق قريبٌ من المشى وليس فوقه إلا بقليل .

٢٧ (تَسْمُو بِمَا قَلَّدَتْهُ مِنْ أَعِنَّتِها مُنِيفَةٌ كَصَوَادِى يَثْرِبَ السُّحُقِ)

التــبريزى : الصوادى من النخل : الطّوال . وسُحُق : جمعُ سَحُوق، وهى النخلة الطويلة مع انجراد .

الخوارزمى : وجّه الفعلين، أعنى «تسمو» و «قلدته» إلى فاعل واحد وهو «منيفة» . عَنَى بـ«مُنيفة» أعناقًا مرتفعة. والارتفاع مما يُستَملَح فى أعناق الخيل . الصوادى، هى الطوال من النخل . يثرب : مدينة النبىّ عليه السلام . وخصّها لأنها مَعدِن النخل . السُّحُق : جمع سَحُوق، وهى النخلة الطويلة الجرداء، من السُّحق، وهو البعد . يقول : يرفع ما على هذه الخيل من الأعنّة أعناقٌ لها سامية شبيهةٌ فى السُّمُوّ بنخل مدينة النبىّ عليه السلام . ومعنى البيت من قول أبى الطيّب :

وقاد لهـا دِلّـيرُ كلَّ طِمِـرّةٍ تُنِيف بخدّيها سَحوقٌ من النخلِ

ومما أنشده الأزهرىّ :

وسالفةٍ كسَحُوق اللّيـا * ن(١) ... ...

٢٨ (وخُلّةُ الضَّرْبِ لا تُبقِى لَهُ خِلَلًا وحُلَّةُ الحَرْبِ ذَاتُ السَّرْدِ والحَلَقِ)

التبريزى : خُلّة الضَّرْب : السيفُ. أى السيف للضرب مثل الخُلّة، أى الصديق . والخِلَلُ : ضربٌ من الثياب تُجعل على أغماد السيوف بطائنَ لها . وقد يسمى الغِمْدُ خِلَلًا . والواو فى قوله « وحُلّة الحرب » واو الحال. أى لا تُبقِى للسيف خِلَلًا فى الحال التى تكون حُلّة الحرب فيها الدروعَ، أى فى حال لُبْس الدروع .

الخوارزمى : خُلّة الضرب، هى السيف، وهى معطوفة على الخيل فى « أمامَك الخيل »(٢) . الخِلَلُ : جمع خِلّة، وهى جَفْن السيف . قوله « لا تُبقِى له خِلَلًا » حالٌ « من خُلّة الضرب » . حُلّة الحرب، هى الدرع . يريد : أمامَك السيف مضروبًا به حتّى لا يبقَى هو ولا غِمْدُه، وأمامَك الدِّرْع المسرودةُ. و«خُلّة الضرب» مع « خِلَلًا » تجنيس، ومع « حُلّة » تجنيس الخط، ومع « حلّة الحرب » ترصيع .

(١) البيت لامرئ القيس، وهو بتمامه كما فى الديوان ص ١٥ واللسان (مادة سحق) :

وسالفـة كسـحوق الليـا ن أضرم فيها الغوى السعر

(٢) البيت ٢٣ ص ٦٨٤ .

٢٩ (لَا تَنْسَ لِي نَفَحَاتِي وَانْسَ لِي زَلَلِي وَلَا يَغُرَّنْكَ(١) خَلْقِي وَاتَّبِعْ خُلُقِي)

التبريزى : نَفَحات: جمعُ نَفْحةٍ، يراد بذلك خيرٌ يُصيبه منه ؛ كما يقولون: نَفَح له بسَجْلٍ ، أى أعطاه عطاء جَزيلًا .

الخوارزمى : لا تزال له نَفَحاتٌ من المعروف ، جمعُ نَفْحةٍ ، وهى فى الأصل مَرّة من نَفَحه بشىء، أعطاه. اللام فى « لاتنس لى نفحاتى وانْسَ لى زللى » لتأكيد إضافة النفحات والزلل . ونحوُه أَزِفَ لِلحىِّ رحيلُهم ، الأصل أَزِفَ رحيلُ الحىِّ ، ثم أَزِفَ للحىِّ الرحيلُ ، ثم أَزِفَ للحىِّ رحيلُهم . ومثله ما أورده سيبويه فى باب ما يُثَنَّى فيه المستقرّ توكيدًا(٣) : عليكَ زيدٌ حَرِيصٌ عليكَ ، وفيكَ زيدٌ راغبٌ فيكَ . ومنه : لا أَبالَكَ ، و يابُؤْسَ للحرب .

يقول : ما أَزْلَلْتُ إليك من الصنائع فاشْكُرْها ولا تَنْسَها ، وما زَلَّ نحوَك من هَفَواتى فامْحُها عن صحيفة قلبك ، واقتدِ بما خُصِصْتُ من الخِصال الجيدة ، ولا تَقِسْنى بسائر الناس و إن كان بينى و بينهم من حيثُ الصورة مشابهةٌ ؛ فكثير من المتشابهيْن مع تَقارُبهما فى الظاهر يتباعدان من حيث المعنى . قوله « واتّبِع خُلُق » فيه إيماء إلى أنّ المخاطب بهذه القافية كان تلميذ أبى العلاء . و« خَلْقِى » مع « خُلُقِى » تجنيس .

٣٠ (فَرُبَّمَا ضَرَّ خِلٌّ نَافِعٌ أَبَدًا كَالرِّيقِ يَحْدُثُ عَنْهُ(٢) عَارِضُ الشَّرَقِ)

التبريزى : الشَّرَقُ بالماء والرِّيق وما أشبهه ، والغَصَص باللُّقْمة وما أشبهها ، والشجا بالعَظْم وما يُقارِبه .

الخوارزمى : هذا البيت تقرير لقوله « وأنس لى زللى » .

(١) كذا فى الديوان المخطوط والخوارزمى . وفى التبريزى : «ولا يغرك» . وفى التنوير : « ولا يضرك» . (٢) فى ى من التبريزى والخوارزمى والتنوير : «منه» . (٣) انظر سيبويه (١ : ٢٧٧) .

٣١ (وعَطْفَةٍ مِن صَدِيقٍ لا يَدُومُ بِها   كَعَطْفَةِ اللَّيلِ بَيْنَ الصُّبْحِ والفَلَقِ)

التبريزى : جعله كعطفة الليل لأنه يُضىء الصُّبْحُ ثم يظلم ثم يُنير . والفلق : انفلاق الصُّبْح .

الخوارزمى : العطفة الأولى ، مرّة من عَطَفْتُ عليه عُطوفًا ، إذا أشفقتَ عليه . والثانية من عَطَفْتُ ، أى ملْتُ . يقول : فسد الأصدقاء ، وملَك أخلاقهم الغَدْر والجفاء ؛ فإن رجعوا منه إلى وَفاء فذاك شىء لا يدوم لوقوعه بين الغَدْرَيْن ، كما أن رجعة الليل لا آمتدادَ لها بين الفَجْرين .

٣٢ (فَإنْ تَوافَقَ فِى مَعْنًى بَنُو زَمَنٍ   فَإنَّ جُلَّ المَعانِى غَيْرُ مُتَّفِقِ)

٣٣ (قَدْ يَبْعُدُ الشَّىءُ مِنْ شَىءٍ يُشابِهُهُ   إنّ السَّماءَ نَظِيرُ الماءِ فى الزَّرَقِ)

التبريزى : ... ...

الخوارزمى : يقول : إن شابهنى فى الصورة الناسُ لم يُشابهونى فى المعنى . والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقدّم .

[القصيدة السابعة والعشرون]

وقال أيضا يهنئ بعض الأمراء بعُرْسٍ بعد أن تقاضاه بذلك[1]، من البسيط الأول والقافية متراكب :

١ (لَوْلَا تَحِيَّةُ بَعْضِ الْأَرْبُعِ الدُّرُسِ   مَا هَابَ حَدُّ لِسَانِي حَادِثَ الْحُبَسِ)[2]

التبريزى : الحُبَس : جمعُ حُبْسة، وهو تعذُّر القول على اللسان .

البطليوسى : سياق .

الخوارزمى : الدُّرُس، فيما أظنّ : جمعُ دارس ؛ ونظيره، على ما حكاه الغورى : قُتُلٌ فى جمع قاتِلٍ، وبُزُلٌ فى جمع بازِلٍ . بفلان حُبْسةٌ، أى ثِقَلٌ يحبِس لسانَه، وإن كان من العُجْمة فهى حُكْلة . يقال : «الصَّمْتُ حُبْسة»، وجمعها حُبَس . يريد : لولا أنّى أزهد فى التسليم على بعض الربوع الخالية، والرسوم البالية، لمَا خاف العِيَّ واحتباسَ النُّطق عليه لسانى . يقول : أنا أفصحُ مِنْطِيقٍ، غيرَ أنى أربأ بنفسى عن تكليم الديار البَلاقع، لأنه لا فائدة فى ذاك . أو يقول : لولا أنى عاشقٌ أُحَيِّي ربوع الأحِبّة، وربوعُ الأحبّة عند العُشّاق مُستعظمة، لمَا خَشِيت العِيَّ .

٢ (هَلْ تَسْمَعُ الْقَوْلَ دَارٌ غَيْرُ نَاطِقَةٍ   وَفَقْدُهَا السَّمْعَ مَقْرُونٌ إِلَى الْخَرَسِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سياق .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : «عَلَمٌ أخرس : لا يُسْمَع منه صَدًى» . يقول : هذه الديار لا تَسمع وإن جاهرتَها بالتكلُّم، لأنّها صمّاء، بدليل أنها خرساء . ولا خَرَسَ إلّا وهو مسبوق بالصمم .

(١) فى البطليوسى : «ذلك» وبهذا تنتهى ديباجته . وفى الخوارزمى : «وقال أيضا فى البسيط الأوّل والقافية من المتراكب يهنئ بعض الأمراء بعروس بعد أن تقاضاه فى ذلك» .

(٢) فى البطليوسى : «عارض الحبس» .

٣ (لَا أَنْسَيَنَّكَ[1] إنْ طَالَ الزَّمَانُ بِنَا ... وَكَمْ[2] حَبِيبٍ تَمَادَى عَهْدُهُ فَنُسِي)

التبريزي : تمادَى : تطاولَ . وإذا تطاولَ الزمان أَنْسَى؛ كما قال الآخر:

إذا ما شِئْتَ أن تَسْلَى حبيبًا ... فأَكْثِرْ دونَه عَدَدَ اللَّيالِي

البطليوسي : التحيّة : السَّلام . والأَرْبُع : المَنازل، واحدها رَبْع . والدُّرُس : الدارسة . يجوز أن تكون جَمْعَ دَارِس، كبازِلٍ وبُزُلٍ، ويجوز أن تكون جمع دَرِيس، كما قالوا رَغِيف ورُغُف . وهابَ : خاف . والحُبَس : جمع حُبْسة، وهي عُقْـلةٌ تعترى اللِّسانَ . وعارِضُ الحُبَس : ما يَعرِض منها . أراد أن لسانَه تَعرِض له حُبْسةٌ عند وقوفه على منزل محبوبه لشـدّة ما به من الوجد، حتى يصير كالعَيِيّ الذى لا يكاد يُبِين . ثم أنكر على نفسه مخاطبةَ الدارَ، فذكر أنها قد عَدِمَتِ النُّطقَ والسمعَ، فهى لا تسمَع مَنْ كلَّمها، ولا تُجيب مَنْ سألها .

الخوارزمى : لا أَنْسَيَنَّكَ، نهيٌ فى معنى الدعاء، ويروى: «لأَنْسَيَنَّك» على الإيجاب . والوجه بغير شُبهة هو الأوّل . ونحوه قول جمال العرب الأبيوَرْدىّ :

ألَا لا أَرَى[3] عَهْدِي دنا الدارُ أو نأتْ ... بِعلوةَ ما كَرَّ الجَديدانِ بالِيا

ويروى : «لا يُنْسِينّك» وفاعله ضمير الزمان . وهذا أيضا وجه .

٤ (يَاشَاكِيَ النُّوَبِ انْهَضْ طَالِبًا حَلَبًا ... نُهُوضَ مُضْنًى لِحَسْمِ الدَّاءِ مُلْتَمِسِ)

التبريزي : حَسْمُ الداء : إزالته وقَطْعُه .

البطليوسي : سيأتى .

(١) فى حـ من التبريزى : «لا تنسينك» . ولعلها : «لا ينسينك» بالياء، وهى رواية سيشير إليها الخوارزمى . وفى أ من التبريزى : «لا أنسينك وإن طال الزمان بها» . وفى البطليوسى : «لأنسينك» .

(٢) فى حـ من التبريزى : «فكم» . (٣) لا أرى، فى البيت، نفى جاء فى معنى الدعاء لا نهى، لبقاء حرف العلة . وكلا النهى والنفى قد يراد به الدعاء .

الخوارزمى : النُّوَب : جمعُ نَوْبة، فى «أعَنْ وخد القلاص»[1] . حلب، فى «ابقَ فى نعمة»[2] . قطع الكلامَ وخلَص إلى المَخْلَص. ولعله ترك بين هذا البيت وبين البيت المتقدّم أبياتا .

٥ (وَاخْلَعْ حِذَاءَكَ إِنْ حَاذَيْتَهَا وَرَعًا كَفِعْلِ مُوسَى كَلِيمِ اللهِ فِى الْقُدُسِ)

التبريزى : يريد قوله تعالى : ﴿ إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِى الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ .

البطليوسى : النُّوَب : أحداث الزمان التى تنوب الأشياءَ . والمُضْنَى : المريض؛ يقال : ضَنِيَ الرجل ضَنًى ، وأضناه الحبُّ والهمّ . والحَسْم : القطع . والمُلْتَمِس : الطالب . والحِذاءُ : النعل . وحاذيتها : صِرتَ بحذائها . والوَرَع : العفّة . وقوله «كفعل موسى» أراد قولَه عزّ وجلّ لموسى : ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِى الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾. وأصل القُدُس : الطهارة ؛ ومنه قيل للجنة «حضرة القُدُس» . ومن ذلك قيل للبارى تعالى قُدُّوس ؛ يراد طهارتُه مما نسبه إليه الجاهلون، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرا .

الخوارزمى : أدغم العينَ فى الحاء. والعين تُدْغَم فى الحاء سواء وقعتْ بعدها أو قبلها ؛ كقولك فى ارْفَعْ حاتمًا، واذْبَحْ عَتُودا : «ارْفَحَّاتمًا، واذْبَحَّتُودًا». ونظير هذا الإدغام فى بيت السقط :

* مَا فَعَلَتْ دَّرْعُ[3] وَالِدِى أَجَرْتْ *

(١) انظر البيت ٧٧ من القصيدة الأولى ص ١٠٧ .

(٢) انظر البيت ٢٤ من القصيدة الرابعة ص ٢٣٥ .

(٣) صدر بيت هو مطلع القصيدة ٨٢، وعجزه :

* فى نهر أم مشت على قدم *

يشير إلى إدغام التاء من «فعلت» فى دال «درع» .

خرج إلى بَيْتِ المَقْدِس، وإلى القُدُس، وإلى الأرض المُقَدَّسة. وفى البيت تلميح إلى قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾. و«حذاءك» إلى «حاذيتها» تجنيس. و«موسى» مع «الكليم» إيهام قد تمّ، لأنّ مُوسَى الحَديد[1] يوصف بالكَلْم. ألا ترى إلى بيت جارِ الله يصف مختونا:

قد جاءه مُوسَى الكُلُومِ[2] فزاد فى … أقصى تَفَرْعُنِه وفرط عُرَامِه

٦ ﴿وَاحْمِلْ إلَى خَيْرِ وَالٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ … أَزْكَى التَّحِيَّاتِ لم تُمْزَجْ ولَمْ تُمَسِ﴾

التبريزى: أى لم تُخْلَطْ ولم تُمَسْ. يقال: ماسَ الدواءَ، مثل دافه، إذا خلَطه.

البطليوسى: سيأتى.

الخوارزمى: يريد بالرعيّة نفسه. ماس الدواء، إذا خلَطه. عن التبريزى.[3]

٧ ﴿مُقَبِّلُ الرُّمحِ حُبًّا لِلطِّعانِ بِهِ[4] … كَأَنَّمَا هُوَ مَجْمُوعٌ مِنَ اللَّعَسِ﴾

التبريزى: اللَّعَس: سُمرة فى الشَّفَتين. والمراد أنّ هذا الرجل يقبّل الرمح من حُبِّه للطعن، فكأنه مجموعٌ من لَعَس الشفتين، واللعس يُرْغَبُ فى تقبيله.

البطليوسى: سيأتى.

الخوارزمى: اللعس: لونُ الشَّفة الضاربةِ إلى السُّمْرة. يقول: مِنْ حُبِّ المطاعنة يقبّل الرمحَ الأسمر، فكأنّما هو شفة سمراء.

---

(١) فى الأصل: «قديم لأن موسى الجديد».

(٢) فى ديوان الزمخشرى الورقة ١٠٦: «الموسى الكلوم».

(٣) فى اللسان: «وفى النوادر: ماس الله فيهم المرض يميسه وأماسه فهو يميسه، وبمه، وبثه، أى كثره فيهم».

(٤) فى الخوارزمى: «من حب الطعان به».

٩ (وَأَثْبَتُ النَّاسِ قَلْبًا فِي ظَلَامِ سُرًى   وَلَا رَبِيئَـةَ إِلَّا مِسْمَعُ الفَرَسِ)

التـــبريزى : ربيئة القوم: الذى يَرْتَبِئُ لهم على موضع مُشْرِف يحفظهم فيُخْبِر أصحابه بمـا يرى، وهو الطليعة .

البطليـــوسى : أزكى التحيّات : أنمـاها وأكثرها؛ من قولهم : زَكَا الشىءُ . والتحيّات : جمعُ تحيّــة ، وهى هاهنا : السّلام . وتكون التحيّة أيضا فى غير هذا الموضــع البقــاءَ ، وتكون التحيّة أيضــا المُلْك . وبالمعانى الثــلاثة فُسِّر قولهم « حيّاك الله » ، وقــولهم « التحيّات لله » . ومعــنى لم تُمَسْ : لم تُخْلَط بغيرها . يقال : ماسَ الشىء، وماثَه، ودافه ، وشَابَه ، إذا خلطه . واللَّعَس . سمرة تكون فى الشفتين . يقال منها : رجل أَلْعَسُ، وآمرأةٌ لعساء؛ قال ذو الرُّمّة :

لَمْيَـاءُ فى شَـفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ   وفى اللِّثَاتِ وفى أنيابها شَنَبُ

والسُّرَى : ســير الليل . والربيئة : الطليعة الذى يَرْتَبِئُ لأصحابه ، أى يترقّب ويحــرُس . والمِسْمَع : الأُذُن ، وجمعها : مَسامع . ويجــوز خفضُ « مقبلّ » و « أثبت » على البدل من « خيروال » ، ويجوز نَصْبُهما على إضمار أعنى، ورفعُهما على القطع .

الخـــوارزمى : الفرس موصوف بحدّة السمع،وهو فى «أعن وخد الفلاص»(١) . والمصراع الثانى كناية عن آشتداد الظلام وتكاثفه .

١٠ (قِسْنَا الأُمُورَ فَلَمّـا نَالَ رُتْبَتَــهُ   مِنَ السَّعَادَةِ سَـلَّمْنَا وَلَمْ نَقِسِ)(٢)

التـــبريزى : إنمـا سلّم لأن رُتبته خارجة عن القياس .

البطليـــوسى ... ...

(١) البيت ٣٩ من القصيدة الأولى ص ٧٦ — ٧٧ .

(٢) أ من التبريزى وكذا أ من البطليوسى : « فلم نقس » .

الخوارزمى : يقول : ما مِنْ أمرٍ إلّا ويُحاط بماهيّته، ويُهْتَدى الى كمّيّته وكيفيّته، بمُقايسته على إخوته، سوى منزلة الممدوح فإنها خارجة عن القياس، لا تُناسب رُتَبَ الناس .

١٠ (لَقَدْ تَوَاضَعَتِ الدُّنْيَا لِذِي شَرَفٍ بِمُلْبِسَاتِ الدَّنَايَا غَيْرِ مُلْتَبِسِ)

التبريزى : من اللَّبْس، وهو الاختلاط . والدنايا : جمع دَنِيَّة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يريد لذى شرف غيرِ مُخْتَلِط بأمورٍ مُلْبِسةٍ للنقائص، وذلك هو الممدوح .

١١ (لِغَاسِلِ الْكَفِّ مِنْ أَعْرَاضِهَا مِائَةً وَمَا يُجَاوِزُ سَبْعًا غَاسِلُ النَّجَسِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يجوز فى « مُلبسات » كسر الباء وفتحها . فالكسر على أن تجعل الإلباس لها، والفتح على أن تجعل الإلباس لغيرها . ولا يجوز فى « ملتبس » إلا الكسر . ويقال : شىء نَجَسٌ ونَجِسٌ ونِجْسٌ، فإذا ذكر مع رِجْس قيل نِجْس لاغير، للإتباع .

الخوارزمى : قوله « لغاسل الكف » بدل من قوله « لذى شَرَف » . لُعابُ الكلب إذا أصاب عيناً من الأعيان وجب غسلُه على مذهب الشافعىّ سبع مرّات، إحداها تعفيره بالتراب، يجمع فيه بين الطَّهُورين تغليظًا لأمر هذا النجاسة، وتأكيدًا لفطامِ العرب عما رسَخ فى عقائدهم من اقتناء الكلاب ومُخالطتها . شىءٌ نَجِسٌ، ونَجَسٌ صفةٌ بالمصدر . والرواية نَجَس، بالفتح .

١٢ (غَمْرِ النَّوالِ ولَنْ تَبْقَى عَلَى أَحَدٍ حَتَّى تُوَقَّى بِجُودٍ ضِدَّ مُحْتَبِسِ)

التبريزى : غمر النوال : كثيرُ العطاء . وقوله « ولن تبقى » يعنى الدنيا لا تبقى على أحدٍ . « وتُوَقَّى » ، من وَقَاه يَقيه . يقال : لأضربنَّك أو تَقِينى بحقٍّ ، أى تجعله بينى و بينك .

البطليوسى : سياتى .

الخوارزمى : الضمير فى « تبقَى » و « تُوَقَّى » للدنيا . فى أساس البلاغة : « احتبسته : اختصصته لنفسى » . وهذا كقوله :

لا تَبْخَلَنَّ بدُنْيا وهى مقبلةٌ فليس يَنْقُصُها التبذيرُ والسَّرَفُ
و إنْ تولَّتْ فأحْرَى أن تجود بها والحُودُ منها إذا ما أدبرتْ خَلَفُ

١٣ (والنَّفْسُ تَحْيَا بِإِعْطَاءِ الْهَوَاءِ لَهَا مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا أَعْطَتْهُ مِنْ نَفَسِ)

التبريزى : كأنّ نَفَس الرجل بقَدْر ما يجتذب من الهواء .

البطليوسى : هذا تمثيل مليح لا أحفظه لغيره . يقول : لا يُوهب للإنسان من العُلا إلا على قدر ما يُؤْخذ منه من النَّدى ، كما أن الهواء لا يُعطِى النَّفَسَ من النَّفَس البارد إلّا على قدر ما تُعطيه من النَّفَس الحارّ . وقد ورد فى الشعر القديم والحديث نحوٌ من هذا الغرض ، ولكنّ أبا العلاء زاد فيه زيادةً مليحة بتمثيل ذلك بالنَّفَس . ألّا ترى أنّ هذا المعنى موجود فى قول أبى تمّام :

فلم يَجتمِعْ شَرْقٌ وغربٌ لقاصدٍ ولا المجدُ فى كفِّ آمرئٍ والدراهمُ

وكذلك قول منصور النَّمَرى :

ما أعْلَمَ الناسَ[1] أنّ الجُودَ مَكْسَبةٌ للحمد لكنّه يأتى على النَّشَبِ

(١) فى الأغانى (١٢ : ٢٥) : « ما أعرف الناس » .

والنوال : العطاء . والغَمْرُ : الكثير منه، شُبِّه بالماء الغَمْر، وهو الذى يغمُر مَنْ دخل فيه . ووقع فى بعض النسخ « محتَبَس » بفتح الباء، وفى بعضها « محتبِس » بكسرها .

الخوارزمى : عدّى الإعطاء باللام . ومنه بيت السقط :

وقد غَرِضْتُ من الدنيا فهَلْ زَمَنى ... مُعْطٍ حياتى لِغِرٍّ بعدُ ما غَرِضَا[1]

قوله « بإعطاء الهواء » من إضافة المصدر إلى الفاعل . الضميران البارزان فى « منه » و « أعطته » للهواء . يقول : إنما يحيا البدن بأن يرجع إليه من الهواء مقدارُ ما ردّه على الهواء . وهذا البيت ينطوى على معرفة النَّبْض . قالت الأوائل : النَّبْض حركة مكانية يحرِّكها القلبُ والعروقُ الضوارب بانبساطها وانقباضها، وذلك لحفظ الحرارة الغريزية على الاعتدال، وللزيادة فى الروح الحيوانى ، وتوليد الروح النفسانى . وهذا لأن القلب أبدًا ينبسط وينقبض، فبانبساطه يجتذب الهواء الباردَ المُنْفِذ للرَّوْح فى الشرايين ، والمُرَوِّح يبرده عن الحارّ الغريزى الذى فى القلب . ومعنى الترويح أنه يمنع القلب أن يتغيّر بالأبخرة الدُّخَانية ، ويحفظ الحارّ الغريزىّ أن يحتدّ بتلك الأبخرة؛ وبانقباضه يدفع ما يتولّد من الفضلة الدُّخَانية فى استحالة الدم إلى الروح . وذلك أن هذه الفضلة إنْ بقيتْ فيه كبست الحارّ الغريزىّ فأطفأته تخنيقا ، كأنها تحول بينه وبين أن يلقاه الهواء الداخل فيه .

ولفظ الشيخ الرئيس رحمه الله : النبض حركةٌ من أوعية الروح مؤلّفة من انبساط وانقباض لتدبير الروح بالنسيم . وهذا البيت تقرير للبيت المتقدّم . « والنَّفَس » مع « نَفَس » تجنيس .

(١) البيت ٥ من القصيدة ٢٤ ص ٦٥٥ .

١٤ ﴿ يا فارسَ الخَيلِ يدعوكَ العِدَى أسدًا ما استنقذتْ من يديهِ عُنُقٌ مُفترِسِ ﴾

التبريزى : مُفْتَرَس : مفتعل من الفَرْس . وأصله دقّ العنق ، ومنه الفَرِيسة .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : المصراع الأخير جملةٌ فعليّة فى محل النصب على أنها صفةُ قوله «أسدًا» . يقول: عِداك قد سلّموا لك الشجاعة . و«الفارس» مع «المفترَس» تجنيس وإيهام .

١٥ ﴿ نالوا يسيرَ حياةٍ كابنِ ليلتهِ من الأهلّةِ أو كالنّجمِ فى الغَلَسِ ﴾

التبريزى : المراد أن الهلال إذا كان ابنَ ليلته لم يَطُلْ مُكْثُه ، وكذلك النجم الذى يطلُع فى الغَلَس ، وعَدُوُّ هذا الرجل كذلك لا يطول عُمْره .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى « نالوا » لـ«لمعِدَى» . وفى « ليلته » للمحذوف الموصوف بالمضاف الذى هو الابن[1] . ومثل هذا الضمير فى قولهم فى صفة حاتم الطائىّ : «وكان أقسم بالله لا يَقتُل واحدَ أُمِّه» .

١٦ ﴿ يجولُ كلُّ سوادٍ فى عيونِهمُ كالأُكْمِ فى السَّيرِ عندَ الأعيُنِ النُّعُسِ ﴾

التبريزى : السواد : الشخص . والأُكُم : جمع أَكَمَة . يقال : أَكَمَةٌ وأَكَمٌ وأُكُمٌ وإِكَامٌ ، وآكَامٌ[2] . ومثل هذا المعنى قول رُؤْبة :

---

(١) فى الأصل : « ... المحذوف من الموصوف المضاف الذى هو الابن» .

(٢) من جموع الأكمة أيضا : أُكْم (بضمتين) وآكُم (وزان أجبل) .

إذا ابْتَـذَلْنَ الأَذْرُعَ الذَّوارِعَا   ولَاقتِ الأعضادُ يومًا بائعًا[(١)]

* حَسِبْتَ أعلامَ الفَلا رَوَاجِعَا *

البطليــوسى : الغَلَس : آخرُ الليل عند اختلاط الظلمة والضوء . والجَوَلان : الاضطراب . وســوادُ كلِّ شيء : شَخْصُه . والأُكُمُ : الكُدَى[(٢)] . والنُّعُس ، يكون جمعَ نَعُوس ، وهو الكثير النُّعاس ، ويكون جمعَ ناعس ، كما قالوا : جملٌ بازلٌ وجمالٌ بُزُلٌ ، والأوّل هو الوجه . يقول : أنت تُعاجل أعداءك بالقتل ولا تُلْبِثُهم ، فلا يعمَرون إلا بقَــدْر ما يَعْمر الهلالُ أوّلَ ليلة من الشهر ، أو بقَدْر ما يعمر النجمُ فى الغلَس . ثم قال : إنهم لفَــرْط قِصَر أعمارِهم وقلّة بقائهم فى الدنيــا لا يُشاهدون من الدنيا إلا بقَدْر ما يُشاهِد الناعس من الكَرَى إذا سافر وأخذه النُّعاس على الراحلة .

الخــوارزمى : النُّعُس : جمع نَعُوس . وعن أبى حاتم : رجلٌ ناعسٌ ونَعُوسٌ ، ولا يقال نَعْسَان[(٣)] . يقول : لفــرط عَدْوِهم فى الهزيمة يرون الجُثَث الساكنةَ ترجع وراءهم كما يراها المُسرِع المتناعس . ونحوُه قول رُؤْبة :

إذا ابتَــذلن الأذرُعَ الذّوارعا   ولاقتِ الأعضاد بَوْعًا بائعــا

* حَسِبْتَ أعلامَ الفَلَا رواجعا *

---

(١) ابتذلن : أهنّ . وقوله : «ولاقت الأعضاد يوما بائعا» كما تقول : ولاقت رجلا شديدا . عن شرح الديوان (مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٥١٦ ، أدب . الورقة ١٣٦) . وقوله «بائعا» أى جعلت تبوع فيه ، أى تمدّ أبواعها فى المشى ليتسع خطوها . فوصف اليوم بالبوع كما تقول : نهاره صائم وليله نائم .

(٢) الكدى : جمع كدية ، وهى هنا الأرض المرتفعة ، كما فى اللسان (٢٠ : ٧٩) .

(٣) فى اللسان : « وهو ناعس ونعسان ، وقيل : لا يقال نعسان . قال الفرّاء : ولا أشتهيها . وقال الليث : رجل نعسان وامرأة نعسى ، حملوا ذلك على وسنان ووسنى . وربما حملوا الشىء على نظائره» .

ولشدة رُعْبهم يتوهّمون الأشخاص ، و إن كانت صغيرةً ، كالأُكم فى العِظَم . ومن هذا الباب : * إذا رأى غيرَ شىءٍ ظنّه رَجُلا *[1]

ولقد أوهم أنّه يريد بالسواد الحَدَقَ حتى جعله يدور فى عيونهم . وأغرب حيث شبّه السّواد الذى هو فى الظاهر الحَدَقُ ، من شدّة عَدْوِهم ، بالآكام .

١٧ (خَفِّضْ عَلَيْكَ فَلَيْسَ الحَرْبُ غَانِيَةً وَلَا النَّجِيعُ خَلُوقًا مِيثَ فِى عُرُسِ)

التبريزى : مِيثَ ، أى خُلِط . وقوله « خَفِّضْ عليك » أى سَهِّلْ عليك .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : خَفِّضْ عليك ، أى هوِّن الأمرَ على نفسك وسَهِّلْه . ماث الخبزَ والملحَ والطِّينَ فى الماء فانماث .

١٨ (أَفْنَى قَنَاتَكَ نَزْعٌ لِلنُّفُوسِ بِهَا كَذَلِكَ النَّزْعُ يُبْلِى قُوَّةَ المَرَسِ)[2]

التبريزى : المعنى أنّ قناتك قد تحطّمت ، لأنّك تنزع بها النّفوس من الأجسام ، كما أنّ نَزْع الدِّلاء من القَليب يُبلِى قوّة المرَس . والمرَس : الحَبْل ، وجمعه أمراس ، وقالوا : مَرَسةٌ ومَرَسٌ[3] .

البطليوسى : التخفيض : التسكين والدعة . والغانية من النساء : التى غنِيتْ بجمالها عن الزِّينة . وقد ذكرنا فيما تقدّم اختلافَ النّاس فيها[4] . والنجيع :

(١) عجز بيت المتنبى فى ديوانه (٢ : ١٢٧) . وصدره :

* وضاقت الأرض حتى كان هاربهم *

(٢) البطليوسى : « أبلى قناتك » . وفى التنوير والديوان المخطوط : « جدة المرس » .

(٣) أى جعل بعضهم المرس جمعا للمرسة ، فالمرس يكون مفردا وجمعا .

(٤) انظر من ذلك ما سبق فى ص ٢١١ س ١١ .

الدم الطرىّ ، وقيل : هو دم الجوف خاصّة . وكأن الذى قال هذا إنّما قاله لقول النّابغــة :

* بأحمرَ من نجيع الجوفِ آنِ *[1]

ولقول سوّار بن حِبّان المِنْقرىّ :

ونحنُ حفـزْنا الحَوْفزانَ بطَعنـةٍ ... سَقَتْهُ نجيعًا من دَمِ الجوفِ أشكَلا[2]

والخَلوق : ضَرْبٌ من الطِّيب . ومِيث : خُلِط . يقول : أنت تحبُّ الحـرب ، حتّى كأنك تعتقد أنها غانية ، وتعتقد أنّ الدمَ طِيبٌ . وهذا المعنى موجودٌ فى قول البحـــترىّ :

تَسَرَّعَ حتّى قالَ مَنْ شهِد الوغَى ... لقــاءُ أَعادٍ أم لقــاءُ حبــائبِ

وفى قول الآخر :

وأســيافُكمْ مِســكٌ تَحَلّ أكُفَّكم ... عــلى أنّها رِيحُ الدِّماءِ تَضُــوعُ

والنَّزع : جذب الدَّلْو من البئر . والمَرَس : الحبل الذى يُستَقَى به . والرِّماح تشبَّه بحبال البئر تشبيهًا فاشيًا كثيرا . قال مُهلهِل :

كأنّ رِماحَهــمْ أشــطانُ بِئرٍ ... بَعيــدٍ بَـيْنَ جالَيْهــا جَرُورِ[3]

وقال أبو تمّــام :

ومستنبطٌ فى كلّ يومٍ من الوَغَى[4] ... قليبًــا رشاءاهُ القَنَــا والسَّــنابكُ

(١) الآنى : الشديد الحرارة . وصدره كما فى الديوان ص ٧٧ من خمسة دواوين العرب :

* وتخضب لحية غدرت وخانت *

(٢) البيت نسب فى اللسان مادة (حفــز) إلى جرير . وروى نظيره فى اللسان برواية : « من دم الجوف آنيا » منسوبا إلى الأهتم بن سمى المنقرى .

(٣) الجالان : جانبا البئر . والجرور من الآبار : البعيدة القعر .

(٤) فى الديوان و أ : « من الغنى » ولها وجه ، أى قليبا من الغنى ، أى مما يظفر به من المغانم .

الخوارزمى : المَرَس : جمع مَرَسة ، وهو الحبل ، وسُمّيت بذلك لتمرّسها بالبَكَرة، أى احتكاكها بها . الرّماح تشبَّه بالأرسان(١) . وفى عراقيّات الأبيوَرْدى :

تحومُ على اللبّاتِ حتّى كأنّها إذا انتُزِعَتْ للطّعنِ فيهنّ أشْطانُ

وقال عنترة :

يَدْعُونَ عنترَ والرِّماحُ كأنّها أشطانُ بِئرٍ فى لَبَانِ الأدْهمِ

يقول : رمحُك قد فَنِى لكثرة ما تُنزَع به الأرواحُ من الأبدان ، كما يَبْلَى المَرَس لكثرة ما تُنزَع به الدِّلاءُ من القَليب . وفى كلام أبى النضر العتبى : «فى زهاء عشرة آلاف من أبناء الكفاح، ومَتَحة الأرواحِ بأشطان الرماح» .

١٩ (أطْفَتْ سِنانَكَ أرْوَاحٌ تَمُوتُ بِهِ هُبُوبَ أرواحِ لَيلٍ فى سَنا قَبَسِ)

التبريزى : الأرواح الأولى : جمع رُوح . والمعنى أنك طعنتَ بسنانك حتّى حطمته، فكأنّ أرواحَ الإنس الذين قتلتهم به أطفته، كما أنّ الأرواحَ التى هى جمع ريح تُطفئُ السِّراج والمصباحَ الذى تهبُّ عليه . وقوله : « أطفت » أراد « أطفأت » . يقال : طَفِئ السراجُ يَطْفَأ، وأطفأه غيره إطفاء .

البطليوسى : الأرواح التى فى صدر البيت : النفوس . والأرواح التى فى آخره : جمع ريح . يقول: طعنتَ بسنانك حتّى حطّمته وأذهبت رونقه وصقله، فكأنّ أرواح العِدا الذين قتلتَهم به أرواحٌ هبّتْ على سراجٍ مُوقَدٍ فأطفأته . والسِّنان يشبَّه بالسِّراج ؛ قال أبو الطيب :

جَوائلَ بالقُنِىّ مُثقّفاتٍ كأنّ على عَوامِلها الذُّبالا

(١) الأرسان : جمع رسن ، وهو الحبل . والرسن والشطن بمعنى ، أو الشطن الطويل منه .

الخوارزمى : سِنان الرمح ، يشبَّه بشُعلة من النّار . وفى أبيات السّقط :

بأيديهِمُ السُّمْرُ العَوالِي كأنَّها يُشَبُّ على أطرافِهنّ ذُبالُ (١)

والتشبيه فى قوله « أطفت سنانك » مثل التشبيه فى قولك : فلان عالم يَغترِف منه الناس . وفيما أنشدنى له بعض الوزراء :

شامُوا جبينَك وهو ليس بِخُلَّبٍ ورأَوا يَمِينَكَ وهى غيرُ جَهامِ

قوله « هبوبَ أرواحِ ليلٍ » على حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مُقامه . يعنى فِعلَ هبوبِ أرواحٍ؛ ولذلك عدّاه بفى، ومن ثَمّة نصَبه على أنه مصدر للإطفاء من غير جنسه . يقول : سنان رمحك من كثرةِ ما تُوفِّيت به من الأرواح قد انسحق واندرس حتّى لم يبقَ منه شىءٌ، فكأنّه قد انطفأ . وهذا البيت تقريرٌ للبيت المتقدّم . و « سنانك » مع « سنا » تجنيس . و إسناد الإطفاء إلى الأرواح إيهام .

٢٠ (أَرَى جَبِينَكَ هَذِى الشَّمْسَ خالِقُها فَقَدْ أَنارَتْ بِنُورٍ عَنْهُ مُنْعَكِسِ) (٢)

التبريزى : المراد أنّ جبينَك لمّا رأتْه الشّمسُ انعكس نورُه فيها، فأنارت بنورٍ أفادته منه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا كقول الغزّىّ :

صدرٌ يُعيرُ الشّمسَ ضوءَ جبينِه ودُوَين أَخْمَصِه السِّماكُ الأعزَلُ

٢١ (الآنَ قالَهُ عَنِ الهَيْجاءِ مُغْتَبِطًا طالَ امْتِراؤُكَ خِلْفَيْ نابِها الضَّبِسِ) (٣)

التبريزى : ويروى : «خِلْفَىْ سَيفِك» . والامتراء . الاستخراج للشىء . والضَّبِس : السيّئ الخُلق . والمراد بالنّاب السيف . واستُعير الخِلفانِ للسيف،

(١) البيت السابع من القصيدة الثامنة والأربعين . (٢) ا من التبريزى : « بنور منه » .
(٣) فى البطليوسى : « قالآن » .

لأنّ الدّمَ يُحْلَبُ بحَدَّيه . و يروى: «خِلْفَى نابِها » و « نابِك » . فإذا رُوِى «نابها» فالمراد بالنّاب السيف ، ولكن السامع ربّما سبق وهمُهُ إلى أنّ الناب هاهنا الناب من الإبل . وإذا روى « نابك » ففى البيت ضربٌ من اللُّغز . ويقال : لَهِيتُ عن الشيء ، إذا تركتَه . ومنه : « إذا استأثر الله بشيء فالْهَ عنه » .

البطليوسى : يقول : لمّا رأت الشّمسُ نُورَ وجهِك انعكس إليها نورُه ؛ فهى تُنير بنورٍ مستعارٍ من وجهك . وهذا كقول أبى الطيّب :

تَكَسَّبُ الشَّمسُ منكَ النُّورَ طالعةً ... كما تَكسَّبَ منها نُورَهُ القَمَرُ

وقوله : « فالْهَ عن الهيجاء » ، من قولهم : لَهِيتُ عن الشيء ألْهَى لِهْياً ، إذا تركتَه وغَفَلتَ عنه . والهيجاء : الحرب . والامتراء : الاحتلاب ؛ يقال : امتريت النّاقة ومَريتُها ، إذا حلبتَها . والخِلْف للناقة ، كالضَّرْع للشاة . والناب : الناقة المسنّة ، وإنّما أراد السيف . واستعار له خِلْفَين يُحلَبان لمعنيين : أحدهما أنّ السيفَ يُحْلَب به الدم . والثانى — وهو الذى أحسَبه غرضَه — أنّه جعَلَ السيفَ كأنّه ناقةٌ تُحلَب ، لما يعود منه على صاحبِه من الغنائم ؛ فيكون كقول النابغة الجَعْدىّ :

وحَربٍ عَوانٍ بها ناخِسٌ ... مَرَيتُ برُمْحى فدَرّت عِساسا

والعِساس : جمع عُسّ ، وهو القدَح الكبير . والضّبِيس : السيّئ الخُلُق .

الخوارزمى : النّاب ، هى السِّنّ ، وتستعار للمُسِنّة من النوق [كما] فى « يرومك والجوزاء »[1] . وكل واحدٍ من تفسيرَى النّاب يحتمل أن يكون ها هنا مراداً . الحَلْب مما يُعدّى إلى الضِّرس مجازا . وفى الحماسة:

---

(١) انظر البيت ٥١ من القصيدة ١٥ ص ٥٠٤ .

ويَحلِبُ ضِرْسَ الضَّيفِ فينا إذا شَتَا سَــديفُ السَّنامِ تَسْتَرِيهِ أصابعُهْ[1]

على رواية من روى « ضرسَ الضيف » بالنصب[2]. الامتراء[3] هو الاختيار. والضَّبِس، مما توصف به الناقة المسنّة. ومن أبيات الحماسة:

لنا باحــةٌ ضَبِسٌ نابُها يهُونُ على حاميها الوعيــدُ[4]

قال التبريزى: الضَّبِسُ: السّيئ الخُلُق. وامتراء خِلْفَىْ ناب الحرب: ممارسة الحرب، كأنها إعمال أضراسها. ولو أريد بالناب الضِّرس، فإضافة الخِلْفين إليها إيهام. ومعنى البيت من قول أبى الطيِّب:

إذا الحربُ قــد أتعبتها فالْهَ ساعةً ليُغْمَدَ نصــلٌ أو يُحَــلَّ حِزامُ

٢٢ (مَا رَبَّةُ الغَيلِ أُخْتُ الظَّبْيِ فُزْتَ بِهَا بَلْ رَبَّةُ الغِيلِ أُخْتُ الضَّيغَمِ الشَّرِسِ)

التـــبريزى: الغَيْل: الساعد الممتلئ. والغِيل: الشجر الملتفّ. أى إن هــذه المرأة كأنها فى عِزِّها لَبُؤة. والشَّرِس: السيئ الخُلق. وربّة الغِيــل: صاحبتـــه.

البطليـــوسى: الغَيْــل، بفتح الغين: الساعد الممتــلئ سِمَنًا؛ يقال. ساعدٌ غَيْلٌ ومُغْتالٌ. قال حُمَيْدُ بن ثَوْر:

فلمّا نزعنَ اللّبْسَ عنه مَسَحْنَه بأطراف طَفْلٍ[5] زان غَيْلًا مُوَشَّمَا

(١) البيت من أبيات لمجز بن خالد، فى الحماسة ٢٥٦ بن.

(٢) أى بنصب الضرس ورفع سـديف. على معنى أن الضيف إذا رأى السـديف تحلب فوه من الشهوة. وأما على رفع الضرس ونصب سـديف فالمعنى أن الضيف يمضغ السديف فيخرج له دسمه فكأنه يحلبه. (٣) مادته (سرو). (٤) الباحة: عرصة الدار. ويريد بحاميها أجأ وسلمى جبلى طىء. والبيت للأخرم السنبسى الطائى. انظر الحماسة ٢٩٦ — ٢٩٧ بن.

(٥) أى بأطراف بنان طفل، أى رخص. انظر اللسان (١٣ : ٤٢٧).

وربّته : صاحبته . والغِيل، بكسر الغين[1] : أَجَمة الأسد . والضيغم ، من أسماء الأسد ؛ وهو مشتق من قولهم : ضَغَم ، إذا عضّ . والشَّرِس : السيّئ الخُلُق . يقول : لِعظَمِ همّتك وما جُبِلتَ عليه من شجاعتك وجرأتك، لم تَنكح ظبيةً، وإنما نكحتَ لَبُؤة . وهذا نحوُ قول أبي تمّام :

أخذتَها لَبْوةَ العِرِّيس مُلْبِدةً فى الغاب والنجمُ أدنَى من مَناكِحِها

الخوارزمى : الغَيْل ، بالفتح، هو الساعد الممتلئ ، وبالكسر، هو الأَجَمة . واشتقاق الثانى من الأوّل ؛ لامتلاء كلٍّ واحد منهما وتكاثُفه . يقول : ما هذه المنكوحة امرأةً بل هى لِعزّها وتمنُّعها لَبْوة .

٢٣ (مِن مَعْشَرٍ لا يَخافُ الجارُ بأسَهمُ[2] غَشَّوا صُرُوفَ اللَّيالِى بُرْدَ مُبتئِسِ)

التبريزى : مبتئس : مفتعل ، من البُؤس . وغَشَّيته الشىء ، إذا جعلته له غِشاءً .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : «البأس» مع «المبتئس» تجنيس .

٢٤ (وَصاحَبُوها بِأَعْراضٍ جَواهِرُها كَجَوْهَرِ البَدْرِ لا يَدْنُو مِنَ الدَّنَسِ)

التبريزى : الهاء فى قوله «وصاحبوها» عائدة إلى «الليالى» .

البطليوسى : المعشر : القوم . والبأس : المكروه والضرر . ويُروَى : «لا يخاف الجارُ بأسَهم» : وغَشَّوْا : ألبسوا وكَسَوْا . وصُروف الليالى : أحداثُها ونَوائبها . والبُرْد : الثَّوب . والمبتئس : الكاره الحزين . يريد أنهم يُعِزُّون من أذلّه

(١) فى القاموس : «ويفتح» .

(٢) فى البطليوسى : «لا يخاف البأسَ جارُهم» .

الدهر ، ويُفْنون من أنفره ؛ فصروف الزمان تضيق بهـم ذرعًا لمناقضتهم لها . وهو كقول أبى الطيِّب :

نِقَمٌ على نِقَمِ الزَّمانِ تَصُبُّهـا نِعَمٌ على النِّعَمِ التى لا تُجْحَدُ

وجوهرُ كلِّ شىء : ذاته القائمة بأعراضه ، ويكون جسمًا ، ويكون غيرَ جسم .

الخـــوارزمى : عِرْضُ الرجل، بالكسر : جســده ؛ عن الغورى ، وجمعه أعراض . وإضافة الجواهر إلى الأعراض إيهام .

٢٥ ﴿كأنَّما الضَّرْبُ يَفْرِى مِنْ كُلُومِهِمُ أكبادَ سِرْبٍ رَعَيْنَ النَّوْرَ فى الكُنُسِ[1]﴾

التـــبريزى : المعنى أنهم إذا جُرِحوا ظهَر لدمائهم رائحةٌ طيبة كرائحة أكباد الظِّباء التى رَعِت النَّوْر، أى الزهر . والكُنُس : جمع كِنَاس، وهو الموضع الذى يأوِى إليــه الظبى . وإنما قيل له كِنَاس، لأنه يُزيل الحَصَى منه وما يجرى مجراه ممـا يتأذَّى به .

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : دخل الوحشُ فى كِنَاســه ، والوحش فى كُنُسِها . سمِّى بذلك لأنه يُزيل الحصَى فكأنه يكنِســه . قــوله « رعين النَّــوْر فى الكُنُس » يريد تهيأ لهنّ الزّهر عن كَثَب فلا يَقْمُن إليه، بل هو حاضرٌ مهما شِئْنَ رعينه . وهذا يُشْبِه بيتَ السقط :

* كَفَاهُنَّ حملَ القوتِ خِصْبٌ أتى القُرى[2] *

---

(١) فى البطليوسى : « فى كنس » .

(٢) البيت الرابع والعشرون من القصيدة الخامسة والستين . وعجزه :

* قرى النمـل حتى آذنت بالتصدع *

وخصّ الأكبادَ لأنها منشأ الدم . الملوك موصوفون بطيب الرائحة . وفى عراقيّات الأبيـوَرْدىّ :

وفى الكفّ عَضْبٌ كلّما فاض من دَمٍ   عَبِيطٍ غِرارًا فاح بالمِسْكِ مَقْبِضَـا

يقول : هؤلاء ملوكٌ ، فمتى جُرحوا فاح من جُروحهم رائحةٌ طيبة ، فكأنهـا أكبادُ الظباء جُرِحتْ وفاح منها رائحةُ المسك .

٢٣ (سالَتْ تَضَوَّعُ حتّى ظَنَّ جارِحُهُمْ(١)   قَسِيمةَ المِسْكِ جُرْحَ الفارِسِ النَّدُسِ)

التبريزى : يقال : رَجُلٌ نَدُسٌ ونَدِسٌ ، إذا كان جيِّد الطعن حاذقا به ، وعالمًا بالأخبار .

البطليوسى : يَفْرِى : يقطَع . وزعم بعض اللغويين أنه يقال : فَرَيْتُ الشىء ، إذا قطعتَه للإصلاح ، وأفريتُه ، إذا قطعته للإفساد . وهذا ليس بصحيح ؛ لأنّا قد وجدناهم استعملوا « فريت » فى الإفساد ؛ قال الشاعر :

فَرَى نائباتُ الدهرِ بينى و بينهـا   وصَرْفُ الّليالِى مثلَ ما فُرِىَ البُرْدُ

والكُلُوم : الجِراح صغيرةً كانت أو كبيرةً . والسِّرْب : القطيع من البقر والظِّباء . وكُئُوس : جمعُ كَاْس . وتَضَوّع : تَفُوح . والقَسِيمة : وِعاء المسك . والنَّدُس ، ها هنا : الحاذق بالطَّعن ؛ يقال : نَدَسه بالرُّمْح نَدْسا ، إذا طعنه . وإنمـا قال : « أكباد سِرْبٍ رَعَيْنَ النَّوْر » لأن بقر الوحش والظباء إذا رعتِ الأنوار والنبـات الطّيبة الرائحة سَرَى(٢) ذلك الطيب فى أجسامها ، ووُجدت منها رائحةٌ طيبة عَطِرة ، وكذلك أبعارها إذا أصابها المطر . ولذلك قال آمرؤ القيس :

(١) فى البطليوسى : « جارهم » .

(٢) فى ب : « جرى » .

وبات إلى أرطاة حِقْفٍ كأنّها إذا ألثقتها غَبْيَةٌ بَيْتُ مُعْــرِسِ (١)

وقال ذو الرُّمّة :

إذا استهلّت عليــه غَبْيةٌ أَرِجتْ مَرَابِضُ العِينِ حتى يأرَجَ الخَشَبُ

وكذلك الملوك ذوو الرَّفاهِية لكثرة اســتعمالهم الطِّيب يُخامِر أجسامَهــم ، ويوجد في رائحة عَرَقهم ودمائهم . ولذلك قال إبراهيم بن الأَشْتَر في يوم خازِر (٢) : « لقــد ضربت رجلًا على شاطئ النهر، فرجع إليّ سيفي تفوح منه رائحةُ المسك ، ورأيت منه إقدامًا وجُرأةً ، فصرَعته فذهَبَتْ يداه قِبَــلَ المَشرق ورجلاه قِبَــلَ المغرب . فانظروا مَنْ هو (٣) ؟ » فأتوا بالنِّيران ، فإذا عبيد الله بن زياد . ونحوٌ من هذا وإن لم يَكُنْه بعينه قولُ الآخَر :

وأسيافُكم مِسْكٌ تَحُلّ أكُفَّكم على أنّهــا رِيحُ الدِّماء تَضوعُ

الخــوارزمى : كأنّه قسيمة عطّار ، وهى جُونَةٌ حســنة منقوشة يكون فيها العطر . وهى من قولهم : رجل قَسيمٌ وَسيم . ووجه مقسَّم ، أُعطى كلُّ شىء منه قِسْمه من الحسن ، فهو مُتَناسب . المســك : سُرَّة دابّة هى كالظّبى ، والعــوامّ تعتقد أنّها ظَبْى . وفى شعر أبى الطيّب :

* فإنّ المسك بعضُ دم الغزال (٤) *

رجل نَدُس ، أى فَطِن . ومثله نَطُس (٥) . وكأنّ أصلَه العالِمُ بالنَّدْس ، وهو الطَّعْن .

---

(١) « ألثقتها » : ندتها . « والغبية » : الدفعة من المطر . « والمعرس » : البانى بأهله .

(٢) خازر ، بتقديم الزاى : نهر بين إربل والموصل ، كانت به وقعة بين عبيد الله بن زياد وإبراهيم ابن الأشتر النخعى ، وقتل فيه ابن زياد سنة ٦٦ . (٣) فى الأصلين « منه » .

(٤) صدره : * فإن تفق الأنام وأنت منهم *
والعبارة من قوله : « المسك ... إلى هنــا » وردت فى الأصل متقدّمة عن هذا الموضع فى أثنــاء شرح البيت السابق .

(٥) فى الأصل : « ومنه نطس » .

٢٧ ﴿كَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ صَابَ عِنْدَهُمُ لِلنَّقْعِ مِبْضَعُ آسٍ مُشْفِقٍ نَطِسِ﴾

التبريزى : الآسى : الطبيب . والنَّطُس : الحاذق . ومنه النِّطْسِيّ : الطبيب .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : صاب السَّهمُ وأصاب ، لغتان . هو آسٍ من قوم أُساةٍ . وهو اسم فاعلٍ من أسوتُ الجرح أسوًا . رجل نَطِسٌ ونَدس : فَطِنٌ متفوّق فى الأمور . ويحكى أنّ عبد الله بن الصِّمّة أخا دُرَيد ، غزا غَطَفانَ فصرعوه وصُرِع أخوه دُرَيدٌ وهو يُنْهِنه عنه ، وتركوهما صريعين ، فمات عبد الله ودُرَيدٌ حىٌّ ، وهم يحسبونَهما مقتولين . فمر بهما الزَّهْدمان[1] ، فقال زَهْدَم لكَرْدَم : انزل فانظر إلى حِتاره[2] ، فإنْ تحرّكَ فهو حىّ . قال دريد : فسمعت بها — يعنى المقالة — فشددتها — يعنى استه — وشنّجتها لئلا تحرّك ، فكشَفَ عنّى فنظر فقال : هو ميّت . ثم ركب فرسَه وأهوى إلّى فطعنَنى فى جِعِبّاى[3] ، وهو الاست ، وكانت قد أصابتنى جراحةٌ قد احتقن دمُها . فلما طعَنَنى خرجَ الدمُ فوجدتُ إفاقةً وراحة ، وبقيتُ حتّى جنّنى الليل ، ومرّتْ سَيّارةٌ من هوازن فحملونى وغسلوا عنّى الدم وداوَوْنى حتى برِئْتُ .

٢٨ ﴿الطَّارِحِينَ لِخَوْضِ الْمَوْتِ لَأْمَهُمُ سَحْبَ الْأَجِلَّةِ خَلْفَ الضُّمَّرِ الشُّمُسِ﴾

التبريزى : المراد أنّهم يُلقُون بالدُّروع لتخفّ عنهم أثقالُها ، فيكونون إلى الحرب أسرعَ منهم إذا كانت عليهم ، وهى تُسحَب وراءهم كما تَسحب الخيلُ أجِلّتَها .

(١) الزهدمان : أخوان من عبس ، وهما زهدم وكردم ، فالتثنية على التغليب .

(٢) الحتار ، بالكسر : حلقة الدبر .

(٣) الجعبى ، بضم ففتحتين مقصورة ، وكزمكى ويمد .

البطليوسى : السِّنان : شَفرة الرمح . وصابَ : وقع ونزل ، كما يَصُوب المطرُ . والآسِى : الطبيب . والنِّطس ، بكسر الطاء وضمها : الحاذِق الفِطن . يقول : كُلّ سنان يُصيب جسومَهم فهو عندهم بمنزلة مِبْضَع الطّبيب المشفق على العليل ، لأنّه إذا كان مشفقا على العليل اجتهد فى ألّا يؤلمه ، و إذا كان حاذقا كان ألطفَ يدًا وأخفَّ شَرْطا . واللامُ : جمع لامة ، وهى الدِّرع . والسَّحب : الجر . والأجلّة : الأكسية التى توضع على الخيل . والشُّمس : التى تَشْمُس وتنفر . أراد أنّهم يُلقُون الدُّروعَ عن أنفُسهم ليخفُّوا للحرب ، فهم يسحَبون الدروعَ كما تسحب الخيلُ الشُّمُسُ أجلّتها إذا ألقتها عن ظهورها . وإذا كانت شُمُسًا كان أكثَرَ لإلقائها أجِلّتها .

الخوارزمى . الطّارحين ، نصبٌ على المدح أو الاختصاص . ونحوه قولُ أبى الطّيِّب :

كأنّهم يَرِدُون الموتَ مِنْ ظَمأ أو يَنْشَقُون من الخَطّىِّ رَيحانا

الكائنِينَ لمن أبغِى عداوته أعْدَى العِدا ولمن آخَيْتُ إخوانا

المقصود قوله « الكائنين » . « سَحْبَ الأجلّة » منتصبٌ على المصدر ، والعامل فيه ما دلَّ عليه مضمونُ الكلام السالف ، وهو قوله « الطارحين لحوض الموت لامهم » من معنى الفعل . ونظيره ما أنشده سيبويه : (١)

ما إنْ يمسُّ الأرضَ إلّا جانبٌ مِنْه وحرفُ السّاقِ طَىَّ المِحْمَلِ (٢)

يقول : أعنى الخالعين دروعهم للقتال ، والمتّخذين منها (٣) لخيلهم أحسن الجلال .

(١) زيد هنا بالأصل : «خلف الضمر الشمس» ولا معنى له . (٢) البيت لأبى كبير الهذلى . انظر سيبويه (١ : ١٨٠) والحماسة (١ : ١٩ — ٢١) والإنصاف ص ١٠٠ .

(٣) هذا المعنى ، وهو اتخاذهم من الدروع جلالا لخيلهم ، لا يستفاد من البيت .

٢٩ (أَبَا فُلَانٍ دَعَاكَ اللهُ مُقْتَدِرًا أَخَا المَكَارِمِ وَابْنَ الصَّارِمِ الخَلِسِ)

التبريزى : الصارم الخَلِس : الذى يختلس الأرواح .

البطليوسى : سياق .

الخوارزمى : مقتدرا، منصوبٌ على أنه مفعول «دعاك» . ونحوه :

* يا فارسَ الخيلِ يَدْعُوكَ العِدا أسدًا[1] *

فى أساس البلاغة : «صانع مقتدر، أى رفيق بالعمل» .

قال آمرؤ القيس :

لها جَبهةٌ كسَرَاةِ المِجَنِّ حَذَّفه الصانِعُ المقتدِرْ

أى سوّاه تسويةً حسنة، كأنه حذف عنه كلَّ ما يجبُ حذفُه . يريد أنّه ماهر فى صنعة الكَرَم والشجاعة . عَنَى بـ«الخلِس» الخالسَ . ولم أسمعه إلا هاهنا . ولقد أحسن فى هذا التلفيق . ونحوه :

دَارِى بها الفضلُ والإفضالُ قدثَوَيا نال الذى حلَّ دارِى حَظَّ دارَيْهِ

فيها أبو منزلٍ يعلُو بأُمِّ قِرًى لِيُنكِح ابنَ سبيلٍ بِنْتَ نارَيهِ

أبو منزل، هو المُضيف . أمّ قِرًى، هى النار . ابن سبيل، هو المسافر . كأنّه عنى ببنتِ نارَيهِ المَرَقة التى طبخت بنارِ العشىِّ والغَداة .

٣٠ (لَا يُوهِمَنْكَ إِنَّ الشِّعْرَ لِى خُلُقٌ وإِنَّنِى بالقَوَافِى دَائِمُ الأَنَسِ)

التبريزى : ضمّ الميم فى «يوهمنك» لأنه ضمير جماعة الناس . والأُنسُ والأَنَس، واحد .

---

(١) انظر البيت الرابع عشر من هذه القصيدة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : قوله : «لا يوهمُنّك» بضم الميم، أعنى لا يوهمنك الناسُ .

٣١ (فإنّما كانَ إلمامِى بساحَتِها ... فى الدَّهْرِ إلمامَ طيرِ الماءِ بالعلَسِ) (١)

التبريزى : العلس : ضربٌ من الحبوب يؤكل ويختبز، وطيور الماء لا ترغب فى أكله لأنّها إنّما تصطاد السّمك ما صغُر منه .

البطليوسى : قد ذكرنا فيما مضى أنّ العربَ تستعمل الأُخُوّة والبُنُوّة مجازًا، يريدون بهما المصاحبة والملازمة، فيقولون : فلانٌ ابنُ الليل، وأخو الحرب . يريدون أنّه غير منفكٍّ منهما؛ قال جرير :

أخُو الحرب إن عضّتْ به الحربُ عضّها ... وإنْ شمّرَتْ عن ساقها الحربُ شمّرا

وقالت أمّ تأبّط شرّا تؤبّنه بعد موته : «وا ابناه وا ابنَ اللّيل، ليس بزُمّيل شروب للغَيل» (٢). والقوافى : اسمٌ يقع على أواخر الأبيات التى يلزم تكريرُها فى كلّ بيت. وقد حدّدناها فيما مضى بأنها من آخر ساكنٍ فى البيت إلى أوّل ساكنٍ يليه. وتقع أيضًا على القصائد كلّها . والإلمام : النُّزول . والسّاحة : الفِناء . والعَلَس : ضربٌ من الحبوب يؤكل ويُختَبز، وطير الماء لا يرغب فى أكله لأنّه إنّما يصيد السمك. فأراد أنّ رغبتَه فى قول الشعر كرغبة طير الماء فى العَلَس . وقوله : «أبا فلان» كذا وقع فى نسخ السّقط، وهى كنايةٌ عن كنية الممدوح بهذا الشعر، كرِه أن يصرّح بكنيته، لغرض حاولَه بذلك، كما أسقط كثيرًا من شعره .

---

(١) الخوارزمى : «وإنما كان» . وفى حـ من التبريزى : «فى العلس» .

(٢) الغيل، بالفتح : اللبن الذى ترضعه المرأة ولدها وهى حبلى . وفى مثل هذا المعنى تقول أمه أيضا : «ولا أرضعته غيلا» . انظر اللسان (غيل، قيل) .

الخـــوارزمى : العلَس : حبّة سوداء، إذا أجدَبَ النّاسُ طحَنوها وأكلوها. وقال صاحب التكملة : العَلَس : مثل البُرّ، إلا أنّ العلس مقترنُ الحبّ، حبّتين حبّتين. العلس مسمونٌ، أى يؤكل بالسمن . كذا نقله الغورى . قال التبريزى : وهو طعام أهل صنعاء(١)، وطيور الماء لا ترغب فيها، لأنها تأكل صغار السمك .

٣٢ (وَالنّاسُ فِى غَمَرَاتٍ مِنْ مَقَالِهِمُ(٢) لاَ يَظْفَرُونَ بِغَيْرِ المَنْطِقِ الوَدِسِ)

التـــبريزى : المنطق الودِس : الذى فيه عيوب .

البطليـــوسى : ســيأتى .

الخـــوارزمى : قال التبريزى : «الودِس : الذى فيه عيوب» .

٣٣ (وَلاَ يُفِيدُونَ نَفْعًا فِى كَلاَمِهِمُ(٣) وَهَلْ يُفِيدُكَ مَعْنًى نَغْمَةُ الجَرَسِ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ســيأتى .

الخـــوارزمى : الجَرَس ، هو الذى يعلّق بعنق البعير(٤)، كذا قاله الخليل .

٣٤ (عَسَاكَ تَعْذِرُ أَنْ قَصَّرْتُ فِى مِدَحِى فَإِنَّ مِثْلِى بِهِجْرَانِ القَرِيضِ عَسِى)

التـــبريزى : يقال : فلانٌ عَسِيٌّ(٥) بكذا . أى جديرٌ به . وعَسَاك ، الأجودُ فيها عسى أنت . وقالوا : عساك . وأنشد سيبويه :

(١) يفهم من هذا أن فى نسخ التبريزى سقطا ، وأن الخوارزمى نقل بتصرف .

(٢) فى الخوارزمى : « من مقالتهم » .

(٣) فى البطليوسى : « ولا يفيدون شيئا من كلامهم » .

(٤) فى الأصل : « من البعير » .

(٥) يقال عسى ، بتشديد الياء ، وعس ، بالنقص .

تقولُ بِنتى قـد أنَى إناكَا يا أبتَـا علّكَ أو عَسَـاكَا(١)

لمّـا كانت «لعلّ» و«عسَى» يقعان على معنى الترجّى للشيء، استحسَنَ القائلُ أن يجىءَ بعد «عَسَى» بالكاف كما جاءت بعد «علّ». وقيل: وافق ضميرُ المرفوع ضميرَ المنصوب. وقيل المعنى: عسى أنت أن تفعل. فقدّم الاسم الثانى على الاسم الأوّل(٢). كما قالوا ضرب عمراً زيد.

البطليـوسى: أصل الغمرات: المـاء الذى يغمر مَنْ دخل فيه فيُهلكه إن لم يكن له تَخلّص منه، ثم صارت مثلاً للشـدائد والجهالات والغفلات؛ واحدها غَمْرة؛ كما قال الأغلب:

* الغمرات ثم ينجلين(٣) *

والوِدس: الذى فيه عيوب. والقريض: الشعر. وعَسٍ: حقيقٌ. يقال: هو عَسٍ بكذا، وحَجٍ وحقيقٌ وخليقٌ وجديرٌ وقَمِينٌ وقَمَنٌ وقَمِنٌ، بفتح الميم وكسرها، وحَرٍ وحَرًى وحَرِىٌّ، بالتشديد، كله بمعنى واحد.

الخـوارزمى: عامل «عسى» معاملة «لعلّ»، كما تعامل «لعل» معاملة «عسى». هو عَسٍ بكذا، أى جديرٌ به. و«عساك» إلى «عَسٍ» تجنيس.

(١) الرجز لرؤبة أو للعجاج. انظر تحقيق النسبة والنص فى الخزانة (٢: ٤٤١ — ٤٤٣).

(٢) الذى يوضح هذا قول ابن هشام فى المغنى عند الكلام على (عسى): «والثالث أنها باقية على إعمالها عمل كان، ولكن قلب الكلام فجعل المخبر عنه خبرا و بالعكس. قاله المبرد والفارسى».

(٣) انظر مجمع الأمثال للميدانى، وجمهرة الأمثال للعسكرى ص ٥٠ ووقعة صفين ٢٨٧.

[القصيدة الثامنة والعشرون]

وقال أيضا يجيب شاعرا مدحه، يعرف بأبي الخطاب الجَبُلِّيّ[(١)]، وكان مفرط القِصر[(٢)] :

١ (أشفقتُ من عبءِ البقاءِ وعابِهِ   ومللتُ من أَرْيِ الزمانِ وصابِهِ)

التبريزي : من الكامل الأول، والقافية متدارك. العبء : الثِّقل . والأَرْي : العسل . والصاب : المُقِرُّ[(٣)] .

البطليوسي : سيأتي .

الخوارزمي : العاب والعيب واحد . الصاب : شجر مرٌّ له ماء كاللبن ربما أصاب الجلدَ فأحرقه .

٢ (ووجدتُ أحداثَ الليالي أُولِعَتْ   بأخي النَّدى[(٤)] تثنيه عن آرابِهِ)

التبريزي : سيأتي .

البطليوسي : العِبْء : الثِّقل ، وجمعه أعباء . والعيب والعاب، سواء . وجعل للبقاء عيبًا، وإن كان محبوبًا مرغوبا فيه، لِمَا يُدرك الإنسانَ من الهَرَم، وينالُه

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجبلي . انظر تعريف القدماء ص ٣٩٣ . وفي هامش حـ من البطليوسي : «أبو الخطاب المذكور اسمه محمد بن علي بن محمد البغدادي الشاعر المعروف بالجبلي، سمع من عبد الوهاب الكلابي بدمشق . وروى عنه الخطيب وأثنى عليه بمعرفة العربية والشعر . وقد مدحه أبو العلاء بقصيدته هذه : * أشفقت من عبء البقاء وعابه * الخ . وكان أبو الخطاب المذكور مفرط القصر، وهو رافضي جلد، مات سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، بقي بعده أبو العلاء حيا عشر سنين، رحمهما الله تعالى» . وانظر تاريخ بغداد (٣ : ١٠١ — ١٠٤) .

(٢) وفي البطليوسي : «وقال أيضا يجيب شاعرا مدحه وكان يكنى أبا الخطاب، وكان مفرط القصر» . وديباجة الخوارزمي : «وقال أيضا في الكامل والقافية من المتدارك يخاطب شاعرا يعرف بأبي الخطاب الجبلي وكان مفرط القصر» .   (٣) في ب، ى : «المر» .

(٤) البطليوسي : «بأخي النهى» .

من الأوصاب والسَّقم ، وأنّ الكبير الهَرِم يصير بغيضًا إلى مَنْ كان يُحبّه ، وثقيلًا على من كان يستخفّه . قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾، وقال منصور النَّمَرِىّ :

ما واجَهَ الشيبَ من عين وإن وَمَقَتْ   إلّا لها نَبْوةٌ عنه ومُرْتَدَعُ

وقال أبو تمّام الطائى :

يانَسيبَ الثَّغامِ ذَنْبُكَ أبقَى   حَسَناتى عند الحِسانِ[(١)] ذُنوبَا
ولَئِن عِبْنَ ما رأين لقد أنْـ   كَرْنَ مُسْتَنْكَرًا وعِبْنَ مَعيبَا

والأَرْى : العسل ؛ سُمِّى بالمصدر ، من قولهم : أرَتِ النحلُ تأرِى أرْيًا ، إذا صَنَعتِ العسل . وضرب به مثلًا للمحبوب . والصاب : الصَّبِر ، ضرب به مثلًا للمكروه . ونظيرُ هذا البيت قولُ زُهَير :

سَئِمْتُ تكاليفَ الحياةِ ومَنْ يَعِشْ   ثمانينَ حولًا لا أبالَكَ يَسْأَمِ

والنُّهَى : جمعُ نُهْيَة ، وهى العقل ، سمّى بذلك لأنه يَنْهَى صاحبَه عن القبيح . والآراب : جمع أَرَب ، وهى الحاجة . يريد أنّ الزمان يُعاند العُقلاء ويَحُول بينهم وبين آمالهم ، ويُساعد الأغبياء ويرفع من أحوالهم . وهذه مقدّمة قدّمها لِما أراد مِنَ الاعتذار إلى هذا الشاعر من تقصيره فى مكافأته . وقد رُوِى «بأخى النَّدَى» ، وهو أوضح للمعنى الذى قصده . وهو شبيهٌ بقول الأحنف :

فلو مُدَّ سَرْوِى[(٢)] بمالٍ كثيرٍ   سَمَحتُ وكنتُ له باذلَا
فإنّ المروءةَ لا تُستَطاعُ   إذا لم يكن مالُها فاضلَا

(١) فى الديوان : «عند الغوانى» .

(٢) السرو : سخاء فى مروءة .

الخوارزمى : الإِرْبُ ، بكسر الهمزة وسكون الراء ، وبالفتحتين أيضا ، هى الحاجة ، وجمعه آراب .

٣ (وأَرَى أَبَا الخَطَّابِ نَالَ مِنَ الحِجَا   حَظًّا زَوَاهُ الدَّهْرُ عَنْ خُطَّابِهِ)

التبريزى : آرابه : حاجاته . والحجا : العقل . وزواه : قبضه . وانزوى الشىء ، إذا انقبض واجتمع ؛ قال الأعشى :

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونِى كأنَّما   زَوَى بين عينيه علىَّ المَحَاجِمُ

فلا يَنْبَسِطْ مِنْ بين عينيكَ ما انْزَوَى   ولا تَلْقَنِى إلّا وأنْفُك راغِمُ

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : أبو الخطّاب هو محمد بن علىّ بن إبراهيم الشاعر، المعروف بالجَبُّلِّىّ ، بفتح الجيم وضم الباء المشدّدة، وهى قرية على الفُرات (١) . كان من أهل الأدب ، طويل النَّفَس، مليح النَّظْم يصرِّفه كما يشاء ، كأنّ شعره غُرِف من الماء الزُّلَال لسلاسته . وكان عندى بسَمَرْقَنْد ديوانُ شعره ، وعَلِق بحِفْظِى من قصيدةٍ له :

فإنْ لم تُكَافِ الحُبَّ فاكْفُفْ عَنِ الأذَى   فإنّى لأرضى من نَوالِكَ بالكَفِّ

وإن كنتَ لا تُعْفِى فؤادى من الصِّبَا   فهَبْ لجفونى من وِصالك أن تُغْفِى

وإن كنتَ بالإعراض لابُدَّ قاتلى   فرِفْقًا فبعضُ الرفق أجْدَى من العُنْف

إليك وأنت الخَصْمُ أرفَعُ قِصَّتى   وبالسُّقْم من عينيك للسُّقْم أستشفى

أُفارِقُ ما تَقْلِى وإنْ كان مُنْيَتِى   وآتِى الذى تَهْوَى ولو أنه حَتْفِى

ومما أعجبنى من مطالعه :

لم تَزَلْ للمُنَى نراك غَرِيمًا   وكذا كُلُّ مَنْ يكون كريما

(١) المفهوم من معجم البلدان والقاموس أنها على دجلة ، بين النعمانية وواسط . وقد أغفل الخوارزمى ذكر « جبل » ثقة بفهم القارئ .

سافر فى حداثته إلى الشام فسمع بدِمَشْق، ثم عاد إلى بَغْداد وقد كُفَّ بصره، فأقام بها إلى أن توفِّى ليلة الاثنين التاسع والعشرين من ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة .

٤ (لَا يَطْلُبَنَّ كَلَامَهُ مُتَشَبِّهٌ فَالدُّرُّ مُمْتَنِعٌ عَلَى طُلَّابِهِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : الحِجَا : العقل . ويروى : « نال من العُلَا » . ومعنى « زواه عن خُطّابه » قبضه . وخُطّاب : جمع خاطب . يقول : نال من الحِجا عفْوًا ما يجهَد غيرُه نَفْسَه فى الوصول إليه فلا يدركه . فأراد بذلك تَقَدُّمَه فى صَنْعة الشعر، وبيّن ذلك بالبيت الذى بعده .

الخوارزمى : فيه إيماء إلى أن أبا الخطّاب كالبحر .

٥ (أَثْنَى وَخَافَ مِنَ ٱرْتِجَالِ ثَنَائِهِ عَنِّى فَقَيَّدَ لَفْظَهُ بِكِتَابِهِ)

التبريزى : فتحُ النون من قوله «مِنَ ٱرْتجال ثنائه» هو الوجه، لئلا تجتمع الكسرات ، وكذلك ما أشبهه . فأمّا « عن » فإنّ النون تكسر منها ، فتقول عن ارتحاله؛ لأنّ تَوَالِى الكَسَرات قد زال بفتحة العين .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : قوله « مِن ارتجال ثنائه » بكسر النون؛ وهذا لأن نون «مِنْ» مكسورة عند مُلاقاتها كلَّ ساكن سوى لام التعريف .

٦ (كَلِمٌ كَنَظْمِ الْعِقْدِ يَحْسُنُ تَحْتَهُ مَعْنَاهُ حُسْنَ الْمَاءِ تَحْتَ حَبَابِهِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : أمّا تشبيه الكلام بالدُّرّ فكثير قد تجاذبه الناس قديما وحديثا . وأما تشبيه المعنى تحت اللفظ بالماء تحت الحَبَاب فلا أعرف له نظيرًا فى شىء

من شعر المتقدّمين ولا المتأخرين. وقد أشار الشعراء إليه، وإن كانوا لم يَنُصّوا عليه؛ لأنّ الكلام والحَبَاب يشبَّهان جميعا بالدرّ. فولّد أبو العلاء من ذلك أن شبّه الكلام بالحَبَاب؛ لأنّ الشيء إذا أشبه الشيءَ فقد أشبه ما يُشبهه. والشاعر إذا كان ذا ذكاء، كفاه أقلّ تنبيه وأيسر إيماء.

الخوارزمى: الضمير فى «معناه» و«تحته» ينصرف إلى الكَلِم، والكَلِمُ يذكّر؛ قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾. وفى شعر جمال العرب الأبيوَرْدىّ:

لكنّه يملأُ الأسماعَ من كَلِمٍ ضاحٍ على صَفَحاتِ الدّهرِ مكتوبِ

٧ ﴿فَتَشَوَّفَتْ شَوْقًا إِلَى نَغَمَاتِهِ أَفْهَامُنَا وَرَنَتْ إِلَى آدَابِهِ﴾

التبريزى: تشوّفت: تطلّعت. ونَغَمات: جمعُ نَغْمة. ورَنَتْ: بمعنى نظرتْ.

البطليوسى: سيأتى.

الخوارزمى: سيأتى.

٨ ﴿وَالنَّخْلُ مَا عَكَفَتْ عَلَيْهِ طُيُورُهُ إِلَّا لِمَا عَلِمَتْهُ مِنْ إِرْطَابِهِ﴾

التبريزى: إرْطَاب: مصدرُ أرْطَبَ النخلُ إرطَاباً، إذا صار عليه رُطَبٌ. ومَنْ روى «أرطاب» بفتح الهمزة، فإنه جمعُ رُطَب.

البطليوسى: التشوف: الاستشراف إلى الشيء حرصًا عليه. والرُّنُوّ: إدامة النظر إلى الشيء. والعكوف على الشيء: الإقامة عليه. والإرطاب: أن يبلغ التمر غايتَه من النُّضج.

الخوارزمى: تشوّفت إلى الشيء: تطلّعت إليه. والنساء يتشوّفن من السُّطوح، أى ينظرن ويتطاولن. ومدار التركيب على الإظهار. يروى «من

إرطابه » بكسر الهمزة ، وهو مصدرُ أَرْطَبَ النخلُ ، إذا صار ما عليه رُطَباً . ويروى « من أرطابه » بفتح الهمزة ، وهى جمع رُطَبٍ . والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدم .

٩ (رَدَّتْ لَطَافَتُهُ وَحِدَّةُ ذِهْنِهِ ... وَحْشَ اللُّغَاتِ أَوَانِساً بِخِطَابِهِ)

١٠ (وَالنَّحْلُ يَجْنِي المُرَّ مِنْ نَوْرِ الرُّبَا ... فَيَصِيرُ شُهْداً فى طَرِيقِ رُضَابِهِ)

التبريزى : النَّوْر : الزهر . والرُّبا : جمعُ رَبْوة . والرُّضاب : قِطَع الرِّيق . ويقال الرُّضاب مادام فى الفم ، فإذا خرج منه فهو بُصَاق .

البطليوسى : الوَحْش من اللُّغات : ما كان غيرَ مُستعملٍ ولا مشهور ، شُبِّه بالوحش التى تَنْفِر من الإنْس ولا تأنَس بهم . والرُّبَا : جمعُ ربوة ، وهى المرتفع من الأرض ، ونَبْتُها أنضر النبات وأحسنُه ، ولذلك ضرب الله تعالى به المثلَ فقال : (كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ) . وأهل العالية يقولون شُهْدٌ بضم الشين ، وغيرهم يقولون شَهْدٌ بالفتح . والرُّضاب : قِطَعُ الريق . يقول : هذا الشاعر لكرم ذهنه وطَبْعه ، وحذقه بنظم الكلام وصُنْعه ، إذا تناول اللفظ الوَحْشِيَّ المُهْمَلَ ، والمعنى المستغلقَ المُشْكِلَ ، كساه طلاوةً ، وألبسه حَلاوة(١) ، حتى يصير واضحاً تقبلَه الأسماع ، ولا تمجّه الطِّباع . ثم ضرب لذلك مثلاً فقال : وكذلك النحلُ ، يتناول المُرّ من الأنوار ، فيُعيده بكرم طبعه شهداً يستلذّه الآكل ويستحليه ، ويشتاره العاسل ويجتنيه .

الخوارزمى : شَرْح هذين البيتين فى قول أبى العلاء من رسالةٍ(٢) له : «وخصّه بارئه تقدّستْ أسماؤه بطَبْع راضَ صِعابَ الأغراض حتى ذلَّلها ، وأبسَّ(٣) بوحوش

(١) أ : «وما كسبه» . (٢) انظر رسالة المنيح فى رسائل أبى العلاء ص ٥ طبع أكسفورد .

(٣) الإبساس : التلطف . وأصله التلطف بالناقة بأن يقال لها بس بس ، تسكينا . وفى الأصل : « آنس » صوابه من الرسائل .

اللُّغات حتى أهلَها ؛ فصار حَزْنُ كلام العرب إذا نطق به سَهْلا ، وركيكُه إن أيَّده بصَنْعته قويًّا جَزْلا ؛ فَمَثَلُه كمثل جارسة الكَحْلاء[1]، تَسْمَح بالمسائب المِلاء ، تَطْعَمُ الغَرَب ، وتجود بالضَّرَب ؛ وتَجْنِى مُرَّ الأنوار ، فيعود شهدًا عند الاشتيار » .

١١ (عَجِبَ الأنَامُ لِطُولِ هِمَّةِ مَاجِدٍ أَوْفَى بِهِ قِصَرٌ عَلَى أَضْرَابِهِ)[2]

التبريزى : أضراب : جمع ضَرْب ، والضرب أيضا مصدرٌ ، وفَعْلٌ لا يُجمَع على أفعال فى أكثر الكلام . ويجوز أن تكون هذه الكلمة مجموعة على حدّ لفظ ما استُعمِل ، لأنّه[3] يقال : ضربتُ الدرهمَ ضَرْبًا . وكان القياس أن يسمّى الدرهمُ المضروب الضِّرْبَ ، كما يقال للنقوض النِّقْض ، وللقبوض القِبْض . وقد أنشدوا بيتا يذكره أصحاب العروض يستشهدون به على قولهم «ضِرْب» ، ويجوز أن يكون مصنوعا ، وهو :

ونُبِّئْتُ سَلْمَى العامريّةَ أصبحتْ على ضِرْبِ لَيْلَى حُبُّ ذلك من ضِرْب

وقوله « أوفى به » : أشرف وأناف .

البطليوسى : الأنام : الخَلْق . والماجد : الشريف . ومعنى أوفى : أشرف وعلا . والأتراب : الأصحاب ، واحدهم تِرْب . ووقع فى بعض النسخ « على أضرابه » ، وكذا وجدته فى ضوء الزَّنْد[4] . والأضراب : الأمثال ، وهم نحو

(١) جرست النحلة النبت : رعته وأكلته . والكحلاء : نبت ترعاه النحل . وفى الأصل : «الجارسة الكحلاء» صوابه من الرسائل . والمسائب : جمع مسأب ، بكسر أوله وفتح ثانيه ، وهو هنا : وعاء يوضع فيه العسل .

(٢) فى البطليوسى : « على أترابه » .

(٣) فى الأصول : « كأنه » .

(٤) المعروف أنه « ضوء السقط » .

الأتراب، فيجوز أن يكون واحدهم ضَرْبًا، فيكون كقولهم زَنْد وأزناد، وفَوْج وأفواج . ويجوز أن يكون جمعَ ضَرِيبٍ ، فيكون كقولهم شَهِيدٌ وأشهاد ، وكَمِيٌّ وأكماء . أنشد أبو زيد(١) :

تركتَ ابنتَيْك لِلْمُغيرةِ والقَنا شَوارِعُ والأكماءُ تَشْرَقُ بالدَّمِ

وجمعُ فَعْلٍ وفَعِيلٍ على أفعال قليلٌ ، وإنما ورد فى ألفاظ مسموعة ولا يقاس عليها ؛ فالأتراب هاهنا أقيس من الأضراب . وهذا البيت اعتذارٌ لهذا الشاعر من قِصَره . يقول : هو يَطُول هِمَمَ الرجال بهِمَّته ، وإن كان جسمه يَقْصُر عن جسومهم بخِلْقته . وشَرَفُ الرجال ليس بعِظَم خَلْقِهم وأجسامهم ، ولكنه بعظم هِمَمهم وأحلامهم . ونحوُه قول الآخر(٢) :

إذا كنتُ فى القوم الطِّوالِ فَضَلْتُهمْ بعارفةٍ حتّى يُقالَ طويلُ
ولا خيرَ فى حُسْنِ الجسوم وطُولها إذا لم يَزِنْ حُسْنَ الجسوم عُقولُ

الخوارزمى : سيأتى .

١٢ (سَهْمُ الفَتَى أَقْصَى مَدًى من سَيْفِهِ وَالرُّمحِ يومَ طِعَانِهِ وضِرَابِهِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : أَقْصَى : أبعَد . والمدى : الغاية . وهذا مَثَلٌ أكَّد به البيت الذى قبل هذا . يقول : السهم وإن كان أقصرَ من الرمح والسيف ، فإنّ مداه أطولُ من مَدَاهما ، ومنتهاه أبعدُ من منتهاهما .

الخوارزمى : الأضراب ، هى الأمثال ؛ يقال : فلان من أضراب الخليل ، جمعُ ضَرِيبٍ ، ونظيُره يَتيمٌ وأيتام ، ويَمينٌ وأيمان . وأصله مَنْ يضرب معك القِدَاح . القصير القامة من الناس يوصف بالدَّهاء والذكاء ، لتقارب أعضائه الرئيسة .

(١) فى نوادره ص ١٥٥ ونسب الشعر فيها لضمرة بن ضمرة .
(٢) البيتان لرجل من الفزاريين من أبيات فى الحماسة ٥٢٥ بن .

١٣ (هَجَرَ الْعِرَاقَ تَطَرُّبًا وَتَغَرُّبًا لِيَفُوزَ مِنْ سِمْطِ الْعُلَا بِغِرَابِهِ)

التبريزى : غريب وغراب، كظريف وظراف .

البطليوسى : سياق .

الخوارزمى : سياق .

١٤ (وَالسَّمْهَرِيَّةُ لَيْسَ يَشْرُفُ قَدْرُهَا حَتَّى يُسَافِرَ لَدْنُهَا عَنْ غَابِهِ)

التبريزى : المعنى أن الرمح يكون فى مَنابت الرماح لا ثَمَنَ له غاليًا ، وإنما هو كبعض العِصِىّ ، فإن سُوفِرَ به عن البلاد شَرُفَ قَدْرُه، وحملته الفوارس ، وقُوتِل به العدوّ .

البطليوسى : سياق .

الخوارزمى : سياق .

١٥ (وَالْعَضْبُ لَا يَشْفِى امْرَأً مِنْ ثَأْرِهِ إِلَّا بِفَقْدِ نِجَادِهِ وَقِرَابِهِ)

التبريزى : هذه الأبيات كلها تؤكد قوله : « هجر العراق تطرُّبا وتغربا ...» البيت . والعضب : السيف . ونِجاده : حِمالَتُه . والقِرابُ : الجلد الذى يكون فيه السيف بغِمْدِه .

البطليوسى : السِّمْط : ما يعلَّق من القلادة على الصدر . وغِرَاب، يجوز أن يكون جمعَ غريب ، ويجوز أن يكون جمعَ غريبة ؛ لأن فَعيلًا وفَعيلةً يُكَسَّران على فِعَال؛ تقول: رجل كريم وامرأة كريمة، وتقول فى تكسيرهما : رجال كِرام ونساء كِرام . والسمهرىّ : الرمح، مشتقٌّ من قولهم : اسمهرّ الشىء، إذا اشتدّ، وقيل: هو منسوب إلى رجل كان يصنع الرِّماح . واللَّدْنُ من الرماح : الذى ليس بكَزٍّ ولكن فيه لين وشدّة . والغابُ : جمعُ غابة، وهى الأَجَمة . والعَضْب : القاطع من السيوف .

والنِّجاد : حمائلُ السيف . والقِرَاب : غِمْده ، وقال قوم : هو ما يدخل فيه السيف بغِمْده . وهذه أمثال مضروبة لتغرّب هذا الشاعر عن وطنه ومقرّه ، وأن ذلك مما زاد فى فضله و بيّن عُلُوَّ قَدْره .

الخوارزمى : «هجر العراق تَطَرُّبا» كأنّ فيه سِمةً من قولهم: «الكريم طَرُوب» . والأبيات الثلاثة متقاربة المعانى .

١٦ (وَاللهُ يَرْعَى سَرْحَ كُلِّ فَضِيلَةٍ ... حَتَّى يُرَوِّحَهُ[1] إِلَى أَرْبَابِهِ[2])

التبريزى : هذا مثلٌ ، ومعناه أن الله حفِظ له الفضائل وقدّرها له ، فهى مجتمعة فيه .

البطليوسى : يقول : الله تعالى لا يضع الفضائل إلا عند أهلها ، ولا يُؤْتِى المناقب إلّا مَنْ هو حقيقٌ بها . وضرب لذلك مثلًا برَعْى السَّرْح و إراحته . والسَّرْحُ : الأموال التى تسرح فى المَرْعَى . وترويحها و إراحتها : ردّها من المرعى إلى البيوت مع الليل . والواحد من السَّرْح سارح ، ومثلُه راكبٌ ورَكْبٌ ، وراجلٌ ورَجْلٌ ، وصاحب وصَحْب . وسيبويه يرى هـذا ونحوه اسمًا للجمع ، وأبو الحسن الأخفش يراه جمعا .

الخوارزمى : خرج إلى سَرْحٍ له ، وهو المال السارح ، وهـذا من باب التسمية بالمصدر . روّح الإبلَ : ردّها إلى المُرَاح ، والترويح ها هنا وقع ترشيحا للاستعارة . دعا للممدوح بأن يحفظه الله حتى يردّه إلى أهله .

---

(١) الخوارزمى فقط : « حتى يروحها » . والتأنيث على معنى الإبل .

(٢) فى البطليوسى : « على أربابه » .

١٧ (يا مَنْ لَهُ قَلَمٌ حَكَى فى فِعْلِهِ   أَيْمَ الغَضَا لَوْلا سَوَادُ لُعَابِهِ)

التبريزى : الأَيْم : الحَيّة . والغَضَا : شجر ، نسبها إليه لكونها فيه .

البطليوسى : الأَيْم والأَيْن : الحيّة . والغضا : شجر تألفه الحيّات . يقول : قَلَمُكَ إذا جرى فى الكتاب ، يحكى الحيّة فى الفعل ويخالفها فى اسوداد اللُّعاب ؛ لأنّ لعاب الحيّة لا يوصف بالسواد . ألا ترى إلى قول أبى صَفْوان الأسدىّ فى صفة حيّة :

لهُ فى اليَبِيسِ نُفَاثٌ يَطِيـ   ـرُ عن جانبيه كجمر الغضا

وقد أخذ أبو العلاء هذا المعنى من حبيب بن أَوْس ، وإن كان قد خالفه فى بعضه ، وهو قوله فى صفة القلم ، يمدح محمد بن عبد الملك بن الزيّات :

لُعَابُ الأفاعِى القاتلاتِ لُعَابُهُ   وأَرْىُ الجَنَى اشْتارتْه أَيْدٍ عَوَاسِلُ

الخوارزمى : فى هذا البيت تصريح بأن سمّ الحية أبيض . ويشهد له بيت السقط فى صفة سيف :

كأنّ أَرَاقِمَ نَفَثَتْ سِمَامًا   عليـه فآض مُبْيَضًّا نَحِيلا (1)

١٨ (عُرِفَتْ جُدُودُكَ إذْ نَطَقْتَ وطالمَا   لَغَطَ القَطَا فَأَبَانَ عَنْ أَنْسَابِهِ)

التبريزى : يقال : لَغَطَ القَطَا لَغْطًا ولَغَطًا . وأصل اللغط : اختلاط الأصوات والكلام . وإنما سمّى القطا لصياحها : قَطَا قَطَا (2) . قال النابغة :

تدعو القَطَا وبه تُدْعَى إذا انتسبتْ   يا صِدْقَها حينَ تدعوه فتنتسبُ

أى لمّا نطقتَ عُرِفتْ جُدودك كما تُعْرَف القطا بصوتها .

(1) البيت ٢٠ من القصيدة ٦٣ . (2) البيت ليس فى ديوان النابغة . وقد نسب فى الأغانى (٧ : ١٥٢) إلى العباس بن يزيد الكندى ، أو لبعض بنى مرة .

البطليوسى : من شأن القطا إذا صاح أن يقول: قَطَا قَطَا ، فلذلك سُمِّى بهذا الاسم . وقيل فى المثل: «أصدق من قطاة» . ولهذا قالوا للصُّرَد: واقٍ، لأنه يصيح: وَاق وَاق . وإنما قال أبو العلاء هذا ، لأن هذا الشاعر كان قد ذكر نَسَبه واسمه فى شعره . ويقال: لَغَط القطا والغط، إذا صاح . وهو اللَّغَط واللَّغْط، بفتح الغين وتسكينها .

الخوارزمى : فى أمثالهم : « أَنْسَبُ من قَطاة » ؛ لأنها إذا صوتت انتسبت وقالت: قَطَا قَطَا ، ولذلك قيل: «أصدق من القطا» . والعرب تسمِّيها الصَّدُوق . قال النابغة(١) :

تدعو القطا وبه تُدْعَى إذا انتسبت يا صِدْقَها حين تلقاها فتنتسبُ

وقال آخر(٢) :

لا تَكْذِبُ القولَ إن قالتْ قَطَا صَدَقَتْ إذ كُلُّ ذى نِسبةٍ لا بُدَّ يَنتحِلُ

والقطا فى الأصل : اسم صوتها ، فسمِّيت به . لَغَطَ يَلْغَطُ لَغْطًا ولَغَطًا، وهو الصوت والجلبة .

١٩ (وهَزَزْتَ أَعْطافَ المُلُوكِ بمَنْطِقٍ رَدَّ المُسِنَّ إلى اقْتِبَالِ شَبَابِهِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : ذكر فى البيت الأول أنّ كلامه عليه مِيسمُ الشرف، وفى البيت الثانى أن عليه ميسم اللُّطْف والفصاحة .

(١) انظر الحاشية الثانية من الصفحة السابقة .

(٢) البيت للكميت . انظر الحيوان (٥ : ٥٧٨) .

٢٠ (أَلْبَسْتَنِي حُلَلَ القَرِيضِ وَوَشْيَهُ مُتَفَضِّلاً فَرَفَلْتُ فِي أَثْوَابِهِ)

التبريزى : إنما يرفُل فى أثوابه الإنسانُ إذا كان طويلَ الذَّيل . ومعناه : ألبستنى حُلَل القريض سابغةً . والمراد به مَدْحُه إيّاه .

البطليوسى : يقول : قَرِيضُك لِحُسْنه إذا سمعه الشيخ المُسِنّ سَرَتْ فيه الأَرْيَحِيّة والطرب ، وتذكَّر عصر شبابه الذى ذهب . والقريض : الشِّعر . ومعنى رَفَلْت : تبخترت .

الخوارزمى : قوله « فرفلتُ فى أثوابه » فيه دليلٌ على أنّ تلك الأثواب سابغةٌ وافية الأذيال .

٢١ (وَظَلَمْتَ شِعْرَكَ إِذْ حَبَوْتَ رِيَاضَهُ رَجُلاً سِوَاهُ مِنَ الوَرَى أَوْلَى بِهِ)

التبريزى : يقال : حباه يحبوه ، إذا أعطاه . والحِبَاء : العطيّة والعَطَاء .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : حباه يحبوه ، إذا أعطاه ؛ ومنه الحِبَاء . سُوى وسَوَاء ، من الظروف اللازمة . إذا قلتَ : جاءنى رجل سواك ، فمعناه مكانَك وبدلَك . وهاهنا قد أُخرج « سوى » عن الظرفية ؛ لأنه أوقعه فى مقام الابتداء ، وقوله « أولى به » خبره . قال سيبويه : سوى ، لا يكون اسمًا كغَيْر إلّا فى الشعر . وأنشد لرجل من الأنصار[1] :

* إذا جلسوا منّا ولا من سَوائنا[2] *

(١) انظر سيبويه (١ : ٢٠٣) . وفى سيبويه (١ : ١٣) والخزانة (٢ : ٦٠) والعينى (٣ : ١٢٦ — ١٢٧) أن البيت للرار بن سلامة العجلى . وصدر البيت :

* ولا ينطق الفحشاء من كان منهم *

وفى الإنصاف ١٣٢ : « ولا ينطق المكروه » .

(٢) فى سيبويه (١ : ٢٠٣) : « إذا قعدوا » .

وفى الحماسة :

* وما أضمرتُ حُبًّا من سواكِ[1] *

وقال الأعشى :

* وما عَدلتْ عن أهلِها لَسَوائكا[2] *

٢٢ (فَأَجابَ عَنْهُ مُقَصِّراً عَنْ شَأْوِهِ إِذْ كانَ يَعجِزُ عَنْ بُلُوغِ ثَوابِهِ)[3]

التبريزى : الشأو: السَّبْق؛ يقال : شآه وشاءه، إذا سبقه . والسأو، بالسين غير منقوطة : الهِمّة .

البطليوسى : يقال: حبوته بالشىء حِباءً، إذا خصصتَه به . والشأو : الطَّلَق .

الخوارزمى : قَصَّر فى حاجته، وقَصَر عن منزلته .

---

(١) عجز بيت لخليد مولى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس . وصدره كما فى الحماسة ٦٠٣ بن :

* لقد أضمرت حبك فى فؤادى *

(٢) صدره كما فى الديوان ص ٦٦ :

* تجانف عن جو اليمامة ناقتى *

لكن عجزه فيه :

* وما قصدت من أهلها لسوائكا *

وانظر الخزانة (٢ : ٩٥) .

(٣) فى الديوان المخطوط والتنوير : «يقصر» . وظننا أنها رواية الخوارزمى، كما يفهم من شرحه .

[القصيدة التاسعة والعشرون]

وقال أيضا فى الكامل الأوّل والقافية متدارك[(١)] :

١ (لَيْتَ الجِيَادَ خَرِسْنَ يومَ جُلَاجِلٍ ورُزِقْنَ عقلًا فى تَنَائِفِ عَاقِلِ)

التبريزى : يروى : « يوم جُلَاجِلٍ » و« يوم حُلَاحِلٍ » وكذلك يُرْوَى فى شعر ذى الرُّمّة فى قوله :

هَيَا ظبيةَ الوَعْساء بين جُلَاجِلٍ وبين النَّقَا آأنتِ أم أمّ سالِمِ

وجُلَاجِل : موضع . وتَنائف : جمعُ تَنُوفة ، وهى البَرِّيّة . وعاقل : موضعٌ فيه قبرُ الحارث الحرّاب الكِنْدىّ ، ويقال : إنّ هذا البيت لِلَبِيد :

والحارث الحرّاب حَلّ بعاقلٍ جَسَدًا أقام به ولم يتحوّلِ

البطليوسى : سبَاقِ .

الخوارزمى : جلاجل : موضع ، وهو بجيمين ، وقيل : هو بحاءين مهملتين . فإذا قلتَها بجيمين جاز فى الجيم الأولى فتحها وضمها ، وإذا قلتها بحاءين فليس فى الحاء الأولى إلا الضم . وقد رُوِى عليهما قولُ ذى الرُّمّة :

فيا ظبيةَ الوَعْساء بين جُلاجلٍ وبين النقا آأنت أَمْ أمُّ سالِمِ

التنوفة ، هى المَفازة ، فَعُولةٌ ، بدليل تَنَائف وتُنُف ؛ أى بعيدة واسعة الأطراف . فَتُنُفٌ ، فُعُلٌ بغير شكّ . عاقل : ماء ؛ عن الغورىّ . وقولُ جمال العرب الأبِيوَرْدِىّ :

* يا طُرّة الشِّيحِ بسَفْحِ عاقلٍ *[(٢)]

---

(١) فى البطليوسى : « وقال أيضا من قصيدة » . وفى الخوارزمى : « وقال أيضا فى الكامل الأول والقافية من المتدارك ، يمدح أولاد سيف الدولة » .

(٢) من قصيدة له فى ديوانه ٢٥٠ يمدح بها المقتدى بأمر الله . وعجزه :

* كيف تناجيك صبا الأصائل *

يدلّ على أنه جبل . كأنّهم يُخفون سيرهم فى هذين اليومين[1] مخافةَ قُطّاع الطريق . وقوله « عقلا » إلى « عاقل » تجنيس .

٢ (فِيكُمْ[2] غَدَاتَئِذٍ جَوَادٌ صَامِتٌ   فى الْحَىِّ[3] أَثْمَنَ مِنْ جَوَادٍ صَاهِلِ)

التبريزى : المراد أنّ القوم يُخفون أنفسهم من خوف الأعداء ، و يخشَون أن يصهَل الفرس فيُسمع صوتُه . وهذا البيت شرحٌ للذى قبله . وكانت العرب تشدّ ألسُنَ الخيل لئلّا تصهل .

البطليوسى : الجياد : الخيل العتيقة . وجلاجل وحلاحل ، بالجيم والحاء غير معجمة : اسم موضع . قال ذو الرمّة :

أيا ظبيةَ الوعساء بين جلاجلٍ   وبين النَّقا آأنتِ أم أُمّ سالِمِ

وعاقل : اسم جبل . والتنُّوفة : القفر . يصف أنهم كانوا على خوف ووجلٍ فى هذين الموضعين ، فكانوا يكرهون أن تصهَل خيلهم فيُعْلَمَ[4] موضعهم . وكانت العرب تمنع الفرس من الصَّهيل فى موضع المخافة ، وكانوا ربّما شدّوا لسانَه . وكانوا يفعلون مثل ذلك عند الصيد وغيره مما يُحْتاج فيه إلى إخفاء الحركة . ولذلك قال أبو الطيّب فى خيل عضُد الدولة :

ما يتحرّكْنَ سوى انسِلالِ   فهنّ يَضْرِبْنَ على التَّصْهالِ

وقال جُرَيْبَة بن الأشْيَم :

إذا الخيلُ صاحتْ صِياحَ النُّسورِ   حَزَزْنا شَرَاسِيفَها بالجِذَمْ[5]

(١) أى يوم مسيرهم بجلاجل ويوم مسيرهم بتنائف عاقل . (٢) فى البطليوسى : « فلكم » .
(٣) فى البطليوسى : « فى القوم » . (٤) فى حـ : « بموضعهم » .
(٥) صياح النسور : أى أصواتا قصيرة . حززنا : قطعنا . والشراسيف : مقاط الأضلاع . والجذم : بقايا السياط ، الواحدة جذمة ، بالكسر . يقول : إذا ضجت الخيل من الطعن الواقع فى نحورها وهمت بالازورار أكرهناها على الصبر والتقدّم . والبيت من أبيات فى الحماسة ٣٦١ — ٣٦٣ بن .

وقال النابغة فى صدّ هذا :

لا يَخْفِضُ الرِّزَّ عن أرضٍ ألمَّ بها ولا يَضِلُّ على مِصْباحِه السّارى (١)

يريد أنّ عدده كثير ، فليس يبالى بمن يسمع أصواته . وقال فى نحوه أبو الطيب :

تَصَاهَلُ خيلُه مُتَجاوِبَاتٍ وما من عادةِ الخيلِ السِّرارُ

الخوارزمى : المثبت فى نسخة جار الله المكتوبة بخطّه : «فيكمْ» على الاستفهام. وقد قرأته « فيكم » على الظّرف . وهذا البيت تقرير للبيت المتقدّم .

٣ (نَسْرِى إذَا هفَتِ الجَنُوبُ لعَلّنَا نُخْفِى حَسِيسَ جَنَائبٍ ورَوَاحِلِ)

التبريزى : هفَتِ الجنوب ، أى خفّتْ فى هُبوبها . والرواحل : جمع راحلة ، وهى الناقة التى تُرْكَب فى السفر .

البطليوسى : السُّرَى : سير الليل . والجَنُوب : الريح القِبْليّة . ويقال : هفَتِ الريح ، إذا حرّكت النبت . وخصّ الجنوبَ لأن فى هُبوبها فتورًا ولينا . والجنائب هاهنا : الخيل المَقُودة ، واحدها جَنِيبٌ . وتكون فى موضع آخر الإبلَ المقودة . وإنما جعلها هنا فى هذا الموضع الخيلَ لأنه ذكر الإبل بقوله « ورواحل » ، وهى الإبل التى يُرْحَلُ عليها .

الخوارزمى : الحسّ والحَسِيس ، هو الصوت الخفىّ . الجَنُوب ، تَسْرى بالليل . تقول العرب : إنّ الجَنُوب قالت للشّمال : إن لى عليكِ فضلًا ، أنا أَسْرى وأنت لا تَسْرين . فقالت الشّمال : إنّ الحُرّة لا تسرى . يقول : كنّا فى الطريق نخاف فلا نَسْرى إلا إذا هبّت الرياح لندُسّ بين صخبها نبأة الرواحل فنُخفى سُرَانا . ومن هذا القبيل قولُ بعض اللصوص ، وكان يخرج إذا هبّت البوارح :

أيا بارحَ الجوزاءِ مالكَ لا تُرَى عيالُك قد أمْسَوْا مَرَاميلَ جُوّعا

(١) يصف جيشا ، وقبل البيت :

حتّى استقل بجمع لا كفاء له * ينفى الوحوش عن الصحراء جرار

٤ (يَا غُرَّةَ الحَيِّ الكَثِيرِ شِيَاتُهُ مَا تَأْمُرِينَ بِمُدْنَفٍ مُتَمَاثِلِ)

التبريزى : شِيَة الفرس : لونه الذى يُخالف معظم لونه ، كالحُجول والغُرّة ؛ قال الشاعر :

عطفتُ عليهم وَرْدَةَ اللَّوْن لا تُرَى بها شِيَةٌ إلّا حُجولُ القَوائِمِ

وهى من قولهم : وَشَيْتَ الثوب ، إذا جعلتَ فيه[1] نَقْشًا مُخالفا لغيره . والمُدْنَف : الذى قد أشفى على الموت ، تُكْسَر نونه وتُفْتَح . وقوله « متماثل » من الأضداد مثل مَثَلَ ، مَثَلَ مُثُولًا ، إذا انتصبَ قائمًا ؛ ومَثَلَ ، إذا زال عن موضعه . والمتماثل : الذى قد أشفى على الموت ؛ والمتماثل : الذى قد أفاق من مرضه .

البطليوسى : الغُرّة : بياضٌ فى جَبْهة الفرس قَدْر الدرهم . والشِّيَات : جمع شِيَة ، وهى كلُّ لون خالفَ معظم لون الفرس : سواد فى بياض ، أو بياض فى سواد . وأراد هاهنا البياض . شبَّه مَنْ فى حَيِّها من النساء الحِسان بالشِّيَات ، وشبَّهها هى بالغُرّة لهن . وقال : « الكثير شياته » يريد كثرة ما فيهم من الجمال ؛ كما قال أبو الطيِّب :

فؤادُ كلِّ مُحِبٍّ فى بُيوتِهِمُ ومالُ كلِّ أَخِيذِ المالِ محروبِ

وقال أبو تمّام :

تَرَدَّدَ فى آرابها الحُسْنُ فاغتدتْ قرارةَ من يُصْبِي ونُجْعَةَ من يَصْبُو

والمُدْنَف : المريض . والمتماثل : الذى برأ من المرض واستقلّ . وهذا يحتمل معنيين : أحدهما أن يريد أنه كان مدنفا ، فلمّا لقيها فوعدته بقُبْلة ، تماثلت حالُه ،

---

(١) فى ا : « له » .

لانتظاره إنجاز الوعد . والثانى : أن يريد أنه متمائل عند من يراه ، لِكِتْمانه حُبَّه وهواه ، وإن كان غيرَ متمائل فى الحقيقة ؛ فيكون كقول الآخر :

أروحُ بِهَمٍّ ثُمَّ أغدو بمثلِهِ   ويُحْسَبُ أنّى فى الثِّيابِ صحيحُ

الخوارزمى : غُرَّة كل شىء : أعزّه وأكرمه ، مستعار من غُرّة الفرس . الشِّيَات : جمعُ شِيَةٍ ، وهى كلّ لون يُخالف مُعْظَمَ لون الفرس ، وذلك نحو المجول والغُرَر ، مأخوذة من الوَشْى ، والهاء عوض عن الواو الذاهبة من أولها ، كما فى لِدَةٍ وزِنَةٍ . وعنى بالشِّيات هاهنا الصُّوَرَ المِلاح . يقال : أَمَرَ به (١) . ومرّ بى فى بعض التواريخ القديمة : « فأَمَرَ به أن يُسْرَجَ ويُلْجَمَ » . وقال ابن مَيّادة :

* وقُولا لها ما تأمرين بوامقِ (٢) *

تَمَائَل من مرضه ، كأنه تكلّف المُثُول ، وهو الانتصاب .

٥(لاقاكَ فى العامِ الّذى وَلِّى فلَمْ   يَسألْكَ إلّا قُبْلَةً فى قابِلِ (٣))

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : « قُبْلة » مع « قابل » تجنيس .

٦(إنَّ البَخيلَ إذَا يُمَدُّ لَهُ المَدَى   فى الجُودِ هانَ عَلَيْهِ وعْدُ السَّائِلِ)

التبريزى : المدى : الغاية . أى إذا رُضِى منه بالوَعْد إلى غاية ، هان عليه ذلك .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : « يُمَدّ » مع « المدى » فيه التجنيس الذى يشبه المشتقّ ، وليس به .

---

(١) فى الأصل : « أمرته » . (٢) فى نسخة الأصل فوق كلمة « وامق » : كلمة « عاشق » . ولعلها رواية أخرى . وعجزه كما فى الأمالى (١ : ٩٨) : * له بعد نومات العيون أليل *

(٣) التبريزى : « فى القابل » .

٧ (وَسَأَلْتُ كَمْ بَيْنَ الْعَقِيقِ إِلَى الْغَضَى[1] ... بِجَزِعْتُ مِنْ أَمَدِ النَّوَى[2] الْمُتَطَاوِلِ)

التبريزى : العقيق : موضع . والغَضَى : شجر . وأراد الموضع الذى ينبت فيه الغضى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : العقيق : موضع . وهو فى الأصل فَعِيلٌ بمعنى مفعول ، من عَقَّه السيل ، إذا شقّه ووسّعه . والأَعِقَّة أربعة[3] . الغضى : موضع .

٨ (وَعَذَرْتُ طَيْفَكِ فِى الْجَفَاءِ لِأَنَّهُ ... يَسْرِى فَيُصْبِحُ دُونَنَا بِمَرَاحِلِ)

التبريزى : يصف بُعْدَ الموضع وسرعةَ سيرهم ، حتى إنّ الطيف من الخيال يتأخر عنهم لسرعة السير .

البطليوسى : المَدَى : الغاية . والعقيق : اسم واد . والحِمَى : موضع . وأصل الحمى : الموضع الذى يُحْمَى ، فلا يَقْرَبه أحد . والطيف : ما يُرَى فى النوم من الخيال . يقول : جفانى خيالُكِ الذى كان يُعَلِّل نفسى ، ويَرُدُّ علىَّ بعضَ أُنْسِى ؛ فعذرتُه فى ترك القُدوم علىّ ، وعلمتُ أنّ بُعْدَ المسافة هو الذى يمنعه من الوصول إلىّ .

الخوارزمى : أصبح : إذا دخل فى الصباح . وهى فى هذا الوجه تامة ، تسكت على مرفوعها . يصف بُعْدَ المفازة بينه وبين حبيبته فيقول : عذرتُ طَيْفَكَ إذ جفانى ولم يَزُرْنى ؛ لأن المسافة بيننا وبينه متطاولة ، بحيث يقصدنا من أول الليل ثم يَسْرِى الليلَ كلَّه إلى الإسفار وهو لا يُدركنا . أنشدنى له بعض المستعربة :

سامحتُ كُتْبَكَ فى القطيعةِ عالمًا ... أنّ الصحيفةَ لم تجِدْ من حاملِ

وعذرتُ طيفك ... (البيت) .

(1) فى البطليوسى : « الحمى » . (2) البطليوسى : « بعد المدى » .

(3) هى أكثر من ذلك . انظر معجم البلدان .

٩ ﴿جَهْلٌ بِمِثْلِكِ أَنْ تَزُورَ بِلَادَنَا   تَخْتَالُ بَيْنَ أَسَاوِرٍ وَخَلَاخِلِ﴾

التبريزى : أساور : جمع أسوار، وهو السِّوار . وخلاخل : جمع خَلْخَال .

البطليوسى : يصف صعوبة الموضع .

الخوارزمى : ... ...

١٠ ﴿أَوَ مَا رَأَيْتِ اللَّيْلَ يُلْقِى شُهْبَهُ   حَتَّى يُجَاوِزَهَا بِحُلَّةِ عَاطِلِ﴾

التبريزى : الشهب : النجوم . والعاطل : الذى لا حَلْىَ عليه . أى يعبر الليل بهذا الموضع متنكِّرًا لصعوبته، فكيف زُرْتِنا مختالةً فى الأَساور والخلاخل !

البطليوسى : يختال : يتبختر . والأَساوِر : جمع أَسْوِرَةٍ ، وأَسْوِرَةٌ : جمعُ سِوَار ، فهى على هذا جمعُ الجمع . ويجوز أن يكون جمع أُسوار، لغة فى السِّوار، فيكون على هذا قد أراد أساوير وحذف الياء، كما قال الراجز :

* ووَتَّرَ الأساورُ القِيَاسَا[1] *

يريد الرُّماة، وواحدهم أُسوار . وأما معنى هذين البيتين فإنه قال لمحبوبته : ليس من الرأى المصيب لك أن تزورى بلادنا المخوفة السُّبل، مختالةً بين الحَلْى والحُلَل، وفيها قوم غُواةٌ يسلبون كلَّ من مرَّ بديارهم، إن سَلِم من قَتْلهم أو إسارهم، ويتوهَّمون لجِدّهم فى الطلب، وحِرْصِهم على السَّلَب، أن نجوم الليل سَلَبٌ يسلبونه، فهم يرومون أَخْذَه ويحاولونه، فالليل لا يجتاز على بلادهم حتى يخلع حِلْيَةَ كواكبه التى تحلَّاها، خشيةً منه أن يُسْلَبَ إيّاها . وإنما نبّه على هذا المعنى قول أبى الطيِّب :

كأَنّ نجومَ اللَّيلِ خافتْ مُغَارَهُ   فمَدَّتْ عليها من عَجَاجتِه حُجْبا

وقوله :

يرمى النجومَ بعَيْنَىْ مَنْ يُحاوِلُها   كأنها سَلَبٌ فى عين مسلوبِ

(١) القياس : جمع قوس .

وقد ذكر أبو العلاء نحوًا من هذا المعنى فى مواضع شتّى من شعره؛ كقوله :

ولا صَحِبتُ ذِئابَ الإنس طاويةً ... تُراقِبُ الجَدْىَ فى الخَضْراء مسبوتا (١)

وقوله :

تَمُدُّ لِتَقْبِضَ القَمَـرين كَفًّا ... وتحمـل، كى تَبُـذَّ النجـمَ، زادا (٢)

الخوارزمى : « تختال بين أساور وخلاخل » فى محل النصب على الحال . يصف كون تلك البلاد مخوفة . والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .

١١ ﴿لَا تَأْمَنِنَّ فَوَارِسًا مِنْ عَامِرٍ ... إِلَّا بِذِمَّةِ فَارِسٍ مِنْ وَائِلِ﴾

التبريزى : يريد عامرَ بن صَعْصَعةَ ، وهم المستولون على الجزيرة والعراق والشام . وكان فى الدهر الأوّل بقية من آل حَمْدانَ بحَلَبَ، وهم من وائل بن قاسط، وكانت هذه القصيدة مدحًا لرجل وائلىّ من أولاد سيف الدولة .

البطليوسى : هذا تأكيد لما تقدّم . يقول لها : لا تأمَنِى فوارس عامر إن زُرْتِ بلادَنا حتى يُجيرَك فارسٌ من وائل . وإنما قال هـذا للفتنة التى كانت هاجت فى ذلك الوقت فى بلاد الشام وما والاها، وقد ذكرها فى قوله :

ولا فتنـة طـائيـة عامريّة ... يُحَرَّقُ فى نِيرانها الجَعْدُ والسَّبْطُ (٣)

وكان بنو عامر بن صعصعة مُسْتَوْلِين على العراق والجزيرة والشام . وذكر «وائلا» لأنه كان بحَلَبَ إذ ذاك بقيةٌ من آل حَمْـدان، وهم من تَغْلِبَ بن وائل بن قاسط ابن هِنْب بن أفْصَى بن دُعْمِىّ . ولذلك قال أبو الطيِّب فى مدح سيف الدولة :

(١) المسبوت، من السبات، وهو النعاس . وانظر البيت ٣٩ من القصيدة ٦٧ .

(٢) البيت ٦٠ من القصيدة السابعة عشرة ص ٦٠١ .

(٣) انظر القصيدة ٦٨ البيت ٣٢ .

مِنْ تَغْلِبَ الغالبين النّاسَ مَنْصِبُه[1] ومِنْ عَدِيٍّ أعادِى الجُبْنِ والبَخَلِ

وقال أيضا :

إنْ كنتَ عن خيرِ الأنامِ سائلا فخيرُهُمُ أكثرُهم فضائلا

مَنْ كُنْتَ[2] منهم يا هُمَامَ وائلا الطاعنينَ فى الوَغَى أوائلا

الخوارزمى : النون الأولى من «لا تأمَنَنّ» مكسورة . قال التبريزى : «عامر ابن صعصعة هم المستَوْلون على العراق والجزيرة والشام . وكان فى الدهر الأوّل بقية من آل حمدان بحلب . وحمدان من وائل» . فكأنه يشكو فى هذا البيت عامرا ويشكر وائلا . وفى البيت إيماء إلى أن فارسًا من وائل يُعْدَلُ بفوارس من عامر .

(١) أى منصبه من تغلب الغالبين الناس . انظر الديوان (٢ : ٦٨) .

(٢) فى الديوان : « من أنت » .

[القصيدة المتمة الثلاثين]

وقال أيضاً[١] :

١ «إن كانَ طَيفُكِ بَرًّا فِى الَّذِى زَعَمَا فَإِنَّ قَومَكِ مَا بَرُّوا لَهُمْ قَسَمَا»

التبريزى : هذا من البسيط الأوّل، والقافية متراكب . يقال : رجل [بَرٌّ و] بارّ .

الخوارزمى : البَرُّ ، هو البارّ فى يمينه . قَسَمًا ، منتصب على التمييز . وقوله «لهم قسما» أى قَسَمًا لهم . و «لهم» وقع نابياً غير متمكن . ألَا ترى أنه لا يُقال طاب زيدٌ له نَفْسًا ، وتصبّب الفرس له عرقًا . من عاداتهم أن يُنْزلوا الخيال منزلة الحبيبة ، فيخبروا عنه إخبارَهم عنها .

٢ «آلَى أَمِيرُكِ لَا يَسْرِى الخَيَالُ لَنَا إذَا هَجَعْنَا فَقَدْ أَسْرَى وَمَا عَلِمَا»

التبريزى : أمير المرأة : الذى يقيم أمرها[٢] : من أب، أو أخ، أو زوج . والمراد هاهنا : زوجها ؛ قال جرير :

مِنْ حُبِّكُمْ فاعلمى للحب منزلةً نَهْوَى أميرَكُمُ إن كانَ يَهْوَانا[٣]

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : «فلانة مُطِيعةٌ لأميرها ، أى لزوجها» . قال جرير :

مِنْ حُبِّكُمْ فاعلمى للحبِّ منزلةً نهـوَى أميرَكُم لو كان يهـوانا

---

(١) هذه القصيدة ليس لها شرح فى البطليوسى . وفى الخوارزمى : «وقال أيضا فى البسيط والقافية من المتراكب» . (٢) فى حـ : «يقبل أمره» . وفى التنوير : «يلى أمرها» .

(٣) رواية الديوان ٥٩٥ : «لو كان» كما عند الخوارزمى .

وقال أيضا :

أَلا بَكَرَتْ سَلْمَى بِجَدِّ بُكُورُها   وشَقَّ العصا بعد اجتماعٍ أميرُها

٣ ﴿ وَكَمْ تَمَنَّتْ[1] رِجَالٌ فِيكِ مُغْضَبَةً   أَنْ يُبْصِرُوهُ فَلَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ سَقَمَا ﴾

التبريزى : الهاء فى « يبصروه » راجعة إلى « الخيال » .

الخوارزمى : فيك مغضبة ، أى مغضبة فى شأنك ؛ ومنه بيت السقط :

* وأبغضتُ فيك النخلَ والنخلُ يانعٌ[2] *

وفى شعر الأمير أبى فِراس :

* وفيكِ غُذِيتُ ألبانَ اللِّقاحِ[3] *

٤ ﴿ نَسُوفُ مِنْ آلِ هِنْدٍ بَارِقًا أَرِجًا   كَأَنَّمَا فُضَّ عَنْ مِسْكٍ وَمَا خُتِمَا ﴾

التبريزى : نسوف : نَشَمّ . والبارق : البَرْق . والأَرَجُ : الرائحة . والأَرِجُ : الطيّب الرائحة . ويقال : أَرِجَ الشىءُ يأْرَجُ أرجًا ، وتأرّج مثله .

الخوارزمى : السَّوْف : هو الشم . من آل هند ، أى من جانب آل هند . البارق ، هو السحاب ذو البرق . الفَضّ ، هو الكسر بالتفرقة . الضمير فى « خُتِما » للبارق . وَصْفُ السحاب بالأَرَج غير معهود ، بل الموصوف بذلك هو النار ؛ ومنه بيت السقط :

طابتْ لطيبِ المُوقِدِين كأنّما   سُمُرٌ تَروحُ به الحواطبُ مُجْمَرُ[4]

فلعله عامَلَ البارق معاملة النار .

(١) الخوارزمى : « وقد » .
(٢) البيت الثالث من القصيدة ٥٩ . وعجزه : * وأعجبنى من حبك الطلح والضال *
(٣) صدره كما فى الديوان ١٩ : * ومن جراك أوطنت الفيافى * .
(٤) البيت الثالث من القصيدة ٥٣ .

٥ (إذَا أَطَلَّ عَلَى أَبْيَـاتِ بَادِيَةٍ قَامَ الْوَلَائِدُ يَسْتَقْبِسْنَهُ الضَّرَمَا)

التـبريزى : أطلّ : أشرف . يصف دُنُوَّ البرق من البيوت . والولائد : جمع وليدة، يراد بها الأَمَة . وفى «أطل» ضمير عائدٌ إلى «البارق» . الضَّرَم: حطب دقيق . أى إن الإماء يطمعن فى أن يقبسن النار من البرق .

الخـوارزمى : المراد بادية : جماعة يسكنون البـدو . يصف دنوّ البارق من بيوت الأعراب . وفى عراقيّات الأبيوَرْدىّ :

وكادت مَذارَى الحىّ يَقْبِسْنَ نارَه إذا ما تـلوَّتْ فى السَّـنَا المتوهِّجِ

[القصيدة الحادية والثلاثون]

وقال أيضا يمدح أبا حامد أحمد بن أبى طاهر الأسفراينى[(١)] .

١ (لَاوَضْعَ لِلرَّحْلِ إِلَّا بَعْدَ إِيضَاعِ فَكَيْفَ شَاهَدْتِ إِمضَائى وإِزْمَاعِى)

التبريزى : هى من الضرب الثانى من البسيط ، والقافية متواتر . والإيضاع ، من قولهم : وضَع البعيرُ فى السَّير ، وأوضعه صاحبُه ، والإزماع : مصدر أزمَعَ الشىءَ ، إذا عزَم عليه ، والاسم : الزَّمَاع . قال المرّار الأسدىّ :

وجدْتُ شفاءَ الهمومِ الزَّماعَ وبَتَّ الخِلاجِ ووَشْكَ القَضَاء[(٢)]

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : «تَضَعُ الدابّة فى سيرها ، وهو سيرٌ دُونٌ ، وأوضعتها أنا » . وهو من الوَضْع الذى هو خلاف الرَّفْع . ألا ترى إلى قولهم لها موضوع ومرفوع[(٣)] . وعن الغورى : أوضع فى سيره ووضع : أسرعَ . يخاطب ناقته فيقول : قد علمتِ أنّ راكب السَّفَر لا يضع رحلَه ، إلا إذا أعْدَى المطىَّ قبلَه ، فمالَكِ قد تبلَّدتِ ، وما ظنُّك بى وما اعتقدتِ ، أشككتِ فيما لى من الزَّماع ، حتّى لم تنبعثى على الإسراع ! والوضع مع الإيضاع تجنيس .

---

(١) هذه القصيدة مما لم يرد فى شرح البطليوسى . وفى الخوارزمى : « وقال أيضا فى البسيط الثانى والقافية من المتواتر ما كتب به إلى أبى حامد الفقيه الأسفراينى عند كونه ببغداد » . والأسفراينى نسبة إلى أسفرايين بالفتح ثم السكون وفتح الفاء وراء وألف وياء مكسورة وياء أخرى ساكنة ونون ، كذا فى معجم البلدان . وفى ابن خلكان بياء مثناة مكسورة ونون ، وهى ضاحية من ضواحى نيسابور . وانظر التعريف بأبى حامد هذا فى ابن خلكان وكتب التاريخ فى وفيات سنة ٤١٠ .

(٢) بت الخلاج : قطع الشك والتردد . وفى معجم المرزبانى ٤٠٨ : « وصرم الخلاج » .

(٣) ومنه قول طرفة فى وصف ناقة :

مرفوعها زول وموضوعها كمر غيث لجب وسط ريح

٢ ﴿ يَانَاقُ جِدِّى فَقَدْ أَفْنَتْ أَنَاتُكِ بِى   صَبْرِى وعُمْرِى وَأَحْلَاسِى وَأَنْسَاعِى ﴾

التبريزى : الأحلاس : جمع حِلْس ، وهو كساءٌ يُطرح على ظهر البعير . والأنساع : جمع نِسْع ، وهو سير مضفور .

الخوارزمى : قوله «بى» فى محل النصب على الحال ، ومعناه ملتبسةً بى .

٣ ﴿ إِذَا رَأَيْتِ سَوَادَ اللَّيْلِ فَانْصَلِتِى   وإِنْ رَأَيْتِ بَيَاضَ الصُّبْحِ فَانْصَاعِى ﴾

التبريزى : الانصلات ، من قولك : انْصلَتَ فى العَدْو ، إذا أسرَعَ ؛ وهو مأخوذٌ من أصلتُّ السَّيفَ ، إذا سللته سَلًّا سريعا . وانصاعِى ، أى خُذِى فى ناحيةٍ . يقال : انصاع ينصاع انصياعًا ، إذ أخَذَ فى وجهٍ يميل إليه .

الخوارزمى : انْصلَتَ فى سيره ، إذا مضَى . انصاع القوم ، إذا مرّوا سِراعا ؛ وكأنه مطاوع قولهم : الكمىّ يَصُوع أقرانَه ، أى يحوزهم ، كما يصوع الكائل المَكِيلَ .

٤ ﴿ وَلَا يَهُولَنْكِ سَيْفٌ لِلصَّبَاحِ بَدَا   فَإِنَّهُ لِلْهَوَادِى غَيْرُ قَطَّاعِ ﴾

التبريزى : «يهولَنْكِ» ، من هالَه الشىءُ . والمعنى أنّ الصباح إذا طَلَع شبّه بالسيف . فيقول للناقة : لا تحسَبى أنّ الصباحَ سيفٌ فتهَابيه ، فإنه لا يقطع الهوادى .

الخوارزمى : الصباح يشبَّه بالسَّيف ؛ وعليه بيت السقط :

ونضا بجَـرُه على نَسْره الوا   قِـعِ سَيفًا فهَـمّ بالطَّيرانِ[(١)]

٥ ﴿ إِلَى الرَّئِيسِ الَّذِى إِسْفَارُ طَلْعَتِهِ   فِى حِنْدِسِ الخَطْبِ سَاعٍ بِالْهُدَى شَاعِى ﴾

التبريزى : شاع الأمر فهو شائع وشاعٍ ، إذا انتشر ، كما قالوا : شائك وشاكٌ ، فحذفوا الهمزة[(٢)] . ويجوز أن يكون مقلوبا ، فيكون شائع وشاعٍ ؛ فاذا أدخلوا الألف واللام قالوا «الشّاعى» .

(١) البيت الثامن عشر من القصيدة الرابعة عشرة ص ٤٣٨ .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٦٥ من القسم الأول .

الخوارزمى : «والخندس» فى «ألاح وقد رأى»(١) . شاع الأمر وهو شائع وشاع ، ونظيرهما سائر الشيء وساره(٢) ، وهو بحذف الهمزة . هذا إذا رويته بدون الياء ؛ فأما إذا رويته بالياء فهو مقلوب من «شائع» . وعن الأصمعىّ : جاءت الخيل شوائع وشواعِى ، أى متفرقة . وعلى الوجه الثانى « الشاعى » مع « الساعى » تجنيس الخط .

٦ (يُمَتِّعُهُ وبِوُدِّى أنَّنِى قَلَمٌ أَسْعَى إليهِ ورَأْسِى تَحْتَ السَّاعِى)

٧ (عَلَى نَجَاةٍ مِنَ الفِرْصَادِ أيَّدَهَا رَبُّ القَدُومِ بأَوْصَالٍ وأَضْلَاعِ)

التبريزى : النَّجاة ، أصلها الناقة السَّريعة ، وهى ها هنا سفينة صغيرة جرت عادة العامّة أن تسمِّيها الزَّورق . والفرصاد : شجر التُّوت ، وكان هذا الزَّورق متَّخذًا من خشبه . وربُّ القدوم : النجّار ، أى إنه صنع لهذه النَّجاة بقدومه أضلاعًا من دفوف . والأوصال : جمع وُصْلٍ(٣) ، وهو العضو المتصل بغيره .

الخوارزمى : «على» فى قوله «على نجاة» يتعلّق بقوله «يمتّعه» . عنَى بـ«نجاةٍ من الفرصاد» سفينةً متّخذة من خشب الفرصاد . وإنما يتّخذ منها السفينةُ لأنّها أصبر على الماء من سائر الخشَب .

٨ (تُطْلَى بِقَارٍ ولَمْ تَجْرَبْ كأنْ طُلِيَتْ بِسَائِلٍ مِنْ ذَفَارَى العِيسِ مُنْبَاعِ)

التبريزى : المعنى أنّ هذا الزورق المشبّه بالنّجاة قد طُلِي بقارٍ ولا جَرَب فيه ؛ لأنّ الناقة إذا جَرِبت طُلِيت . «كأن طليت» أى كأنها طُلِيت بعرَق الإبل الذى يخرج من ذَفاريها ؛ لأنّ عرَق الإبل أسود . قال الراجز :

(١) البيت المتم الثلاثين من القصيدة الخامسة ٢٦٢ .

(٢) من ذلك قول أبى ذؤيب الهذلى فى ديوانه ٢٤ طبع دار الكتب المصرية :

وسوّد ماء المرد فاها فلونه كلون النؤور فهى أدماء سارها

(٣) وفسر الوصل ، بالكسر والضم ، بأنه كل عظم على حدة لا يكسر ولا يختلط بغيره ولا يوصل به غيره .

جـون كأنّ العـرقَ المنتـوحا ألبسَها القَطْرانَ والمسُوحا[١]

والذّفارى : جمع ذِفرَى ، وهو الناتئ خلفَ الأذن . والمُنباع : المنبعث السائل .

الخـوارزمى : قال ابن دُريد : العرب تسمّى الخَضْخاض قاراً ، وهو القَطران وأخلاطٌ تُهنأ به الإبل . السّفينة مما يُطلَى بالقار لئـلّا يتسارع إلى ألواحها البِلَى . الإبل إذا جرِبت فإنها تداوى بالقِطران طَلْياً . عرقُ الإبل أسـود . ومنـه [بيت] السقط :

* كأنّ الدُّجى نُوقٌ عَرِقنَ من الونَى[٢] *

وقال العجّاج : * فاجتبْنَ جَوْناً كعُصارِ الزِّفتِ *

الذّفارى : جمع ذِفرى ، وهى عند بعضهم غير منصرفة وألفها للتأنيث ، وعند آخرين منصرفة وألفها للإلحاق . منباع : اسم فاعل من ينباع . وينباع : ينفعل ، من البَوْع ، ومعناه فى الأصل مَدُّ الباع . ويجوز أن يكون «مُفْعَل» من نبع الماء ، ثم إنه قد أُشبعت فتحتُه فتولّدتْ منها ألفٌ . ونحوه :

وأنت من الغَوائلِ حين تُرمَى ومن ذَمّ الرِّجال بمُنـتزاحِ[٣]

وقال :

* أقولُ إذ خَوّتْ على الكَلْكالِ[٤] *

أراد الكلكل . ومن هذا الباب :

(١) أ ، ى : «جونا» . وفى اللسان (مادة نتح) : «ألبسه القطران» ، فيكون «جون» بفتح الجيم مفردا .

(٢) عجزه : * وأنجمها فيها قلائد من ودع * (انظر القصيدة ٦٢) .

(٣) البيت لابن هرمة فى رثاء ابنه . (انظر اللسان مادة نزح) وكذلك الإنصاف ص ١٠ .

(٤) التخوية : أن يجافى البعير فى بروكه ويمكن لثفناته . وانظر الإنصاف ص ١٠ واللسان (١٤ : ١١٧) والرواية فيهما : «إذ خرت» .

لمّا نزلْنا نَصبْنا ظِلَّ أخبيَةٍ ... وفارَ للقومِ باللحمِ المَراجيلُ[(١)]

عَنَى المراجل . وقال :

الله يعلَمُ أنّا في تلفُّتنا ... يومَ الفِراقِ إلى إخواننا صُورُ[(٢)]

وأنّنى حيثما يَثْنِي الهوَى بَصَرِي ... من حيثُما سلكُوا أدنُو فانظُورُ

أراد : فانظُر . ولذلك قيل : أصل استكان استكن ، وهو افتعل من السكون . وبيت أبي العلاء ينصر المذهبَ الأوّل ، كما أن قولهم «نضحتْ نوابعُ البعير» ، وهي مسايل عرقه ، ينصر المذهب الثاني .

٩ ﴿وَلَا تُبَالِي بِمَحْلٍ إنْ أَلَمَّ بها ... وَلَا تَهَشُّ لإخْصَابٍ وإمْرَاعِ﴾

التبريزي : المعنى أنّ هذه المطيّة لا ينفعُها الخِصب ولا يضرُّها الجَدْب ، لأنها لا حاجة بها إلى الرَّعي ولا إلى الشُّرب .

الخوارزمي : الضمير في «تبالي» و «تهشّ» لنجاة .

١٠ ﴿سَارَتْ فَزَارَتْ بِنَا الأَنْبَارَ سَالِمَةً ... تُزْجَى وتُدْفَعُ في مَوْجٍ ودُفَّاعِ﴾

التبريزي : تُزجَى ، أي تساق . ودُفّاع الموج : ما دفَع بعضُه بعضا . قال المسيّب بن علَس :

ولأنتَ أجْوَدُ من خليجٍ مُفعَمٍ ... مُتَقاذِفِ الآذيِّ ذي دُفَّاعِ

الخوارزمي : الأنبار : بلد . « سارت » مع «زارت» تجنيس المضارعة . و «تدفع» مع «دُفّاع» أيضا تجنيس .

(١) البيت من قصيدة لعبدة بن الطبيب في المفضليات (١ : ١٣٩) .

(٢) انظر الخزانة (١ : ٥٨ — ٥٩) والإنصاف ص ١٠ والقاموس (مادة نظر) .

١١ (وَالْفَارِسِيَّةُ أَدْنَتْهَا إِلَى نَفَرٍ   طَافُوا بِهَا فَأَنَاخُوهَا بِجَعْجَاعِ)

التبريزى : وكانت هذه السفينة قد سارت إلى الأنبار، فعرض لها بعضُ أصحاب السُّلطان، فسخّرها(1) إلى موضع يعرف بالفارسيّة . وكانت عادة السلطان فى ذلك الوقت إذا نزل زورقٌ أن يأخذَه من أصحابه؛ فعرض لهذه السفينة بالفارسيّة واعتُقِلتْ . ولمّا شُبّهت بالنجاة، استعيرت لها الإناخة؛ يقال: أنخت الناقة بجعجاع، أى فى مكان غير مطمئن . وأصل الجعجاع الأرض الغليظة؛ قال أبو قيس ابنُ الأسلت:

مَنْ يَذُقِ الحربَ يَجِدْ طعمها   مُـرًّا وتُـنْزِلْه(2) بجعجاع

الخوارزمى : الفارسية : موضع . وهو بالفاء والراء، عن الإمامين: صاحب الإيضاح، وصاحب التنوير. وكان الأستاذ البارع — جزاه الله عنّى خيرًا — قد أسمعنيه بالقاف والدال، وهو سهو؛ لأن القادسية أوّل منزل فى البادية، بينها وبين الكوفة مَرحلة، وما للسفينة والبادية! وحكى لى بعضُ إخوانى من الأفاضل أنّه: قد وقع فيه بينى وبين الأستاذ البارع منازعة، فتحاكمنا إلى بعض العلماء من مُستعربة تلك البلاد، فحكم لى وقال: هو بالفاء والراء. الجعجاع، هو الموضع الضيّق الخشن . ومنه: «أن جَعْجِعْ بالحسين» أى ضيِّق عليه . وهذا من كلام عُبيد الله بن زياد إلى عمرو بن سعد، لعنهما الله . كانت السفينة قد بلغت الأنبار فعرض لها بعضُ أصحاب السلطان، فسخّرها إلى الفارسيّة .

١٢ (وَرُبَّ ظُهْرٍ وَصَلْنَاهَا عَلَى عَجَلٍ   بِعَصْرِهَا فِى بَعِيدِ الوِرْدِ لَمَّاعِ)

التبريزى : يعنى أنه جمع بين الصّلاتين: الظهر والعصر . ولمّاع: يلمع فيه سراب .

(1) سخرها: أجراها . وفى ا: «جنبها» .   (2) فى ا: «تبركه» .

الخوارزمى : يريد الجمع بين الظُّهر والعصر فى السَّفَر . وهذا على مذهب الشافعى رحمه الله . وقوله لمَّاع ، أى يلمع فيه السَّراب .

١٣ (بِضَرْبَتَيْنِ لِظَهْرِ الوَجْهِ وَاحِدَةٌ ... وللذِّرَاعَيْنِ أُخْرَى ذَاتُ إِسْرَاعِ)

التبريزى : يعنى أنه قد تيمَّم للصلاتين . والتيمُّم بالتراب يكون بضربتين : ضربةٍ للوجه ، وضربةٍ لليدين .

الخوارزمى : قال النبى عليه السلام لعمَّارِ بن ياسر : « يَكفيكَ ضربتان : ضربةٌ للوجه ، وضربةٌ لليدين إلى المرفقين » . يقول : كُنَّا فى تلك المفازة لفَقْد الماء نصلِّى بالتيمم .

١٤ (وَكَمْ قَصَرْنَا صَلَاةً غَيْرَ نَافِلَةٍ ... فى مَهْمَهٍ كَصَلَاةِ الكَسْفِ شَعْشَاعِ)

التبريزى : المعنى أنّا قصرنا الصَّلاةَ المفترضة كما يفعل المسافر ، كما قال ذو الرمّة :

وصلنا بها الأخماسَ حتَّى صَلاتُنا * مُقاسمةٌ يشتقُّ أنصافَها السَّفْرُ[(١)]

وشعشاع : طويل . وصلاة الكسوف يُطوَّل فيها .

الخوارزمى : القصر فى السفر جائز عند الشافعىّ . والمسافر على الخيار بين القصر والإتمام ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ . وعندنا[(٢)] الإتمام فى السَّفَر بدعة ، حتَّى لو أتمَّ الصلاةَ عمدًا

(١) أى اتصلت صلاتنا ، لأن المسافر يصلى ركعتين ركعتين . ويشتق : يشق . ورواية صدر هذا البيت فى الديوان واللسان مادة (وصى) :

* نصى الليل بالأيام حتى صلاتنا *

نصى ، أى نصل . يقول : نصل الليل بالنهار .

(٢) أى عند الحنفية . وكان الخوارزمى حنفى المذهب ، كما فى إرشاد الأريب (٦ : ١٥٥) .

فقد أساء . حُجّتنا ما رُوِى عن عائشــة رضى الله عنها ، أنهــا قالت : « الصلاة فى الأصــل ركعتان ، زِيدَتْ فى الحضَر ، وأُقِرّت فى السّــفر » . وفى قوله « غير نافلة » إيماء إلى أنّ النوافل لا يدخلُها القَصْر ، و إنّه كذلك ؛ لأنّ التوقيف وَرَد فى الفرائض . كذا نصُّوا عليه فى الفتاوى . صلاة الكسوف طو يلة ، لا سيما على مذهب الشافعى رحمة الله عليه . والسُّنّة عنده أن يقرأ فى القيام الأوّل بعد الفاتحة ســورة البقرة ، أو بقَدْرها ، و يركع ويسبّح بقَدْرِ مائة آية ، ثم يرفــع و يقرأ بعد الفاتحة بقــدر مائتى آية ، ثم يركع ويسبّح بقــدر تسعين آية ، ثم يسجد كالسُّجود فى غيرها ، وقيل يُطيل السجود كالركوع ، ثم يصلّى الركعة الثانية ، فيقرأ بعــد الفاتحة مائة وخمسين آية ، ثم يركع بقدر سبعين آية ، ثم يرفع و يقرأ بعد الفاتحة مائة آية ، ثم يركع بقــدر خمسين آية ، ثم يســجد . وعن ابن عمر رضى الله عنــه : « انكسفت الشّمسُ على عهد رسول الله عليه السلام ، فقام فلم يكَدْ يركع ، ثم ركَع فلم يكد يرفَع ، ورفَع فلم يكَدْ يسجُد ، وسجَد فلم يكَدْ يرفع ، ورفع فلم يكَدْ يسجد ، ثم سَجَــد فلم يكد يرفَع ، ثم فعل فى الأخرى مثلَ ذلك ... » الحديث . وأبو العلاء كان — على ما يدلُّ عليه كلامُه — شافعىَّ المذهب ، والممدوح بهــذه التهنية كان أيضًا كذلك ، فكانت صــلاة الكسوف المعهودةُ بينهما ، صــلاةَ الكسوف على مذهب الشافعىّ . الشّعشاع والشُّعْشَعان ، هو الطويل . وقوله « كصلاة الكسف شعشاع » أى طويل مخوف فيه .

فإنْ قلتَ : خسوف القمر إنّمــا يكون لأنّ الكرة الأرضــية تحجُب الشّــعاع الشمسىّ عن وصوله إلى القمر ، وكذا كسوفُ الشّمس إنّمــا يكون لحَيلولة القمرِ بيننا و بيـــن الشّمس ، وذلك على شرف الزوال ؛ فمــا معنى صــلاتى الخُسوف والكسوف ، والابتهالِ فيهما إلى الله عزّ وجل بتجليتهما ؟

قلت : ذكر الشيخ الرئيس رحمه الله : أنّ الكسوفاتِ ربّما كانت للزّلازل سببًا ؛ وذلك لفقد الحرارة الكائنة عن الشُّعاع ، وتعقُّب البرد الخانق للرياح فى تجاويف الأرض بالتّحصيف بغتة ؛ وبالجملة فإنه يتغيّر نظام العالم عمّا عليه بمرّة . فالمقصود عند الخسوف والكسوف رَفْعُ ما يُخْشَى عندهما من الفَساد والزلزلة ، لادفع نفس الخُسوف والكسوف .

١٥ (وَمَا جَهَرْنَا وَلَمْ يَصْدَحْ مُؤَذِّنُنَا مِنْ خَوْفِ كُلِّ طَوِيلِ الرُّمْحِ خَدَّاعِ)

التبريزى : رجل خَدّاع : غير نصيح[1] . أبو زيد : هو الكذّاب . يقال : صَدَح الرجل ، إذا رفع صوته ، ويقال : غرابٌ صَيْدَحِىٌّ ، أى شديد الصوت . قال الطرِمّاح :

صَيْدَحِىُّ الضُّحَى كأنّ نَساهُ * حَيْثُ تُجتثُّ رجلُه فى إباضِ[2]

الخوارزمى : يقال : صدح الدِّيك ، إذا صوّت . جعلَ الأذان صُداحًا ؛ لأنّ الصُّداحَ طبيعىٌّ ، والأذانَ اختيارىٌّ .

يريد أنّ مؤذّننا مع أنّه قد تعوّد الأذان ، فصار له بمنزلة الأفعال الطبيعية ، قد تركه وأمسكَ عنه هَيبةً مِن أولئك العُلوج . يعنى أنه قد اشتدَّ هناك الخوف . قوله « كلّ طويل الرمح خدّاع » : أى مُمارس الحرب واقفٌ على حِيَلها . وفيه نظر إلى قولهم : «الحرب خُدْعة»[3] . ولقد أحسن حيث جمع فى هذه الأبيات بين ضرورات الصّلاة والوضوء ، والجماعة والأذان .

(١) فى الأصل : « أى فصيح » . (٢) الإباض : حبل يشد به الرسغ إلى العضد . والبيت فى صفة غراب . وقبله كما فى ديوان الطرماح ص ٨١ :

وجرى بالذى أخاف من البيـ ـن لعين ينوض كل مناص

(٣) قد نطق بها الحديث النبوى . وروى بفتح الخاء ، وهو أفصح الروايات ، كما روى « خدعة » بالضم ، و « خدعة » كهمزة . انظر توجيه هذه الروايات فى اللسان (٩ : ٤١٦) والنهاية لابن الأثير .

١٦ (مِنْ مَعْشَرٍ كَجِمَارِ الرَّمْيِ أَجْمَعُهَا لَيْلًا وفي الصُّبْحِ أُلْقِيهَا إلى القَاعِ)(١)

التبريزى : المعنى أنّى أجمعُ أصحابى باللّيل، كما يُجمَعُ حَصَى الجمار، فإذا جاء وقتُ الصُّبح فارقتُهم، واستبدلتُ غيرَهم، فكأنَّهم حَصَى الجمار يُرمَى بها مع الصّباح .

الخوارزمى : الجِمار : جمع جَمْرة، وهى الحصاة . والمراد بجمار الرَّمى ما يُرمى إلى جمرات المناسك، وهو رَمْىُ سَبعين حصاةً : سبع تُرمَى إلى جمرة العقبة يوم النَّحر، وإحدى وعشرون حصاة تُرمَى [يوم] القَرّ إلى الجمرات الثلاث، إلى كل جمرة سبع، يبدأ بالجمرة الأولى من جانب مسجد الخَيْف، ويُختَم بجمرة العقَبة، وهكذا يفعل فى اليوم الثانى من أيام التَّشريق، وفى اليوم الثالث منها كذلك يفعل، إن لم يتعجّل النَّفْرَ إلى مكة . وفى هذا البيت ما ينبِّهك على أنّ أبا العلاء كان قد ضرب فى الفقه بنصيب . وذلك أن كثيرًا من الفقهاء يتوهَّمون أنّ الإفاضة من المزدلفة إلى مِنًى، ورَمْىَ جمرة العقبة، بعد طلوع الشمس من يوم النَّحر. والصواب أنّهما بعد إسفار القُرص من ذلك اليوم؛ فلذلك جعل أبو العلاء رَمْىَ الجمار فى الصُّبح، فللّه درُّه ثم لله درُّه، من نِحريرٍ لا يغيض بحرُه . وإنّما تُجمع الجمار ليلة المزدلفة مُنْصَرَفَ الحاجّ من عرفات، وتُرمَى بالنهار .

وأمَّا تفسير يوم القَرّ فهو اليوم الذى يلى يومَ النَّحر، وذلك أوّل يومٍ من أيام التشريق . سمّى بذلك لأنّ النّاس فى منازلهم يقرّون(٢) . يقول : ذلك(٣) المعشر فى قلّة المنفعة، وفى أنّى أنزل عليهم ليلًا، وأفارقهم غَداةً، بمنزلة جمار الرَّمْى .

---

(١) فى الخوارزمى : « فى معشر » . (٢) انظر اللسان (٦ : ٣٩٦) .

(٣) فى الأصل : « تلك » .

١٧ (يا حَبَّذَا البَدْوُ حَيْثُ الضَّبُّ مُحْتَرَشٌ ... ومَنْزِلٌ بَيْنَ أجْراعٍ وأَجْزاعِ)

التبريزى : يقال : احترش الضَّبَّ ، إذا صاده . وأصل ذلك أن يجيء الرَّجلُ إلى وِجار الضَّبّ فيضربه بيده ، فيظنّهُ الضبُّ حيّة ، فيُخرج ذنبَه ليضربَها به ، فيقبضُ المحترشُ على ذنَبه . واستعير الضبُّ للحقد فقالوا : احترشت ضبَّ الرَّجُل ، أى أخرجتَ الحقدَ من قلبه بفعلٍ حسن ؛ قال كُثَيِّر :

وَمُحْتَرِشٍ ضَبَّ العَداوةِ مِنهمُ ... بِحُلْوِ الخَلا حَرْشَ الضِّبابِ الخَوادِعِ[1]

وقال :

فَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تَسُلُّ ضِغْنِي ... وتُخْرِجُ مِنْ مَكامِنِها ضِبابِي

ويَحْوِينِي لَكَ الحاوُونَ حَتَّى ... أجابتْ حَيَّةٌ تحتَ الحِجابِ[2]

والأجراع : جمع جَرَع ، وهو الكثيب من الرَّمل . ويقال : أرضٌ جَرْعاء ، إذا كان فيها أجارع الرمل ، والواحد أجْرَع ؛ قال عمرو بن كلثوم :

ذِراعَىْ عَيطَلٍ أدماءَ بِكْرٍ ... تَرَبَّعَتِ الأجارِعَ والمُتُونا[3]

والأجزاع : جمع جِزْع . وجِزع الوادى : مُنعطَفه ، وقيل : هو أن يقطعه إلى الجانب الآخر[4] . وقال ابن الأعرابى : هو مُعظَمه .

الخوارزمى : قوله « الضب مُحترَش » : جملة ابتدائية فى محلّ الجر على أنّها مضاف إليها ، والمضاف « حيث » . الأجراع : جمع جَرَعة بالتحريك[5] ، وهى

(١) يقال : هو حلو الخلا ، إذا كان حسن الكلام . والبيت فى اللسان (١٨ : ٢٦٤) .

(٢) انظر الحيوان (٤ : ٢٥٠ ، ٣٠٢) .

(٣) انظر ما سبق فى حواشى ص ٥٨١ .

(٤) نحو هذا التفسير فى اللسان (٩ : ٣٩٨ س ٤) .

(٥) الحق أن الجرعة مفرد الجرع ، وأن الجرع واحد الأجراع .

رملةٌ مستوية لا تُنبت شيئا . والأجزاع : جمع جِزْع ، بالكسر ، وهو منعطف الوادى . وأصل التركيب هو القَطْع . وفى عراقيات الأبيوردىّ :

فما العيش إلا الضبُّ يَحرِشُه الفتى ووِردٌ بمستنِّ اليرابيع أكدرُ

« والأجراع » مع « الأجزاع » تجنيس .

١٧ (وغَسْلُ طِمْرَىَّ سَبْعًامِنْ مُعَاشَرَتِى فى البِيدِ كُلَّ شُجاعِ القَلْبِ شَرَّاعِ)

التبريزى : الطِّمْران : الثوبان الخَلَقان . والمعنى أن قائل هذا الشعر أقام فى حِلّة بادية ، وهم لا يتوقَّون من الكلاب ، ولا يعتقدون أنَّها نجسة ؛ فاحتاج أن يغسل ثيابَه سَبْعا ، لأنَّه صاحَبَ أولئك القومَ . وشَرّاع : مِن شَرَع فى الأشياء ، إذا دخَل فيها ، ومنه شَرَعت الشّاربةُ فى الماء .

الخوارزمى : عنى بـ «كلّ شجاع القلب» رجلًا ، ويعضُده الرواية الثانية : « كلّ شجاع الكلب » . وإنما وجب غسلُ طِمْريه من معاشرته سبعًا ، لأنّهم لا يتوقّون الكلاب . عنى بالشّرّاع الخَوّاض . ونحوه بيت الحماسة :

* وفارسٍ فى غِمَارِ الموتِ منغمِسٍ * (١)

١٩ (وَبِالعِرَاقِ رِجَالٌ قُرْبُهُمْ شَرَفٌ هَاجَرْتُ فِى حُبِّهِمْ رَهْطِى وأشْيَاعِى)

٢٠ (عَلَى سِنِينَ تَقَضَّتْ عِنْدَغَيْرِهِمُ أَسِفْتُ لَا بَلْ عَلَى لأيَّامِ والسَّاعِ)

التبريزى : الساع : جمع ساعة ؛ قال القطامىّ :

وكُنّا كالحَريق أصابَ غابًا فيخبو ساعةً ويهبُّ ساعا (٢)

---

(١) صدر بيت لبلعاء بن قيس الكنانى ، وعجزه كما فى الحماسة ٢٧ بن :

* إذا تألّى على مكروهة صدقا *

(٢) انظر ديوان القطامى ص ٣٦ .

الخوارزمى : الساع : جمع ساعة ؛ عن الغورى . وقد نظر فيه إلى قول أبى الطيّب :

وكانَ سُرورِى لا يَفِى بنَدامَتِى   عَلَى تَرْكِهِ فى عُمرِىَ المتقارِبِ

والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقدّم .

٢١ (اسْمَعْ أبَا حامِدٍ فُتْيَا قُصِدْتَ بِها   مِنْ زَائِرٍ لِجَمِيلِ الوُدِّ مُبْتَاعِ)

التبريزى : ... ...

الخوارزمى : هو أحمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الأسفرايينى الفقيه، ولد سنةَ أربع وأربعين وثلاثمائة ، وقدِم بغدادَ سنة أربع وستّين، فدرس فقهَ الشافعىّ حتّى صار واحدَ وقته ، وانتهت اليه الرّياسة . وكان يحضُر درسَه سبعمُائة متفقِّه . وله فى الفقه مصنَّفات جليلة . وقيل : لو رآه الشافعى لفَرِح به . ومن نُفاثاته :

لا يَغْلُوَنَّ عليكَ الحمدُ فى ثَمَنٍ   فليس حَمْدٌ وإنْ أُثْمِنتَ بالغالى

الحمدُ يَبْقَى على الأيّامِ ما بَقِيتْ   والدَّهرُ يذهب بالأحوالِ والمالِ

مات ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ست وأربعمائة .

قوله « من زائر لجميل الود مبتاع » أراد به نفسه .

٢٣ (مُؤَدِّبِ النَّفْسِ أكَّالٍ عَلَى سَغَبٍ   لَخْمِ النَّوائبِ شَرَّابٍ بأنْقَاعِ)

التبريزى : يقال : فلانٌ شرّاب بأنقاع ، يضرب ذلك مثلًا للرجل الذى جرَّب الأمور . وأنقاع : جمع نَقْع ، وهو ماء يجتمع فى موضع .

الخوارزمى : قوله «على سغب» ، إشارة إلى المبالغة فى الأكل . وممّا يُشبه قول أبى العلاء قوله :

وَمَنْ يَذُقِ الدُّنيا فإنِّى طَعِمْتُها وسِيقَ إلينا عَذْبُها وعَذَابُها

قوله « أكّال على سغب * لحم النوائب» أى مجــرّب ؛ لأن مَن كان طُعمته النّوائب فقد جُرّب . فى أمثالهم : « إنّه لشَرّابٌ بأنقُع » . النقع : كل ماءٍ مُسْتَنْقِــع . وفى الدّرعيات :

* كالنّقْعِ والخيلُ تُثيرُ النّقْعا * [1]

وعن عائشة رضى الله عنها ، أنّه عليه السلام نهى عن بَيْع نَقْع المــاء . وجمعه أنقاع ، وهو قيــاس[2] . يُضرب للمجرّب عــرف الأمور ، فهو يأتيهــا مِن مَآتاها . وأصــله الطّائر الحــذِر قد عَرَف أنّ مَناهِلَ النّــاس لا تخلو عن أشراكٍ تُنصَب عليها ، فهو يَتجنّبها إلى مستنقَعات المــاء فى الفلا . وقيل : دليــلُ العرب يعرف المياه الغامضة ، فهو باهتدائه إليها يَحذِقُ سُلوكَ الطّريقِ بالنّاس .

ويقــال للمريض : « حَتّامَ تكــرع[3] ولا تَبضَع[4] ، إنك لشَرّابٌ بأنقُع » أى لا تروَى ، على أنك كثير الشّرب بالمياه .

٢٣ (أَرْضَى وأُنْصِفُ إلّا أنّنِى رُبَمَــا أَرْبَيْتُ غيرَ مُجيزٍ خَرْقَ إِجْمَاعِ)

التــــبريزى : بعض العرب يخفف باء «رُبّ» . وقال أبو كبير الهذلى :

أزُهَيرُ إنْ يَشِبِ القَــذَالُ فإنّهُ رُبَ هَيْضَلٍ لَجِبٍ لَفَفْتُ بهَيْضَلِ

(١) قبله كما فى القصيدة ٨٤ :

* تغر فى الغبط العيون خدعا *

(٢) كذا فى الأصل . ولعله « وجمعه على أنقاع ، وهو على غير قياس » ؛ إذ القياس فى جمعــه « أنقع » و « نقاع » كبحر وأبحر وبحار .

(٣) فى الأصل : «حتى تكرع» والصواب من اللسان (١٠ : ٢٣٩) وأمثال الميدانى (١ : ١٨٥) وورد فى اللسان (٩ : ٣٦٠) بلفظ « حتى متى » .

(٤) بضع يبضع ، كمنع ، بضوعا وبضعا : روى وامتلأ . وفى الميدانى : « لا تنقع » .

أربَيْت ، أى زدت . يقال : أربى على الخمسين وأرمَى عليها ، إذا زاد عليها . والمراد به من الرِّبا .

الخوارزمى : قوله « أربيتُ غير مجيز خرقَ إجماع » أى الفتيا المذكورة فى قوله : «اسمع أبا حامد فتيا قصدت بها» . يقول : يُنصفنى الناس وأُنصفهم، حتّى يجرى بيننا التّعادُلُ فى كلّ شىء ، إلا فى المودّة، فإنّى فيها أُربى . وقد أوضح هذا المعنى فى البيت الثانى .

٢٤ (وذاك أنّى أُعطِى الوَسْقَ مُنْتَحِيًا من المَوَدّةِ مُعْطِى المُدِّ بالصّاعِ)

التبريزى : الوَسْق : الحِمْل . ويقال إنه ستُّون صاعا . والمعنى أنّى إذا أعطيتُ صاعًا(١) من مودّة، جَزَيتُ عنها بوَسقٍ . منتَحيا : متعمّدًا نحوَه .

الخوارزمى : «ذاك» إشارة إلى الإرْباء . الوَسق : ستّون صاعا . المُدّ : رِطْل وثلث عند أهل الحجاز ، ورطلان عند أهل العراق . الصاع : أربعة أمداد . وأما الرِّطل فنصفٌ، عن صاحب الديوان . وتفسير الربا مختلف فيه؛ فعندنا هو الفَضْل مع القَدْر والجنس . ونعنى بالقدر الكَيْل فى المكيلات ، والوزنَ فى الموزونات . وعند الشافعى رحمه الله : الرِّبا هو الفضل مع الطُّعم والجنس فى المطعومات؛ ومع الثَّمَنِيّة والجنس فى الموزونات . فعلى هذا : لو باع قفيزَ جِصٍّ بقفيزَىْ جِصّ ، فعندنا لا يجوز، لمكان الفَضْل المقترن بالكَيل مع الجنس . وكذلك لو باع مَنًّ صُفْرٍ أو حديد بمَنَّىْ صفرٍ أو حديد فإنّه لا يجوز عندنا، لوجود الفَضْل المقرونِ بالوزن مع الجنس . ولو باع حَفْنة بحَفنتين من المطعوم، أو جَوزة بجوزتين، فإنّه يجوز عندنا ، لعدم الكَيل والوزن . وعند الشّافعى الفَضْل فى الأوّل والثانى يجوز، وفى الثالث لا يجوز .

(١) الصاع، يذكر ويؤنث .

يقول : أُعطي الكثير من المودّة على عمدٍ، مَن يجزِى القليلَ عن الكثير . يريد أنّي أتودّد إلى الناس .

٢٥ (وَلَا أُثَقِّلُ فِي جَاهٍ وَلَا نَشَبٍ وَلَوْ عُدِدْتُ أَخَا عُدْمٍ وإِدْقَاعِ)

التـبريزى : يقال : أَدقـع الرجلُ إدقاعًا ، إذا افتقرَ ؛ وأصـل ذلك أنّ يلصق بالدّقعاء، أى التُّراب؛ كما يقال : أرمَلَ، إذا افتقر، أى لَصِق بالرمل .

الخـوارزمى : دَقِع فلان وأَدْقَع، أى افترش الدّقعاء ولصِق بها . والدّقعاء: هي التراب . ونظـيره تَرِب وأَرْمَل وأَقْوَى، أى لصـق بالتراب والرَّمل والقَواء .

٢٦ (مَنْ قَالَ صَادِقُ لِئَامِ النَّاسِ قُلْتُ لَهُ قَوْلَ ابنِ الأَسْلَتِ قَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي)

التـبريزى : ابن الأسلت، هو أبو قيس، والمعنىُّ قوله :

قالَتْ ولم تَقْصِدْ لِقِيـلِ الخَنَا مَهْلًا فقـد أبلغتَ أَسمـاعى[1]

الخـوارزمى : أبو قيس بن الأسلت . قال الجاحظ : واسمه صَيفىّ بن عامر الأوسى، وهو جاهلىّ . ورُوِى أنّه لم يكن من الأوس والخزرج أحدٌ أوصفُ للحنيفيـة[2] ولا أكثرُ مسالةً عنها من أبى قيس . وقد كان سألَ عن الدين الحنيفىّ اليهودَ بيثربَ، فدعَوهُ إلى اليهوديّة ، وكاد يُقارِبهـم[3] ثم أبى ذلك . وخرج إلى آل جَفْنةَ بالشام، فلقِيَـه راهبٌ فقال له : أنت تُريد الحنيفية ؟ قال أبو قيْس : تلك التى أريد . فقـال الراهب : هى وراءكَ من حيثُ جئتَ . فرجـع إلى الحجاز أبو قيس فأقام به ما أقام، ثم خَرَج إلى مكّة مُعتمرًا ، فلقِى زيدَ بنَ عمرِو بن نُفَيْل، فقال له

(١) من القصيدة ٧٥ من المفضليات . (٢) الحنيفية : ملة إبراهيم .
(٣) فى الأصل : «وكان» .

أبو قيس : خرجتُ إلى الشّام أُسائِلُ عن دين إبراهيمَ، فقيل : هو وراءكَ . فقال زيدٌ : قد استعرضْتُ الشّامَ والجزيرةَ ويهودَ يثرب، فرأيتُ دينَهم باطلا ، وإنّ الدِّين دينُ إبراهيم ، كان لا يُشرِك بالله شيئًا ، ويصلّي إلى هـذا البيت ، ولا يأكلُ ماذُبِح لغيرِ الله . فكان أبو قيس يقول : ليس على دينِ إبراهيمَ أحدٌ إلّا أنا وزيدٌ . فلمّا قدم رسولُ الله المدينةَ قيل لأبي قيس : هذا صاحبُك الذى كنتَ تصفه . قال: أجَلْ ! قـد بُعث بالحق . فجاء إلى رسـول الله صلى الله عليـه وسلم فقال : إلامَ تدعُو ؟ فقـال : إلى شهادةِ أنْ لا إله إلا الله ، وأنّي رسـول الله ، وذَكَر شرائع الإسلام . فقال : ما أحسَنَ هذا وأجمَلَه ! أَنظُرُ فى أمرى ثم أعودُ إليك ، ويَكادُ يسلِم . فلقيه ابنُ أُبَيّ : فقال: مِن أين؟ قال: مِن عند محمد، عرَض علىَّ كلامًا ما أحسَنَه ، وهو الذى كُنّا نَعرِفه ، وكانت أحبارُ يَهُودَ بِهِ تُخبرنا . فقال ابنُ أُبَيّ : كرهتَ واللهِ حَرْب الخزرج . فغضِب وقال : واللهِ لا أُسلِم سنةً . ثم انصرَف إلى مَنزِلِه فلم يَعُدْ إلى رسول صلى الله عليه وسلم حتى ماتَ قبلَ الحول فى ذى الحجة على رأس عشرة أشهرٍ من الهجرة . ورُوِى أنه عند الموتِ سُمِعَ يوحِّد . وكان الرجلُ قبل الإسلام إذا تُوُفِّي عن امرأته كان ابنُه أحقَّ بها ، إنْ شاء نكَحها إذا لم تكنْ أُمّه، أَوْ أنكَحها مَنْ شاء. فلما ماتَ أبو قيس قام ابنُه مِحْصَن، فورث نكاحَ امرأةِ أبيه ، ولم يورِّثْها من المـال شيئًا ولم يُنفِق عليها . فأتت النبيَّ صلى الله عليه وسـلم وذَكَرَتْ له ذلك . فقال عليه السلام : « ارجعى لعَلَّ الله يُنزِلُ فيك شيئا» ، فنزلت : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ، ونزلت أيضا : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾ . وقال الزُّهرى : بل نَزلَتْ هـذه الآية فى ناسٍ من الأنصار، كان الرجل منهم إذا مات كان أملَكُ الناس لامرأته وَلِيَّه ، فيمسكها حتى تموت . كذا رأيته فى تلخيص المغازى المنسوبة إلى الواقدى . وفى بيت أبى العلاء خفَّف همزة

«الأسلت» بأن أُلقيت حركتُها على ما قبلَها وحُذفت الهمزة . ونظيرها « مَسَلَة » في تخفيف «مسألة» . وهكذا تخفيف الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها الصحيح. وبيت أبي العلاء إشارةٌ إلى قول أبي قيس :

قالت ولم تَقصِدْ لقِيل الخَنَا مَهلًا فقد أبلغتَ أسماعى

ومعنى قوله « قد أبلغت أسماعى » أى سمعتُ ما قلت فلا تُعِدْ علىّ .

٢٧(كَأَنَّ كُلَّ جَوَابٍ أَنتَ ذَاكِرُهُ شَنْفٌ يُنَاطُ بِأُذْنِ السَّامِعِ الوَاعِى)

التبريزى : يُناطُ : يعلّق . ويقال : وَعَى العلم ، إذا حفظه . والشَّنف : ما يعلّق فى أعلى الأذن .

الخوارزمى : يريد أنه يزين أذنه ويبقى فيها ، فكأنه لها شنف .

٢٨(إِنَّ الهَدَايَا كَرَامَاتٌ لِآخِذِهَا إِنْ كُنَّ لَسْنَ لإِسْرَافٍ وَإِطْمَاعِ)

التبريزى : الهدايا ، منها مذموم ومحمود . فالمذمومُ منها ما يجرى مجرى الرشوة . ولذلك جاء فى الحديث : « هَدايا الأمراء غُلول » . فأما الهديّة التى لا يراد بها الوصولُ إلى شيء يُكره فقد جاء الأمر بأخذها . وفى الحديث : «تهادَوْا تحابُّوا» . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يَقْبَل الهديّة وإن كانت قليلة .

الخوارزمى : يريد إنْ لم يكنْ على سبيلِ أن يُجازَى عليها بالزِّيادة . وعليه بيت السقط :

قَبولُ الهدايا سُنّةٌ مُستحبّةٌ إذا هي لم تَسلُكْ طريقَ تَحابِى[1]

(١) فى الأصل : « لم يسلك طريق تجازى » تحريف . والبيت هو الثانى من القصيدة ٧٢ .

٣٠ (وَلَا هَدِيَّةَ عِنْدِى غَيْرُ مَاحَمَلَتْ عَنِ الْمُسَيَّبِ أَرْوَاحٌ لِقَعْقَاعِ)

التـــبريزى : المسيَّب بن عَلَس : خال أعشى قيس . وكان مدح القعقاعَ ابن مَعْبَد التميمىّ بالقصيدة العينية[1]، وقال فيها :

فلأُهْدِيَنّ مَعَ الرِّياحِ قَصيدةً مِــنّى مُغَلْغَـلةً إلى القَعْقاعِ

الخـــوارزمى : الأرواح : جمع رِيح . هو المسيَّب بن علَس، شاعرٌ مُجيد، وهـو خال الأعشى مَيمون بن قيس . القعقاع هو ابن مَعْبَـد بن زُرارة بن عُدُس ابن زيد بن عبد الله بن دَارِم ، وهو الذى نافر خالد بن مالك بن سَلْمَى بن جَنْدَل ابن نَهْشَل ، إلى ربيعة بن حُذَارٍ الأسدىّ ، فقال ربيعـة : « إنّ اللُّهَى والنُّهَى والباع ، والمجد والجود والزِّماع[2] ، قـد فاز بأفضلهنّ القَعقاع » . ثم قال : « نَفَر مَنْ مَعْبَدٌ وزُرارةُ أبواه[3] ، وحاجبٌ ولَقِيطٌ عَمّـاه » . ويروى أنه قال للقعقاع : « قـد نَفَّرتك يا ابن الصبية[4] » . فقال خالد : أتجعل ابنَ معبد بن زُرارة كابن سَلْمَى ابن جندل ؟! فقال ربيعة : «ليس العبدُ كربِّه » فأرسلَها مثلا . وقول أبى العلاء تلميحٌ إلى قول المسيَّب فى القعقاع :

فَلأُهدينّ مع الرِّياح قصيدةً مِــنّى مُغلغَـلةً إلى القعقاع

تَرِدُ المنـاهلَ لا تَزالُ غريبـةً فى القـومِ بين تَمَثُّـلٍ وسَماعِ

(١) هى القصيدة ١١ من المفضليات .

(٢) الزماع، كسحاب وكتاب : المضاء فى الأمور . وفى الأصل : « الرقاع » .

(٣) نفر : غلب؛ من المنافرة، وهى المفاخرة .

(٤) نفره تنفيرا : قضى له بالغلبة على غيره .

٣٠ (وَلَمْ أَكُنْ وَرَسُولِى حِينَ أُرْسِلُهُ ... مِثْلَ الفَرَزْدَقِ فى إِرْسَالِ وَقَّاعِ)

التبريزى : وَقّاع : غلام للفرزدق، وكان يوجِّهه فى أشياء ليست بالجميلة .

الخوارزمى : الفرزدق، هو همّام بن غالب بن صعصعة، لُقِّب بالفرزدق لكَثْمَة وجهه، كان مِعنًّا سريعَ الجَوابِ . ومن جيِّد شعره :

ولـو يُرْمَى بـلُؤمِ بنى كُلَيبٍ ... نجومُ اللَّيلِ ما وَضَحتْ لِسارِى
ولو لَبِسَ النهـارَ بنـو كُلَيبٍ ... لَدَنَّسَ لؤمُهـم وَضَحَ النَّهـارِ

ودخل على يزيد بن المهلَّب فى الحبس فقال :

أصبحَ فى قَيْدِكَ السَّماحةُ والجُو ... دُ وحَمْـلُ الدِّياتِ والإفضـالُ

قال : أتمدَحُنى وأنا على هذه الحالة؟ فقال : «أصبتُك رخيصًا فأسلفتُك» . مات وقد خَنَّق المائة[1] . ولمّا بلغ جريرًا موته قال :

هلَكَ الفرزدقُ بعدَ ما جدّعتُـه ... ليتَ الفرزدقَ كان عاشَ قليـلا

ثم أطرق رأسه طويلًا وبكى . فقيل له فى ذلك فقال : « بكيتُ لنفسى والله ، فقلَّما كان اثنانِ مِثْلَنا إلا كان أمرُ ما بينهما قريبا» . فما لبِثَ جريرٌ إلا أربعينَ يومًا أو ثمانين حتى مات . وفى ذلك العام ماتَ الحسنُ البصرىّ ومحمد بن سيرين .

وَقّاع : غلام الفرزدق، وكان يُرسله فى أشياء غير جميلة .

٣١ (مَطِيَّتِى فِى مَكَانٍ لَسْتُ آمَنُهُ ... عَلَى المَطَايَا وسِرْحَانٌ لَهَا رَاعِ)

التبريزى : سيأتى .

الخوارزمى : جعل السفينة مطيّةً، كما جعل ذو الرمة المطيّةَ سفينةً فى قوله :

* نعمتْ زَوْرَقُ البَلَدِ[2] *

(١) خنق المائة تخنيقا : كاد يبلغها . (٢) جزء من بيت لذى الرمة، وهو بتمامه كما فى الديوان :

أو حرة عيطل ثبجاء مجفرة ... دعائم الزور نعمت زورق البلد

فى أمثالهم : «مَنِ استَرْعَى الذِّئبَ فقــد ظَلَمَ» . وقيلَ : سِرْحان اسم رجلٍ كان من صعاليك العرب . وقولهم : «سَقَط العَشاءُ به على سرحانٍ» يعنون هذا، كذا ذكره الغورى . وقال :

بيْنَـا تبغِّيــهِ العَشاءَ وطَــوْفُه   سَــقَطَ العَشاءُ به على سِرحانِ

ومن حديثه أنه كان يحمى وادياً فلا يُقْرَب، فادّعَى رجلٌ أنه يُرعِى فيه إبلَه ، ففعل فقتلَه . يُضرَب لمن يطلب المِرفَق فيقع فى هَلَكةٍ . وأيًّا ما كان فقد عَنَى أبو العلاء بالسِّرْحانِ العَشّار[1] .

٣٢ ﴿فَارْفَعْ بكَفِّىَ فإنِّى طائشٌ قَدَمِى   وَامْدُدْ بضَبْعِى فإنِّى ضَيِّقٌ بَاعِى﴾

التــبريزى : مطِيَّتى، أى سفينتى التى كانت معى . أى راعيها رجلٌ مثــل السِّرحان ، أى الذِّئب . والضَّبْع : العَضُد[2] . ويقــال للرَّجُل إذا استغثْتَ به : خذ بِضَبْعِى ، أى أعِنِّى على ما أُريد .

الخــوارزمى : البــاء فى « بكفِّى » و « بضبعى » على المجازيّة . ومثــله « جذَب بضَبْعه » و « أعطى بيَده » . الأولى مَثــلٌ فى النَّعشة ، والثــانية مَثَلٌ فى الانقياد . وهذا لأنهم إذا نقلوا الكلمةَ عن الحقيقة إلى المجاز وسَمُــوها بضربٍ من التصرُّف .

٣٣ ﴿وَمَا يَكُنْ فَلَكَ الحَمْدُ الجَزِيلُ بِـه   وإنْ أُضِيعتَ فإنِّى شَاكِرٌ دَاعِ﴾[3]

الخــوارزمى : «ما» فى «ما يكن» ، هى الشرطية .

---

(١) العشار : جابى الضرائب الذى يعشرها ، أى يأخذ عشرها .

(٢) بعد هذه الكلمة فى ا من التبريزى هــذا الكلام التالى المقحم : « من هــذا الجمع ستة أحرف رباب : جمع شاة ربى ، وفرار جمع فرير ، وتؤام جمع توأم ، ورخال جمــع رخل ، وهى الأنثى من ولد الضأن ، وعراق : جمع عرق وهو عظم عليه لحم ، وثنى وثناء » وهى الجموع التى وردت بضم الأول وفتح الثانى ، قيدها قارئٌ على هامش نسخة فأثبتها الناسخ فى صلب الشرح خطأً : (٣) هذا البيت ساقط من نسخ التبريزى ، وهو ثابت فى الخوارزمى والتنوير . ورواية التنوير : « فلك الحمد الجميل » .

[القصيدة الثانية والثلاثون]

وقال أيضا من الكامل الثانى والقافية متواتر[1] :

١ ﴿ زَارَتْ عَلَيْهَا لِلظَّلَامِ رُوَاقُ ⁂ ومِنَ النُّجُومِ قَلَائِدٌ ونِطَاقُ ﴾

التبريزى : الرواق : ما ستر من الظلام ؛ وهو مأخوذٌ من رواق البيت ، أى ما قُدّامَه . والنِّطاق : ما يُشَدّ به خَصْرُ الإنسان . وأعْرَفُ ذلك أن يُؤخذ ثوبٌ فيُشَدّ فى الوسط بخيط أو نحوه ، ثم يُرْسَل على القَدَمين . ثم صُيِّر كلُّ ما شُدّ به الوسط نطاقا . قال الشاعر :

وليلةِ نَحْسٍ تَبِيتُ النِّسا ⁂ ءُ من خَوْفِهِنّ شِدادَ النُّطُقْ

ويقال للرجل إذا أخذ أُهْبته للأمر : قدشَدّ نِطاقَه ، فإذا أراد أن يُقيم كَنَوْا عن ذلك بحلّ النطاق ، فقالوا : حلّ فلانٌ نطاقه بمكان كذا وكذا . قال :

ولقد هبطتُ الأرضَ حلّ بها النَّدَى ⁂ والغيثُ كلَّ عِلاقــةٍ ونِطـاقِ

وكقـــوله :

فألقتْ عَصاها واستقرّتْ بها النَّوَى ⁂ كما قَــرَّ عينًـا بالإياب المسافرُ[2]

وقال زُهَيْر :

فلمّا وردنَ الماءَ زُرْقًا جِمامُهُ ⁂ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ

والمعنى أنّها مستترةٌ بظلام ، ونِطاقُها مُحَلًّى ، وحِلْيته النجوم .

---

(١) البطليوسى : « وقال أيضا من قصيدة » . الخوارزمى : « وقال أيضا فى الكامل الثانى والقافية من المتواتر » .

(٢) البيت لمعقر بن حمار البارق ، كما فى اللسان (٢٠ : ٢٢٢) . وانظر قصيدة البيت فى الأغانى (١١ : ١٦٠ — ١٦٢) طبع دار الكتب المصرية .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الرواق : سِترٌ دون السَّقْف يُمَدّ، ومنه بيتٌ مُرَوَّقٌ . قوله : « عليها للظلام رواق » جملةٌ فى محلّ النصب على الحال من الضمير المستكنّ . النطاق : شِقّة تلبسها المرأة وتشدّ وَسَطها بحبل ، ثم تُرسل الأعلى على الأسفلِ إلى الركبة ، والأسفل على الأرض يجرّ ، وليس لها حُجْزةٌ ولا نَيْفَقٌ(١) ولا ساقان . هذا أصلُه ، ثم جُعِل كلّ شيء يُشَدّ به الوَسَط نِطاقا . شبّه ما فى قلادتها ونطاقها من اللآلئ بالنجوم . يقول : زارتِ الحبيبة وهى مُستترة بالغياهب، متحلّية بعِقْدٍ ونطاق مرصّع بدُرٍّ كالكواكب .

٢ ﴿وَالطَّوْقُ مِنْ لِبْسِ الحَمَامِ عَهِدْتُهُ وَظِبَاءُ وَجْرَةَ مَا لَهَا أَطْوَاقُ﴾

التبريزى : المعنى أن هذه المرأة كالظبية وعليها طوق، والظباء التى بوجرة لا أطواق لهن ، والأطواق منسوبة إلى الحمام . ووَجْرةُ : موضع . ويُرْوَى : « وظباء رامةَ » .

البطليوسى : وَجْرةُ : فلاةٌ بين مَرّانَ وذاتِ عِرْقٍ، وهى قليلة الماء ، فوحوشها تجزَأ بأكل الكلأ عن شُرْب الماء ، فتضمُرُ بطونها و يشتدّ عَدْوها . أراد أنّ محبوبته زارته ليلًا مستترةً بالظلام. وشبّه قلائدها وحُليَّها بالنجوم، ثم قال: هى كالظبية فى الحسن ، فكيف لبست الطوق ، وإنما الطوق للحمام لا للظباء .

الخوارزمى : هو لِبْسُ الكَعْبة، بالكسر، وكَشَف عن الهودج لِبْسَه. وجرة: مَرْتٌ للوحش بين مكة والبصرة، أربعون ميلًا. يقول: هذه الحبيبة بمنزلة الظبى،

(١) النيفق : الموضع المتسع من السراويل .

وما عليها من القِلادة بمنزلة الطوق ، ثم الطوق إنّما يكون للحمام لا للظباء . يريد : لم أر ظبيةً مطوَّقة .

٣ ﴿ وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ حَلْيَكِ مُثْقِلٌ وَعَلَيْكِ من سَرَقِ الْحَرِيرِ لِفَاقُ ﴾
٤ ﴿ وَصُوَيْحِبَاتُكِ بِالْفَلَاةِ ثِيَابُهَا أَوْبَارُهَا وَحَلْيُهَا الأَرْوَاقُ ﴾

التبريزى : المَعنى أنّ عليك حَلْياً مُثقِلاً ، ولك لباسٌ من حرير . واللِّفاق : ثوب مُلَفَّقٌ من ثوبين . أى عليك حليٌ ولِباس ، والظباء اللواتى يُشبِهنك بالفلاة ثيابُها أوبارُها ، وحُلِيُّها أرواقها ، وهى القرون ، واحدها رَوْقٌ .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : السَّرَق فى «ارقد هنيئًا»(١) . ملاءة ذات لِفْقَيْنِ ولِفَاقين . التصغير فى « صويحباتك » وقع مليحًا غريبا . كأنه يريد : وصويحباتك من الظباء التى تستحقّ البر والملاطفة ، قد ظلمتِها حيث جعلتِ حَلْيَك من الذهب ، ولباسَك من الحرير ، وحَلْيُ أولئك الظباء القرون ، وثيابها الأصواف . ويجوز أن يكون التصغير فيها كناية عن صغر المخاطبة .

٥ ﴿ لَمْ تَنْصِفِي غُذِّيتِ أَطْيَبَ مَطْعَمٍ وغِذَاؤُهُنَّ الشَّثُّ والطُّبَّاقُ ﴾

التبريزى : أى أنت تأكلين أطيبَ المطاعم ، والظباء إنما يأكلن الشثّ والطُّبّاق ، وهما ضربان من النَّبْت . قال تأبَّطَ شرًّا :

لا شيءَ أسرعُ مِنّى ليس ذا عُذَرٍ وذا جَنَاحٍ بجَنْبِ الرَّيْدِ خَفَّاقِ(٢)

(١) انظر البيت ٢٣ من القصيدة ٢٦ ص ٦٨٤ .

(٢) انظر المفضليات (١ : ٢٦) . وذو العذر ، عنى به الفرس . والعذر : جمع عذرة ، وهو ما أقبل من شعر الناصية على وجه الفرس . والريد ، بالفتح : الشمراخ الأعلى من الجبل .

أو ذا حُيُودٍ من الأَرْوَى بشاهقةٍ (١) أو أُمَّ خِشْفٍ بذى شَثٍّ وطُبَّاقِ

حيود : جمعُ حَيْدٍ ، وهوَ الناتئُ من الجبل .

البطليوسى : سـباق .

الخـوارزمى : « غُذِّيت » مقطوع عما قبله ، فى مقام التعليل لقـوله : « لم تنصفى » . ومثل هذا القطع يُرْبِى على الوصل حُسْنًا . الشَّثّ : نبتٌ طيِّب الريح مرّ الطعم يُدْبَغ به ، وهو فى جبال الغَوْر ونَجْـد . والطُّبَّاق : شجرٌ بالحجاز إلى الطائف . قال تأبّطَ شرًّا :

* أو أُمَّ خِشْفٍ بذى شَثٍّ وطُبَّاقِ *

خصّ النبتين لأنّ فيهما فضل تقوية .

٦ ﴿ هَلْ أَنْتِ إِلَّا بَعْضُهُنَّ وَإِنَّمَا خَيْرُ الحَيَـاةِ وَشَرُّهَا أَرْزَاقُ ﴾

التـبريزى : سيـاق .

البطلـيوسى : السَّرَق : أجود الحرير وأفضلُه . وهو معرَّب ، وأصله بالفارسية « سَرَهْ » . واللِّفـاق : ثوبٌ يُلْفَقُ بآخر . والأرواق : القرون ، واحدها رَوْق . والشثّ والطبّاق : ضربان من النبت ترعاهما الظباء . قال تأبّطَ شرًّا :

كأنّما حثحثُوا حُصًّا قَوَادِمُـهُ أَوْ أُمَّ خِشْفٍ بذى شثٍّ وطُبَّاقِ

يقول : من العجائب مخالفتك للظباء ، بتقلُّد الحلى ولباس الوشى والاغتذاء بأطيب المطعم ، وإنما أنتِ واحدةٌ منهن . وإنما نظر فى هذا إلى قول أَوْس بن حَجَرٍ :

يلبسنَ رَيْطًا وديباجًا وأكسيةً شَتَّى بهـا اللونُ إلَّا أنها فُوَرُ

(١) بدله فى المفضليات ، وموضعه فيها قبل البيت السابق :

كأنما حثحثـوا حصـا قوادمه أو أم خشف بذى شث وطبـاق

والفور : الظباء ، لا واحد لها من لفظها[1] .

الخوارزمى : هذا كبيت الحماسة[2] :

وليس الغنَى والفقرُ من حيلةِ الفتَى ولٰكن أحَاظٍ قُسِّمتْ وجُدودُ

٧ (حَقٌّ عَلَيْهَا أنْ تَحِنَّ لِمَنْزِلٍ غُذِيتْ به اللَّذّاتِ وَهْىَ حِقَاقُ)

التبريزى : أى قد رُزِقْتِ ما لم يُرْزَقْنَ ، وإنما خيرُ الحياة وشرُّها من عند الله سبحانه . والهاء فى « عليها » راجعة إلى الإبل ، ولم يتقدّم لها ذكر . وذلك كثير فى كلامهم ، إذا كان المعنى مفهوما . والحِقاق : جمع حِقٍّ من الإبل وحِقَّة ، وهى التى قد مضت لها ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة . ويُنشد لزُهَيْر بن جَنابٍ الكلبىّ :

وأرسَلَ مُهمَلًا جَذَعًا وحِقًّا بِلا جحدِ النباتِ ولا جديبِ[3]

البطليوسى : سياق .

الخوارزمى : الضمير فى « عليها » للإبل . الحقاق : جمع حِقٍّ ، وهو ما كان من الإبل ابن ثلاث سنين وقد دخل فى الرابعة ؛ سمّى بذلك لاستحقاقه أن يركب ويحمل عليه . و « الحِقّ » مع « الحقاق » تجنيس . وقد ترك أبو العلاء بين هذا البيت وبين البيت المتقدّم أبياتا[4] .

---

(١) فى اللسان : « وقال كراع : واحدها فائر » .

(٢) انظر الحماسة ٥١١ بن ، حيث نسب البيت لرجل من بنى قريع .

(٣) أى بمرعى ليس جحد النبات ولا جديبا . والموضع الجحد : اليابس الذى لا خير فيه .

(٤) انظر ما سبق فى ص ٦٣٤ من هذا الجزء .

٨ ﴿ لِيمتْ ولَيْلُ اللَّائمينَ تَعَانُقٌ حَتَّى الصَّباحِ ولَيْلُهَا إعْنَاقُ ﴾

التبريزى : التعانق، من قولهم عانق الشخصُ الآخَرَ، إذا أخذ كلُّ واحدٍ منهما بعُنق صاحبه . والإعناق من العَنَق، وهو فوق المشى. والمعنى أنّ الإبل لِيمتْ وليس لها ذنب ؛ لأنّها فى تعبٍ وسير، واللائمون لها فى سُرورٍ ولذّات .

البطليوسى : الضمير فى قوله « عليها » يرجع على إبلٍ لم يَجرِ لها ذكر فيما تقدّم من هذا الشعر ؛ لأنّ هــذه القطعة من قصيدةٍ حذف أبو العلاء بعضَها ولم يكتبها على التمام، فأسقط الأبياتَ التى كان فيها ذِكْر الإبل، كما فعل فى قوله :

أليس الذى قادَ الجيادَ مُغِذّةً روافلَ فى ثوبٍ من النَّقْع ذائِلِ [1]

فالضمير فى « ليس » يرجع إلى الممدوح بهذا الشعر، وليس فى سقط الزند قبل هذا البيت شىء من القصيدة . والإعناق : سيرٌ سريعٌ تستعين فيه الدابّة بعنقها . والحِقاق : صغار الإبل . وقوله « ليمت وليل اللائمين » شبيهٌ بقولهم فى المثل : « ويلٌ للشَّجِىّ من الخَلِىّ » .

الخوارزمى : الضمير فى « ليمت » للإبل . جعل لِلّيل تَعانُقًا على الإسناد المجازىّ ، ثم على طريق المبالغة . أصل الكلام : ليل اللائمين مُتَعانَقٌ فيه ، ثم مُتعانِقٌ ، ثم تَعانُقٌ . ونحوه قول حُمَيْد بن ثَوْر :

ومطويّة الأقرابِ أمّا نَهارُها فسَبْتٌ وأمّا ليلُها فذَميــلُ [2]

أعْنَقَ الدابّةُ ، وهو مشى سريع سهلٌ . يقول : ليمت هذه الإبل لحنينها إلى الوطن، وكم بين حال اللائم وحال الملوم ! اللائم طولَ ليله فى معانقة الحبيب ، والملوم فى معاناة الوَخْد والتَّقريب .

(١) هو مطلع القصيدة التاسعة والأربعين .

(٢) السبت : سير فوق العنق . والبيت فى اللسان (٢ : ٣٤٣) .

٩ ﴿مَا الجِزْعُ أَهْلٌ أَنْ تُرَدَّدَ نَظْرَةٌ فِيهِ وَتُعْطَفَ نَحْوَهُ الأَعْنَاقُ﴾[1]

التبريزي : جِزْع الوادي : جانبه ، وقيل منعطفه ، وقيل منثناه ، وقيل هو إذا قطعه إلى الجانب الآخر[2] .

البطليوسي : سيأتي .

الخوارزمي : سيأتي .

١٠ ﴿لَا تَنْزِلِي بِلِوَى الشَّقَائِقِ فَاللِّوَى أَلْوَى المَوَاعِدِ وَالشَّقِيقُ شِقَاقُ﴾

التبريزي : هذا البيتُ على مذهب من يقول بالطِّيَرَة ؛ لأنّ اللِّوى — وهو منقطع الرمل — مُشابِهٌ في اللفظ قولَهم هو ألوى المواعيد ، إذا كان يمطُل بالوعد . والشقيق : جمع شقيقة من الرمل ، وهي أرض طيِّبة[3] بين رملين . ولفظ الشقيق مجانسٌ لفظَ الشِّقاق[4] ، وهو العداوة .

البطليوسي : اللوى : آخر الرمل حيثُ يلتوي وينقطع ، فتطيَّر به وتفاءل بأنه موعدٌ يُلْوَى . والشَّقيق : جمع شَقيقة ، وهي أرض طيِّبة بين الرمال . فتفاءل بأنّ نزولها بها دليلٌ على الشِّقاق ، وتفاءل بالجِزْع — وهو منعطف الوادي — أنه قطعٌ للودّة ، لأنه يقال جَزَعْت الوادي ؛ أو أنه فَأْلٌ بالجَزع والخوف ؛ فلذلك لم يره أيضًا أهلا أنْ يُنْظَرَ إليه .

(١) هذا البيت موقعه في البطليوسي بعد تاليه .

(٢) كذا في اللسان (٩ : ٣٩٨) .

(٣) في الأصل : « صلبة » .

(٤) أ من التبريزي : « وهو العناد » .

الخــــوارزمى : الشقائق : جمع شقيقة ، وهى الفُرجة بين الجبلين من حبال الرّمل يُنبت العُشْب . قال :

ويومَ شقيقة الحَسَنين لاقَتْ   بنــو شيبانَ آجالًا قِصارا

الحسنان : نَقَوانِ[1] من رمال بنى سـعد . رجل ألوى : عَسِرٌ يلتوى على خَصْمه . الشّقاق فى : « ابق فى نعمة »[2] . هذا تطيُّر من اللفظ . يُنكر على الإبل حنينَها إلى هذه المنازل، بعد ما اعتذر عنها فى الحنين . والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .

(١) نقوان : مثنى نقا ، ويقال أيضا فى التثنية « نقيان » بالياء .

(٢) انظر البيت ٢٨ من القصيدة الرابعة ص ٢٣٦ .

[القصيدة الثالثة والثلاثون]

وقال يخاطب خاله عليّ بن محمد بن سَبِيكَةَ وكان سافر الى الغرب[1]

فى الأوّل من الوافر ، والقافية متواتر :

﴿ تُفَدِّيكَ النُّفُوسُ وَلَا تُفَادَى فَأَدْنِ الوَصْلَ[2] أو أَطِلِ البِعَادَا ﴾

التبريزى : تَفَادَى القومُ من الشىء : إذا أرادَ كلُّ واحدٍ منهم أن يكلِّفه غيرَه .

البطليوسى : ويروى : « تفادى » بضم التاء . فمن فتح التاء أراد تَتَفادَى ، فكره اجتماع التاءين ، فحذف إحداهما تخفيفا . ومعناه أنّها لا تمتنع من تفديتك ؛ من قولهم : تَفاديتُ من الأمر ، إذا تركته وكرهته . ومن قال « تُفَادَى » بضم التاء ، فهو من قولهم : فاديتُ الرجل مُفاداةً وفِداءً ، اذا فديتَه بنفسك ، وفَدَاكَ بنفسه . فيقول : أنت أجلّ فى نفوسنا من أن تَفْدِيَنا ونَفْدِيك كما يفعل الأكفاء ، بل أنت المُفَدَّى ونحن الفِـداءُ لك . وقوله « فأَدْنِ الوصلَ » ، كلامٌ خرج مخرج الأمر ، ومعناه الشرط والجزاء ، كأنه قال : إن أدنيت الوصل فديناك ، وإن أطلت البِعاد فديناك ، فنحن الفداء لك كيفما كنت ، قَرُبتَ أو بَعُدت . ومثله قوله عزّ وجل : ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ ﴾ . ونحوه قول كثيِّر :

أَسِيئِى بنـا أو أَحْسِنِى لا ملومةٌ لدينـا ولا مَقْلِيَّـةٌ إنْ تقلَّتِ[3]

(١) فى البطليوسى : « وقال أيضا من سقط الزند يخاطب خاله على بن محمد بن سبيكة وكان سافر إلى المغرب وأطال الغيبة » . وفى الخوارزمى : « وقال أيضا فى الوافر الأول والقافية من المتواتر ، يخاطب خاله على بن محمد بن سبيكة وكان سافر إلى الغرب » .

(٢) فى الخوارزمى والديوان المخطوط « فأدن الغرب » .

(٣) تقلى ، أى تبغض . وفى البيت التفات من الخطاب إلى الغيبة . انظر اللسان (٢٠ : ٦٠) .

الخوارزمى : تفادى من كذا ، إذا تحاماه وانزوى عنه ؛ وأصله من الفداء . وتَفادَوْا : فدى بعضُهم بعضا . يقول : اقْرُبْ منا أو ابْعُد ، فإنّا نحبّك فنفْدِيك ، ولا نتحامى من ذلك ، ونحبُّك فنفدّيك مع أن بعضَنا لا يفدِى بعضا .

٢ ﴿أَرَانَا يَا عَلِيُّ وَإِنْ أَقَمْنَا نُشَاطِرُكَ الصَّبَابَةَ وَالسُّهَادَا﴾

التبريزى : نشاطرُك الصَّبابة ، أى نأخذ شَطْرها ؛ والشَّطر : النصف . والصَّبابة : رِقّة الهوى . والسُّهاد : السَّهَر .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : جَمَع فى فعلٍ واحد وهو «أرانا» بين ضميرى الفاعل والمفعول، اللذين هما فى الحقيقة شيء واحد . وهذا من خصائص أفعال القلوب ؛ تقول: علمتُنى منطلقًا ، ووجدَتك فعلَت كذا . ولا يكون فى غيرها من الأفعال ؛ لا تقول أعطيتُنى ، ولا زيد ضربَهُ ، أى ضرب نفسه . يقول : الشوقُ والسّهر بيننا وبينك شقّ الأبلمة[1] . أى كما أنك تشتاق إلينا ساهرًا ، فنحن أيضا إليك نشتاق ساهرين .

٣ ﴿وَلَوْلَا أَنْ يُظَنَّ بِنَا غُلُوٌّ لَزِدْنَا فِى المَقَالِ مَنِ اسْتَزَادَا﴾

التبريزى : الغلُوّ : مجاوزة الحدّ فى كلّ شيء .

البطليوسى : الصَّبابة : شدّة الشوق . والسّهاد : السهر . والغلوّ : الإفراط وتجاوز المقدار . يقول : لولا كراهيةُ الغلوِّ فى القول ، لذكّرنا أنّا لفراقك فى وَلَه وخَبَل . وقد قال أبو تمّام نحو ما أشار اليه ، وهو :

وولِهتُ مذ زُمّتْ رِكابُكَ للنّوى فكأنّنى مُذْ غبتَ عنِّى غائبُ

الخوارزمى : يقول : لولا أن نُنسَب إلى مجاوزة الحدّ ، لزعمنا أنّ ما بنا من الشّوق والسهر أكثرُ ممّا بك .

(١) الأبلمة ، مثلثة الهمزة واللام : الخوصة .

٤(وَقِيلَ أَفَادَ بِالأَسْفَارِ مَالاً فَقُلْنَا هَلْ أَفَادَ بِهَا فُؤَادَا)

التبريزى : أفاد، فى هذا الموضع بمعنى استفاد، يقال استفاد الشىءَ وأفادَه بمعنًى واحد، وأفاد غيره يُفيد إفادةً، فاستفاد منه .

البطليوسى : يقال أفاد الرّجلُ مالاً أى استفادَه، وأفاده غيرَه . يقول: هل أفاد بطول سفره قلباً يفهم حقائقَ الأمور، ويُصْغِى إلى الوعظ والتذكير. والعرب تقول : فلانٌ لا قلب له، إذا كان لا يقبل قولَ مَن يُرْشِدُه، قال الله تعالى : ﴿ إنّ فى ذٰلك لذكرى لمن كانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ .

الخوارزمى : أفاد واستفاد : بمعنى . قوله « فؤادا » أى فؤادَ حبيبٍ . يعنى هل استفادَ حبيباً مثلنا ؟ وقيل معناه : كان فؤاده قد نَفَر شوقاً، فهل ضبطه بعد نُفوره .

٥(وَهَلْ هَانَتْ عَزَائِمُهُ وَلَانَتْ فَقَدْ كَانَتْ عَرَائِكُهَا شِدَادَا)

التبريزى : العرائك : جمع عَرِيكة . وهو ما يُعْرَك باليد ليُعلَمَ أصُلبٌ هو أمْ لينٌ . ويقال لأسنمة الإبل « عرائك » لأنها تُعْرَك بالأيدى ليُعلم أبها سِمَنٌ أم لا .

البطليوسى : العزيمة: التصميم على الأمر والنفوذ فيه . والعَريكة: الطبيعة . يقال : فلان لَيِّن العريكة، إذا كان سهلاً سَلِسًا، وفلان صعب العريكة، إذا كان متعسِّفا شَرِسًا . قال عُمارة بن عقيل :

ولنْ يُلبِثَ التَّخْشينُ نفسًا كريمةً عريكتُها أنْ يَستمرَّ مَريرُهَا

الخوارزمى : العرائك : جمع عريكة، وهى السنام، فعيلة بمعنى مفعولة، لأنها تُعْرَك باليد [ليُعلم][(1)] أسمينةٌ أم هزيلة .

(1) تكملة يقتضيها السياق .

٦﴿إذا سَارَتْكَ شُهْبُ اللَّيلِ قَالَتْ أَعَانَ اللهُ أَبْعَدَنَا مُرَادَا﴾

التبريزى : سَارَتك : فَاعلتْك[1]، من سُرى الليل . والمعنى أنَّ شُهب اللّيل تتعجّب من سُراك معها ، فتدعو لك بالمعونة أو لأنفسها . أى أعان الله أبعدنا غرضًا .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : فى أمثالهم : «أسرى من النُّجوم» . يقول : تحسب النجومُ أنّها تسرى سُراك ،فإذا بارتكَ فى ذاك ، علمتْ بُعْدَ مداك ، فأنصفتْك ، ودعتْ لك .

٧﴿وَإنْ جارَتْكَ هُوجُ الرِّيحِ كَانَتْ أَكَلَّ رَكَائِبًا وأَقَلَّ زَادَا﴾

التبريزى : المعنى : أنَّ الريح لها وقتٌ تَهُبّ فيه ، ووقتٌ تركد فيه ، وهذا المذكور ليس كذلك ، لأنه لا يُريح ركائبَه من السَّير ، كما أنّ الريح تركُد فى بعض الأوقات ؛ وهو يحتاج إلى زاد السَّفر ، والريح لا تفتقر إلى الزّاد . وهُوج : دائمة الهبوب .

البطليوسى : وزن سارتك فاعلتْك من السُّرى . يقول : إذا تكلّفتْ شُهب اللّيل — وهى نجومه — معارضتَك بسُراها وسُهادها ، رأتْ أنّ مُرادك أبعد مِنْ مرادها ، فعجبتْ من بُعد سَفَرك ، وسألت الله تعالى أن يُعينَك على بلوغ وطَرِك . وهذا نحوٌ من قول أبى الطيّب :

غَرَبَ النّجومُ فغُرْنَ دُونَ همومه وَطَلَعْنَ حينَ طَلَعن دُونَ مَنالِه

والهُوج من الرياح : الشديدة الهبوب ، كأنّ بها هَوجًا . وأراد بالرِّيح الرياح ، فوضع الاسمَ المفرد موضعَ الجمع ؛ كقوله تعالى : ﴿ إنّ الإنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ﴾ .

(١) يريد أن صيغة الكلمة من المفاعلة ، ولا يقصد الوزن التصريفى ؛ وإلا لكان ينبغى أن يقول " فاعتك " .

ويجوز أن يكون الرِّيح جمع ريحة ، وهى لغـةٌ فى الرِّيح ، وهو من الجمع الذى بينه وبين واحده هاء التأنيث ، نحو سِدْرة وسِـدْر ، وقد قالوا رِيح ، كما قالوا سِدْر ؛ قال الراجز :

* أجدل طاوٍ يوم طَلٍّ ورِيحْ *

وقرأ بعض القراء[1] : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ ﴾ . والركائب : الإبل ، واحدها ركوبة ، ويجوز أن تكون جمع رِكاب ، وهى الإبل ، لا واحد لها من لفظها ، وقد قيل : هى جمع رَكوبة ورَكوب .

الخـــوارزمى : كَلال ركائبها وقلّة زادها ، عبارةٌ عن انقطاع سـيرها ، وفناء جَرْيها .

٨ ﴿ إذَا جَلَّى لَيَالِى الشَّهْرِ سَيْرٌ[2] عَلَيْكَ أَخَذْتَ أَسْبَغَهَا حِدَادَا ﴾

التـــبريزى : قوله «جلّى» من جلوت العروس جِلاء . وليالى الشهر ، فى موضع نصب ، إلا أنه سكّن الياء للضرورة . والمعنى : أنك لا تهاب ظلام الليل ، فتختار سُراك فى الليلة المظلمة على سُراك فى ذات القمير ، فكأنها عيون تختار أشدّها سوَادا .

البطليـــوسى : ســيأتى .

الخـــوارزمى : ســيأتى .

٩ ﴿ تَخَيَّرُ سُودَها وَتَقُـولُ أَحْلَى عُيُونِ الْخَلْقِ أَكْثَرُهَا سَوَادَا ﴾

التـــبريزى : ...

البطليـــوسى : جلَّى : أبرزَ وأظهر . يقول : إذا عَرَض عليك السّيرُ ليـالى الشهر ، وخيَّرك فى أحبِّها إليك أن تسافر فيها ، تخيَّرت أشدّها ســوادًا ، لمحبتك

---

(١) هى قراءة حمزة وخلف . انظر إتحاف فضلاء البشر ٢٧٤ .

(٢) فى الخوارزمى والديوان المخطوط : « ستر » .

فى الأسفار، وحِذْقك بركوب القِفار . فالليل المظلم عندك كالنهار المضىء. والناس إنما يختارون السّير فى الليـالى المقمرة، كما قال الراجز :

يا حبّذا القَمْراءُ واللَّيْلُ الساجْ وطُـرُقٌ مثلُ مُلاءِ النسّـاجْ

والحِداد : الثياب السُّود تُلبَس عند فقد الحميم . وأسبغُها : أكملُها وأطولها .

الخـــوارزمى : جلّى، مبالغةً فى جِلاء العروس . الحِداد، فى الأصل مصدر، من حَدّت المـرأة بمعنى أحدّت ، وذلك أن تمتنع بعـد وفاة زوجها من الزِّينـة والخِضاب ، ثم يُطلق الحداد على ما تلبسه المرأة عند ذلك من الثِّياب، وهـذا هو المراد هاهنا . وأصل التركيب هو المنع . يقول : إذا عَرضَتْ لك السُّرى[1] ثم أمكنتْك فى أىّ ليلةٍ من ليالى الشهر شئتَ ، فإنك لا تَسْرِى إلا فى ليـلةٍ هى أكملُ سوادًا وأوفرُ ظلاما . وبين قوله «جلى» وبين قوله «أسبغها حدادا» نوعٌ من المطابقة . والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .

١٠ ﴿ تَضَيَّفُكَ الخَوامِعُ فِى المَوَامِى فَتَقْرِيهِنَّ مَثْنَى أَوْ فُـرَادَى ﴾

التـبريزى : الخوامع : الذئاب والضِّباع؛ قال مُتَمِّم بن نُوَيْرة :

يا لَهْفَ مِنْ عَرفاء ذاتِ فليلةٍ[2] جاءت إلىّ على ثلاثٍ تَخْمَـعُ

والموامى : جمع مَوْماة، وهى الأرض المقفرة .

البطليـــوسى : تَضَيَّفك : تصير لك أضـيافا . والخوامع : الضِّباع، سُمّيت بذلك لأنها عُرْج؛ ولذلك قالوا للضبع : العرجاء . والموامى : القِفار، واحدها موماة . وتقرِيهِن : تُضيفهن . والقِرَى : الضِّيافة . ومثنى : اثنان اثنان . وفُرادى : جمع فرد،

(١) السرى، مؤنث ويذكر . (٢) ضبع عرفاء : ذات عرف، أو كثيرة شعر العرف . والفليلة : الشعر المجتمع . انظر المفضليات (١ : ٥٠) طبع المعارف .

على غير قياس، وإنما هو اسمٌ للجمع . والشعراء يصفون أن الذئاب تُلِمُّ بهم فى الفَلَوات وأنّهم يُعطونها من أزْوادهم . والغرض من ذلك شيئان : أحدهما أنهم يسلكون القِفار الخالية التى لا تجد فيها السِّباع شيئا تأكُله . والثانى أنَّهم لطول اعتيادهم سلوكَ الفلواتِ قد أنِسَتْ بهم السِّباع فهى لا تبعدُ منهم .

الخوارزمى : الخوامع : جمع خامعة، وهى الضَّبع، سُمِّيت بذلك لأنها تخمع فى مِشيتها : أى تَظْلَع، ومن ثَمّة قيل لها «العرجاء» . الموامى فى «أعن وخد القلاص»(١) . وهذا كبيت السقط :

وأطلسَ مُخْلِقِ السِّربال يَبغِى نوافلَنا صلاحًا أو فسادَا(٢)

١١ ﴿ وَيَبْكِى رِقّةً لَكَ كُلُّ نَوْءٍ فَتَمْلأُ(٣) من مَدامعه المَزَادَا ﴾

التبريزى : أى يرِقّ لك السحاب الذى يطلع، فكأنه يسمح بالماء فتملأُ منه المزاد ؛ وهى جمع مزادة .

البطليوسى : أصل النوء سقوط منزلةٍ من منازل القمر الثمانى والعشرين فى الغرب مع الفجر، وطلوع منزلةٍ أُخرى تناظرها فى المشرق . والأكثر فى كلامهم أن النوء هو طلوع المنزلة لا سقوطها . ثم يسمى المطر نوءا لأنه عن النوء يكون فى زعمهم . قال رؤبة :

* وخَفَّ أنواء(٤) السحاب المرتزق *

---

(١) البيت الرابع والعشرون من القصيدة الأولى ص ٥٨ .

(٢) البيت الخامس والخمسون من القصيدة السابعة عشرة ص ٥٩٦ .

(٣) حـ من التبريزى و ا من البطليوسى : «فيملأُ» بالياء .

(٤) فى الديوان ص ١٠٥ : «أنواء الربيع» .

والمزاد : القِرَبُ، واحدتها مزادة .

الخوارزمى : معنى النوء سقوط نجم فى المغرب مع الفجر، وطلوعُ آخر فى مُقابله من ساعته فى المشرق، وإنما يكون ذلك فى منازل القمر . وهو فى الأصل مصدر ناء بالحِمل، إذا نهض به . وكانت العرب تقول : لا بدَّ لنوءِ كل كوكبٍ من مطرٍ أو ريحٍ أو بردٍ أو حرّ .

١٢(إِذَا صَاحَ ٱبْنُ دَأْيَةَ بِالتَّدَانِى جَعَلْنَا خِطْرَ لِمَّتِـهِ جِسَادَا)

التبريزى : ابن دَأْيَة : الغراب . والخِطْر : صِبْغ أسود يُخضب به الشعر. والمعنى أنّ الغراب إذا بشّرنا بقربك ضمّخناه بالجساد ، وهو الزعفران ؛ لأنا لا نرضَى له سواد اللون . وإنما قيل للغراب «ابن دأية» لأنه يقع على دأية البعير الدَّبِرِ فينقُرها .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

١٣(نُضَمِّخُ بِالعَبِيرِ لَهُ جَنَاحًا أَحَمَّ كَأَنَّهُ طُلِىَ المِدَادَا)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : ابن دأية : الغراب ؛ سمى بذلك لأنه يقع على دأية البعير الدَّبِر فينقُرها . والدأية من ظهر البعير : الموضع الذى يقع عليه ظَلِفة(١) الرَّحْل فتعقِره . التدانى : التقارب . والخِطْر : صِبْغ أسود يُصبغ به الشيب. والجساد : الزعفران؛ وكذلك العبير . والأحمّ : الأسود . واللِّمّة : الشعر الذى يُلِمّ بالمَنْكِب . ولا لِمّة للغراب ، وإنما هى استعارة . جعل الغراب كأنه مُختضب بالخِطْر لسواد لونه .

(١) الظلفة : واحدة الظلفات ، وهى الخشبات الأربع اللواتى يكن على جنبى البعير ، تصيب أطرافها السفلى الأرض إذا وضعت عليها .

فيقول : إنْ بَشَّرنا بقرب دارك خضبناه بالزعفران ، فأزلنا عنه سوادَه ، مكافأةً له على ما بشّرنا به من قدومك .

الخوارزمى : ابن دأية ، هو الغراب ؛ نُسب إلى دأية البعير وهى فقارته ، لوقوعه عليها إذا دَبِرت ؛ وقيل : لأنه دون الأمّ يَحضن فراخه ، فكأنه لها داية ، أى حاضنة . وابن دأية من أعلام الأجناس ، وامتناع الصرف فيه للتركيب الناشئ من التأنيث مع العلميّة . يقال : صاح الغراب بالبَيْن ، ولا يكاد يقال : صاح بالتدانِى إلا فى القليل . وفى شعر ابن المعتز :

نَعَب الغرابُ بزَوْرةِ الأَحباب فلذاك صِرتُ صديقَ كُلِّ غرابِ
نَعب الغراب بما أُحِبُّ فسرّنى لو كان ذلك فى زَمانِ شبابِى

وأنشد الجاحظ لابن قيس الرُّقَيّات[1] :

بشَّر الظبيُ والغُرابُ بسُعْدَى مَرْحبًا بالذى يقول الغرابُ

وعن جارِ الله : إنّ نَعيبه هو أن يقول : غيق غيق ، يُتَطَيَّر منه ، يقال نَعَب بشَرٍّ ؛ ونعيقه هو أن يقول : غاقِ غاقِ ، يُتفاءل به ، يقال نَعَق بخير . وفى رسالة لأبى العلاء : « كلما قال الغراب غاق ، قلت واردٌ من أهلِ العراق » . الخِطْر : شىء يُختضب به الشعر ، عن الغورى . يقول : إذا بَشَّرنا الغراب بالتدانِى لم نَرضَ بالسواد من الألوان ، بل بدّلناه بلون الزعفران . والبيت الثانى تقرير لهذا المعنى .

١٤﴿سَنَلْثِمُ مِنْ نَجَائِبِكَ الْهَوَادِى وَنَرْشُفُ غِمْدَ سَيْفِكَ وَالنِّجَادَا﴾

التبريزى : الأحم : الأسود . والمعنى أنا نجتهد فى تحسينه وتطييب رائحته . ونلثم ، أى نُقبِّل . ونجائب : جمع نَجيبة . والهوادى : الأعناق .

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤٤٥) .

وترشُف، من رَشَفتُ الشراب والرِّيق ، إذا استقصيتَ أخذَه . والنِّجاد : عِلاقة السيف . وكان فى كِنْدة ملكٌ يُعْـرَف بمُقَطِّعِ النُّجدُ ؛ لأنه كان يقطع نِجاد من يركب معه .

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : جعل غِمْـد سيفه مرشوفًا ، لاشتماله على ما يُشْـبِه المـاء ، وهو مليح .

١٥ (ونَسْتَشْفِى بِسُؤْرِ جَوَادِ خَيْلٍ قَدِمْتَ عَلَيْـهِ إنْ خِفْنَا الجُوَادَا)

التـــبريزى : نَستشفى : نســتفعل من الشفاء والسُّـؤر : ما بقى فى الإناء إذا شَرِب منه الشارب . والجُواد : العطَش .

البطليـــوسى : النجائب : الإبل العتيقـة . والهـوادى : المتقدِّمة فى السـير السريعة؛ والهوادى أيضا : الأعنـاق؛ سُميت بذلك لتقدُّمها على سائر الأعضاء والرَّشف : تَقبيلٌ معه مَصّ . والنِّجاد : حِمالة السيف . والسُّؤر، مهموز : بقية المـاء ونحوه فى الإناء . يقال: شَرِب فأسأر، إذا أبقى بقيّة . والجُواد : العطش . يقول : إذا منّ الله تعالى علينا بإيابك ، وأقرّ أعيننا باقترابك؛ عظّمنا كل ما أعانك على ركوب المسالك ، ونجّاك من النوائب والمهالك؛ فأكثرنا من لَثْم هَوادِى نجائبك ورواحِلك، ورَشْف غِمْدك وحَمائلك؛ واتّخذنا ما فضل من ماءِ جَوادك شِفاءً نَشتفى به من الغُلَل ، ودواء نتداوى به من العِلَل . وإنما ذكر العطش والتشفى منـه لأنّ العرب تقول : ظَمِئت إلى لقائك، وعَطِشت إلى قدومك، وشفيت عِلّتى برؤيتك.(١) ألَا ترى إلى قول الشاعر :

وإنّ بنـا لو تعلمين لغُلّةً إليـك كما بالحائماتِ غَلِيلُ

(١) فى حـ من البطليوسى : « وشفيت على رؤيتك » .

فزاد فى تعظيم الممدوح، بأن ذكر الاستشفاءَ بجواده دونه . وذكر المـاء تمّماً للصنعة، وجعل الرّشف، الذى هو أكثر من اللثم، للسيف دون الإبل، إذ كان أجلّ منها خطرا، وأحسنَ فى الدفاع أثرا . ولأنّ السيف يشبَّه بالغدير حين يُنعت ويوصف، بجعل غمده لذلك كأنه يحمل منه ماء يُمَصّ ويُرشَف . وذكر سُؤْر الفرس ولم يذكر سـؤر الإبل، لأنهم كانوا يتزودون المـاء فى المزاد لنفوسهم وخيلهم دون إبلهم، فى المشهور من أحوالهم، بل كانوا يعوّدون إبلَهم الأظماء كالثِّلْث والرِّبْع ونحو ذلك إلى العِشْر . وكانوا إذا قلّ عليهم المـاء فى أسفارهم، نحروا إبلهم واستخرجوا ما فى أجوافها من المـاء، فشربوه وسَـقَوْه خيلَهم، لكَرَمِها عندهم، وجَلالَتِها لديهم . وأمّا الهوادى فإنْ كان أراد بهـا المُتقدِّمات من الإبل فإنما خصّها لإسراعها فى السـير به، حتى أوصلته إلى وطنه وأهله . وإن كان أراد الأعناق فإنمـا خصّها من حيث كانت مَقاديمُ كل شىءٍ أشرفَ من مآخيره، ولأنّ الإبل إنما تتصرف بمقاديمها .

الخـــوارزمى : الجُواد، بالضم، هو العطش، تقول منه : جِيد يُجاد فهو مجود، وقيل : جيد ذلك، على طريق التفاؤل بأنه يجاد، أى يصاب بالجَوْد . يقول : من كَرامةِ فرسِك الذى به ستقدَم علينا، أنا نشرب سُؤْره تبرُّكًا به إذا أصابنا قلّة ماءٍ، كما نشرب للتّداوِى سؤر الزهّاد والعلماء . ويروى : « ونَستسقِى نُسور جَوادِ خيلٍ » وهو استفعال من السقى . يقال : حافرٌ صُلْب النُّسور، وهى أشباه النوى قد اقتشمها الحافر . كذا ذكر فى أساس البلاغة (١) . وفى مقصورة ابن دُرَيد :

* إلى نُسورٍ مثلِ ملقوطِ النَّوَى (٢) *

(١) اقتشمها : جمعها . وفى الأصـل : « اقتسمها » بالسين، تحريف . وفى الأساس واللسان : « قشمها » .
(٢) صدره كما فى المواهب الفتحية (٢ : ٥١) :

* ركبن فى حواشب مكتنزة *

فإن قلت : كيف عدل أبو العلاء عن المستقبل إلى الماضى فى قوله « قدمت » وهذا لأنّ القُدوم غير واقعٍ بعدُ، وكان الواجب أن يكون القدوم بلفظ المستقبل لا الماضى ؟ قلت : القدوم ها هنا بالإضافة إلى زمانِ الإخبار عن الاستشفاء ، وإن كان مستقبلا ؛ فهو بالإضافة إلى زمانِ وقوع الاستشفاء ماضٍ، كأنه يقول : أُخبِرُ الآنَ أنه يقع آستشفاؤنا بنُسورِ فرسٍ كنتَ قد قَدِمتَ به علينا . وعلى عكس هذا بيت السقط :

كأنّ بفِيه كاهناً أو مُنَجِّماً يُحدِّثنا عمّا لقِينا من الفَجِع[1]

و «الجُواد» مع «الجَواد» تجنيس .

١٦ (كأنَّكَ مِنهُ فَوقَ سَماءِ عِزٍّ وقَدْ جُعِلَتْ قَوائمُهُ عِمادَا)

التبريزى : سماء الفرس : أعلاه . وأسافله : أرضه

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى « منه » للجَواد .

١٧ (إذَا هَادَى أخٌ مِنَّا أخَاهُ تُرابَكَ فَهوَ أَلْطَفُ مايُهَادَى)

التبريزى : هادى : فَاعَلَ من المهاداة؛ يقال: تهادى الرجلانِ، إذا أهدى كل واحد منهما إلى الآخر شيئا . والمعنى أنّ أحدنا إذا أهدى شيئا من تُرابك فهو ألطفُ ما يُهديه .

البطليوسى : ذهب أبو العلاء فى هذا مذهبَ المُحِبِّين مع أحبابهم، يتبرّكون بتراب أقدامهم، وربما لثَموه بأفواههم . وأصل ذلك أنّ السامرىّ قَبَض قَبضةً من

---

(١) هو البيت الثالث من القصيدة ٦٢ .

التراب الذى وَطِئ عليه فرسُ جبريل عليه السلام، وقذفه فى العِجْل المَصُوغ من من الحلىّ فصار حيوانا، فضربتْه الشعراءُ مثلًا[١]، كقول القائل :

أُو مَسُّ خَدّى تُرْبَ نَعْلَيْه أبتغى . بذاك شفاءً من غَرامِى ومن وَجْدِى[٢]

وقد تجاوز أبو الطيّب الأستشفاء بالترب نفسه إلى الأستشفاء بما مَسّ الترابَ فقال :

فدُسْنا[٣] بأخفاف المَطِىّ تُرابَها فلا زلتُ أستشفِى بلَثْم المَناسِمِ

وهذا المعنى كثير . وقد يُستعمل فى غير الغزل . قال الثعالبىّ :

نَقشتْ حَوافرُ طِرْفِهِ فى عَرْصتِى[٤] نَقشًا محوتُ رُسومَهُ تَقبيلَا

الخوارزمى : ترابك، أى تراب قدمك .

١٨ ﴿كَأَنَّ بَنِى سَبِيكَةَ فَوْقَ طَيْرٍ يَجُوبُونَ الغَوَائِرَ والنِّجَادَا﴾

التبريزى : الغوائر : جمع مكانٍ غائر، وهو الذى يَغيب فى الأرض؛ يقال غَوْر وغائر[٥] . والنِّجاد : جمع نَجْد، وهو ما علا من الأرض وغَلُظ .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سبيكة، هو جدّ خاله .

---

(١) حـ : « العرب » .

(٢) حـ من البطليوسى : « من غرام ومن وجد » .

(٣) فى الديوان (٢ : ٣٥٠) : « ودسنا » .

(٤) أ : « فى حفرتى » .

(٥) أ : « غور غائر » .

١٩ ﴿أَبِالإِسْكَنْدَرِ المَلِكِ اقْتَدَيْتُمْ فَمَا تَضَعُونَ فِي بَلَدٍ وِسَادَا﴾

التبريزى : يقال إسكندر وأسكندر، بكسر الهمزة وفتحها، هكذا ذكره لى أبو العلاء وقت قراءتى عليه شعر أبى الطيب(١)، وقال : «هى كلمة أعجمية ليس لها فى كلام العرب مثال» . والإسكندر ذو القرنين ملك شرق الأرض وغربها وسائر ممالكها .

البطليوسى : يجوبون : يقطعون . والغوائر: المواضع المنخفضة . والنِّجاد: المرتفعة، وشبّههم فى كثرة أسفارهم، وقلة تعريسهم واستقرارهم، بالإسكندر الذى مشى ما بين مَطالع الشمس ومَغربها . وقد قال فى نحو هذا أبو الطيّب :

* كأنى بنَى الإسكندرُ السدَّ من عَزمى(٢) *

الخوارزمى : الإسكندر، هو ذو القرنين .

٢٠ ﴿لَعَلَّكَ يا جَلِيدَ القَلْبِ ثانٍ لِأَوَّلِ ماسِحٍ مَسَحَ البِلادَا﴾

التبريزى : المعنى أنك جليد القلب، فقد وُكِّلت بمساحة الأرض، فكأنك ثانٍ للذى مَسحها، وهو الإسكندر .

البطليوسى : سيأتى

الخوارزمى : هو، فيما يقال، عيسى صلوات الله عليه . وفى التنوير(٣) : الإسكندر .

---

(١) لعله قول أبى الطيب :

من مبلغ الأعراب أنى بعدها شاهدت رسطاليس والإسكندرا

ولأبى الطيب أيضا كما سيأتى فى شرح البطليوسى :

* كأنى بنى الإسكندر السد من عزمى *

(٢) عجز بيت له فى ديوانه (٢ : ٣١١) . وصدره :

* كأنى دحوت الأرض من خبرتى بها *

(٣) هذا يدل على قدم شرح التنوير، وأن الخوارزمى اقتبس منه .

٢١ (بِعِيسٍ مِثْلِ أَطْرافِ المَدَارِى · يَخُضْنَ مِنَ الدُّجَى لِمَمًا جِعَادَا)

التــــبريزى : المعنى أنهنّ يسلُكن فى المواضع الضيقة كما تسلك مدارى النساء فى شعورهنّ ، فكأنهنّ مدارى والليل لِمَمٌ سُود .

البطليـــوسى : المــاسح : الذارع ، يقال : مَسح الأرض ، إذا ذَرَعها ليعلم مقدارها . والعِيس : الإبل البِيض التى تُخالِط بياضَها حُمْـرة . والمدارى : الأمشاط ، بفتح الراء وكسرها ، واحدها مِدْرًى . و يقال : دَرَيتُ الشعر بالمُشط ، إذا سرّحته . والدُّجى : جمعُ دُجْيةٍ ، وهى الظلمة . واللِّمَم : الشعور التى تُلِمّ بالمناكب . شَبّه الإبل ، لضُمْرها ومَشيها فى ظُلَم الليل ، بأمشاط تُمَشّط بها لِمَمٌ جِعاد . وخَصّ الجعاد لأنها تحتاج من التّسريح أكثرَ مما تحتاجه السِّباط[١] .

الخــــوارزمى : المــدارى فى « أعن وخد القِلاص »[٢] . شبه الإبل فى الدقّة والضمر بأطراف هذه الحدائد . و إنمـا لم يقل « فَلَيْنَ » مقام « يَخُضن » مع أن الفَلْىَ أشدُّ مناسبةً للدارى واللِّمم من الخوض ، ألَا ترى إلى بيت السقط :

وشُعْثٌ مَدارِيها الأسنّة والقَنا · وليس لهـا إلّا الكُماةَ فـوالِى[٣]

لمعان : أحدها أنّ « يَخُضن » دالٌّ على أنّ من عادتها السُّرَى ، ولا كذلك « فَلَين » . الثانى أنّ الخوض أدل على توغّلها فى بُطون الدُّجى من الفَلْى . الثالث أن الخوض يدلّ على سُهولة انغماسهـا فى الدُّجى و إن تكاثفت ، بخـلاف الفَلْى . ونظـيره قول الأزهرىّ : «الحُلَكا[٤] : دويْبّـة كأنها سمكة ، تكون فى الرمل ، إذا رآها الإنسان غاصت فيه وتغيّبت» .

(١) المعروف أنه يقال : احتاج إليه ، لا احتاجه ، كما ورد فى عبارة الشارح هنا .
(٢) البيت ٢٣ من القصيدة الأولى ص ٥٧ .
(٣) البيت من القصيدة ٥٨ .
(٤) فى الأصل : « الكحلى » تحريف .

٢٢(عَلامَ هَجرتَ شَرْقَ الأَرْضِ حَتَّى أَتَيْتَ الغَـرْبَ تَخْتَبِرُ العِبَـادَا)

التبريزى : سـيأتى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : «تختبر العبادا» فى محل النصب على الحال من الضمير فى «أتيت» .

٢٣(فَكَانَتْ مِصْرُ ذَاتُ النِّيلِ عَصْرًا تُنَافِسُ فِيكَ دِجْلَةَ والسَّوَادَا)

التبريزى : علامَ ، أى على ما ، وعلى أى شىء هجرت شرق الأرض وأتيت الغرب ، كأنك تختبر بذلك أهلَ الأرض ، وكنتَ فى الدهر القديم تُسافر إلى مصر فتُنافس فيك دجلةَ وبلادها ، أى العراق .

البطليوسى : إنما قال هـذا لأنّ هذا المذكور كان مُسافرا إلى الغـرب . فيقول : كأنك أردتَ معرفة العباد ، ومساحةَ البـلاد ؛ فأنت مُتّصِل الأسفار ، قليل الاستقرار . والعَصر : الدهر . والمُنافسة : المُحاسدة . ودجلةَ : نهر بغداد . ويعنى بالسواد سوادَ العراق . وسوادُ كُل بلدٍ : ما حوله من القُرَى والثمار(١) . وسمّى سوادًا لخُضرة النبات . وسواد الناس : عامّتهم .

الخوارزمى : النيل : فيض مصر . السواد، سُمى سوادا لكثرة خُضرته . ويقال لكل أخضر أسود . وهما سوادان : سواد البصرة، وسواد الكوفة . يقول: كانت مصر مُدّةً عليك تحسد العراق، لأنك إليها كنتَ تسافر .

٢٤ (وَإنَّ مِنَ الصَّراةِ إلى مَجَرٍّ الْـ ـفُراتِ إلى قُوَيْقٍ مُسْتَرَادَا)

التبريزى : صَراة : نهـر ببغـداد . وقُوَيق : نهـر على باب حلب . وصراة ، من قولهم : صَرَى الماءَ ، إذا جمعـه . والمُسـتراد : مُستفعل من راد

(١) كذا . وبدلها فى المعاجم : « والرساتيق » .

يَرُود، إذا جاء وذَهب؛ ومنه رائد الكلأ، لأنه يسير فى الأرض ليختبر الأماكنَ المُخصبة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الصَّراة : نهر يرجع بالماء من الفرات إلى دِجلة . وهى أخت نهر عيسى . وفى عراقيّات الأبيوَرْدِىّ(١) :

ولو عَلِمتْ بغدادُ أنّ ركائبى على ظَمإٍ لاْستَشْرفتْ لى صَراتُها

وهو من صَرَى الماء، إذا جمعه . الفُرات : نهر الكوفة، منقول من الماء الفُرَات . عنى بمجز الفرات طولَه وامتداده . قُويق، فى « أبْقَ فى نِعْمة »(٢) . عنى بالاستِرادة المجىء والذهاب، ولم أسمعه إلا هاهنا(٣) . يقول : التردّد فى هذه النواحى كان يُغنيك عن المُسافرة إلى ديار المغروب .

٢٥ (مِيَاهٌ لَوْ طَرَحْتَ بِهَا لُجَيْنًا وَمُشْبِهَهَا لَمُيِّزَتِ انْتِقَادَا)

التبريزى : اللُّجين مؤنث؛ لأنه آسم للفضة . يصف المياه بالصَّفاء، وأنها تؤدّى ما تحتها لصفائها .

البطليوسى : الصَّراة : مجتمع دجلة والفرات . ودجلة : نهر بَغداد . والفُرات : نهر العراق . وقُويق : نهر حلب . والمُستراد، يكون مصدراً بمعنى الاستِرادة، وهى التصرف، ويكون المكانَ الذى يُستراد فيه، أى يُتصرَّف فيه . واللُّجين : الفضة .

---

(١) لعله يريد أن مأخذهما واحد . والذى فى معجم البلدان (عند الكلام على نهر الصراة) أن الصراة يأخذ من نهر عيسى . وجاء فى «نهر عيسى» أنه يأخذ من الفرات . وعيسى الذى ينسب إليه النهر هو عيسى ابن على بن عبد الله بن العباس» . وفى الأصل : «عيسى عليه السلام» تحريف .

(٢) انظر البيت ٢٦ من القصيدة الرابعة ص ٢٣٥ .

(٣) كذا زعم الخوارزمى . واللفظ بهذا المعنى مذكور فى معاجم اللغة؛ انظر القاموس (رود) .

والانتقاد : تَخليص الجيد من الردىء من كل شىء . وأصلُه فى الذهب والدراهم، ثم يُستعار فى غيرهما . يقول : من شدّة صفاء هـذه المياه وخُلوصها من الشوائب، لو مُزِج بها ذَوب اللُّجين وما يُشبهها من الجواهر، لأخرجها النُّقّاد عنها وزَيَّفوها، كما تُميَّزُ الدراهمُ الزُّيوف من الخالصة ، ولم يَرَوْها أهلاً لأن تَختلطَ بها . وكأنه أراد أن يُخالف الصَّنوبرىّ[1] فى قوله :

كأنّ الزُّجاجَ بهـا قـد أُذِيب وماءُ اللُّجينِ بهـا قـد سُـبِكْ

لأن الصنوبرىّ جعل المـاء لصفائه كأنه قـد مُزِج به ماءُ اللُّجين، والمَعـرىّ لم يرَ اللُّجين أهلاً لأن يُمزَج بهذه المياه . و إنمـا أراد بهـذا أن يُرغِّبه فى هذه البلاد .

الخـوارزمى : الباء فى « بها » مثل الباء فى قول النابغة :

* أعيتْ جوابًا وما بالرَّبْـع مِن أحدِ[2] *

الضمير فى « مُشبهها » يَنصرف إلى « لُجينا » لأن اللجين و إن كان مذكّرا فقد أنّثه أبو العلاء على تأويل الفضّة . ونحوه قولُ عمرَ بنِ أبى ربيعة :

* ثلاثُ شُخـوصٍ كاعبـانِ ومُعْصِرُ[3] *

أنّثَ الشخوص على إرادة النساء . وقول رُوَيشـد بن كَثير الطائىّ :

* سائِل بنى أَسَـدٍ ما هـذه الصَّوتُ[4] *

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن محمد الحلبى الصنوبرى، ترجم له فى فوات الوفيات (١ : ٦١) وأورد طائفة من رقيق شعره . توفى سنة ٣٣٤ .

(٢) صدره : * وقفت فيهـا أصيلانا أسائلها *

(٣) صدره : * فكان مجـنّى دون من كنت أتقى *

(٤) صدره كما فى الحماسة ص ٧٨ بن :

* يأيها الراكب المـزجى مطيتـه *

أنّث الصوت على معنى الصَّيحة . وإنما أنّث أبو العلاء اللُّجين على قَصد الفِضّة، مع أن تذكير الضمير فيـه لا يَكسِر البيتَ ، ليوافق فيه الضميرَ فى « لمُـيِّزت » من حيث التأنيث، إذ هذه الرواية أصحّ الروايتين . ومن القبيح أن يختلف صورتا الضميرين الراجعين إلى شىء واحد . يقول : هذه مياه صافية لو طرحتَ فيها لُجينا وما يُشبهه من القَلَعىّ[1] ونحوه لأمكن التميزُ بينهما وهما فيها، لشدة صفائها . وسألتُ عن معنى هذا البيت بعضَهم، فقال : الباء فى «بها» مثلُ الباء فى رأيتُ بك أسدا . يريد أنها للتجريد . والضميرُ فى «مُشبهها» راجعٌ إلى مياه . يقول: هذه مياه تُشبه فى صفائها اللُّجين، بحيثُ لو طَرحتها جانباً وهى كأنهـا لُجين، وطرحتَ مُشبهها وهو اللجين ، لاحتجتَ فى التميز بينها وبينـه إلى إجالة نظـر وإطالة فكر، كما يفعـله الناقد ، ولم يَحصل لك ببادئ النظر وبديهة الرأى التميُّزُ .

٢٦ (وإنْ تَجِـدِ[2] الدِّيَارَ كَمَا أَرَادَ الْـ غَرِيبُ فَمَـا الصَّدِيقُ كَمَا أَرَادَا)

التبريزى : يقـول : إن وجدتَ الديار مُوافقـةً لك فرضيتَ بها ، فلسنا نَرضَى بتأخُّرك عنـا[3] .

البطليوسى : فى هـذا البيت تقديمٌ وتأخير، وتقديره : فإن يجـد الغريبُ الديار كما أراد . فالغريبُ مرتفع بـ«يجد» لا بـ«أراد» . والصديق ، يقع للواحد والجمع والمذكّر والمؤنث؛ قال جرير :

نَصَبن الهَوى ثم ٱرتمين قلوبَنا بأعيُنِ أعداءٍ وهُنّ صـديقُ

---

(١) القلعى : الحديد أو الرصاص : المنسوب إلى قلعة ، بالفتح أو بكسر ففتح ، وهى معدن بالشام أو الهند .

(٢) فى البطليوسى : « فإن يجـد » وعلى هـذا الوجه شرح . وفى حـ من التبريزى والتنوير : « فإن تجد » .

(٣) فى حـ : « فلسنا نرضى منك تأخرك عنا » .

الخــوارزمى : يقــول : إن وجدتَ ديار المغرب كما أرادها الغريبُ، فليس الصديقُ هناك كما أراده الغريب . ويَشهد لصحة هذا الوجه قولُه :

وقيــل أفاد بالأســفار مالًا ⁂ فقُلنا هــل أفاد بهــا فُــؤادا (١)

وفى البيت على هــذا الوجه تصريحٌ بأنّ المغاربة يُبغضون الغرباء . وعن التبريزى : يريد إن وجدتَ ديار الغرب وَفْق هواك فرضيتها، فلسنا نَرضى بتأخُّرك عنا .

٢٧ (إذا الشِّعْرَى اليمَانِيَةُ اسْتَنَارَتْ ⁂ فَجَــدِّدْ لِلشَّآمِيَــةِ الــوِدَادَا)

التــبريزى : أى لا يُعجبنّك ضوءُ الشِّعرى العبور، فمن الواجب أن تُفضِّل الشآميــة . وكأنّ معناه : اِكتفِ بمــا أقمتَ فى الغرب وما والَى بلادَ اليمن، وعُدْ إلى الشام . والبيتُ الذى بعده يوضِّحه .

البطليــوسى : الشِّعْرَى اليمانية، هى الشِّعرى العَبور، وتُسمَّى الكَلْب . والشِّعرى الشآمية، هى الشِّعرى الغُمَيْصاء . والعَــرب تُسمِّى الكواكب الجنوبيّة يمانيــةً، والكواكب الشمالية شآميةً . وإنمــا قال هذا لأنه قد ذَكر فى هذا الشعر أنّ خاله قد نَهض من الشرق إلى الغرب، وأنه جاب البَرَّ والبحر، فقال له : إذا سرتَ نحو الشِّعْرَى الجنوبيّة فاستنارت لك من مَطلعها (٢)، فسِرْ أيضا نحو الشِّعرى الشماليــة، لتكونَ قــد مَشيت الجنوب والشمال، والشرق والغرب، والبرّ والبحر، ولم تُبْقِ من الأرض موضعا .

الخــوارزمى : الشِّعرى اليمانية هى العَبور، والشِّعرى الشآمية هى الغُميصاء . قال ابنُ الصُّــوفى : لأنّ مَغيب العَبــور فى شِــقّ اليمن، ومَغيب الغُميصاء فى شِقّ الشام . وهذا البيت يشهد له الوجهُ الأوّل فى البيت المتقدّم .

(١) هو البيت الرابع من هذه القصيدة .
(٢) كذا فى أ مع بياض بين «لك» و «من مطلعها» . وفى حـ والتيمورية : «لقبول مطلعها» .

٢٨(فَلِلشَّامِ الوَفَاءُ وإنْ سِوَاهُ تَوَافَى مَنْطِقًا غَدَرَ اعتِقَادَا)

التبريزى : أى إن طاب لك غيرُ الشام فإنما يَطيب لك ظاهرُه ، فأمّا فى الباطن فإنّك فيه غريب ، ولا تكون فيه كما تكون فى بلادك وعشيرتك .

البطليوسى : نَسَب الوفاء إلى الشام ، والمُراد به أهلُه . وكذلك نَسَب الغدرَ إلى غير الشام ، والمُراد أيضا أصحابه . يَحُضّه على الرُّجوع إلى الشام ، ويُرغّبه فيه . ومعنى « توافى » أظهر الوفاء وليس من خُلقه ، كما يقال : تَحَامق ، إذا أظهر الحمق ، وليس كذلك .

الخوارزمى : توافى : أرى نفسه أنه وافٍ وليس به .

٢٩(ظَعَنْتَ لِتَسْتَفِيدَ أَخًا وَفِيًّا وضَيَّعْتَ القَدِيمَ المُسْتَفَادَا)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : إنما قال « أخا وفيا » ولم يقُل « حديثا » مع مطابقته القديم ، لأنّ الأخ لا يُطلب لأنه حديث ، بل لأنه وَفِىٌّ حديثًا أو قديما . ومعنى البيت مُستفاد من قولهم : « كطالب القَرن جُدِعت أُذناه »(١) . قال الثعالبى رحمه الله : تزعم العرب فى أحاديثها أنّ حمارًا وثورا كانا على مِعْلَف ، وكان الثور يَنطح الحمار على العلَف ، فظهر فيه شِدّة الهُزال ، وسوءُ الحال ، فشكا ذلك إلى بعض إخوانه من الحمير ، فقال : إنك لو أكلتَ كثيرًا حتى سمِنْتَ نَبَتَ لك قَرْنان ، فقدَرْت على مُناطحة الثيران .

(١) انظر لتحقيق هذا المثل الحيوان (٤ : ٥٣١ — ٥٣٢) فإن أصل المثل فى النعامة لا الحمار ، وذلك تعليل من العرب لصمع أذن النعامة ، كما عللوا فقد ذنب الضفدع باستعارة الضب له ، انظر الحيوان (٥ : ٥٢٨) .

فترصَّد الحمارُ غفلةً بعض أصحابِ الزرع ، فأقبل يأكل الزرع ، فأُخِذَ وجُدعتْ أُذناه .

قال أبو العيناء — وبعضُهم يَرويه لبشّار بن بُرْد :

لَقبيحٌ فى النـاس مِنْ غـير جُرْمٍ بعـدَ وَصْــلٍ قطيعةُ الأخَوَيْنِ
لا تكنْ كالحِمـارِ إذ طلبَ القَـرْ نَ لَنفْعٍ فضيَّع الأُذُنَيْنِ

وقال آخر :

ذهبَ الحمـارُ ليستفيدَ لنفســه قَــرْنًا فـآبَ ومالَه أُذُنانِ

وقال الآخر :

أتيتُك أرجـو رَدَّ قلبى ورَجْعَـه فأحرزتِ ذِهْنِى فانصرفتُ بلا ذِهْنِ
فكنتُ كذاتِ الأُذْنِ جاءتْ مُرِيدةً لِقَرْنٍ فــلم ترجعْ بأُذْنٍ ولا قَرْنِ

٣٠ (وسِرْتَ لِتَذْعَرَ الحِيتَانَ لَمَّا ذَعَرْتَ الوَحْشَ والأُسْدَ الوِرَادَا)

التبــريزى : الحِيتـان : جمع حُوت ، أى رَكِبتَ البحر فذَعرت الحيتان فى السفينة ، كما ذعرتَ فى البرِّ الوحشَ لَمَّا ركِبتَ المطايا . والوِراد : جمع وَرْدٍ ، من الأسد ، وهو الذى يَضرب إلى الحُمرة . ويقال : أَسَدٌ وَرْدٌ وعنبرٌ وَرْدٌ ، أى أحمر . وكلُّ هـذه الألفاظ تُجمع على وِراد . والوَرْد المشموم فى الربيع ، يقال إنه ليس بعربىّ فى الأصل ، إلّا أنّ العرب تسمِّى الزهرَ وَرْدا .

البطليــوسى : الظَّعَنُ والظَّعْنُ ، بفتح العيـن وتسكينها : مصدر ظَعَنَ ، إذا رحَل . ويجوز أن يكون الظَّعْن بالإسكان المصــدر ، والظَّعَنُ بالتحريك الاسم . كما قالوا : هَدَمَ هَدْمًا بالسكون ، والهَدَمُ ، بتحريك الدال : ما انهدم . والوِراد : جمع وَرْد ، وهو الأحمر ، لاختضابه بدَم الفرائس .

الخـــوارزمى : فيه تصريح بأنه قد ركِب البحر بعد ما ركب البرَّ . الوِراد : جمع وَرْد . يقال : أسد وَرْد ، وفرس وَرْد ، وهو ما بين الكُمَيْت والأَشْقَر .

٣١ ﴿ وَلَيْلٍ خَافَ قَوْلَ النَّاسِ لَمَّا … تَوَلَّى سَـارَ مُنْهَـزِمًا فَعَـادَا ﴾

التـبريزى : أى وربَّ ليـلٍ . والمعنى ربَّ ليلٍ كأنه لمـّا انهزم خاف أن يعيَّر[١] لانهزامه ، فعاد بعد ما ذَهب . وهذا معنًى مفقود ؛ لأنهم قد وصفوا الليل بأنه يطول فيكون كالعائد ، إلا أنهم لم يذكروا الهزيمة . وهذا البيت يُرْوَى للحُسين بن علىّ بن أبى طالب :

كأنّ الليـلَ موصـولٌ بليـلٍ … إذا زارت سُكَيْنةُ والرَّبابُ

سكينة : ابنته ، والرَّباب : أُمُّها . وكانت الرَّباب إذا زارتْ أهلَها أخذتْ سُكَينة معها ، فيطولُ الليل على الحسينِ بن علىٍّ بن أبى طالب .

البطليـوسى : أراد أنّ الليل لطوله وثباته فى الأُفق كأنه يخاف أن يقال إنه قد فرّ خوفًا من الصباح ، فهو يتردّد ولا يبرح . والعرب تُشبِّه[٢] الصباح بالهازم ، والليل بالمهزوم . قال الشّماخ :

ولاقتْ بأرجاء البَسيطةِ ساطعًـا … من الصُّبْحِ لمـّا صاح بالليل بَقَّرا[٣]

وقال الفرزدق :

والشيبُ يَنْهَضُ فى السّـوادِ كأنّه … ليـلٌ يَصيح بجـانِبَيْهِ نهـارُ

وممن أحسن فى ذلك غايةَ الإحسان ، محمد بن هانئ فى قوله :

خَليـلَىَّ هُبَّا فانصراها عـلى الدُّجَى … كتائبَ حتى يَهْـزِمَ الليـلَ هازمُ

وحتى تُرَى الجوزاءُ تنـثُر عِقْدَها … وتَسقُطَ من كفِّ الـثُّرَيَّا الخواتمُ

(١) أ من التبريزى : « أى تغير » . حـ : « أى يغير » . والوجه ما أثبتنا من ى .

(٢) أ : « تسمى » .

(٣) بقـر : أسرع مطأطئا رأسه . وفى الأصل : « تقرا » . وفى الديوان ٣٢ : « لما حام بالليل بقرا » .

الخــوارزمى : «سار منهزما» هو مقول النــاس . الليــل يشبَّه بالجيش ، فلذلك يوصف بالانهزام . ألا ترى إلى قوله :

كأنّ ضياء الصبح خاقانُ مَعْشَرٍ من التُّرْكِ نادَى بالنَّجاشِيِّ فاسْتَخْفَى

قوله «فعـادا» معطوف على «خاف» . يصف طولَ الليــل . ونحوُه ما يُرْوَى للحسين بن علىٍّ عليهما السلام :

كأنّ الليــلَ موصــولٌ بليــلٍ إذا زارتْ سُــكَيْنةُ والربابُ

سُكَيْنة : بنت الحسين ، والرباب أمُّهـا . فكانت الرباب إذا زارتْ أهلَها أخذت معها سُكينة ، وكان الحسين يتوحّش من ذلك ، فكأنه يتطاولُ عليه الليل .

٣٢(دَجَا فَتَلَهَّبَ الْمِــرِّيخُ فِيــهِ وأَلْبَسَ جَمْرَةَ الشَّمْسِ الرَّمَادَا)

التبــريزى : فى «دَجا» ضمير يعود إلى «الليل» . والمِرّيخ : نجمٌ نارىٌّ ، فلذلك وُصِف بالتلهُّب . وهــذا الليل مع أنه قد تلهَّب فيه المِرّيخ ، فكأنه قد أفرغ على جَمرة الشمس رمادًا ، تخفى نورُها به .

البطليــوسى : دجا : اشتدّ ظلامه . يقول : أفرطتْ ظُلْمتــه ، فأطفأت جمرة الشمس ، فصارت كنارٍ غطّاها الرماد ؛ وأشعل جمرة المِرّيخ ، فاشتدّ تلهُّبه وقوِى ضياؤه ، فكان إظلامه ضارًّا للشمس نافعًا للمِرّيخ ؛ لأنّ الكواكب يقوَى نورها عند شدّة الظلام ، ويضعُف عند غلبة النور على الظلام ؛ ولذلك قيل للبدر باهر ، لأنّ ضوءه يَبْهَرُ ضوء النجوم ، أى يغلبها ؛ كما قال ذو الرُّمّة :

* كما يبهرُ البــدرُ النجومَ السَّوارِيا * (١)

(١) صدره كما فى الديوان ٦٥٥ :

* لدى ملك يعلو الرجال بضوئه *

الخوارزمى : يقول : كيف يَنهزم من الشمس ليلٌ قد أخفى الشمس وأخمد نارها ! وما اشتمل عليه المصراع الثانى من الجزالة والغرابة لا يَكْتُنفه الوصف .

٣٣ (كَأَنَّكَ مِنْ كَوَاكِبِهِ سُهَيْلٌ ... إِذَا طَلَعَ اعْتِزَالًا وَانْفِرَادَا)

التبريزى : سُهَيل الكواكب، يوصف بأنه مُعْتزِلٌ عن النجوم . أى إنك تُسافر وحدَك، لجُرأتك على السفر .

البطليوسى : شبَّهه بسُهَيْل ، لأنه منفردٌ عن الكواكب ، قريبُ المجرى من الأُفق ، ولذلك يُرى كأنه يضطرب ؛ لأن الكواكب تكثُر حركتها إذا كانت فى الأُفق ، فكلّما ارتفعت قلّتْ حركتها . وقد تَعرض لها حركةٌ أيضا وهى مرتفعة إذا كان فى الهواء تموّج . ومن أجل انفراد سُهيل واعتزاله عن الكواكب قال الراجز[1] ، أنشده ابن قُتيبة :

إذا سُهَيْلٌ لاحَ كالوَقُودِ ... فَرْدًا كشاة البَقَرِ المَطْرودِ

وقال جِرانُ العَوْد :

أُراقِبُ لَوْحًا من سُهَيْلٍ كأنّه ... إذا ما بَدَا من آخر اللّيلِ يَطْرِفُ

يُعارِض عن مَجرى النُّجوم ويَنْتَحِى ... كما عارَضَ الشَّوْلَ البعيرُ المُؤَنَّفُ[2]

الخوارزمى : سهيل، فى « علائى »[3] .

٣٤ (جَعَلْتَ النَّاجِيَاتِ عَلَيْهِ عَوْنًا ... فَلَمْ تَطْعَمْ وَلَا طَعِمَتْ رُقَادَا)

التبريزى : النّاجيات : الإبلُ السِّراع . والنجا، فى معنى السرعة ، يمدّ ويقصر . قال الشاعر :

(١) هو ذو الرمة من أرجوزة له فى مشارف الأقاويز ص ١٥٤ .
(٢) المؤنف : البعير الذى يتبع به أنف المرعى ، أى أوله .
(٣) انظر البيت الثانى عشر من القصيدة الرابعة عشرة ص ٤٣٢ .

إذا أخذتَ النَّهبَ فالنَّجا النَّجا إنِّى أخافُ طالبًا سَفَنَّجا[1]

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى «عليه» لليل . التاء فى «لم تطعم» خطابٌ للممدوح . يقول : جعلتَ السِّراع من الإبل مُعاوِنةً لك على اللَّيل لِتَهزِمَه بالسُّرَى ، فبقيتما ساهرين ، لم تَذُق أنت شيئا من النَّوم ولا تلك الإبل .

٣٥ (تَوَهَّمُ أنَّ ضَوْءَ الفَجْرِ دَانٍ ولَمْ تَقْدَحْ بِظِنَّتِهَا زِنَادَا)

التبريزى : فى « تَوَهَّمُ » ضمير عائد إلى العيس . وقوله « ولم تقدح بظِنَّتها زنادا » أى لم تُصب فى ظِنَّتها؛ لأنهم يكنون بالزَّند وخروج النار منه عن إدراك الحاجة ، و يقول الرجل لصاحبه إذا فعل معه فعلا جميلا : وَرَتْ بِك زِنَادى . ومنهم من يقول : وَرِيتْ ؛ قال رؤبة :

إنّ سليمانَ اشتلانا ابنَ علِى بسُنَّةِ الله ومَسْعاةِ النبى
فاقْدَحْ إذا قادحتَ بالزَّند الوَرِى

اشتلانا ، أى أنقذ[2] بقية أشلائنا . والشلو : ما بقى من اللَّحم[3] . ويقال لحديد اللجام أشْلاء ؛ قال حاتم الطائىّ :

رأتنى كأشْلاء اللِّجام ولن ترى أخَا الحربِ[4] إلا ساهِمَ الوَجْهِ أغبرا

البطليوسى : الناجيات : الإبل السريعة أو الخيل . والظِّنَّة : الظنّ . وتَقْدَح : تُورى ، من قولك : قدحْتُ النار . والضمير فى قوله «تَوهَّمُ» يعود إلى «الناجيات» .

(١) السفنج هنا : السريع . ورواية البيت فى اللسان (مادة سفنج) : « وقد أخذت ... » .
(٢) فى الأصل : « أخذ » صوابه من اللسان (مادة شلو ، ١٩ : ١٧٣) حيث أنشد البيت .
(٣) فى اللسان : « ... وكل مسلوخة أكل منها شىء فبقيتها شلو وشلا » .
(٤) كذا فى حـ والديوان . وفى ا : « الحم » .

وقوله « ولم تَقْـدَح بِظَنّها زنادا » مَثَلٌ ، أى لم تُصِبِ الحقَّ فيما ظنّته وتوهّمته ؛ لأنهم يَكْنُون بقَـدْح الزّناد عن مُحاولة الأمر وبلوغ المراد منـه . فإذا حاول أمرًا فبلغ مراده منـه ، قيل : قَـدَح فأَوْرَى ؛ وإذا حاوله فلم يبلُغ منـه مُرادَه قيل : قَدَح فأكْبَى . ويقال : فلان وارى الزناد ، وكابِى الزّناد ؛ قال الشاعر :

لَحَـا الله أكبانَا زِنادًا وشرَّنَا وأيْسرَنا عن عِرْضِ والده ذَبًّا

الخـــوارزمى : اقتداح الزند فى الأصل آستعارةٌ لطالب المرام، ثم جُعِل هاهنا عبـارةً عن نفس الإدراك ونفس الإصابة . يقول : هـذه الإبل تظنّ أنه قـد حان أن يتبلّج الفجر ، ولم تُصِبْ فى ذلك الظنّ .

٣٦(وَمَا لاَحَ الصَّبَاحُ لَهَـا ولٰكِنْ رَأَتْ مِنْ نَارِ عَزْمَتِكَ ٱتِّقَادَا)

التـــبريزى : أى لم تُصِب فى ظنّها ؛ لأنّ الصباح لم يَلُح لهـا ، وإنما رأت نارَ عزْمتك .

البطليـــوسى : ســيأتى .

الخـــوارزمى : بيّن فى هذا البيت كيف لم تُصِب فى ذلك الظنّ .

٣٧(قَطَعْتَ بِحَـارَها وَالبَرَّ حَتَّى تَعَالَلْتَ السَّـفَائِنَ والجِيَـادَا)

التـــبريزى : تعاللت الشىء، إذا أخذتَ عُلالتـه ، أى بقيّته . والمعنى أنك لم تترك فيها بقيّة . والعُلالة من قولهم : عَلَلْتُه، إذا كرّرتَ عليه السَّقْىَ أو غيره .

البطليـــوسى : ويُروَى : « تعلّلتَ » ، وهما سـواء . يقـال : تعالَلْتُ الشىءَ وتعلّلْتُه ، إذا طلبتَ عُلالتـه ، وهى البقيّة التى تُسْتَقْصَى شيئًا بعد شىء . والمعنى أنك لم تترك منها بقيّة إلا أتيتَ عليها .

الخـــوارزمى : « تعاللتَ السفائنَ » من فصيح الاستعارة، وهذا على تشبيه السفينة بالناقة . ألَا ترى إلى بيتَيِ السَّقط فى وصف سفينة :

عَلَى نَجَاةٍ مِنَ الفِرْصَادِ أَيَّدَها   رَبُّ القَدُومِ بأوْصالٍ وأضلاعِ[1]
تُطْلَى بقارٍ ولم تَجْرَبْ كأنْ طُلِيتْ   بسائلٍ من ذَفَارَى العِيسِ مُنْباعِ

ولذلك تسمّى السفينة مركبا .

٣٨ (فَلَمْ تَتْرُكْ لِجَارِيَةٍ شِرَاعًا   وَلَمْ تَتْرُكْ لِعَادِيَةٍ بِدَادَا)

التبريزى : الجارية : السفينة . والعادية : الفرس . والبِدَاد : بِداد السرج .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الجارية ، هى السفينة . عنَى بالعادية الدابَّةَ ، وهى الفرس . البِداد ، فى « أرى العنقاء »[2] . و «الجارية» مع «العادية» إيهام .

٣٩ (بأَرْضٍ لَا يَصُوبُ الغَيْثُ فِيهَا   وَلَا تَرْعَى البُدَاةُ بها النِّقَادَا)

التبريزى : البُداةُ : جمع بادٍ ، وهو مثل البدوىّ . والنِّقاد : ضربٌ من الغنم صغار . ويُرْوَى لِلَقِيطٍ فى كتابٍ له إلى قومه :

كتابٌ فى الصحيفةِ من لَقِيطٍ   إلى مَنْ بالجزيرةِ من إيادِ
بأنّ اللَّيثَ كِسْرَى قد أتاكم[3]   فلا يَحْبِسْكُمُ سَوْقُ النِّقادِ

البطليوسى : الجارية : السفينة . وشِراعها : قِلْعُها الذى تسير به . والعادية : الخيل . والبِدادُ : ما يُوَطَّأُ به تحت السرج . ويَصُوب : ينزل . والغيث : المطر . يعنى مصر ، لأنها ليست بلدَ مطرٍ . والبُداة : أهل البادية ، واحدهم بادٍ . والنِّقاد : صغارُ الغنم ، واحدها نَقَدةٌ ، ويقال فى الجمع نَقَد أيضا . ويجوز أن يكون نِقادٌ جمعُ نَقَدٍ ، فيكون جمع الجمع .

(١) انظر البيتين السابع والثامن من القصيدة الحادية والثلاثين ص ٤٧٣ من هذا الجزء .
(٢) البيت التاسع والعشرون من القصيدة السابعة عشرة ص ٥٧٠ من هذا الجزء .
(٣) فى حـ : « بأن الليث يأتيكم صباحا » .

الخــوارزمى : البُداة : جمع باد ، اسم فاعل ، من بَدَا القومُ ، إذا خرجوا إلى باديتهم . « النقاد » فى « أرى العنقاء »(١) . والمصراع الثانى من باب :

* لا ترى الضبَّ بهـا يَنْجَحِرْ(٢) *

يقول : قد أجريتَ خيولَك بقِفار ليس فيهـا نبتٌ ولا شاة ولا راعٍ . وكيف يكون فيها أولئك ولا يصل إليها سحاب ! وأصحابُ النفوس من النبات والحيوان والإنسان، لا تكون بدون السحاب والتَّهتان .

٤٠ ﴿ وأُخْرَى رُومُهَا عَرَبٌ عَلَيْهَا وَإِنْ لَمْ يَرْكَبُوا فِيهَـا جَوَادَا ﴾

التـبريزى : المعنى أنّ الروم لهم سـلطانٌ على البحر والسيرِ فيه ، كسلطان العرب فى البرّ، والهدايةِ فى قفاره .

البطليـوسى : سـيأتى .

الخـوارزمى : قوله «وأخرى» معطوف على قوله «بأرض» . أى وتارةً بأرض أخرى . أجرى الجـامد وهو « عرب » مُجرَى الجارى . وفى أمثـلة النحويين : « مررت بقومٍ عَرَبٍ أجمعون » بالواو . ومثله بيت السقط فى صفة دِرع :

إذا أُلقِيتْ فى الأرض وهى مَفازةٌ إلى المـاء خلتَ الأرضَ يجرى مَعِينُها(٣)

عدّى « المفـازة » بإلى ؛ لأنه يريد أنها إلى المـاء متعطشة . وهذا مليح جدًا . ونحوه : مررت بقاع عَرْفَجٍ كلُّه، أى نابت أو مُشِيك(٤)، وبدارٍ ساجٍ بابُها ، أى وثيق . يقول : الروم مستولية على تلك الأرض استيلاءَ العرب على أرضهم .

---

(١) البيت الموفى الأربعين من القصيدة ١٧ ص ٥٧٨ .

(٢) من بيت لابن أحمر، وهو بتمامه كما فى الخزانة (٤ : ٢٧٣) :

لا تفزع الأرنب أهوالها ولا ترى الضب بها ينجحر

(٣) البيت السادس عشر من القصيدة المتمة الأربعين ص ٨٩٩ .

(٤) مشيك : ذو شوك ؛ يقال شوّك النبت ، بالتضعيف ، وأشاك .

٤١ (سِــوَى أَنَّ السَّفِينَ تُخَالُ فِيهَا بُيُوتَ الشَّعْرِ شَكْلًا وَاسْوِدَادَا)[1]

التـــبريزى : المعنى أن السَّفين يُقَيَّر ويُسَــوَّد، فيكون كأنه بيوت الشَّعر . و « شكلا » أى لونًا . هكذا ذكره . والشكل : المِثل . وإنمـا أراد أن السفين أمثال بيوت الشعر، وألوانها كذلك .

البطليـــوسى : أراد أنّ الروم لهم ســلطانٌ على البحر ، كسلطان العــرب على البَرّ . وشبَّه السفن، لاسودادها بالقار، ببيوت الشَّعر التى تتخذها العرب .

الخـــوارزمى : «سوى أنّ السفين» استثناء منقطع من قوله «ولم يركبوا فيها جوادا » . يقول : كونُهم غيرَ راكبي الجوادِ، وإن اقتضى ألّا يكونوا كالعرب، لكنّ اشتباهَ السفين فى أرضهم ببيوت الشَّعر يوجب أن يكونوا كالعرب . سفن البحر سُود ، لأنها مقيَّرة .

٤٢ (دِيَارُهُمُ بِهِــمْ تَسْرِى وَتَجْرِى إِذَا شَاءُوا مُغَارًا أَوْ طِـرَادَا)

التـــبريزى : يقول : قد جعلوا السفن لهم كالديار، فهى تَسْرى بهم وتجرى إذا شاءوا المُغَـار . والمُغَار ها هنـا : مصدرٌ ؛ يقال : أغار يُغير إغارة ومُغارًا ؛ وهو فى موضع آخر : الموضع الذى يُغَار فيه ، وهو أيضا وقتُ الإغارة . والضمير فى « ديارهم » عائد على الروم .

البطليـــوسى : يقول : إنهــم اتّخذوا السفن فى البحر ديارًا لهم يسكنونها ، فإذا أرادوا الإغارةَ على عدوٍّ أو مُطاردتَه مشتْ بهــم ديارُهم إلى حيث يريدون ، وليس من شأن الديار أن تمشى بأهلها . ومعنى تسرى : تمشى بالليــل . والمُغار : الإغارة . والطِّراد والمطاردة : الاتّباع .

(١) فى البطليوسى : « يخال » .

الخوارزمى : إنه يقع فى بحر الروم محاربةٌ بين أصحاب السفن ، فيُغير هؤلاء على أولئك [وأولئك] على هؤلاء، وذلك لا يكون إلا عند ركود الريح .

٤٣(تَصَيَّدُ سَفْرَها فى كُلِّ وَجْهٍ وَغايَةُ مَنْ تُصَيِّدَ أن يُصادَا)

التبريزى : تَصَيَّدُ، أى تتصيَّد، فحذفت التاء الأولى على رأى البصريين، والتاء الثانية على رأى غيرهم . وقال هشام : يجوز أن تكون المحذوفة الأولى والثانية جميعا . وقوله « وغاية من تصيد أن يصاد » أى إنه لا بدّ أن يَقَع للصائد[1] . ويقال : صاد الرجلُ يَصادُ ، فى معنى يَصيدُ ؛ قال الشاعر :

لَيالِيَنا إذ أُمُّ عَمْرٍو لِيَ المُنَى يُريد الفؤادُ غيرَها فَيَصادُها[2]

فإذا أخذ من هذا الوجه جاز أن يقال : وغايةُ مَنْ تَصَيَّدَ أن يَصادَ، أى غايتُه أن يبلغَ غَرَضه . وقد سمَّت العرب الملك صَيْدَنًا ؛ قال الراجز :

* وهُمْ جلوسَ عند باب الصَّيْدَنِ *

وإنما يقال [له] صيدن ، لأنه مُغْرًى بالصيد . والنون زائدة ، كما زيدتْ فى ضَيْفَن . ويقال للثعلب صَيْدَنٌ، لأنه يَصاد .

البطليوسى : السَّفْر : المسافرون ، وهو اسمٌ للجمع، وليس بجمع على قياس الجموع . والضمير فى « تصيد » يعود على « الروم » ، وفى « سَفْرها » يعود على قوله « وأخرى »؛ لأن المعنى وأرض أخرى . والغاية : آخر كل شيء . يقول : من تُصُيِّد فلا بدّ له أن يقع فى المصايد[3] ، وإن أفلتَ مَرَّةً فليس يُفلت أُخرى .

(١) فى أ : « الصائد » .
(٢) البيت روى محرفا فى اللسان (٤ : ٢٤٩) .
(٣) أ : « الى الصائد » .

ويُروَى « تَصَيَّد أن يَصَادَا » بفتح التاء والصاد والياء من الفعل الأول، وفتح الياء من الفعل الثانى، وهو من قولهم : صَادَ يَصَادُ، لغة فى صادَ يَصِيد ، وهى لغة نادرة؛ قال الشاعر :

لَيَالِينَا إذ أُمُّ عمرٍو لنا المُنَى ... يُرِيد الفؤادُ غيرَها فيَصادُها
كأنّ البُرَى منها وأنضاءَ حَلْيِها ... على عَوْهَجٍ بالحَلْهَتَيْنِ مَرَادُها[1]

فمعناه على هذا أنّ غاية مَنْ صاد أن يبلُغ غرضه . والأول هو الأوجه .

الخوارزمى : الضمير فى «تصيّد» للديار، و«سَفْرها» منصوب، كذا ضبطه جار الله فى نسخته المكتوبة بخطه، قال : هو مفعول « تصيّد » .

٤٤ (تَكَادُ تَكُونُ فِي لَوْنٍ وَفِعْلٍ ... نَوَاظِرُهَا أَسِنَّتَهَا الحِدَادَا)

التبريزى : هذا فى صفة الروم ؛ لأنّ عيونَ الروم زُرْقٌ أكثرها . والأسِنّة توصف بالزُّرَق، وبَصَرهم حديدٌ كالأسِنّة .

البطليوسى : النواظر : العيون . أراد أنّ الروم توصف بالزُّرَق كما توصف الأسِنّة، وأنّ نواظرها حديدة النظر كحِدّة الأسِنّة . والعرب تقول للأعداء : « زُرْق العيون » و « صُهْب السِّبَال » يشبّهونهم بالروم، ويجعلون الزُّرَق من الهُجْنة والدناءة .

ولذلك قال الشاعر :

لقد زَرِقَتْ عيناكَ يا بنَ مُكَعْبَرٍ ... كذا كل ضَبِّىٍّ من اللُّؤْم أزرقُ[2]

وقال الراجز :

وما عليك أن أكونَ أَزْرَقَا ... إذا تولَّى عَقْدَ شيءٍ أوثقا

(١) العوهج : الظبية التامة الخلق . والمراد : مكان الارتياد .

(٢) البيت لسويد بن أبي كاهل كما فى الأغانى (١٩ : ٤٩) . وانظر الحيوان (٥ : ٣٣٢) .

وقال امرؤ القيس :

* ومَسْنونةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أغْوالِ[١] *

قيل : أراد الرِّماح ؛ وقيل : أراد السهام .

الخوارزمى : لَمَحه شيخنا جار الله فى قوله :

أَسِنَّتُهم زُرْقٌ وزُرْقٌ عيونُهم   فإنْ يَغْضَبوا أو يَطْعَنُوا انقلبتْ حُمْرا[٢]

إلّا أنّ ذاك أحسنُ من وجه، وهذا أحسن من وجه .

٤٥ (أَقِمْ فِى الأَقْرَبِينَ فَكُلُّ حَىٍّ   يُرَاوَحُ بالمَعِيشَةِ أو يُغَادَى)

التبريزى : أى أقم بين أقاربك ، فالرِّزْق لا بُدَّ له من أن يأتى الإنسان سافَر أو لم يسافر .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٤٦ (وَلَيْسَ يُزَادُ فِى رِزْقٍ حَرِيصٌ   وَلَوْ رَكِبَ العَوَاصِفَ كَىْ يُزَادَا)

التبريزى : العواصف : جمع عاصف، وهى الريح الشديدة الهُبُوب .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا كقول صَرَّبعرا[٣] :

مَهْلًا فمِنْ دون الأمانى هَضْبةٌ   تزداد بالحِرْص ارتفاعًا وزَلَقْ

لو جُلْتَ حولَ الفَلَكِ الدوّارِ لم   تَزْدَدْ فتيلًا فوق ما اللهُ رَزَقْ

والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .

---

(١) صدره : * أيقتلنى والمشرفى مضاجعى *

(٢) فى الديوان ص ٥٧ من مخطوطة دار الكتب ٥٢٩ : « انقلبت جمرا » بالجيم

(٣) انظر الحاشية رقم ٢ من ص ١٤٩ .

٤٧ (وَكَيْفَ تَسِيرُ مُبْتَغِياً طَرِيفًا وَقَدْ وَهَبَتْ أَنَامِلُكَ التِّلَادَا)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : المُراوحة : الإتيان فى الرواح، وهو العَشِىّ . والمغاداة : الإتيان فى الغداة . والعواصف : الرياح الشديدة الهُبوب . والطريف : المال الحديث . والتِّلاد : القديم .

الخوارزمى : قوله «مبتغيا طريفا» ، «وقد وهبت أناملك» حالان متداخلتان .

٤٨ (فَمَا يَنْفَكُّ ذَا مَالٍ عَتِيدٍ فَتًى جَعَلَ القُنُوعَ لَهُ عَتَادَا)

التبريزى : التليد : المال الموروث . والطريف : المال المُسْتَحْدَث . والعَتَاد : الشىء الثابت ؛ يقال : فرسٌ عَتَدٌ وعتيدٌ[1] ، إذا كان مُوثَّق الخَلْق مُعَدًّا للحرب . والعتيدة : ضرب من الأوعية . ويقال : إن القَدَح العظيم يقال له عَتَاد . قال الراجز :

واعمِدْ هُدِيتَ لعَتَادٍ جُنْبُلِ[2] فاشرَبْ به آثْنَيْنِ ولا تُهَلِّلِ[3]

الجُنْبُل : قدحٌ عظيم من خَشَب . والقُنوع محمودٌ إذا كان فى معنى القَناعة ، فإذا كان فى معنى السؤال كان مذموما . قال الشمَّاخ :

لَمَالُ المَرْءِ يُصْلِحه فيُغْنِى مَفاقِرَه أعفُّ من القُنُوعِ

والمفاقر ، يجوز أن يكون جَمعَ مفقر ، وهو بمعنى الفقر . والمعنى أن الإنسان إذا قَنِع عَزَّ وآستغنى . قال الشاعر فى المَفَاقر :

وإنّ الذى أهدى الغِنَى لابن عامرٍ لَرَبِّى الذى أرجو لِسَدِّ مَفاقِرِى

---

(١) ح من التبريزى : «عتد وعتد» . ويقال عتد ، بفتحتين ، وبفتح فكسر ، وعتيد بوزن كريم .

(٢) فى اللسان (٤ : ٢٧١) : «وادع هديت بعتاد جنبل» .

(٣) التهليل : الفرق والفزع .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : عنَى بالقُنوع ها هنا القناعةَ . وفى شعر الأمير أبى فِراس :

* ومَنْ لم يَجِدْ إلّا القُنوعَ تَقنّعا[1] *

و « العتيد » مع « العَتاد » تجنيس .

٤٩ (ولَوْ أنّ السَّحابَ هَمَى بِعَقْلٍ   لَمَا أَرْوَى مَعَ النَّخْلِ القَتَادَا)

التبريزى : المعنى أنّ السحاب لو كان له عقلٌ لمَا سقى القَتاد مع النخل ؛ لأن القتاد شجر قليل الخير، إنما هو شوك . وقد أحسن الطائىّ فى قوله :

إذ فى القَتادة وهى أبخلُ أَيكةٍ   ثَمَرٌ و إذ عُودُ الزَّمانِ نُضارُ[2]

وهَمَى السحاب، إذا جاد. و إنما قيل للهِمْيان الذى يُجعَل فيه الدراهم هِمْيانًا، لأنه إذا أُفرِغ هَمَى بالدراهم كما يَهمِى السحاب بالمطر . وقيل إنما سمّى هِمْيانًا لأنه يكون بحذاء الوَسَط ؛ أُخذ من هِمْيان الوادى، وهو جانبٌ منه . قال الشاعر :

وما شَنّ بالوادى الفَتِينِ مُغرَّبًا   فهِمْيانُه لم تَرْعَه أُمُّ كاسبِ

والفتين : الحَرّة[3] .

البطليوسى : العتيد : المُعَدّ للدهر . وهو فعيلٌ بمعنى مُفْعَل، كما قيل : رُبٌّ عَقِيدٌ، بمعنى مُعْقَد . يقال : أَعتَدَ الشيءَ، وأعدَّه . قال الراجز :

* إثمًا وغُرْمًا وعذابًا مُعْتَدا *

أى مُعَدًّا . والعَتاد : العُدّة، وهو اسم لِما أُعِدّ . والإعتاد المصدر . وقد ذكرنا فيما تقدّم من هذا الشرح أنّ المشهور فى الاستعمال أن يقال : قَنِع، بكسر النون

(١) صدره كما فى ديوانه ص ٤٣ : * لقد قنعوا بعدى من القطر بالندى *

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى ص ٧٢ .

(٣) سميت بذلك كأنها فتنت، أى أحرقت فصارت سوداء .

قناعةً، إذا رضِى. وقَنَع، بفتح النون، قُنوعًا، إذا سأل. وذكرنا أن ابن الأعرابيّ حكى القُنُوع بمعنى القناعة، وأنشد فيه بيتًا قد ذكرناه (١). وهَمَى : سالَ وأمطر. والقَتَاد : الشوك. يريد أنّ المال لا يُرْزَقُه العاقلُ دونَ الأحمق، ولا الحازمُ دون العاجز، وإنما هى حظوظ مقسومة، لا يزيد فيها الحِرْص، ولا يَنْقُص منها العجز.

الخوارزمى : ... ...

٥٠ (ولَوْ أَعْطَى عَلَى قَدْرِ المَعَالِي سَقَى الهَضَبَاتِ وَاجْتَنَبَ الوِهَادَا)

التبريزى : المراد أنّ المطر لو كان يعقِل لخَصّ المواضعَ المرتفعة دون المنخفضة.

البطليوسى : سيأتى.

الخوارزمى : هذا ناظرٌ إلى قوله :

* وليس يُزَادُ فى رِزْقٍ حريصٌ (٢) *

والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقدّم.

٥١ (وَمازِلْتَ الرَّشِيدَ نُهًى وَحاشَى لِفَضْلِكَ أَنْ أُذَكِّرَهُ الرَّشَادَا) (٣)

التبريزى : هذا خطاب للسافر، أى ما زلتَ رشيدًا، فغيرُك من يَعلَمُ الرشاد، أى مثلُك لا يُعلَّمُ الرشاد.

البطليوسى : الهَضَبات : الصُّخور العالية، واحدتها هَضْبةٌ. والوِهَاد : المواضع المنخفضة، واحدتها وَهْدة. والنُّهَى : جمع نُهْيَة، وهى العَقْل، سمّى بذلك

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٩٥ — ٣٩٦.

(٢) هو البيت ٤٦ من هذه القصيدة ص ٨٠٢.

(٣) حـ من التبريزى : «تقى وحاشى». الخوارزمى : «وحاشى * لمثلك». وقد أشير إلى هذه الرواية الأخيرة فى هامش الديوان المخطوط.

لأنه يَنْهَى صاحبَه عن القُبح ، وقيل سُمِّى بذلك لأنَّ مَرْجِعَ كلِّ شىءٍ إليه، وهو النهاية التى لا مَرْمَى وراءها .

الخوارزمى : « نُهًى » فى مَقامِ النصب على التميز من « الرشيد » .

٥٢ ﴿وَمِثْلُكَ لِلأَصَادِقِ مُسْتَقِيدٌ وَشَرُّ الْخَيْلِ أَصْعَبُهَا قِيَادَا﴾

التبريزى : أى فَضْلُك يُلْزِمك أن تنقاد للأصدقاء . وقوله : « وشر الخيل أصعبها قيادا » يقول: إنما يوصف الفرس بالكرم إذا كان مِطْواعًا لاشِمَاس فيه. والشُّمُوس من الخيل مذموم . وطالما أدّى الشماس فى الفرس إلى قتل الإنسان، لأنه يَضْرَح برجله ، أى يَضْرِب بها ، فربَّما كسر الساق وأصاب غيرَها من الجسد فأهْلَك . قال الأفوه :

والخيرُ لا يأتى ٱبتغاءٌ بِهِ والشَّرُّ لا يَثْنِيهِ ضَرْحُ الشُّمُوسْ[1]

الجيد أنّ الضَّرْحَ باليد، والرَّمْحَ بالرجل .

البطليوسى : يجوز أن يريد المِثْل، الذى هو شبه الشىء، ويجوز أن يريد المِثل، الذى يراد به ذات الشىء لا سواها ، فيكون كقولهم : مِثْلى لا يقول هذا ، أى أنا لا أقول هذا . ونظيرُه قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾ فى أَحد التفسيرين . وقد أوضح أبو الطيِّب هذا المعنى وشرَحه بقوله :

مِثْلُكَ يَثْنِى الحُزْنَ عن صَوْبِهِ ويستردُّ الدَّمْعَ عن غَرْبِهِ
ولم أَقُلْ مِثْلُكَ أَعْنِى به سِواكَ يافَرْدًا بِلَا مُشْبِهِ

---

(١) فى ديوانه الورقة ١٥ من مخطوطة الشنقيطى : « لا يغنيه ضرح » .

والأصادق : الأصدقاء ، وهو جمع الجمع . ويجوز أن يكون جمع الأصدق الذى نُقل إلى حكم الأسماء، وأُدخلت فيه الألف واللام وفارق شَبَه الفعل ، فجازت فيه التثنية والجمع . والمُستقيد : المُنقاد المطاوع لمن قاده نحو ما يريد .

الخــــوارزمى : عَنى بالأصادق الأصدقاءَ . آستقاد، أى آنقاد .

٥٣ (وَرُبَّ مُبَالِـغٍ فى كَيْدِ أَمْرٍ   تَقُـولُ لَهُ أَحِبَّتُهُ اقْتِصَادَا)(١)

التــــبريزى : ســـيأتى .

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخــــوارزمى : الكيدُ : معالجة الأمر والاجتهاد فى إحكامه . وقوله : « اقتصادا » أى آقتصد آقتصادا .

٥٤ (وَذِى أَمَلٍ تَبَصَّرَ كُنْهَ أَمْرٍ   فَقَصَّرَ(٢) بَعْـدَ مَا أَشْفَى وَكَادَا)

التــــبريزى : أى ربّ جادٍّ فى طِلَاب شىءٍ وأحبَّتُه يأمرونه بالاقتصاد، أى تَرْكِ الجهد . وأشفى على الشىء، إذا أشرف عليــه . وكُنْه الشىء : حقيقته . وقد مرّ تفسيره .

البطليـــوسى : وقع فى بعض النُّسخ : «يقول ويجعل الفعل اقتصادا» . يقول: إنّ الرجل قد يقول إنه يفعل أمورا كثيرة، يُفْرِط فيها لحاجة تعرض له، ثم يقتصد فى فعــله ، فلا يفعل جميعَ ما قالَه . ومَن روَى « تقــول له أحبتــه اقتصادا » أى تقول له : آقتصد فيما تفعلُ ولا تُسرف . وأحسب أنّ هذا الممدوحَ كان سافر مُعتقِــدًا لإطالة الســفر لأمرٍ جرى له ، فلذلك قال له هــذا . وكُنْه كل شىء :

(١) الخوارزمى : « يقول له أحبته » بالياء .

(٢) البطليوسى : « فأقصر » .

حقيقته . ومعنى « أقصَرَ » كفّ وهو قادر ؛ فإنْ كفّ عن الشي وهو عاجز عنه قيل قَصّر . ويقال : أَشْفى على الشيء. إذا أَشرف على شَفاه ، وهو طَرَفُه وحَرْفُه .

الخوارزمى : حذف خبر « كاد » لأنه معلوم، وتقديره: كاد يدرك المقصود. وفى كلام بعضهم : «أصاب المُتأمل أو كاد، وأخطأ المستعجل أو كاد» . وفى عراقيّات الأَبِيوَرْدِى :

مَشى له عَضُدُ المُلكِ الضَّراءَ وقد أَرْخى له اللَّبَبَ المِقدارُ أَوْ كادا[1]

و « تبصّر » مع « قصّر » تجنيس .

٥٥ (نُراسِلُكَ التَّنَصُّحَ فى القَوافِى وغَيْرُكَ مَنْ نُعَلِّمُهُ السَّدادا)[2]

التبريزى : قال : القوافى ها هنا يجوز أن يُعنى بها الأبياتُ والقصائد. وإنما قيل لها قواف، لأنّ القافية تكون فى آخرها . وقد اختلف الناسُ فى القوافى ، فزعم سعيدُ بن مَسْعَدة[3] أنّ القافية آخرُ كلمةٍ فى البيت ، واستدلّ بكلام معناه أنّ الرجلَ إذا قال لآخر : اجمع لى قوافى على « كتاب » ، جاء بسِخاب (أى قلادة) وسحاب ، ونحو ذلك . وذكر أنّ بعضَ الأعراب قيل له وقد أنشد بيتًا وهو :

* بَناتُ وَطّاءٍ على خَدِّ اللَّيْل[4] *

(١) انظر ديوان الأبيوردى ص ١١٠ .

(٢) فسره فى التنوير بقوله : « أى نبعث إليك النصيحة فى الشعر ولا ينبغى لك أن تنصح وترشد إلى ما هو السداد من الأمر ، أى الصواب » .

(٣) هو الأخفش الأوسط ، وهو أشهر من سمى بالأخفش من النحاة ، وهو تلميذ سيبويه . وتوفى سنة ٢١٥ أو ٢٢١ .

(٤) الرجز فى اللسان (خدد) . وبعد البيت :

* لأم من لم يتخذهن الويل *

ما القافية ؟ فقال : « خَذَ اللَّيْـل » بجعلها كلمتين ؛ لأنّ الأولى مُضافة إلى الثانية فهما فى حُكم كلمةٍ واحدة . ورُوى عن قُطرب وأحمد بن يحيى أنّ القافية حرفُ الروىّ . ورُوى عن محمد بن يزيد فى مثل قول الشاعر :

مَنْ يَبْنِ الأَخَوَينِ كالـ ... غُصنين أم من رَاهُما

أنّ الألف التى بعد الراء هى الروىّ ، والهاء وصل ، والميم حشو ، والألف خروج . وهذا قول مخالف لأقوال الجماعة . ورُوى عن الخليل قولان : أحدُهما أنّ القافية مِن آخرِ ساكنٍ فى البيت إلى أوّلِ ساكنٍ يليه مع المُتحرك قبل الساكن الأوّل . والقافية عنده فى :

* قِفانبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ *

«منزلِ» فى النصف الأوّل و« حومل » فى النصف الثانى ، و « شمأل » فى البيت الثانى ، و«رنفل» من «قرنفل» فى البيت الذى القرنفل قافيته . وله قول آخر الذى لَقَّب فيه القوافى بالمُتكاوس والمُتراكب والمُتدارك والمُتواتر والمُترادف . وقد قال بذلك غيرُه ، ويجب أن يكون هو الذى ٱبتدأ به . وقال بعضُهم : القافية ما لزم الشاعرَ إعادتَه .

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : نصحتُ له وتَنصحتُ له . وعن أكثم : « يابَنِىّ ، إيّاكم وكثرةَ التنصّح ، فإنه يورث التُّهَمة » .

٥٦ (فإنْ تَقْبَلْ فَذَاكَ هَوَى أُنَاسٍ ... وإنْ تَرْدُدْ فَلَمْ نَأْلُ ٱجْتِهادَا)

التـــبريزى : نألو ، أى نُقَصِّر ، من ألا يألو فهو آلٍ . قال ٱمرؤ القيس :

وما المرءُ ما دامتْ حُشاشةُ نفسه ... بمُدرِكِ أطرافِ الخُطوبِ ولا آلِي

البطليـــوسى : يعنى بالأناس المذكورين هاهنا أهلَ هذا الممدوح ، وكانوا رغبوا(١) إلى أبى العلاء فى مُخاطبته لعلّه ينصرف . ومعنى «نألو» نقصّر .

الخـــوارزمى : الرواية : « تقبل » و « تردد » على تاء المخاطبة .

(١) حـ : « توسلوا » .

[القصـــيدة الرابعة والثلاثون]

وقال أيضا لبعض الشعراء، وهو أبو القاسم بن جَلَبات

من الوافر الأوّل. والقافية متواتر[1]:

١ ﴿أَيَدْفَعُ مُعْجِزَاتِ الرُّسْلِ قَوْمٌ وفِيـكَ وفِي بَدِيهَتِكَ ٱعْتِبَارُ﴾

التـــبريزى : البديهة : ما قيل عن غير فكر . ويُمدح الرجلُ فيقال : « بديهته مثلُ تفكيره » . قال أشجع السُّلَمىّ :

بَدِيهتُـه مثـلُ تفْـكيره متى رُمْتَـه فهو مُسْتَجمِعُ

البطليـــوسى : البُداهة والبديهة : أوّل ما يَفجؤك من الأمر . وأصل ذلك فى جَرْى الخيل . قال الأعشى :

إلّا عُـلالةَ أو بُـدا هـةَ قارحٍ نَهْـدِ الجُـزارَهْ

يقول : فيك دليل على بُطلان قول من يُنكر ظهور المُعجزات على أيدى البشر، لأنك تأتى بأمور من البلاغة تَخرِق العادة، وترتفع عن الطاقة؛ فكيف بمن شرّفه الله تعالى بنُبوّته، وٱصطفاه برسالته .

الخـــوارزمى : يقول : شعرُك شيء خارقٌ للعادة، فهو بمنزلة المُعجزة .

٢ ﴿وَشِعْرُكَ لَوْ مَدَحْتَ بِهِ الثُّرَيَّا لَصَارَ لَهَا عَلَى الشَّمْسِ ٱفْتِخَارُ﴾

التـــبريزى : ... ...

(١) فى البطليوسى : « وقال أيضا يخاطب شاعرا كان فارق بعض الملوك بعد أن مدحه فلم يعطه شيئا، وكان آباؤه قبله يكرمونه و يقربونه منهم » . وفى الخوارزمى : « وقال أيضا فى الوافر الأوّل، والقافية من المتواتر، يجيب بعض الشعراء، وهو أبو القاسم بن جلبات » .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : الثريا فى «علانى»[١] .

٣ (كَأَنَّ بيوتَهُ الشُّهْبُ[٢] السَّوارِى فَكُلُّ[٣] قَصِيدَةٍ فَلَكٌ مُدَارُ)

التبريزى : شبّه القصيدة بالفَلَك، والأبياتَ بالنُّجوم .

البطليوسى : يعنى بـ«الخمس السوارى» الكواكبَ الخمسة المُتحيّرة التى ذكرها الله تعالى فى قوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِى الْكُنَّسِ ﴾ . وخَصّ الكواكبَ المُتحيرة بالذكر، ولم يذكر الكواكبَ السبعةَ السيارة التى هذه المُتحيرة بعضُها، لأنّ المخاطب بهذا الشعر كان مَدح الأميرَ الذى فارقه بخمس قصائد ردّد عليه المُعاتبة فيها، وذَكَّره بقديم حُرمته عند أبيه ، فلم يُعطه شيئا؛ فكان ذِكْر الكواكب الخمسة المُتحيّرة أشكلَ بهذا الموضع . وفى الكلام حَذْف ، وتقديرُه : كأنّ بيوته بيوت الخمس السوارى ، فحذف المضاف . شبّه القصائد بالأفلاك أنها تسير فى الآفاق كسَيْر الأفلاكُ التى تَعُمّ بدورانها الأرضَ . وقد ذكر الشعراءُ نحوَ هذا المعنى ، ولكنّهم لم يبلغوا هذا المبلغَ . قال أبو الطيّب :

وِلِى فيكَ ما لم يَقُلْ قائلٌ وما لم يَسِرْ قَمَرٌ حيث سارا

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : «قلت أبياتا من الشعر وبُيوتا» . وعلى الثانى بيت السقط :

أقامت بيوتُ الشعر تُحكِم بعده بناءَ المراثِى وهي صُورٌ إلى الهَدْمِ[٤]

---

(١) البيت التاسع من القصيدة الرابعة عشرة ص ٤٣٠

(٢) فى البطليوسى : «الخمس السوارى» .

(٣) فى حـ من التبريزى : «وكل» .

(٤) البيت السابع والثلاثون من القصيدة الثانية والأربعين .

٤ (أَخِيرٌ[1] جَارَ عَنْ طُرُقِ الأَوَالِى فَخَارَ[2] وَآخِرُ الشَّهْرِ السِّرَارُ)

التبريزى : المعنى أنّ هذا المُخاطَبَ الشاعرَ كان بحضرة ملكٍ قد خدم آباءه فأحسنوا إليه، وكان آخرُهم مضادًّا لهم فى الإحسان ؛ فَمَثَلُه كمثل سِرار الشهر الذى لا ضوء فيه .

البطليوسى : أراد بـ « الأوالى » ، الأوائل ، فقلب ؛ كما قال ذو الرُّمّة :

تكاد أواليها تَفَرَّى جلودُها ويَكتحلُ التالى بمَوْرٍ وحاصِبِ

ومعنى خار : ضعف . والسِّرار والسَّرار ، بكسر السين وفتحها : آخر الشهر حين يَستسرّ القمرُ فلا يُرى . يقول للشاعر الذى خاطبه : كان هذا الأميرُ الذى لم يَرْعَ حقَّك أخيرًا لم يسلك طُرُقَ من تقدّم من آبائه ، ولكنه خار عنها وأخطأها ؛ فضعف عن حفظ ما شَيَّده له آباؤه من الشرف ، فطمس أنوارَهم ، وعفّى آثارهم ؛ وكان فى هدمه مجد أوّليه ، بمنزلة السِّرار الذى يَطْمِس نورَ البدر ويُخفيه . وهذا البيت لا يلتئم بما قبله من الأبيات ٱلتئامًا صحيحا ؛ لأنّ أبا العلاء أسقط أبياتًا كانت قبله ، لما كان فيها من ذَمّ هذا المذكور[3] . وٱرتفع « أخير » على أنه خبر مبتدأ محذوف ؛ كأنه قال : ذاك الذى حرمك أخير[4] .

الخوارزمى : الأوالى : قَلْب الأوائل . أنشد سيبويه :

* تكاد أواليها تفرّى جُلودُها *

---

(١) فى حـ من التبريزى والتنوير : « حاد » .
(٢) البطليوسى : « نخار » بالخاء المعجمة .
(٣) انظر البيت السابع من القصيدة ٣٣ ، حيث التنبيه على مثل هذا الإسقاط .
(٤) انظر ديباجة البطليوسى .

قوله « لحار » بالحاء المهملة ، من حار الشيء، إذا نقَص؛ عن الغوري . ويُروى بالجيم . السِّرار، بالفتح والكسر، آخرُ ليلةٍ من الشهر ، وهي الليلة التي فيها يَستسرّ القمر، وهي تارة تكون ليلةً واحدة، وتارة تكون ليلتين . والمعنى الذي أجمله أبو العلاء مُفصَّل في قوله :

ولولا ســعيدٌ بات نَدمانَ كوكبٍ يُريق له في الأرض شَطْرَ مُدامِه[1]
وكانتْ بقــايا نِعمــة عضُـديّة تَرُدّ إلى الزَّوراء بعضَ آهــتمامِه

٥ (ولَنْ يُحْوَى الثّناءُ بِغَيْرِ جُودٍ وَهَلْ يُجْنَى[2] مِن اليَبَسِ الثِّمارُ)

التـــبريزى : يقول : إنّ الثناء إنما يُوصل إليه بالجـود والفعْلِ الأجمـل ، كما أنّ الثمر إنما يُوصل إليه بالسّقى، فإذا عَطشت الشجرة المُثمِرة فُقِد منها الثمر .

البطليـــوسى : اليَبْس: جمع يابس، كما قالوا: راكب ورَكْب، وراجل ورَجْل . وهو عند سيبويه آسم للجمع، وعند أبي الحسن الأخفش جمع . وقد يكون اليَبْس بمعنى يابس .

الخـــوارزمى : اليبس، بالتحريك : المكان يكون رطبا ثم ييْبَس ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى البَحْرِ يَبَسًا ﴾ .

٦ (ولَمْ تَلْفِظْكَ حَضْرَتُه لِزُهْـدٍ ولـٰكِنْ ضَاقَ عن أَسَدٍ وجَارُ)

التـــبريزى : يقال: لفظه المكان، إذا خرج منه . وقال النابغة: يرثي حِصْن بن حُذَيفة بن بَدْر :

يقولون حِصنٌ ثمّ تأبى نفوسُهم وكيف بِحصْنٍ والجبـالُ جُنـوحُ

(١) البيتان ٢٧، ٢٨ من القصيدة ١٥ ص ٤٨٨ — ٤٨٩ .

(٢) حـ من التبريزى : « تجنى » .

ولم تَلْفِظِ الموتى القبورُ ولم تَزُلْ   نجومُ السماء والأديمُ صحيحُ

والوِجار والوَجار، بكسر الواو وفتحها : جُحْر الضبع والثعلب وما يجرى مَجراه ، وللأسد الغيل والعَرين؛ لأنّ الأسد لا يَسعه وِجارٌ ولا يدخل فيه .

البطليوسى : تَلَفَظك : تَطَرَحك ؛ وأصله أن يَطرح الإنسانُ الشىءَ من فيه، ثم يُستعار فى غير ذلك . والوجار، بكسر الواو وفتحها : جُحر الضبع . يقول : لم يكن خروجُك عن حَضرته لزُهْدٍ منه فيك، ولكن كنت كالأسد الذى لا يسعه الوجار، وإنما تسعه الآجام .

الخوارزمى : الضَّبع فى وجارها . يقول : لا يسع الأسدَ جُحْرُ الضبع، إنما يسعه العرين؛ ونحوه قولُ الشيخ الرئيس :

لمّا عَظُمتُ فليس مِصْرٌ واسِعِى   لمّا غلا ثَمنى عَدِمتُ المُشترى

٧ ﴿جَمالُ المَجدِ أن يُثْنَى عَلَيْهِ   وَلَوْلَا الشَّمْسُ ما حَسُنَ النَّهارُ﴾

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقول : حُسْن المجدِ بالثناء ، كما أنّ حُسْن النهار بالشمس .

٨ ﴿وِلْماءِ الفَضيلَةُ كُلَّ حِينٍ   ولا سِيَّمَا إذَا اشْتَدَّ الأُوارُ﴾

التبريزى : الأُوار : العطش . وقوله «ولا سِيَّما» أى ولا مثلَ ما . والسِىّ : المثل .

البطليوسى : يقول : كل إنسانٍ مُفتقرٌ إلى الشِّعر، غيرُ غنىّ عن الحمد والشُّكر؛ وإن كان ممن عَظُم من الناس قدرُه، وسار فى الآفاق ذِكْرُه؛ فكيف بمن

هو خامل الذِّكر ، غير نَبيه القَدْر ؛ كما أنّ المـاء لا يَستغنى عنه الريّان ، و إن كان أحوجَ منه إليه العطشان . وهذا المعنى كثير فى الشعر .

الخـــوارزمى : لاسيما ، مشدّدة ، وقد خفّفها أبو العـلاء هاهنا . ورأيت فى مُلتقطات بعض الكُتّاب أنه يُنْشَد على لسان بعض الطُّفيليّة :

نحنُ عَبيدُ البطُونِ نأكُلُ ما نُدْعَى إليــه ولـو إلى عَدَنِ
نأكُلُ ما جاءنا ولا سِيَمَا إذا ظَفِـرْنا به بـلا ثَمَنِ

وأنشدنى بعضُ السادة :

إذا دنتِ المنـازلُ زاد شَـوْقى ولا سِيَمـا إذا بَـدتِ الخيـامُ

« مررتُ بتَنُّور فلفَحَنى بأُواره ... وكاد يُغْشَى عليه من الأوار ، وهو العطش ، كما قيل له الحرّة » . نقل عن أساس البلاغة . يقول : لا غنى عنك وعن كفايتك ، لا سيما عند قِلّة الكُفاة فى الدنيا .

٩ (وَأَنْتَ السَّيْفُ إِنْ تَعْدَمْ حَايًا(١) فَلَمْ يُعْـدَمْ فِرِنْدُكَ وَالغِـرَارُ)

التـبريزى : الفِرند : جوهرُ السيف وماؤه . يقال : فِرِنْد وبِرِند . وأما قولهم إفرند ، فغير معروف . وقالوا : إن الفرند أعجمىّ معرّب ، بل يحتمل أن يكون عربيّا ، والنون تكون زائدة فيه ، ويجرى مجرى الشاذ ، من قولهم : سيف فَرْد وفَرَدٌ وفَرِد(٢) ، إذا وُصف بالجودة . ومنه قولُه :

* كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَـرِدِ(٣) *

(١) فى الخوارزمى : « لم تعدم » . وفى البطليوسى : « إن يعدم » .

(٢) ويقال أيضا : « فرد » بضمتين و « فريد » و « فرود » .

(٣) من بيت للنابغة فى ديوانه ص ١٨ . وهو بتمامه :

من وحش وجرة موشى أكارعه طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

والبِرِنْد يمكن أن يكون عربيًا ، ويكون من البرد ، والنون زائدة أيضا ؛ لأن السيوف توصف بذلك .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقول : لا يَشِينك تَعطُّلك عن خِدْمة الكُبراء، وقد زانك تَحلِّيك بالشهامة والذكاء .

١٠(وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي جَرْيِ المَذَاكِي رِكَابٌ فَوْقَهُ ذَهَبٌ مُمَارُ)

التبريزى : أى لا يَزيد فى جَرْى المَذاكى من الخيل رِكابٌ من رُكُب السَّرج ، فوقه ذهبٌ مُمار ، أى مُجْرًى . والمعنى أنك أيها الشاعر لا يَضُرّك أنّ ظاهرَ أمرك ليس برفيع يَروق الناظر ، وإنما المُعوّل على جَرْيك .

البطليوسى : الفِرند والبِرند : وَشْى السيف وجوهره ، وقال بعضُهم : طرائقه ، وذلك غلط ، إنما يقال للطرائق الشُّطَب ، والشُّطُب ، بفتح الطاء وضمها . وغِرار السيف : حدُّه ، والمَذاكى : الخيلُ المُسِنّة ، التى قد تجاوزت القُروحَ . والمُمار : المُجرَى .

الخوارزمى : الدمُ يَمور على وجه الأرض ، إذا انصبّ فتردّد عَرْضًا ؛ وأَماره غيرُه . والمُراد به رِكابٌ مُذْهب له بريقٌ وتردُّد كأنه يجرى .

١١(وَرُبَّ مُطَوَّقٍ بِالتِّبْرِ يَكْبُو بِفَارِسِهِ وَلِلرَّهَجِ اعْتِكَارُ)(١)

التبريزى : يكبو ، أى يعثر . ومن الأمثال : «لكلِّ جواد كَبْوة ، ولكل صارم نَبْوة ، ولكل عالم هَفْوة» . والمراد : أنّ الفرس قد يكبو بفارسه إذا اعتكر الرَّهَج ، أى الغُبار . واعتكارُه : رجوعُ بعضه إلى بعض ، فلا ينفع الفارسَ أنه مُطوَّق بتبْر .

(١) فى البطليوسى والخوارزمى : « وللنقع » .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الرواية الجيدة : «وللزّهج» ، وهو النّقع .

١٢(وَزَنْدٍ عَاطِلٍ يَحْظَى بِمَدْحٍ   وَيُحْرَمُهُ الَّذِى فِيهِ السِّوَارُ)

التبريزى : أى مَثَلُك مثلُ الزَّند، يُغنيه حُسْنه عن سِواره[(١)] . ورُبَّ زَنْدٍ فيه سِوار لا بَهجةَ له .

البطليوسى : هذه كُلّها أمثال ضَربها لهذا المُخاطَب تسليةً له من هَمّه ووَجْده، وإزالةً لاكتراثه مما فاته من بِرّ الممدوح ورِفْده ؛ فأذكره بأنّ ذوى الفضل يَصْحَبهم الحِرمان ، وأنّ ذوى النَّقص هم الذين يُساعدهم الزمان . وهذا معنًى كثير[(٢)] فى الشعر القديم والمُحدث . ويقال : كبا الفرسُ براكبه ، إذا سَقَط . والنَّقع : الغُبار . والاعتكار : التكاثُف والتراحم .

الخوارزمى : الضمير فى قوله « ويحرمه » لـ « بمدح » .

١٣(إِلَامَ تُكَلِّفُ البِيدَ المَطَايَا   بِعَزْمٍ لا يَقَرُّ لَه قَرَارُ[(٣)])

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : أى بعزم ماضٍ لا قَرار له .

١٤(وَخَيْلًا لَوْ جَرَتْ وَالرِّيحَ شَأْوًا   ظَنَنَّا الرِّيحَ أَوْثَقَهَا إِسَارُ)

التبريزى : قوله «تُكَلِّف البِيد» أى تُكلِّف قَطع البيد. والبِيد: جمع البيداء، وهى البَرِّيّة. و«خيلًا»: عطفٌ على «المطايا». أى كَلَّفت قطع البيد المطايا وخيلًا .

(١) حـ من التبريزى : « عن السوار » .
(٢) ا : « كثر » .   (٣) فى الخوارزمى : « القرار » .

والشأو : الطَّلَق والسَّبْق ، أى لو جرت هذه الخيلُ مع الريح طَلَقًا لأعجزت الريحَ . وإسار : قِدٌّ يُشَدّ به الأسير .

البطليوسى : البِيد : الفلوات التى تُبيد مَن سلكها، واحدُها بيداء . والعزم : المَضاء على الأمور والنُّفوذ فيها . فأما الحزم، فصحّة الرأى والتدبير . ومن أمثال العرب : «قد أحزِم لو أعزِم» . والشأو : الطَّلَق .

الخوارزمى : الواو فى قوله «والريح» بمعنى مع . الإسار، هو القيد الذى به يُشَدّ الأسير .

١٥ (غَدَتْ ولَهَا حُجُولٌ مِنْ لُجَيْنٍ وَرَاحَتْ وَهْيَ مِنْ عَلَقٍ نُضَارُ)

التبريزى : العَلَق : الدم . ومعناه أنك تَغْشَى الحرب وخيلُك حجولها بيضٌ كأنها من لُجين ، أى من فضة ، وتَثنيها وقد غيّرها الدمُ فكأنها نُضار، أى ذهب .

البطليوسى : الحُجول : البَياض فى القوائم . وأصل الحُجول القُيود ، واحدها حِجْل . والحُجول أيضا : الخلاخيل ، وهى التى أراد هاهنا ، لذكره اللُّجين ، وهى الفضّة . يقول : غدتْ خيلُك إلى الحرب وفى قوائمها مِن بياض التَّحجيل شِبْه الخلاخيل المَصوغة من الفِضّة ، ثم راحت من الحرب وقد دَميت قوائمُها من العَلَق ، وهو الدم ، فكأن عليها خلاخيل من نُضار ، وهو الذهب . قال النابغة الذُّبيانى فى الحِجْل الذى يُراد به الخَلخال :

على أنّ حِجْلَيها وإن قُلْت أوسِعَا صَمُوتان من مَلْءٍ وقِلّة مَنْطِق

وقال جريرٌ فى الحِجْل الذى هو القَيد :

ولما أتَى القَيْنُ العِراقىَّ بآستِه فَزِعتُ إلى العَبْد المُقيَّد فى الحِجل(١)

(١) عنى بالقين العراقى البعيث، وبالآخر الفرزدق .

الخوارزمى : الضمير فى « راحت » للخيل، و «هى» للحُجول . «والحُجول» مع « الجَبين » إيهام .

١٦(وأشبعتِ الوُحُوشَ فصاحبتْها كأنَّ الخامعاتِ لها مِهارُ)

التبريزى : الخامعات : الضِّباع . والمعنى أنها تتبع الخيل تنتظر أن يقع قتيلٌ فتأ كلَ منه، فهى تلزم الخيلَ كأنها لها مِهار .

البطليوسى : الخامعات : الضِّباع؛ قيل لها ذلك لأنها تَخْمَع، أى تعرَج . يقول : قد أنِست الوحشُ بخيلك، وصارت لها الضِّباع كالمِهار؛ لأنها تَغْذوها بلُحوم القَتْلى كما تَغذو مِهارَها بالألبان . وهذا معنًى كثيرٌ مطروق .

الخوارزمى : الخامعات فى « تُفَدِّيك النفوس »(1) . شَبَّه الضباع بالمِهار، لصغر أجسامها بالإضافة إلى أجسام الخيل، واتّباعها الخيل على الدوام، وكونها مُشبِهةً الخيل .

١٧(وكمْ أورَدْتَها عِدًّا قديمًا يَلُوحُ عليـه مِنْ خَزٍّ خِمارُ)

التبريزى : العِدّ : الماء الذى له أصل لا يُخشى عليه النَّزح . وخزّ الماء : الطُّحلب، لأنه أخضر . أى إنك تُورد الخيلَ ماءً قديمًا عهدُه بالوُرّاد .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

١٨(تَطاعَنُ حَوْلَهُ الفُرْسانُ حَتَّى كأنَّ الماءَ مِن دَمِهِمْ عُقارُ)

التبريزى : ... ...

(1) البيت العاشر من القصيدة الثالثة والثلاثين .

البطليوسى : العِدّ : الماء الكثير الذى له مادة تُمِدُّه، فهو لا ينقطع. وشَبّه ما فوقه من الطُّحلب بخمارٍ من خَزٍّ. وصف أنه ممتنع من الوُرود لتطاعُن الفرسان حواليه، وتغالُبِهم عليه؛ وأنّ هـذا الممدوح وَرَده لجُرأته، وأنه ذو عِزّة من رَهْطه وأسرته. وشَبّه الماء بالعُقار لما يَختلط به من الدم. ونحوه قولُ جرير:

فما زالتِ القتلَى تَمُور دِماؤُها[1] بدِجْلةَ حتى ماءُ دِجلةَ أشكلُ

الخوارزمى : عنى بقوله « يلوح عليه من خزٍّ خمار » ما يُرى على ذلك من نَسج العناكب. وهذه كنايةٌ عن تَطاوُل عَهد الوُرّاد به؛ ونحوه قولُ الزَّفَيان:

ومَنْهلٍ طـامٍ عليـه الغَلْفَقُ يُنير أو يُسْـدِى به الخَدَرْنَقُ[2]

وقال مَرْوان بن أبى حَفْصة:

ومَنْهـلٍ آجـنٍ للعنكبوت به نَسْجٌ يُرى فوقَ طامِى مائه الدمنِ

وقيل: به عنى الطحلب. وفى شعر الأستاذ أبى الفرج بن هندو:

بها مَنهلٌ كالزّيت طامٍ جِمامُه يَبُلُّ لَهاةَ الحشْف بعد ثمـانى

تلفّع فى خَزِّ الغَلافِق وَارتدَى بأدْكَنَ مِن رَنْق المِيـاه مُهـانِ

والمعنى من بيت السقط:

وكائنْ قد وردتُ به غديرًا ولُهْجَات بالرِّى ارتهانُ[3]

١٩(كَذَا الأَقْمَارُ لا تَشْكُو وَنَاهَا وَلَيْسَ يَعِيبُهَا أَبَدًا سِفَارُ)

التبريزى : الـوَنَى : التَّعب. والمعنى أنّ الأقمار لا تزال مُسافرة، وهى أسرع الكواكبِ السبعة فى السَّير، وهى مع ذلك لا تَشتكى نَصَبًا ولا إعياء.

---

(١) فى أ من البطليوسى: « تمج دماءها ».

(٢) الغلفق: الطحلب. والخدرنق: ذكر العناكب.

(٣) البيت الخامس والأربعون من القصيدة الثالثة ص ٢٠٩.

البطليـــوسى : الونَى : الإعيـاء والكَلال . والسِّفار : المُسافـرة ، وكلاهما مصدران لسافر، غير أنّ المُسافرة أكثر آستعمالًا منه . يقول لهـذا الممدوح : أنت فى كثرة حركاتك ، وقِلّة اكتراثك لذلك ومُبالاتِك ؛ كالأقمار التى هى مُتصلة الحركة والسفر ، وهى مع ذلك لا تَشكو من ونًى ولا ضَرر . وإنمـا يريد أنْ مَنْ عَظُمت همّته ، كثرت أسفاره وحركته؛ كما قال المُتنبي :

وإذا كانت النفـوسُ كِبارًا تَعِبتْ فى مُرادهـا الأَجسامُ
وكذا تَطْلُـع البُـدورُ علينـا وكـذا تَقْلَقُ البُحورُ العظامُ (١)

الخـــوارزمى : هذا البيت ناظرٌ فى قوله « وكم أوردتها صدًّا قديما » (٢) .

(١) كذا فى ا والديوان . وفى حـ : « البحار » .

(٢) هو البيت السابع عشر من هذه القصيدة .

[القصيدة الخامسة والثلاثون]

وكان أبو عبد الله السقّاء[(١)] الكاتب سأله أنْ يعمل قصيدةً إلى صاحبه يَصف له ما شاهده فيه من الإخلاص والولاء[(٢)]؛ فقال من المُنسرح الأوّل والقافية متراكبة:

١ (تُثْنِي عَلَيْـكَ البِـلَادُ أَنَّكَ لَا   تَأْخُذُ مِن رِفْـدِهَا وتَرْفِدُهَا)

التبريزى : المعنى أنك لا تسترفد البلاد، وإنما رِفْدك يأتيها . وهذه دعوى باطلة؛ لأنّ العالَم إنما يرزقهم الله من الأرض .

البطليوسى : قال الأصمعىّ : لرَّفد، بفتح الراء : مصدر رفدته ؛ والرِّفد، بكسر الراء : القَدَح . وقال أبو عُبيدة مَعمر : الرِّفد، بكسر الراء : مصدر رَفدته ؛ والرَّفد، بفتح الراء : القدح . واختلفا فى بيت الأعشى :

رُبَّ رَفْـدٍ هرقْتَهُ ذلك اليـو   مَ وأَسْرَى مِن مَعشرٍ أقتـالِ

فرواه الأصمعىُّ بالكسر، وأبو عُبيدة بالفتح . وعَدْل القولِ بينهما أنّ الرَّفد، بالفتح: المصدر، والرِّفد بالكسر، الاسم . فأما القَدَح فيقال فيه رِفْد ورَفْد معا .

الخوارزمى : قوله « أنك » أى بأنك . ويُحذف حرف الجر عند « أنّ » و « أَنْ » كثيرا .

---

(١) فى أ من التبريزى : « أبو عبيد الله » .

(٢) فى البطليوسى : «وقال أيضا وهى من سقط الزند، وقد سأله أبو عبد الله بن السقاء الكاتب أن يصنع قصيدة فى مخدومه الذى كان يتصرف بين يديه، يصف له فيها ما شاهده من ولائه وإخلاصه، فقال قصيدة طويلة منها هذه الأبيات » . وفى الخوارزمى : « وقال أيضا فى المنسرح الأول والقافية من المتراكب، وكان أبو عبد الله بن السقاء الكاتب سأله أن يعمل قصيدة إلى صاحبه يصف له ما شاهد فيه من الولاء والإخلاص، فقال قصيدة منها » .

٢ (مَنِ ارْتَعَتْ خَيْلُهُ الرِّيَاضَ بِهَا وَكَانَ حَوْضَ الصَّفَاءِ مَوْرِدُهَا)

٣ (فَـفِي نَبَاتِ الرُّءُوسِ تَسْرَحُها أَنْتَ وَمَاءَ الجُسُومِ تُورِدُها)

التبريزى : يقول للممدوح : مَن كانت خيلُه ترْعَى نباتَ الأرض وتشرب ماءَها، فخيلك تَسرح فى نبات الرءوس وتُورِدها ماءَ الجسوم، أى الدِّماء، يعنى قتْلَه الأعداء .

البطليوسى : يقول : إذا كان غيرُك لا ترْعَى خيلَه رياضَ البلاد إلّا على جِهة المسالَمة والصَّفاء، والمهادنةِ للأعداء؛ فأنتَ إنّما ترْعَاها على جهة المغالبة لهم، وتقتلُ كلَّ مَن تعرَّض دونها منهم . وهذا نحوُ قول معاويةَ بنِ مالك :

إذا سقَطَ السَّماءُ بأرضِ قومٍ رَعيناه وإن كانوا غِضابًا

وقال أبو الطيِّب :

تعوّدَ ألّا تقضِم الحبَّ خيلُه إذا الهامُ لم ترفَعْ جُنوبَ العَلائقِ (١)

ولا تَرِدَ الغُدرانَ إلّا وماؤُها من الدّمِ كالريحانِ تحتَ الشّقائقِ

الخوارزمى : « مَن » ها هنا، هى الموصولة، وهى فى محلِّ الرفع على الابتداء . وقوله « فى نباتِ الرءوس تَسْرَحُها » خبر المتبدأ . الضمير فى « بها » للبلاد، وفى « مَوْرِدها » للخيل . و « حوضَ الصفاء » منصوبٌ على الظرف. فكأنّه يقول : مَن آثر الدّعة والراحة، تَرعى خيلُه نباتَ الأرض وتشربُ نميرَ الحياض، فأنت لا تضاهيه وهو لا يضاهيك ؛ لأنّ خيلَك لا تأكل إلّا لحوم الأعداء، ولا تشرب إلّا دماءهم . ويحتمل أن يكون من قبيل البيت الثانى قولُ أبى الطيِّب :

(١) العلائق : جمع عليقة، وهى المخلاة .

عَلى كُلِّ طَاوٍ تحتَ طَاوٍ كأنّه ... مِن الدّمِ يُسقَى أو مِن اللّحمِ يُطْعَمُ

ونظير قولِ أبى العلاء من حيث أسلوب الكلام بيتُ الحماسة :

مَن كانَ أحجَمَ أو خامَتْ حقيقتُه ... عِند الحِفاظِ فلم يُقْدِمْ على القُحَمِ[(١)]

فَعُقْبةُ بنُ زُهيرٍ يومَ نازَلَهُ ... جَمْعٌ مِن التُّركِ لم يُحجِمْ ولم يَخِمِ

وهـذا تركيبٌ عربىٌّ لا يكاد يوجَد إلّا فى شعر العرب ومَن يذهب مذهَبهم . والذى يُؤْنسك أنّ «مَن» هذه الموصولةُ لا المشروطة قولُ جمال العرب الأبيوردىّ :

ومَنْ تُرَجِّيه للدُّنيا وتَمدحُه ... فأنتَ تَمدَحُ للدُّنيا وللدينِ[(٢)]

وقوله أيضا :

ومَن يتصدّى للوزارةِ جاهدًا ... ويَمْسَحُ عِطْفَ المَطْلَبِ المتصعِّبِ[(٣)]

فقَدْ نزعَتْ وَلْهَى إليك وخَيَّمتْ ... بخيرِ فتًى واستوطَنَتْ خيرَ منصِبِ

ودخول الفاء على خبر المبتدأ هاهنا ، كدخولها عليه فى قولهم : الذى يأتينى فله درهم .

٤ (خَيْلُكَ طُولَ الزَّمانِ قائِلَةٌ ... أَمَا لِذا غايَةٌ فيقْصِدُها)[(٤)]

التبريزى : جاء على مذهب الشّعر فى الادّعاء، لأنّ الخيلَ لا تقول شيئا ، وقد ادّعى أنّها ناطقة تقول : أما لهذا غايةٌ مقصودة يقتصر عليها .

البطليوسى : سياق .

---

(١) فى الحماسة ٣٢٣ بن : «من كان أخّم» صوابه ماهنا . وخامت : جبنت . وفى الأصل هنا : «أو نامت» والصواب من الحماسة . والشعر لأخى حزابة أو ابن حزابة .

(٢) فى الأصل : «ترجيه للدنيا وتمدحه» والصواب من الديوان ٣٣٣ .

(٣) فى الأصل : «المتعصب» صوابه من الديوان ص ٢٣ .

(٤) فى البطليوسى : «أماله غاية» .

الخـــوارزمى : القياس فى قـوله «فيقصدها» النصب، لأنه فى جـواب الاستفهام وقع . ألَا ترى إلى ما أنشده حمزة فى الأمثال :

* ألَا سبيلَ إلى خمرٍ فأشربَها *[1]

بنصب «فأشربها» . إلّا أنّ أبا العلاءِ هاهنا قد ضمَّنه معنى التمنِّى فأجراه مجـراه ؛ كأنه قال : خيلُك طولَ الزمان تقول : نودُّ لو تكون له غايةٌ فيقصدها . ونظيره قول عوف بن محلِّم الشَّيبانى :

أفِى كلِّ عامٍ غُـــربةٌ ونُزوحُ أمَا لِلنَّــوَى مِن وَنْيــةٍ فتُريحُ[2]

وممَّـا يُطلِعك على أنّ مثلَ هـذا النَّمَطِ من الكلام محمـولٌ على التمنِّى قولُهم : ألَا ماءَ أشرَبْهُ، بالجـزم . فقولهم «ألا ماء» لو لم يكن محمولًا على التمنِّى لمـا جاز انجزام قولهم «أشربه» لأنّه حينئذ يصير المعنى : إن لم يكن ماء أَشْرَبْه . وهـذا محالٌ، بل معناه أودُّ أن يكون لى ماءٌ أشربُه . وعلى هذا [كانَ] قوله :

* ألَا رجلًا جزاه الله خيراً *[3]

محمولًا على التمنى ، وإلّا فلا وجهَ للنَّصب فيه . وكذلك العَـرض ، وهو قولهم : ألَا تنزِلُ تُصبْ خيرًا ، يعاملُ معاملةَ التمنِّى ، وإلّا فلا مساغ لانجزام قولهم : تُصِبْ خيرا . والمصراع الثَّـانى من بيت أبى العـلاء فى محـلِّ النصبِ على أنّه مفعولٌ

---

(١) البيت للتمنية ، وهى القريعة بنت همام ، وتعرف بالذلفاء ، وهى أم الحجاج بن يوسف . وعجز البيت كما فى الخزانة (٢ : ١٠٨) :

* أم لا سبيل إلى نصر بن حجــاج *

(٢) انظر أمالى القالى (١ : ١٣٠) .

(٣) صدر بيت لعمرو بن قعاس المرادى ، وعجزه كما فى الخزانة (١ : ٤٥٩) :

* يدل على محصـلة تبيت *

« قائلة » . يقول : خيلُك أبدًا تقول : أمَا لهذا الرَّجِلِ غايةٌ ليقصدَها ، فإذا بلغها انتهى عن الحرب واستراح .

٥ ﴿ كَمْ بِمَكَرِّ الطِّعَانِ تَحْبِسُهَا وَكَمْ وراءَ العَدُوِّ تَطْرُدُها ﴾[1]

التبريزى : قال : المعنى أنَّها تعجَّبتْ مِن طولِ حَبْسه لها بمَكَرِّ الطِّعان ، وأنَّها لا تزالُ تطرد العدوّ .

البطليوسى : وقع فى بعض النسخ : « أما لذا غايةٌ » . ورفع « يقصدُها » على [أنه] خبر مبتدأ مضمر . كأنه قال : فهو يقصد . ولو نصب على الجواب لكان أجود .

الخوارزمى : الضمير الغائب فى « تحبسها » و « تطردها » للخيل .

٦ ﴿ أَعْيُنُهَا لَمْ تَزَلْ حَوَافِرُهَا تَكْحُلُهَا والغُبَارُ إِثْمِدُها ﴾

التبريزى : أى لا تزال حوافرها تُثير الغبار ، وتجعله إثمِدَ عيونِها . والإثمد : الكحل المطيَّب[2] .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : قوله « والغبار إثمدها » من باب :

* تحيَّةُ بينِهِمْ ضَرْبٌ وجيعُ[3] *

ولقد أغرب حيث جعل حوافرها تكحل أعينها .

---

(١) أ من البطليوسى : « كم بمكان الطعان » .

(٢) كذا . ولم نجد من فسره بهذا القيد . ولعل فى الكلام سقطا . وفى اللسان (٣ : ٢٨٤) « وفى الحديث أنه أمر بالإثمد المروح عند النوم » . وقد فسر « المروح » بأنه « المطيب » .

(٣) عجز بيت لعمرو بن معد يكرب ، وصدره : * وخيل قد دلفت لها بخيل * انظر الخزانة (٤ : ٥٦) .

٧ ﴿إنّ لَهَا أُسْوَةً إذَا جَزِعَتْ فِي بِيضِكَ الخَالِيَاتِ أَغْمُدُهَا﴾

التبريزى : أى لها أُسوة فى ذلك بسيوفك التى أغمُدُها خاليةٌ منها[1]، فيجوز أن تكون خيلُك سائرةً إلى أعدائك فى مقاصدك ولا تَقِرّ فى مكانٍ، كما لا تَقِرّ سيوفُك فى أغمادها .

البطليوسى : يقول : لِكثرةِ ما أَلِفَتِ الحربَ ومطاردةَ الأعداء، لا يُؤْلِم الغبارُ أعينَها ولا يُؤْذِيها، بل هو عندها كالإثمد الذى يُصلِح الأبصارَ ويجلوها . وهذا نحو قولِ الآخر :

غُبارُ قطيعِ الشّاءِ فى عَينِ ذِيبِها إذا ما تَلَا آثارَهُنّ ذَرُورُ[2]

والإُسوة، بكسر الهمزة وضمها : القُدوة . والبِيض : السُّيوف؛ سمِّيت بذلك لبريقها . وقيل سمِّيت بِيضًا لحُسْن آثارها وما يُنالُ بها من الظَّفَر. والعربُ تستعمل البياضَ بمعنى الحُسْنِ، والسوادَ بمعنى القُبْحِ، وإنْ كانَ لا بياضَ هناك ولا سواد . قال الأخطل :

رَأَينَ بياضًا فى سوادٍ كأنّه بياضُ العطايا فى سوادِ المطالبِ[3]

الخوارزمى : يقول : بِيضُك قدوةُ خيولِك، من حيث إنّ كلَّ واحدةٍ منهما لا تقِرّ .

٨ ﴿لَا رَقَدَتْ مُقْلَةُ الجَبَانِ وَلَا مَتَّعَهَا بِالكَرَى مُسَهِّدُهَا﴾

٩ ﴿والنَّفْسُ تَبْغِي الحَيَاةَ جَاهِدَةً وَفِي يَمِينِ المَلِيكِ مِقْوَدُهَا﴾

١٠ ﴿فَلَا اقْتِحَامُ الشُّجَاعِ مُهْلِكُهَا وَلَا تَوَقِّي الجَبَانِ مُخْلِدُهَا﴾

(١) فى ى : « أى لها قدوة فى حركتها وانتقالها وعدم قرارها بسيوفك التى أغمدها خالية » .

(٢) الذرور، بالفتح : ما يذر فى العين من دواء .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٥٤٣ .

التبريزى : يقول : اقتحامُ الشجاع لا يؤدّيها إلى الهلكة — والاقتحام : الدّخول فى الشىء، كالحرب وغيرِها من المهالك — ولا يُنجيها توقّى الجبانِ ممّا يحذَره. ومن هذا النّحو ما يُروَى عن خالد بن الوليد المخزومى أنّه قال عند وفاته : « أموت وما فى بدنى موضعُ شِبْرٍ إلّا وفيه ضَربةٌ أو طَعنةٌ أو رَمْيَة ، وهأنذا أموتُ على فراشى[1]، فلا نامَتْ أعيُنُ الجبناء » .

البطليوسى : المُقْلة : شحمة العين التى تجمع السّوادَ والبياض . والكَرَى : النّوم . والسُّهد : السّهر . وتَبغِى : تطلُب . والاقتحام : الدُّخول فى المهالك . والتوقّى : التحفُّظ .

الخوارزمى : هذا من قول خالد بن الوليد : « لقد لقيتُ كذا وكذا زَحْفًا ، فما فى جَسَدى موضعٌ إلّا وفيه ضربةٌ بسيفٍ، أو طعنةٌ برمح ، أو رمية بسهم ، وهأنذا أموتُ على فِراشى كما يموت العَير ، فلا نامت أعيُن الجُبناء » .

١١ (لِكُلِّ نَفْسٍ مِنَ الرَّدَى سَبَبٌ لَا يَوْمُهَا بَعْدَهُ وَلَا غَدُهَا)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى «يومها» و«لا غدها» للنفس ، وفى «بعدَه» لسبب ، والجملة ، أعنى قوله «لا يومُها بعده ولا غدُها» صفة لقوله «سببٌ» . يقول : قُدِّر لكلِّ نَفْسٍ من الهلاك سببٌ ، متى وقَع لم يَبْقَ معه يومُ النّفسِ ولا غدُها .

١٢ (قُلْ لِعَدُوِّ الأَمِيرِ يَا غَرَضَ الدَّهْرِ وَمَنْ حَتْفُ نَفْسِهِ دَدُهَا)

التبريزى : الهاء فى « بعدَه » راجعةٌ إلى السبب ، أى لكلِّ أجلٍ سببٌ لا يتقدّم عليه ولا يتأخّر عنه . والغَرَض : الهدف الذى يُرمَى فيه . والدّدُ : اللهو

(١) فى بعض الروايات : « على فراشى كما يموت العير » ، كما فى الخوارزمى .

واللعب . قال النبي صلى الله عليه وسلم : «مَا أنا مِن دَدٍ ولا الدَّدُ منّي» . ويقال فيه دَدَنٌ، ودَدًا مثل قفًا .

البطليوسي : الرَّدَى : الهلاك . وأصل السَّبَب الحبل، ثم يُضرب مثلًا لكلّ شيء يُتوصَّل به إلى غيره . والحتف : المنيّة . والدَّدُ والدَّدَن والدَّدا مقصور : اللهو واللعب . وزاد أبو عمر المُطَرِّز : ددّ، بالتشديد، وهو نادر، ولا أعلم أحدًا حكاه غيره .

الخوارزمي : سيأتي .

١٣ (هَذَا هُوَ الْمَوْتُ كَيْفَ تَغْلِبُهُ وَفَضْلُهُ الشَّمْسُ كَيْفَ تَجْحَدُهَا)

التبريزي : ... ...

البطليوسي : ... ...

الخوارزمي : الضمير في « دَدُها » راجعٌ إلى نفسه . وقوله « ياغَرَضَ الدَّهرِ ومَن حتفُ نفسِه دَدُها» في محلّ النصب على أنّه مفعولُ « قل » . ويجوز أن يكون المفعول «هذا» مع البيت الثاني . قال عبد الله بن عطية، وكان راويةَ جريرٍ والفرزدق : دعاني الفرزدقُ يومًا فقال : إنّي قد قلتُ بيتَ شعرٍ، والنَّوارُ طالقٌ إن قدَر ابنُ المَرَاغةِ على نَقْضه . قلتُ : وما هو ؟ قال :

فإنّي أنا المـوتُ الذي هـو نازلٌ بنفسِكَ فانظُرْ كيفَ أنتَ تُحاوِلُهْ

ارحَلْ به إليه . قال : فرحلتُ إلى اليمامة، فلقيتُ جريرًا بفِناء داره، وهو يَعْبَث بالرَّمل، فقلت : إنّ الفرزدقَ قال بيتًا وحلَف بطلاق النَّوارِ أنّك لا تنقُضُه . قال : وما هو ؟ فأنشدتُه إيّاه، فجعل يتمرّغ في الرمل ويحثوه على رأسه وصدره، حتّى كادت الشمسُ تَغيب، ثم قال : طَلَقت امرأةُ الفرزدقِ الفاسق :

أنا الدَّهرُ يُفْني الموتَ والدَّهرُ خالدٌ فجِئْني بمثـل الدَّهرِ شيئًا يُطـاوِلُهْ

يقول : قُل لعدوِّ الأمير : إنّك بمعاداتك الأميرَ قـد استهدَفْتَ للدهر يتطرّق إليك، فى مَظانِّ اللّعب ووجوهِ العوائد، رزاياه .

١٤(سُيُوفُه تَعْشَقُ الرِّقابَ فَمَا يُنْجِزُ حَتَّى اللِّقَاءِ مَوْعِدُها)

التبريزى : ادَّعى للسيوف أنّها تعشَق الرِّقاب، فما يُنْجِزُ موعدُها إلّا عند لِقاء الحِراب .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : المراد باللقاء هو الحرب .

١٥(يَكَادُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُجَرِّدَها يَعْتَنِقُ الدَّارِعِينَ مُغْمَدُها)

التبريزى : أى يكاد مُغْمَدها يعتنق الدَّارعين قبل التجريد .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا كبيت السقط :

تكادُ سُيوفُه من غير سَلٍّ تُجِدُّ إلى رِقابِهِمُ انسِلالا (١)

١٦(يُرْوِى الظُّبَا والرِّماحُ نَاهِلَةً مُتَّصِلٌ فِى الوَغَى تَأَوُّدُها)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : الاعتناق فى الحرب، والمعانقة والعِناق فى المودّة، وقد يُستعمل الاعتناق فى المودّة والعِناقُ فى الحرب . والظُّبا : جمع ظُبَةٍ، وهى طَرَف السيف . والناهل : العطشان، ويكون الرَّيّانَ فى غير هذا الموضع . قال النّابغة الذبيانى بجمع بين اللُّغتين :

والطاعِنُ الطعنةَ يوم الوغَى يَنْهَلُ منها الأَسَلُ النّاهلُ

(١) انظر البيت ١٣ من القصيدة الأولى ص ٤٤ .

والوغى والوعَى : الأصوات فى الحرب ، ثم سمِّى الحربُ وغًى، لِما فيها من الأصوات . والتأوّد : التثنِّى .

الخوارزمى : يقول : إنه يُروى السُّيوفَ من دِماء الأقران، والرماحُ ظماء متثنِّية للطِّعان . يعنى أنه يتِمّ المضاربة بالصِّفاح، قبل أن يتِمّ النـاسُ المطاعنة بالرماح . وهذا مما يُتمدَّح به؛ لأنّ أوّلَ الحرب مطاردةٌ، ثم مراماةٌ، ثم مطاعنة ، ثم مجالدة .

١٧ (كأنّها شِجْعَةٌ بها زَمَعٌ أو ذاتُ جُبْنٍ[1] فالخوفُ يُرْعِدُها)

التبريزى : الظُّبا : السيوف . والرِّماح ناهلةٌ، أى قد شَرِبتِ الشُّربَ الأوّل . وتأوّدها : تثنّيها للطّعن . والشِّجْعة : جمع الشُّجاع . والزَّمَع : خِفّة تلحق الإنسانَ إذا شهِد الحرب .

البطليوسى : يقال : قوم شَجْعة وشِجْعة، بفتح الشين وكسرها[2]، وهم الشُّجعان، والقياس الكسر لأنه جمع شجيع وشُجاع، فهى كصبىّ وصِبْيَة ، وغُلام وغِلْمة . وشَجعة، بالفتح : اسم للجميع . والزَّمَع : خِفّةٌ تعترى الشّجاعَ عند الحرب ، ورِعْدةٌ من شدّة الحِرْص والشَّره .

الخوارزمى : الشِّجعة : جمع شُجاع ، ونظيرها غِلْمةٌ فى جمع غلام . أصابه زَمَعٌ، أى رِعدةٌ من الخوف أو النّشاط . شبّه اضطرابَ الرِّماح فى الحرب بِرِعْدة شُجعانها وجُبنائها .

١٨ (جاءتك لَيْليّةٌ شآميَةٌ كأنّها بالعِراقِ مَوْلِدُها)

التبريزى : لَيليّة : عُمِلت باللّيل . شآمية : عُمِلت بالشام .

البطليوسى : سيأتى .

(١) أ من التبريزى : « وذات جبن » .
(٢) ويقال أيضا بضمها وبالتحريك ، فهى أربع لغات .

الخوارزمى : ليليّة : منسوبة إلى لَيْلَى . وهـذا لأنّ شِعر النساء موصوفٌ باللِّين واللُّطف . وعليه بيت السقط :

شَجَتْكَ بظاهِرٍ كقَرِيضِ لَيْلَى وباطِنُهـا عويصُ أبى حِزامِ (١)

وكذلك الشِّعر الشامىّ . ولذلك قال جرير : « أرى شِعرًا شآميًّا لو لوَحتـه سَمومُ نجـدٍ لم يَبقَ منه شىءٌ » . و«ليلية» منصوبة على الحـال . يقول : جاءتك هذه القصيدة ولها لُطْفُ الشِّعر اللَّيْلَوىّ ، وطَراوة القريض الشامىّ ، وظَرْف النَّظم العـراقىّ .

١٩ (قَائِلُهَا فاضِـلٌ وأفضَـلُ مِنْ قَائِلِهَـا الأَلْمَـعِىُّ مُنْشِـدُهَا)

التبريزى : الألمعىّ : الصادق الظنّ الذكىّ .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الألمعىّ ، هو الذكىّ ، مِن لَمْع النار ، وهو إضاءتُها ، كما أنّ الذكىّ من ذَكاء النار ، وهو توقُّدها ، واللوذعىّ ، من لَذْع النار . وعلى عكس ذلك قيل للبليد مَاهُ القلبِ ، ومثلوجُ الفؤاد . والنسبة فيه غير حقيقيّة ، كما فى « كرسىّ » (٢) . الألمعىّ هاهنا يجوز أن يقرأ مجرورًا على أنه صفة «قائِلها» ، ومرفوعًا على أنه مبتدأٌ وخبره مقدّم (٣) ، وهو « أفضلُ منْ قائلها » .

---

(١) البيت ١٤ من القصيدة ٦٤ . وأبو حزام ، هو أبو حزام العكلى أحد فصحاء الأعراب ، وله قصيدة فى الغريب فسرها أبو محمد الأموى . ونشرت مع الأصمعيات ٧٥ — ٧٦ .

(٢) فى اللسان : « رجل ماه الفؤاد وماهى الفؤاد : جبان كأن قلبه فى ماء » . وقالوا إن أصله مائه ، أى كثير الماء .

(٣) فى الأصل : « على أنه خبر مبتدأ وخبره مقدم » .

٢٠ (كَاتِبُكَ المُزْدَهَى بِمَنْطِقِهِ صَهْوَةُ حتى يَخِرَّ جَلْمَدُها)

التبريزى : المزدَهى : المستخَفّ . وصَهوة : اسم جبلٍ . وجَلمدها : صخرها .

البطليوسى : ليليّة : قصيدةٌ صُنعت فى ليلةٍ . والألمعىّ : الذكىّ المتوقّد . ويجوز فيه الخفض على الصّفة للقائل، والرفُع على خبر المبتدأ . والمزدَهى : المستخَفّ . وصهوةُ : جبل معروف . والجلمد : الحَجَر . يقول : إنه يضرب هذا الجبلَ بكلامه ويستخفّه حتى تتساقط حجارتُه، فكيف غيره . ومن رفع «ليليّةٌ شآمية» فبالفعل، كما يرتفع الفاعل؛ ومن نصب فعلى الحال . وأضمر القصيدة فى «جاءتك» وإن لم يتقدّم لها ذكر، لما فهم المعنى؛ كما قال تعالى: ﴿حتى تَوَارَتْ بِالحِجَابِ﴾، فأضمر الشمس ولم يتقدّمْ لها ذِكر ؛ وكما قال الشاعر :

سَقَى دِمْنَتينِ ليس لِى بِهما عَهْدُ بحيثُ الْتَقَى الدّاراتُ والجُرُع الكُبْدُ

فأضمر فى « سقى » الغيثَ، أو الله تعالى ، وهو كثيرٌ فى الكلام والشّعر . ويجوز « المزدهِى » بكسر الهاء، ونصب « صهوة » .

الخوارزمى : « كاتبك » بدل من « منشدها » . ويحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف، والتقدير هو كاتبك . اللام فى «المزدهى» بمعنى الذى، والصفة فيه بمنزلة المضارع، وإلّا فلا مساغ لحتّى هاهنا . يروى «المزدهَى» على اسم المفعول، وهو أشفّ الروايتين . و « صهوة » حينئذ مرفوع على أنه [نائب] فاعل « المزدهَى » . ويروى على اسم الفاعل و « صهوة » حينئذ منصوب . صهوة : علم لجبل، منقول من الصّهوة، وهى أعلى كلّ جبل . قال عارق[1] :

وأقسمتُ لا أحتلُّ إلا بصَهْوةٍ حَرامٌ عليك رَمْلُهُ وشَقائِقُهْ

(١) هو عارق الطائى، واسمه قيس بن جروة . وفى الأصل : « عارن » محرف . وانظر الشعر فى الحماسة (٧٦١ بن) منسوبا إليه .

٢١ (أَسْهَبَ فِي وَصْفِهِ عُلاَكَ لَنَا حَتَّى خَشِينَا[١] النُّفُوسَ تَعْبُدُهَا)

التبريزي : «أسهب فى وصفه علاك لنا» ، أى بالغ ، وأطنب بمعناه . يقال أَسهَبَ الرّجلُ فهو مُسْهَب ، وأَحْصَنَ فهو مُحْصَن ، وأَلْفَج فهو مُلْفَج ، إذا أعسر . هذه الثلاثة جاءت على أَفْعَلَ فهو مُفْعَل . والقياس مُفْعِل . وفى الحديث : « أنه قيل للحسن البصرى : أيُدالِكُ الرّجلُ امرأتَه[٢] ؟ » أى يماطُلها بالمهر . فقال : نعم ، إذا كان مُلْفَجًا ، أى معسرا .

البطليوسى : الإسهاب : كثرة الكلام صوابًا كان أو خطأ ؛ وتختلف الصِّفة منهما ، فإن كانَ إكثارًا مع إصابة قيل رجل مُسْهِب ، بكسر الهاء ، وإن كان إكثارًا مع خطاءٍ من خَرَفٍ وذَهابِ عقلٍ ، قيل رجل مُسْهَب ، بفتح الهاء . والفعل منهما جميعا أَسْهَب على صيغة فعل الفاعل ، وهو نادرٌ جاء على غير قياس . ويروى : «حتى خشِينا» أى خِفْنا النفوسَ أن تعبدَها . فلما حذف «أن» ارتفع الفعل ؛ كقول طَرَفــة :

* ألا أيُّهذا الزّاجِرِى أَحضرُ الوَغَى[٣] *

والرواية الأولى لا حَذْفَ فيها ، وهى أحسن .

الخوارزمى : الضمير المنصوب فى « تعبدُها » للعلا .

٢٢ (زَفَّ عَرُوسًا حُلِيُّهَا كَلِمٌ تُنْجِــدُهُ تَارَةً وَيُنْجِــدُهَا)

التبريزى : ســيأتى .

البطليوسى : يقال : زفّ العروسَ إلى زوجها وأزفّها ، إذا بعثَها . وتنجده : تُعينه . ويُنجدها : يعينها . والضمير الفاعل فى «ينجدها» ، يحتمل وجهين : أحدهما

---

(١) البطليوسى : « حتى حسبنا » . (٢) انظر اللسان (دالك) .

(٣) عجزه : * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى *

أن يعود على الذى زفّ العروس ، والثانى أن يعود على الحُلِىّ . وكذلك الهاء فى قوله « تجده » ، يحتمل الوجهين جميعا ؛ فإذا كان الضميران للذى زفّها كان معناه أنّ القصيدةَ أعانَتْـه بتأتّيها وانطباعها ، وأعانَها هو بتثقيفها وتنقيحها ، فاجتمع فيها الطّبعُ والصّنعة . و إذا كان الضميران للحُلِىّ كان معناه أنّها زانت الحُلِىّ كما زانها الحُلِىّ ، فيكون نحواً من قول أبى الطيِّب :

إذا خلعتُ على عِرْضٍ له حُلَلاً وجدتَها منه فى أَبْهَى من الحُلَلِ[1]

ونحوه قول الآخر[2] :

مُبَتَّـلةُ الأعجاز زانَتْ عُقودَها بأحسَنَ ممّـا زيّنَتْها عقـودُها

٢٣ ﴿ قاضِيةٌ حقَّـهُ لَدَيْكَ ومَا يُنْسَبُ إلّا إلَيْكَ سُودَدُها ﴾[3]

التبريزى : العَروس ، يعنى بها القصيدة ، أى الكاتبُ والقصيدةُ كلاهما مُنْجِدٌ ، أى مُعينٌ للآخر . و« قاضية » ، يعنى العروس ، أى زفّها إليك قاضيةً حقّه لديك .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : يقول : هذه القصيدة والذى يُنْشِدها عندك يتعاونان ، فتارةً هـذه تعين ذاك ، لاشتمالها على إسهابه فى صفة عُلاك ، وعلى مقاله الذى لا يوازيه مقال ، و يَزْدهِى به الجبالَ ، وتارةً ذلك يعين هـذه لتحسينها لديك ، عند إنشادها بين يديك . وكونُه عروسًا مزفوفةً ناظرٌ فى كونها ليليّة .

(١) انظر ديوان المتنبى (٢ : ٤١) .
(٢) هو الحسين بن مطير الأسدى . انظر الحماسة ٥٤٣ — ٥٤٤ . وصدره فيها :
* مخصرة الأوساط زانت عقـودها *
(٣) هذا البيت ساقط من حـ من البطليوسى .

[القصيدة السادسة والثلاثون]

وقال أيضا من السريع الثالث والقافية متواتر[1]:

١ (ذَلَّتْ لِمَا تَصْنَعُ أَيَّامُنَا ... نُفُوسُنَا تِلْكَ الأَبِيَّاتُ)

التبريزى : الأبيَّات : جمع أبيّة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : حرفُ الإشارة متى وقع مثلَ هذا الموقعِ كان فصيحًا . ومثله قولى :

أيليهمُ تلك الزَّواجرُ لم تَدَعْ ... واللهُ يشْهَدُ فى يدَيكَ عجائبَا[2]

٢ (تُجْنِى خُمُورُ الهَمِّ ما لَمْ تَكُنْ ... تُجْنِى الخُمُورُ العِنَبِيَّاتُ)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقول : حَيرة المرء من خمر الهمّ فوقَ حَيرته من خمر العنب .

٣ (أَمِنْتِ يا نَفْسُ صُرُوفَ الرَّدَى ... كَأَنَّها عَنْكِ غَبِيَّاتُ)[3]

التبريزى : غَبِيّات : جمع غبيّة، وهى الجاهلة . والغَباوة : الجهل .

البطليوسى : الأبيّات : الممتنعات ، وهى بمنزلة الآبِيات، غير أنّ الأبيّات أشدُّ مبالغةً فى الإباء، لأنّ فعيلًا وفاعلًا إذا تعاقَبَا على شىء واحدٍ كان فَعِيلٌ أشدَّهما مبالغة ؛ كقولهم عالم وعليم، وقادر وقدير . والرَّدَى : الهلاك . وصُروفه : نوائبه

(١) البطليوسى : «وقال أيضا وهى من سقط الزند» . الخوارزمى : «وقال أيضا فى البسيط (صوابه السريع) الثالث، والقافية من المتواتر، ويلزم فيه الياء» .

(٢) فى الأصل : «والله يشهد لك» ولا يستقيم به الوزن .

(٣) حـ من البطليوسى : «أم خلتها عنك» وهى رواية شاذة؛ إذ معها الإقواء .

وأحواله المتصرِّفة بالأشياء ، الناقلةُ لها من حال إلى حال . وغبيّات : غافلات . وأصل الغباوة الجهل، ثم تُستعمل بمعنى الغَفْلة . يقول لنفسه : طالَ عُمرك حتّى كأنّ صروفَ الدّهر قـد غفَلت عنـك، وجَهِلَتْ مكانَك، فأنتِ فى أمانٍ منها . وهذا تبرُّمٌ منه بالحياة، لقلّة رضاه عن الزّمن ، وكان عمره ستًّا وثمانين سنة[(١)] . وكانت وفاتُه سنة ثمان وأربعين وأربعمائة[(٢)] .

الخـــوارزمى : ... ...

٤ (رُبَّ رِماحٍ طَعَنَتْ فى العِدَى وَهْىَ الرِّمَــاحُ القَصَبِيَّــاتُ)[(٣)]

التـــبريزى : يعنى الأقلام .

البطليـــوسى : يحتمل أن يكون هذا البيتُ منقطعًا مما قبله ؛ لأنّ «ربّ» تستعمل كثيرًا عند الفراغ من قصّةٍ واستئناف أخرى . ويحتمل أن يكون متعلّقًا بما قبله . وتعلُّقه به أن يكون أراد أنّ خُمورَ الهمّ تبلغُ ما لا تبلغُه الخمــورُ العِنبيّة ، وإن كانت ليست خمــورًا حقيقية ؛ كما أنّ الرماح القصبيّــة ، تطعُن العـدى كما تطعُن الرّماحُ الخَطّيّة ؛ وإنْ كانت ليست رماحًا . وأراد بالرماح القصبيّة الأقلامَ . ونسب إلى الأقلام أنّها تطعُن العِدى ، ومرادُه أصحابُها المصرِّفون لها ؛ وذلك أنّ الله تعالى جعَل سياسةَ الممـالك والدُّوَلِ بالأقلام ، وعَظَّم أمرَ القلم بأنْ أقسَمَ به ، ووصفَ أنّ أعمالَ الخَـلْقِ مكتوبةٌ مقيَّدة به . وذُكر فى الخبر : أنّه أوّل ما خلق . فبالأقلام تُدَبَّر الممـالك ، وتُجهَّز الجيوش إلى الأعداء ؛ بجميعُ ما تُحْدِثه الجيوشُ منسوبٌ إليها ، ومحمولٌ عليها . وقد قال أبو الطيب :

---

(١) لا ندرى لم اجتلب البطليوسى هذا الكلام ؛ لأن المعروف أن شعر سقط الزند من شعر شباب أبى العلاء .

(٢) كذا ! ولا خلاف فى أن وفاة أبى العلاء كانت سنة ٤٤٩ — انظر تعريف القدماء فى غير ما موضع .

(٣) خ من البطليوسى : «وهى رماح قصبيات» .

ولربّما طعَن الفتَى أقرانَه ‍ ‍ ‍ ‍ بالرأى قبل تَطاعُنِ الأقرانِ

الخوارزمى : «طعَنتْ فى العِدى» من قول أبى الطيب :

* وعاداتُ سيفِ الدولةِ الطّعنُ فى العِدَى[(١)] *

يقول : أمِنْت الصروف وهى لا تُؤمَن، كما لا تُؤمن القَصب التى بها يطعَن .

٥ (سَرَتْ لَهَا تَرْمُحُ أَبْنَاءَهَا[(٢)] ‍ ‍ ‍ ‍ فِي الجَوِّ بُلْقٌ عَرَبِيَّاتُ)

التبريزى : أراد بالبُلْق العربيات : سحائبَ فيها برقٌ، تُشَبَّه بها الخيلُ العربية . وهذا مأخوذٌ من قول الأوّل، وهو يُرْوَى لأوس بن حَجَر، أو لعبيد بن الأبرص :

كأنّ أقرابَه لمّا علَا شَطِبًا ‍ ‍ ‍ ‍ أقرابُ أَبْلَقَ ينفِي الخَيلَ رَمّاحِ

شَطِبٌ : جبل أو وادٍ . والأقراب : جمع قُرُب ، وهى الخاصرة . والمعنى أنّ هذه الرماحَ القصبيّاتِ، وهى الأقلامُ، سرتْ لها سحائبُ ذاتُ بروقٍ . والسحائب إذا كانت كذلك تشبّه بالفرس الأبلق .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الرواية « لها »، والضمير فيه للرماح . يريد : سَرَت لِتَنْبيتِ هذه الرماحِ سُحب . شبّه السُّحبَ البوارقَ وما يتبعُها من الكِسف، وبدُوَّ البرق فيها مرّةً وخفائه أخرى، بالخيل البُلْق يتلوها المِهارُ وهى ترمحها . وهذا مأخوذٌ من قوله :

كأنّ أقرابَه لمّا علَا شَطِبًا ‍ ‍ ‍ ‍ أقرابُ أبلَقَ يَنفِي الخيلَ رَمّاحِ

شَطِبٌ : جبل . ومن قول عُروة الصعاليك :

ألم تأرَقْ لِبَرْقٍ باتَ يسرى ‍ ‍ ‍ ‍ بأكنافِ الأَراكةِ مستطيرِ
تَكَشّفَ عَائذٍ بَلقاءَ تَنْفِى ‍ ‍ ‍ ‍ ذُكورَ الخيلِ عَنْ ولدٍ صغيرِ[(٣)]

---

(١) صدره : * لكل امرىء من دهره ما تعودا *
(٢) رواية التنوير : «أفلاءها» جمع فلو، وهو المهر .
(٣) فى الديوان من خمسة دواوين العرب ٨٩ : «عن ولد شفور» (؟) .

وقوله : « ترمح » له فى « الرماح » نظير . وخص العربيات لأنهـا أقوى وأكثر حركة .

٦ (أَوْ نِسْـوَةُ الزَّنْجِ بِأَيْمَـانِها لِلرَّقْصِ قُضْبٌ ذَهَبِيَّـاتُ)

التبريزى : المعنى أنّ هذه السحب كأنّها خيلٌ بُلْق رمّاحة، أو نسـوةٌ من الزَّنج ترقص وفى أيديها قُضُب من الذهب .

البطليوسى : سَرَتْ : ذهبتْ ليلا؛ يقال : سَرَى، وأسرى . وقوله : « ترمح أبناءها » أى تركُضها بأرجُلها . والجو : ما بين السماءِ والأرض . أراد بالبُلْق العربيّات، خيلاً بُلْقا . وشبّه السّحابَ لِمـا فيه من سَواد المطر وحركةِ البرق ولمعانه بخيلٍ بُلْقٍ عربيّـة تمشى ومعها أولادُها ، فهى ترمحها بأرجلها، أو بنسوةٍ من الزَّنج يرقُصن وفى أيمانهنّ قُضبانٌ مُذْهبة . وقد سبقه الشعراءُ إلى نحوٍ من هذا التشبيه؛ قال عَبِيد بن الأبرص، وتُرْوَى لأَوْس بن حَجر، يصف سحابا :

كأنّ أقـرابَهُ لمـّا علا شَـطِباً أقرابُ أبلَقَ ينفِى الخيلَ رمّاح

وقال لَبِيـد :

أصاحِ ترى بُرَيقًا هبَّ وَهْنـًا كمِصباح الشَّـعِيلةِ فى الذُّبالِ[1]

كأنّ رَبابَهُ فى الجـوّ حُبْشٌ قِيـامٌ بالحِـرابِ وبالإلالِ

كأنّ مُصفِّقاتٍ فى ذُراهُ وأَنواحًا عليهنّ المـآلى

والمصفِّقات : اللواتى يصفّقن عند الرقص . ويروى : « مصفّحات » وهى بمعنى مصفّقات . ويروى « مصفَّحات » بفتح الفاء؛ وهى السيوف العريضة . فأخذ أبو العـلاء هذه التشبيهاتِ وزاد فيهـا زياداتٍ حسنةً : فمنها ذكر القُضُب

(١) الشعيلة بفتح الشين : النار المشعلة فى الذبال، وقيل الفتيلة المرواة بالدهن تشعل فيها نار يستصبح بها . وبالبيت استشهد صاحب اللسان (مادة شعل ١٢ : ٣٧٦) . وانظر ديوان لبيد ص ١٢٣ طبعة فينا .

الذهبيّة . ومنها تخصيصُه الخيلَ العربيّة ؛ وإنما خصَّها دونَ غيرها لأنّ العرب كانت تضمّر خيلَها وتُجريها بالعشايا حتّى يسيل عَرَقُها ؛ فشبّه السحابَ لِما فيه من البرق وما يتحلّب منه من الماء ، وأنّ السحاب الذى يكون فيه البرقُ أكثرَ ما يكون فى عشايا الصّيف — بخيلٍ بُلْقٍ عربيّة قد أُجريت فى العشايا ، فعرقُها يَسيل . وقد ذكر زهيرٌ إجراءَ الخيل بالعشيّات لِتَعْرَقَ ، فقال :

تُضَمَّر بالأصائلِ كلَّ يومٍ تَسَنُّ على سنابكها القُروُنُ

والقُرون : دُفَع العَرَق . ومن شأن أبى العلاء أن يومئَ إلى المعانى إيماءً خفيًّا ، ولذلك تعقّد كثيرٌ من شعره ، وجَرَى مَجرى الألغاز . وستقف على كثيرٍ من ذلك فى هذا الشّرح إن شاء الله تعالى . والهاء فى قوله « سَرَت لها » تعود على « الرماح القصبيّات » المتقدّمة الذكر . والهاء فى قوله « أبناءها » تعود على البُلْق العربيّات . وفى البيت تقديمٌ وتأخير، وتقديره : سَرَت لها فى الجوّ بُلْقٌ عربيّات ، ترجح أبناءَها . فقوله « ترجح أبناءها » جملةٌ فى موضع نصبٍ على الحال ، كأنّه قال : راجحةً أبناءها ؛ وهى حالٌ من نكرةٍ تقدّمتْ عليها ، ولو تأخّرتْ لكانت صفةً لبُلْقٍ . ومعنى البيت : سَرَتْ لهذه الرماح القصبيّات سَحابٌ فى الجوّ تشبه البُلْق العربيّات ، أو نِسوةَ الزّنج . فاكتفى بذكر المشبَّه به عن ذكر المشبَّه . ولم يُرِد بالسحابِ المشبَّهة بالبُلْق السّحابَ بأعيانها ، وإنّما أراد جيوشًا جُهِّزت بتدبير هذه الأقلام إلى الأعداء . والجيوش تشبَّه بالسحاب . قال الشاعر :

ورايات يحلُّ النّصرُ فيها تمرُّ كأنّها قِطَعُ السّحابِ

وقال امرؤ القيس :

أصَدَّ نَشاصَ ذِى القَرنينِ حتّى تَولّى عارضُ المَلِك الهُمام[1]

(١) يقال صد وأصد بمعنى . والنشاص كَكِتاب وسحاب : ما ارتفع من السحاب . والعارض : السحاب المعترض فى السماء . انظر ديوان امرئ القيس ١٥٠ .

وهذا من إقحام التّشبيه على التّشبيه، وإدخالِ المَجاز على المجاز، وتسميةِ الشيء باسمِ ما شُبِّه به؛ لأنّ الجيوشَ لمّا كانت تشبَّه بالسحاب، جعلَ ذِكرَ السحاب مُغنيًا عن ذِكرها، سادًّا مسدّها. ولمّا كانت السحابُ تشبَّه بالخيل البُلْق وبالزُّنج جعل ذِكْر البُلق والزُّنج مُغنيًا عن ذِكر السحاب، فبَعُدَ مرماه، وخَفِيَ معناه. وتسمية المشبَّه باسم ما شُبِّه به كثيرٌ في الشعر القديم والحديث؛ فمن ذلك قول عبد الله ابن سُليمة[1]:

مُتقارِبِ الثَّفِناتِ ضَيِّقِ زَوْرُهُ ... رَحْبِ اللَّبانِ شديدِ طَيِّ ضَرِيسِ[2]

والضَّريس: البئر المطويّة بالحجارة. فأراد شديد طيِّ الجوف الشبيه بالضّريس. فسمّى الجوفَ ضريسًا لأنّ من شأن الشعراء تشبيهَ أجوافِ الخيل بالآبار. ألا ترى إلى قول النابغة الجَعْديّ:

ويَصْهَل في مثلِ جَوفِ الطَّوِيِّ ... صَهيلاً يُبيِّنُ للمُعْرِبِ[3]

فلمّا جرت العادةُ بذلك سمّى الجوفَ نفسَه ضَريسا، وأجرى المجازَ مُجرى الحقيقة، والفرعَ مُجرى الأصل. ونحوٌ من ذلك قولُ عليّ بن الجهم:

وقُلْنَ لنا نحنُ الأهِلَّةُ إنما ... نُضيءُ لِمَنْ يسرِي بليلٍ ولا نَقْرِي

ونحوه قولُ أبي الطيِّب:

إني أنا الذَّهبُ المعروفُ مَخْبَرُهُ ... يَزِيد في السَّبْكِ للدِّينار دِينارا

الخوارزمي: في المُغَنِّين من يأخُذُ بيديه قضيبَين يضرب بهما على وسادةٍ نِطْعيّة مؤلِّفا منه إيقاعًا يُرقص به. ويحتمل أن يكون القضيبُ واحدًا كما في الطّبل.

(١) ويقال: «عبد الله بن سلمة» و«عبد الله بن سليم». انظر المفضليات ١٨٢ طبع ليل.
(٢) من القصيدة ١٩ من المفضليات. (٣) انظر اللسان (عرب).

٧ (إِنْ فَسَدَتْ مِنْ زَمَنٍ نِيَّةٌ أَوْ ظَهَرَتْ مِنْهُ خَبِيّاتُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : سيأتى .

٨ (فَالأَعْوَجِيّاتُ لَنَا عُدَّةٌ تَقْدُمُهُنَّ الأَرْحَبِيّاتُ)

التبريزى : الأعوجيّات : منسوبة إلى أعْوَجَ : فحلٍ . والأرحبيّات : منسوبة إلى أرحبَ، وهى قبيلةٌ من هَمْدان، يُنسب إليها الإبلُ الكرام .

البطليوسى : الخبيّات : جمع خَبِيّة، وهى ما خُبِئ وسُتِر . وقياسه أن يكون بغير هاء؛ لأنّ فعيلًا إذا كان بمعنى مفعول لم تلحَقْه علامةُ التأنيث ، كقولهم لمرأةٌ قتيل وجريح؛ وإنّما تلحقه تاء التأنيث إذا كان بمعنى فاعل، نحو امرأةٌ كريمة وظريفة . ولكنّهم جعلوا الخبيّة اسمًا لما خُبِئ ، ولم يُجروه على الفعل، فصار بمنزلة الذّبيحة والنطيحة . وليس فى قوله «خبيات» مايقطع بأنه جمع خبيّة، دونَ أن يكون جمع خَبِيّ؛ لأنّ الجموع التى لا تعقِل والتى تعقِل تلحقُها التاء للتأنيث، كانت فى واحدها أو لم تكن؛ كقولهم هِندات وجِمالات ورِجالات . وأعوجيّات : خيلٌ تُنسَب إلى أعوجَ ،وهوفرسٌ عتيقٌ زعموا أنه كان لملكٍ من ملوك كِنْدة ،فغزا بنى سُلَيم يوم علاف[1] ، فهزَمُوه وأخذوا أعوجَ فصار عندَهم ،ثم انتقل إلى بنى هلالِ بن عامر ، فأجاد فى نَسْله ،وانتشرت منه الخيلُ العتيقةُ فى العرب . فمن مشاهيرنسله : «الغُرَاب» ، «والوجيه» ، و «لاحِق» ،و«المُذْهَب» ، و«مكتوم» ،وكنّ لغنىّ بن أعصُر . و«ذو العُقّال»وكان لبنى رِياح بنِ يربوع ،و«جَلْوَى»وكانت لبنى ثعلبة بن يربوع ،و«داحس»

(١) علاف، بالفاء فى آخره كما فى أ وكتاب الخيل لابن الكلبى ٩ ليدن . وفى ح : « علان » .

و«الغبراء» من نسل ذى العُقّال . والأرحبيّات : إبلٌ تنسب إلى أرحبَ ، وهو حىٌّ من أحياء اليمن . قال عامر بن الطُّفيل :

فقلتُ لها هَمّى الذى تعلمينَــه   مِن الثّأر فى حَيَّىْ زُبَيدٍ وأرحَبِ [١]

و إنما قال « تَقْدُمهنّ الأرحبيّات » لأنّهم كانوا يمتطون الإبلَ فى غَزَواتهم ويقودون الخيلَ [٢] .

الخــوارزمى : خبيّات : مستورات ، من الخبايا [٣] . أعوج فى « أعن وخد القِلاص [٤] » . الأرحبىّ من الإبل : منسوب إلى أرحب ، قبيلة من هَمْدان . يريد أنّا نسافر بهما .

---

(١) انظر ديوان عامر ص ١٥٢ .

(٢) انظر المفضليات البيت ١٢ من القصيدة الخامسة .

(٣) فى الأصل : « الخباية » .

(٤) انظر البيت ٣٨ من القصيدة الأولى ص ٧٥ .

[القصيدة السابعة والثلاثون]

وقال أيضا من السريع الثانى، والقافية متدارك، يهنّئ[1] بزفاف :

١ (سَالِمُ أَعْدَائِكَ مُسْتَسْلِمُ وَالْعَيْشُ مَوْتٌ لَهُمُ مُرْغِمُ)

التبريزى : المعنى أنّ السالمَ من أعدائه مستسلِمٌ إليه ؛ لأنّه قد غلبه، فهو يخافُ أن يقتلَه كما قتلَ غيره .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقول : مَن سلِمَ مِن أعدائك فهو على الهلاك مُوَطِّنٌ نفسَه ، لعلمه أنّك عمّا قليلٍ تُهلكه كما أهلكتَ غيره . ومالَه من الحياة — لامتزاجها بمخافته[2] إياك — بمنزلة الموتِ له . والمعنى من قول أبى الطيّب :

وما نجا من شِفارِ البِيضِ مُنفلتٌ نجا ومنهنّ فى أحشائه فَزَعُ
يُباشِرُ[3] الأمْنَ دهراً وهو مُختبَلٌ ويشربُ الخمرَ حولاً وهو مُمتقَعُ

٢ (بِقَطْرَةٍ غَرِقَ أَعَادِيكَ لَا يَنْقُصُ مِنْهَا بَحْرُكَ الْمُفْعَمُ)

التبريزى : المفعَم : المملوء . أفعمته : ملأتُه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

---

(١) فى أ من البطليوسى : وقال «يهنئ بعرس» . وفى ب : «وقال يهنئ بعض الملوك بعرس» . وفى الخوارزمى : «وقال أيضا فى السريع الثانى والقافية من المتدارك يهنئ بزفاف» .

(٢) فى الأصل : «بمخالفته» .

(٣) فى الأصل : «يناشد» والتصويب من الديوان .

٣ (فَلَيْسَ عَنْ نَصْرِكَ مُسْتَأْخَرٌ ... وَلَا إِلَى حَرْبِكَ مُسْتَقْدَمُ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : يقول : مَن سلم من أعدائك مستسلمٌ لأمرك ، منقادٌ إلى حُكمك ، وعَيشُه أشــدُّ عليه مِن حِمامه ، لِمــا يُرى من إذلاله وإرغامه . وهــذا كقول الآخر :

لاماتَ أعداؤُك بل خُلِّدوا ... حتّى يَرَوا فيك الذى يُكْمِدُ

والمُفعَم : الملآن . ومُستأخَر : مصدر بمعنى الاستئخار ، ومُستقدَم : مصــدر بمعنى الاستقدام . وكلُّ فعلٍ يجاوز ثلاثةَ أحرف فإنّ مصدره يجوز أن يبنى على صيغة مفعوله قياسًا مطّردا ؛ كقوله انطلق انطلاقا ومُنطَلَقا ، ومزّقته تمزيقا ومُمَزَّقا . قال الله تعــالى : (وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) . وقال : (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ) . وقال جرير :

أَلَمْ تَعلَمْ مُسَرَّحِيَ القَوافِي ... فــلا عِيًّا بهنّ ولا اجتلابا (١)

ويجوز كسر الخــاء فى « مستأخِر » والدال فى « مستقدِم » على أن يكونا اسمين للفاعل .

الخـــوارزمى : قوله « لا ينقُص منها بحرُكَ المُفعَم » ، يجوز أنْ يكون فى محلّ الجرّ على أنّه صفة « قطرة » ، وألا يكون له من الإعراب محلٌّ ، وتكون جملةً مستأنفة ، والمعنى : فإنه لا ينقص . يقول : أفِضْ من بحــر عفوك قطرةً وغرِّقهم فيها ، فإنّ بحرَك طامٍ لا ينقُص بذاك ، وتجاوزْ عنهم فقد اختَبرُوا بأسَك ، وعلموا من الاقتدار عليهم مكانَك ، فأصبحُوا من غُلاة شيعتك ، تُصَرِّفهم أزِمّةُ محبّتك .

(١) انظر اللسان (جلب) .

٤ (لِيَهْنِكَ المَجْدُ الَّذِى بَيْتُهُ فَوْقَ سَرَاةِ النَّجْمِ لا يُهْدَمُ)

التبريزى : سَراةُ كلِّ شىء : أعلاه .

البطليوسى : سياق .

الخوارزمى : «بيته» مبتدأ . و«فوق سراة النجم» خبرٌ له . وقوله «لا يُهدَم» خبر ثانٍ له . وقد يجىء للمبتدأ خبرانِ فصاعدا ؛ كقولك : هذا حلوٌ حامض ؛ فقولك «هذا» مبتدأ ، و«حلوٌ» خبرله ، و«حامض» خبر ثانٍ له . وأجازوا فى أول كتاب سيبويه « هـذا بابٌ علمُ ما الكلِمُ من العربيّة » بارتفاع بابٌ وعلمُ ، ليكون قوله « هذا » مبتدأ ، و « بابٌ » خبراً له ، و «علمُ» خبراً ثانيا . سَراة كلِّ شىء : ظَهْره ووسَطه ، وألفها منقلبةٌ عن الواو ، لقولهم فى الجمع سَرَوات . وفى الحديث : « ليس للنِّساء سَرَواتُ الطَّريق » أى ظهورُه وأوساطه ، ولكنهنّ فى الجوانب يمشين . واشتقاقه من سَرَوت عنه الثوبَ ، إذا كشفتَه ؛ لأنّ الظُّهور[(١)] منكشفةٌ باديةٌ ، ولذلك سُمِّيت ظهوراً[(٢)] لظهورها .

٥ (زُفَّتْ إلى دَارِكَ شَمْسُ الضُّحَى وَحَوْلَهَا مِنْ شَمَعٍ أَنْجُمُ)

٦ (مِثْلُ شِيَاتٍ فِى قَمِيصِ الدُّجَى زِينَ بِهِنَّ الفَرَسُ الأَدْهَمُ)

التبريزى : قوله : أَنْجُم ؛ يعنى شَمَعًا[(٣)] جعلها كالنجوم . والشِّيات : جمع شِيَة ، وهو ما يخالف لونَ الفرس . قال الشّاعر :

عطفتُ عليهم وَرْدَةَ اللَّونِ لا تُرَى بها شِيَةٌ إلّا حجولَ القوائم

(١) فى الأصل : « الظهر » .
(٢) فى الأصل : « ظهرا » .
(٣) الشمع ، محركة ، وتسكن الميم ، مولد .

البطليوسى : المجد : الشَّرف . وسَراة النَّجم : أعلاه . والنَّجم ، اسم مفرد ، يُعنى به تارةً الثريّا ، و يُعنى به تارةً جميعُ النجوم . و يقال : زَفَفْت المرأةَ إلى زوجها وأزففتُها ، واللغة الأولى أكثرُ وأشهر . وشِيات : جمع شِية ، والشِّية : لُمْعَةٌ تخالف معظم لونِ الفرس ، إمّا بياضٌ فى سوادٍ ، و إما سوادٌ فى بياض .

الخوارزمى : الشِّيات فى « لَيت الجِياد نَخِرسَن » (١) . يقول : كأنّ تلك الأنجمَ الشَّمعية زِينةٌ لِليل ، كما أن الأوضاحَ زينةٌ للأدهم من الخيل . وهذا البيتُ يدلّ على أنّ الزِّفاف كان ليلًا . و فى البيت الأوّل إضرابٌ ؛ وذلك أنه جعل الشمسَ محفوفةً بالنُّجوم ، والنجومُ لا تجتمع بالشمس ، ولا سيما شمسُ الضحى .

٧ (تَخْفَى وَلَا تَظْهَرُ إِلَّا إِذَا أَحْرَزَها مَنْزِلُكَ الأَعْظَمُ)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير المستكنّ فى «تَخفى» و«تظهر» ، والبارز فى «أحرزَها» لشمس الضحى ، وهى العروس المزفوفة .

٨ (كَأَنَّها سِرُّ الإِلٰهِ الَّذِى عِنْدَكَ دُونَ النَّاسِ يُسْتَكْتَمُ)

التبريزى : أراد شدّة المبالغةِ فى سَتْرها وصيانتها .

البطليوسى : يقول : هذه المرأةُ محجوبةٌ عن جميع الناس إلا عنك ، فكأنها سِرّ الله الذى حَجَبه عن الناس وأَطلعَك عليه . و إنما قال هذا لأنّ الممدوح بهذا الشّعر كان من الشّيعة ، والشيعة يقولون : إنّ إمامَهم كُتِب لهم عِلمَ ما كانَ وما يكون

(١) انظر البيت ٤ من القصيدة ٢٩ ص ٧٣٢ .

إلى يوم القيامة[(١)] فى جِلد جَفْرة ، وهما جَفْران، الجَفر الأصغر والجَفر الأكبر . ويقولون: إنهم أصحاب الأعراف الذين ذكرهم الله فى القرآن، لأنهم يعرفون أهلَ الجنة بعلاماتهم، وأهلَ النار بعلاماتهم .

الخوارزمى : الضمير فى « كأنها » لِشمس الضُّحى . يقول : هذه المزفوفةُ فى الخفاء والاختصاص بك ، بمنزلةِ السرّ الذى به خصَّك اللهُ تعالى . يريد أنّ إعلاءَ الله رتبتَك على مراتب الناس ليس إلا لسرٍّ عندك مكتوم، لم يطَّلع [عليه] إلا اللهَ أحدٌ، فهذه المزفوفةُ بمنزلة ذلك السرّ . ولقد أحسَنَ حيث أغرقَ فى التشبيه، وحيثُ مَدَح المزفوفةَ والمزفوفَ إليه دَفعةً . وكونُ شَمسِ الضُّحى مكتومةً مثلَ انكتام ذلك السرِّ، إغرابٌ .

٩ ﴿كأنَّمَا الشُّهْبُ نِثَارٌ عَلَى الْـ ـخَضْرَاءِ مِنْهُ الفَذُّ والتَّوْءَمُ﴾

التبريزى : أى كأنّ الشُّهبَ نِثارٌ قد نثره هذا المُعْرِس ، منه فذٌّ أى فرد، وتوءَمٌ أى زوج[(٢)] .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : «منه الفذّ والتوءَم» جملةٌ ابتدائيّة فى محلّ الرفع على أنه صفة « نِثار » .

١٠ ﴿عُمَّتْ بِهِ الآفاقُ حتى سَمَا مِنْهَا إلى الجَوِّ بِهِ سُلَّمُ﴾

التبريزى : الهاء فى « به » للنِّثار[(٣)] .

البطليوسى : الشُّهب : النُّجوم . والخضراء : السَّماء . شَبَّهَ الكواكبَ بالنِّثار، وهو ما يُنثَر على رأس العروس . قال ابن المعتزّ :

---

(١) ب : « إلى آخر الدهر » .
(٢) ب ، حـ : « مزوج » . وعبارة ء : « الفذ منها ، والتوأم الزوج أى الفرد » .
(٣) هذا التفسير فى حـ فقط .

وكأنّ الرّبيع يجلو عروسًا وكأنّا من قَطْرِهِ في نِثارِ

والفذّ : الفرد . والتّوءَم : الزّوج . والهاء في قوله « عُمَّت به » يعود إلى النِّثار . والآفاق : نواحي الأرض التي يخيَّل إلى الناظر أنها متّصلة بالسماء . والجوّ : ما بين السماء والأرض . يقول : كثُر النّثارُ في هذا العُرس حتى غَمَرَ الأرضَ والسماء .

الخوارزمي : الضمير في « به » للنّثار، وفي « منها » للآفاق . السُّلَّم، سمّي سُلَّمًا لأنه يُسلمك إلى حيث تريد . يقول : ذلك النّثار ما ٱختصّ بموضع ، بل شَمِل جميع النواحي، حتى ٱرتفع منها إلى السماء بِمَراقٍ منصوبة . بيّن في هذا البيت كيف ٱرتفعَ النّثار، وبأي طريقٍ علا إلى السماء، حتى صار عليها بمنزلة الكواكب .

١١ ﴿ كَالدُّرِّ بَثَّتـــهُ أَيَادٍ بِهَـا فَهوَ شَتِيتُ الشَّمْلِ لَا يُنْظَمُ ﴾

التبريزي : أي إنّ النجوم لا تُنْظَم كما يُنظَم غيرُها . والهاء في « بها » عائدة إلى السماء[1] .

البطليوسي : سيأتي .

الخوارزمي : عنى بالأيادي الأيدي .

١٢ ﴿ أَوْ نَزَلَتْ تَنْهَبُ فِي خُفْيَـةٍ تَخْتَـارُ مَا تَفعَلُ أَوْ تُلْهَمُ ﴾

التبريزي : في « نزلت » ضميرٌ[1] عائدٌ على السماء أيضا .

البطليوسي : بثّته : فرّقته . والشتيت : المفترق . والضمير في قوله « بها » يعود إلى الخضراء، وكذلك الضمير في « نزلتْ » .

الخوارزمي : الضمير في « نزلتْ » و « تختار » و « تفعل » و « تُلهَم » للخضراء . والبيت معطوفٌ على « عُمّت به الآفاق » . وهذا بيانُ طريقٍ آخر لارتفاع النثار .

(١) يريد « الخضراء » التي في البيت التاسع ، ولكنه عبر بالمعنى .

١٣ (وَكَيْفَ لا يَطْمَعُ فِى مَغْنَمٍ مَنِ الثُّرَيَّا بَعْضُ مَا يَغْنَمُ)

التبريزى : لمّا جعلَ السماءَ تنهبُ النثّارَ الذى تقدّم ذكره ، جَعَلَ الثريّا من جملة النثّار[1] .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : « مَنْ » موضوعة للعقلاء ؛ وإطلاقها على السماء إشارة إلى مذهبِ الحكماء من أنّ الأجرام العُلْويّة لها عقولٌ ونفوس ، ومِن ثَمّةَ وصف السماءَ فى البيت المتقدّم بالاختيار ، على طريق التمهيد لذلك . ويحتمل أن يكون إطلاقُ « مَن » على السماء مِن حيثُ إنه لمّا جعلها من أعلى الجو نازلةً ، وللنثار ملتقطةً ، فقد جعلها بمنزلة إنسانٍ . الضمير فى « يغنم » راجع إلى « مَن » .

١٤ (وكَيْفَ يَخْفَى نَفَلٌ بَعْضُهُ الـ ـمِرِّيخُ والجَوْزَاءُ والمِرْزَمُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : عَنى بالنَّفَل ما اغتنمته السَّماءُ من النّثار ، وهذا البيتُ ناظرٌ إلى قوله « أو نزلَتْ تنهب فى خِفية » .

١٥ (مَا شَفَقُ التَّغْرِيبِ مِنْ بَعْدِهِ إلّا مَلابٌ طَابَ أوْ عَنْدَمُ)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : إنما قال هذا لقوله قبله « زُفّت إلى دارك شمسُ الضُّحى » فلذلك جعل الكواكبَ ملكًا له ؛ لأنّ الكواكب كلَّها تستمدُّ أنوارَها من الشمس ،

---

(١) عبارة ى : « لما جعل النجوم نثارا والسماء تنهبه جعل الثريا من جملة النثار » .

وهى تبعٌ لها، فإذا ملَكَ الشمسَ فقد مَلَك جميعَها . والنَّفَل : الغنيمة . والمَلَاب : ضربٌ من الطيب، يسمَّى الخَلُوق، و يقال : تلوَّبَ الرجلُ بالمَلَاب، إذا تضمَّخ. قال عَلْقمةُ :

مَحَالٌ كأجـوازِ الجرادِ ولؤلؤٌ من القَلَقِيِّ والكَبِيسِ المُلَوَّبِ (١)

والعندم : دمُ الأخوين .

الخـوارزمى : غَـرَبت الوحشُ فى مغاربها ، أى غابت فى مكانسها . الضمير فى «بعده» لنَفَلٍ . تطيَّب بالمَلَاب، وهو ضربٌ من الطِّيب كالخلوق، من لوّبت الشيءَ، إذا خلطتَه، وقيل هو الزعفران. قال التبريزى : «العندم: دم الأخوين». يقول: ما حمرةُ الشَّفَق بعد ذلك النِّثار إلّا لحمرةِ ما كان من الطِّيب فى تلك الليلة، ومن الذهب المنثور، وكأنّ حُمرتَها إلى الشفق تعدَّت .

٦٦ (كَأَنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا رَوْضَــةٌ يَضْحَكُ فِيهَا الْآسُ وَالْخُرَّمُ)

التـبريزى : المَلَاب : صِبغٌ أحمـر، و يقال إنّه الزعفران . والعَندم : دم الأخوين، و يقال إنه ضربٌ من الأصباغ . والهاء فى « كأنّها » عائدةٌ على السماء . والآس : المشموم . والخُرَّم : نباتٌ يسمَّى «سِراجَ القُطْرُب» يشبَّه به الشيب . والخرّم فى غير هذا الموضع، العيشُ الواسع، ذكره ابن السِّكِّيت . و يجوز أن يكون الخرّمية نسبت إليه، لأنهم يتّسعون فى الأشياء . وأصل « خُرّم » فارسى معرب، ومعناه يعود إلى الطِّيبة والنشاط والفرح .

(١) المحال : ضرب من الحلى يصاغ مفقرا، أى محززا، على تفقير وسط الجراد. وأجواز الجراد: أوساطها . والقلقى : ضرب من الحلى . وقال ابن سيده : « ولا أدرى إلى أى شىء نسب إلا أن يكون منسوبا إلى القلق الذى هو الاضطراب» . والكبيس : حلى يصاغ مجوفا ثم يحشى بطيب ثم يكبس » . والبيت فى اللسان (محل، قلق، كبس) وديوان علقمة ص ١٣٣ .

(٢) هم أتباع بابك الخرمى الذى ظهر فى أذربيجان أيام الدولة العباسية، وقد صلب بابك فى خلافة المعتصم . انظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٥١ .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى «كأنّها» للخضراء . والآس، هو الشجر المشموم، وآشتقاقه من قولك: أيَس الله الأشياء، أى أثبتها وأبقاها (١)؛ وذلك لبقاء خضرته ؛ ومن ثمّة سمّى بقيّة العسل فى المَعْسِل آسا ، وبَقيّةُ الرّماد فى النار آسا (٢). وبالآس تشبّه السماء، وهذا التشبيه فى الشعر الفارسىّ كثير . الخرّم : نبتٌ به يشبّه الشيب .

١٧ (لَمْ يَزَلِ اللَّيْلُ مُقِيماً يَرَى مَا لَا رَأَتْ عَادٌ وَلَا جُرْهُمُ)

التبريزى : «لا» بمعنى «لم» كما قال الشاعر :

* وأىّ شىءٍ سَيِّئٍ لا فَعَلَهْ (٣) *

أى لم يفعله .

البطليوسى : الضمير فى قوله «كأنها» يعود على «الخضراء» ؛ ولذلك ذكر الآسَ حين كانت السماءُ تُوصَف بالخضرة (٤) . والخرّم : نبتٌ يشبَّه به الشيب، ويسمّى « سِراج القطرب » .

الخوارزمى : جُرْهُم من اليمن، أصهار إسماعيل، وهم بنو سبأ بن يَشْجُب ابن يَعْرُب بن قَحْطان . وخصّ عادًا وجُرْهُمًا، لكثرتهما وآمتداد زمانهما .

١٨ (فِى سَاعَةٍ هَشَّتْ إِلَى مِثْلِهَا مَكَّةُ وَارْتَاحَتْ (٥) لَهَا زَمْزَمُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

---

(١) كذا . ولم نجد هذا المعنى فى المعاجم المعروفة .

(٢) انظر شك الأزهرى فى هذه الكلمة بهذا المعنى وسابقه فى اللسان (٧ : ٢١٦) .

(٣) من رجز لشهاب بن العيف (بفتح العين وتشديد الياء المكسورة) فى هجاء الحارث بن جبلة . انظر الخزانة (٤ : ٢٢٩) .

(٤) فى ب : «بالخضراء» . والخضراء : اسم السماء .

(٥) الخوارزمى، حـ من التبريزى : « وارتاح » .

الخوارزمی : زَمزم : سُقْيا الله تعالى إسماعيل عليه السلام ، ولها أسماءُ : زَمْزَمُ ، وزَمٌّ[1] ، ورَكْضَة جبريل ، وهَزْمة المَلَك ، والشُّباعة[2] . ويُروى أنّ بابَكَ ابنَ ساسان بلغه مكانُ البيت فصار إليه ، وشرب من ماء هذه البئر وزَمزَمَ حولها ، فسمِّيت بذلك . قال :

زَمزَمتِ الفُرسُ على زمزمِ وذاكَ فى سالفِها الأقدَمِ

يقول : ساعةُ الزِّفاف وما اجتمع فيها من الناس ، وفاحَ من الطِّيب ، واستنار من الشَّمع — تمنّى مكّةُ أن يكونَ لها فى ليالى الحجّ مثلُها .

١٩ (لِلطِّيبِ فِي حِنْدِسِهَا سَوْرَةٌ مَنَاخِرُ البَدْرِ بِهِ تُفْعَمُ[3])

التبريزى : السورة : عُلُوّ الشيء وارتفاعُه ، وأصل السَّورة الوَثْب . وتُفعَم ، أى تُملأُ طيباً ، واستعيرت المناخرُ للبدر .

البطليوسى : إنما ذكَر مكّة وزمزم لأنّ الممدوحَ بهذا الشعر كان عَلَويًّا من أهل البيت . والحِنْدِس : شدّة الظلام وتكاثُفه . والسَّورة : الحِدّة والارتفاع . ويقال : فَعَمتْه رائحةُ الطيب ، إذا سدّت أنفه بكثرتها . وقد وجَدْتُ فَغْمةَ الطِّيب .

الخوارزمى : الضمير فى «حندسها» لساعة . ريحٌ تُفْغِمُ الخياشيمَ ، أى تملؤها .

٢٠ (حَتَّى بَدَا الفَجْرُ بِهِ حُمْرَةٌ كَصَارِمٍ غَيَّرَ مِنْهُ الدَّمُ)

التبريزى : يشبِّه الفجرَ فى أوّل طلوعه بالسَّيف ، والحمرةُ التى معه بالدّم .

البطليوسى : سيأتى .

---

(١) زمّ ، بتشديد الميم ، كبقم ، كما فى القاموس . وفى زمزم لغات أخرى ذكرت فى القاموس ومعجم البلدان .

(٢) شباعة ، بضم الشين . وهذا كان اسمها فى الجاهلية . انظر اللسان (شبع ١٠ : ٣٦) .

(٣) البطليوسى : «تفغم» بالغين المعجمة .

الخوارزمى : «مِنْ» ها هنا، إمّا مزيدة وإن كانَ الكلامُ موجبًا، وهذا على مذهب الأخفش . ومثله : ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: وإمّا للتبعيض، يعنى : غيّرَ الدّمُ من لون ذلك الصارم شيئًا . ونحوه قولك : هذا الدواءُ ينفع من كذا . الفجر، بعد طلوعه وقبل طلوع الشمس، يوصف بالحمرة . قال القاضى التنوخىّ يصف الفجر :

إذا احمرّ فى أُفْقِ السماءِ حَسِبْتَه حُسامًا مُـدَمّى أو مُدامًا يُرَوَّقُ

يقول : حمرةُ الفجرِ على عَقِب تلك الليلة ، إنّما كانت بما استُعمل فيها من الطِّيب الأحمر .

٢١ ﴿ثُمَّ مَضَى يُثْنِي عَلَى سَيِّدٍ كَاللَّيْثِ إلّا أنّهُ أحْزَمُ﴾

التبريزى : فى « مضى » ضميرٌ عائدٌ إلى « الفجر » . ويجوز أن يكون عائدًا إلى «الليل»، وهو أحسن .

البطليوسى : سياتى .

الخوارزمى : سياتى .

٢٢ ﴿مُضَمَّخًا يَنْظُرُ فِي عِطْفِهِ كَأَنَّ مِسْكًا لَوْنُهُ الأسْحَمُ﴾

التبريزى : الأسحم : الأسود . وعِطْفه : ما ينعطف منه .

البطليوسى : يقول : كثُر الطيب فى هذه العَروس وانتشرت رائحتُه فى الآفاق، حتى كأنّ الفجرَ من خَلُوقه تكسّب حُمرته[1]،وكأنّ الليلَ من مِسْكه استفادَ حُلْكته .

(١) أ : « يكتسب حمرته » .

الخوارزمى : الضمير فى «مضى» لليل . «مضمَّخا» حال من الضمير فى «مضى» . نَظَر المرءِ فى عِطْفه كناية عن العُجْب . ومما يُستأنس به فى هذا الباب قولُ جمال العرب الأبِيوَرْدىّ :

وما هزّه تِيهُ الإمارةِ والذى يُصادفها فى ثِنْى عِطْفَيه ينظرُ

يريد أن الليل أُعجِب بنفسه، لِمَا عَبِق بأعطافه من طِيب الزِّفاف . وما فى البيت الثانى من البحث الإعرابى مذكور فى « معَانٍّ من أحبتنا » (١) .

٢٣ ﴿ نَالَ شَبَابًا مِنْهُ مُسْتَقْبَلًا تَهْرَمُ دُنْيَاهُ وَلَا يَهْرَمُ ﴾

التبريزى : هذا كله فى صفة الليل . والهَرَمُ : انتهاء العمر .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير المستكن فى « نال » والبارز فى « دنياه » لليل، وفى « منه » لسيِّد . يقول : ذلك الليل بما كان فيه من الزِّفاف والنِّثار ، يبقَ على مرّ الدهور ذِكْرُه غضًّا جديدا ، لا يَمَسُّه هَرَمٌ وإنْ هرِم الدهر، ولا يفنَى وإن فَنِى الزمان .

٢٤ ﴿ وَانْتَشَرَتْ فِى الْأَرْضِ رِيحٌ لَهُ يَسُوفُهَا الْمُنْجِدُ وَالْمُتْهِمُ ﴾

التبريزى : يسوفها : يَشَمُّها . والمُنْجِد : الآتى نجدًا . والمُتْهِم : الآتى تِهامةَ .

البطليوسى : الضمير فى قوله « نال شبابا » يعود على الليل . يقول : كان الليل قبل هذا العرس بمنزلة الكَهْل الذى قد شاب، لِما ظهر فى سواده من النجوم ، وانصداعِ ضوءِ الصبح فيه، فلمّا رأى هذا العُرْس، عاد كالفتى الشابّ

(١) انظر البيت ٣٩ من القصيدة الثالثة ص ٢٠٠ .

المُقْتَبل السِّنّ، لِمَا خامره من السرور به، ولِمَا تضمَّخ به من طِيبه . والسرور يوصف بأنه يُعيد على الشيوخ حالَ الشبيبة والاقتبال ، كما يوصف الحزنُ بأنه يُشيب رءوس الأطفال . ألاَ ترى إلى قول أبى الطيِّب :

لقد شبّ فى هـذا الزمانِ كُهولُه ... لديك وشابتْ عنـد غَيرِك مُرْدُه

ويسوفها : يشمّها . والمُنْجِد : الذى يأتى نجـداً . والمُتْهِم : الذى يأتى تِهامـة . قال المُمَزَّق :

فإنْ يُنْجِدوا أُتْهِـمْ خلافًا عليهـمُ ... وأنْ يُعمِنوا مُسْتَحْقِبِي الحَرْبِ أُعْرِقِ (١)

الخـوارزمى : الضمير فى « له » لليل .

٢٥ (عِطْـرٌ لِمَنْ شَمَّ وَلٰكِنَّهُ ... غَيْرُ الَّذِى جَاءَتْ بِهِ مَنْشِمٍ) (٢)

التبريزى : مَنْشِم : امرأة كانت تبيع العِطْر، فتحالَف قومٌ فأدخلوا أيديهم فى عِطْرها على أن يُقاتِلوا حتى يموتوا، فقُتِلوا عن آخرهم، فتشاءمت بها العرب .

البطليوسى : يقول : ليس هـذا العِطْر كعطر مَنْشِم الذى جرى به المثل . وقـد اختلف الناس فى مَنْشِم اختلافًا شديدًا، فقال أبو عمرو الشيبانىّ : هى امرأة من خُزاعةَ كانت تبيع العطر، وكانوا يشترون منها العِطْر لموتاهم ، فتشاءموا بهـا ، وكانت تسـكن مكةَ . وقال غيره : هى امرأة عطّارة من خُزاعةَ ، تحالَف قـومٌ على أن يقاتلوا حتى يموتوا، وأدخلوا أيديهم فى عِطْرها، فصار عِطْرُها مَثَلاً . وأحسبه قول الأصمعىّ . وقال صاحب كتاب العين : مَنْشِم حَبٌّ من العِطْر شاقُّ الدَّقِّ (٣) .

---

(١) انظر الأصمعيات ص ٤٨ . والرواية فيها * فإن يُتْهِموا أُنْجِد خلافا عليهم *

(٢) أ من التبريزى : « جاء » .

(٣) أ : « المدق » وهو مصدر ميمى بمعنى الدق . وانظر اللسان (١٦ : ٥٥) .

وقال قوم : هو قُرون السُّنْبُل ، وذكروا أنه سمٌّ قاتل . وقال قوم : هى امرأة من غُدَانةَ (١) ، وهى صاحبة يَسَارِ الكواعب ، ولها حديث مشهور ذكره المُفَضَّل . قال : كان يسارٌ هذا عبدًا أسود ، فضاحكته بنت مولاه تهزأ به ، فظنّ أنها قد أحبّته ، فاعترضها فنهتْه ، فلما لم ينتهِ واعدته ، فلما أقبل قالت له : لابدّ أن أُبَخِّرك وأطيِّبك قبل ذلك ، ودعت بِمِجْمَرة ، وأدخلت يدها تحته تُوهمه أنها تبخِّره ، وقد أخذتْ فى يدها مُوسَى فأمرّتْها على مَذاكيره فقطعتها . فلما أحسّ بحرارة القطع قال : « صبرًا على مَجَامِرِ الكرام ! » ، فذهبت مثلًا . ثم قطعتْ أنفه وأُذُنيه ، فصار طِيبُها مثلًا .

وأما أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بن المُثَنَّى فقال : مَنْشِم اسم موضع الحرب ، وليس ها هنا امرأة على ما زعموا . وإلى نحو هذا ذهب أبو عمرو بن العلاء ، وقال : إنما هو من قولهم : نَشَّمَ فى الشيء ، إذا أخذ فيه ؛ ومنه الحديث : « لمّا نَشَّمَ الناسُ فى أمر عثمان » . والمراد بالعِطْر على هذا القول الدم ؛ شُبِّه بالعطر لتضمّخ الجريح والقتيل به . ونحوه قول الشاعر :

وأسيافُكُمْ مِسْكٌ تَحَلّ أكُفَّكُمْ ... على أنها رِيحُ الدماءِ تَضوعُ (٢)

وقال قوم : مَنْشِم ثمرة سوداء مُنْتِنةٌ . ورواه قوم « مَنْشَم » بفتح الشين ، وزعموا أنّ أصله عِطْرُ مَنْ شَمّ . وقالوا : كانت امرأة تَبيع العِطْر ، فقتلها قوم وأخذوا عِطرها ، فأقبل قومها ليقتلوا قاتليها ، فقال بعضهم : إن كنتم لا بدّ فاعلين فاقتلوا كلّ مَنْ

(١) فى الأصل : « عوانة » وليس فى قبائلهم . وأثبتنا ما فى شرح الأعلم لقول زهير : « ودقوا بينهم عطر منشم » وهم بنو غدانة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . انظر المعارف ٣٧ وديوان زهير طبع دار الكتب ص ١٦ ، وسيأتى فى تفسير الخوارزمى ما يؤيد هذا التصحيح .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٧٠٠ ، ٧٠٨ .

شَمَّمْتم عليه عِطْرَها، ففعلوا. فسمِّيت «مَنْشَم» . وأنكر أبو بكر بن دُرَيْد هذا القول وقال : هذا هَذَيان .

الخوارزمى : فى أمثالهم : « أشأم من مَنْشَم » و « من عِطْر مَنْشِم » بفتح الشين وكسرها و « مِنْ مَشْأم » . قال أبو عمرو بن العلاء : مَنْشِم هو الشرّ بعينه؛ مأخوذ من نَشَّمَ فى الشرّ، إذا أخذ فيه . ومنه : « لمّا نَشَّمَ الناسُ فى عثمان» أى طعنوا فيه» . وقيل : هى ثمرة سوداء مُنْتِنة . وقيل : شىء يكون فى سُنْبُل العِطْر هو سمّ ساعة، يسمِّيه العطّارون «قرون السُّنْبُل» وهو البِيش. وقيل : هى امرأة كانت عَطَّارة ، وكانوا مهما قصدوا الحرب غَمَسوا فى طِيبها أيديَهم وتحالفوا عليه بألّا يُوَلُّوا أو يُقْتلوا ؛ فإذا دخلوا بطيب تلك المرأة الحربَ قيل : « دَقُّوا بينهم عِطْر مَنْشِم » ، فصار مثلا . قال زُهَيْر بن أبى سُلْمَى :

* تفانَوْا ودقُّوا بينهم عِطر مَنْشِم [1] *

وقيل : هى امرأة كانت بائعة الحَنُوط. وسمِّى الحَنُوط عطرًا لأنه طِيبُ الموتى . وقيل : هى امرأة دخل بها زوجها فخرجتْ عنه مُدَمّاة، فقيل لها : بِئس ما عطَّرك زوجك ! ومرّ بى فى النقائض [2] ، أنها مولاة يَسارِ الكواعب ، عشِقَها فأخبرها بذلك، فقالت له : اغْرُبْ يابن الخبيثة ! ثم عاودها فاستقبلته بما يكره . وكان يَسارٌ يلْقَى لأهله — وهم بنو غُدَانةَ بن يربوع — عبدًا فى الإبل، فيُخبره بما يجرى بينه و بين مولاته، فيقول له : يا يسار، عليك بلحم الحُوَار، ولبن العِشار، و إياك وبناتِ الأحرار» . فأتاه يسارٌ يومًا وقال: إنها ضَحِكتْ إلىّ ضَحِكًا لا يتلوه إلّا خير، وضَحِكتُ عليها؛ فعاد عليه بالموعظة . ثم إنّ يسارًا ألحّ على مولاته، فقالت له : إنك

(١) صدره : * تداركتما عبسا وذبيان بعدما *

(٢) انظر النقائض ص ٨١٦ وكذلك ١٠٩٣ .

عبدٌ خبيثٌ مُنْتِنُ الريح، فإن كنت تصبر على طِيب العربيّات فإنه يُمِضّ مَضًّا، فتعالَ إذا شئت فقال : يامولاتى إنّى صَبُورٌ كريم . فأعدّتْ له المُوسَى وواعدتْه ليلةً، ثم أدخلته بيتًا وقالت له : إن كنتَ تخاف أن تُجْرَح فاخْرُجْ عنّى . فقال لها : افعلِي ما بدا لكِ . فجدعتْ أنفَه، و [قطعت](١) شفتيه، فقال : أَحْ ! فقالت له : اصْبِرْ ، ثم جدعت أُذُنيه . فلمّا عِيلَ صبرُه انفلتَ هاربا . ويُرْوَى أنه كان يُراوِد بناتِ مولاه، فقالت له يومًا إحداهنّ : إن كان لا بدّ من ذاك فإنى أُبَخِّرك، فإنْ صَبَرْتَ على حَرارة البَخُور أطعتُك . فخبأت له سِكّينًا حديدًا، ثم عَمَدتْ إلى مِجْمرٍ فأدخلتْه تحته وجَبّتْ مَذاكيره ، وهى له تقول : « صبراً على مَجامرِ الكرام! » فلم يلبث حتى مات . وفيه يقول الفرزدق :

وإنى لأخشَى إنْ خَطَبْتَ بناتِهم ... عليكَ الذى لاقَى يسارُ الكواعبِ

وقيل : هو مُرَكَّب، وأصلهُ : مَنْ شَمّ . وقصة ذلك أنه كانت فى العرب امرأة بائعة الطيب، تسمّى «خَضِرة»، وردَ عليها بعضُ أحياء العرب، فأخذوا طيبها وفضحوها، فلحقهم قومها ووضعوا فيهم السيف وقالوا : اقتلوا مَنْ شم . وأمّا «مَشْأم» فمَفْعَل من الشُّؤْم . ولقد أحسن فى هذا التجنيس .

٢٦ (وَانْتَشَقَتْ عَرْفَكَ طَيْرُ المَلَا ... فَزارَكَ النّاشِئُ وَالقَشْعَمُ)

التبريزى : انتشقت : تشمّمت . فشَمّها الفَرْخ منها والمُسِنّ(٢) .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : نَشِق الريحَ نَشْقًا ونَشَقًا واستنشقها وتنشّقها . قطعت المَلَا ، وهو المُتّسَع من الأرض . غلامٌ وجاريةٌ ناشئ، من جوارٍ نَواشئ . والقَشْعَم ، هو

(١) التكملة من النقائض . (٢) هذا التفسير من حـ ، ى .

المسنّ من النسور، عن الغورى؛ والميم زائدة، عن صاحب التكملة . ونظيره العَرْدَمُ، وهو من الرجال الجاسى القليل الفَطَانة . وأصلُه العَرَدُ والقَشَع ؛ ذكره الغورى .

٢٧ ﴿وَمَاجَ بَعْضُ الْوَحْشِ فِي بَعْضِهَا يَسْأَلُ مَا الشَّأْنُ وَيَسْتَفْهِمُ﴾[1]

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقول : فشا فى الآفاق طِيبُك، وانتشر فى الأطراف عَرْفُك، حتى التفت الوحوش تسأل عن ذلك بعضُها بعضا .

٢٨ ﴿تَقْطَعُ فِي لُقْيَاكَ دَوِّيَّةً[2] يَذُمُّهَا الحَافِرُ وَالمَنْسِمُ﴾

التبريزى : الدوّيّة : الأرض الخالية . ويذمّها الحافر والمنسم، لأنهما يتعبان فيها[3] .

البطليوسى : الانتشاق : الشمّ ؛ يقال نَشِقت منه ريحًا طيّبة أو كريهة، أَنْشَقُ نَشَقًا . قال رُؤْبة :

* حُرًّا من الخَرْدَلِ مكروهَ النَّشَقْ[4] *

والعَرْف : الرائحة طيبة كانت أو كريهة ؛ ولذلك قيل فى المثل : « لا يَعْجِز مَسْك السَّوْء عن عَرْفِ السَّوْء[5] » . والملا : المُتَّسع من الأرض . والناشئ : الصغير .

(١) البطليوسى و ح من التبريزى : « تسأل ما الشأن وتستفهم » .

(٢) البطليوسى : « داوية » وهما لغتان . (٣) ى : « يتعبان فى قطعها » .

(٤) البيت فى اللسان (نشق ، ١٢ : ٢٣١) وهو من أرجوزة طويلة فى الديوان ١٠٤ — ١٠٨ . وقبله :

* كأنه مستنشق من الشرق *

يصف حمارا . يريد أنه إذا ساف أبوال الأتن ثم رفع رأسه كرف فكأنه أنشق خردلا . وفى الأصل : «جرا» صوابه من الديوان واللسان .

(٥) المسك، بالفتح : الجلد . والمثل فى اللسان (١٢ : ٢٧٥) وأمثال الميدانى (٢ : ١٥٣) .

والقَشْعَم : المُسِنّ الكبير، وأكثر ما يقال ذلك للنَّسر . والدَّاوِيّة والدوِّيّة : الفلاة التى يُسْمَع فيها دَوِىّ . وكانوا يزعمون أنه صوت الجنّ . وكان ذوو المعرفة من العرب يقولون : إنما هو صوت أخفاف الإبل ، ينفسح فيها فيجيبه الصَّدَى ،(١) فكان ضِعْفا . وهم يتوهّمون أنه عَزِيف الجنّ . والمَنْسِم : طَرَفُ خُفّ البعير .

الخوارزمى : الدو والدوية ، كالتّنوفة والتنوفيّة . قوله « يذممها الحافر والمنسِم » كناية عن امتداد تلك المَفازة وتَصَعُّبها .

٢٩(فَقُلْ لِمَنْ يَغْتَالُ تِرْبَ الْعُلَا   التُّرْبُ خَيْرٌ لَكَ لَوْ تَعْلَمُ)

التبريزى : يقال : فلان تِرْب فلان، إذا كان على سِنّه . وأكثر ما يقال ذلك فى المؤنّث . ويغتال ، من الغِيلة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : تِرْب العلا، هو الممدوح ، وهذه كلمةٌ فصيحة . ونحوها :

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيانِها   وباتَ على النّارِ النّدَى والمُحلَّقُ(٢)

رَضِيعَىْ لِبانٍ ثَدْيَ أُمٍّ تَقَاسَمَا   بأسْحَمَ داجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ(٣)

جعل النَّدَى والممدوحَ رَضِيعَىْ لِبَانٍ . و « تِرب العلا » مع « التُّرب » تجنيس .

٣٠(مَا أَنْتَ فِى عِدّةِ مَنْ يُتَّقَى   بَلْ أَنْتَ فِى عِدّةِ مَنْ يُرْحَمُ)

التبريزى : أى لستَ عدوًّا له فيَتَّقِيَك، بل أنت أقلُّ من [أن] يُعادِيك .(٤)

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا أيضا داخلٌ فى حيِّز المقول .

---

(١) ا : « يتفسح » . (٢) فى الأصل : « تشب بمقرورين » صوابه من ديوان الأعشى ١٥٠ .

(٣) ثدى ، تروى بالنصب وبالجر . انظر توجيه ذلك فى الخزانة (٣ : ٢١٦) .

(٤) هذا الشرح من حـ فقط . وفى الأصل : « أقل من يعاديك » .

٣١(والقَوْمُ كالأنعام إنْ عُوتِبُوا   تَسْمَعُ ما قِيلَ ولَا تَفْهَمُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقول : أعداءُ الممدوحِ بمنزلة النَّعَم ، إذا وعظتَهم لم يَتَّعِظوا .

٣٢(يَعْصِى عَمِيدَ الأُمَّةِ المُرْتَضَى   مَنْ بَيْنَ عَيْنَيْهِ لَهُ مِيسَمُ)

التبريزى : مِيسَم : الوَسْم[1] ، وهو العلامة .

البطليوسى : الاغتيال والغِيلة : الكَيْد والمَكْر . وتِرْب الإنسان : الذى يولد معه فى وقتٍ واحد . وقوله « يَعْصِى » أراد : أيعصى ، على جهة التقرير والتوبيخ ، فحذف الهمزة . وإنما يحسُن حذفها إذا كان فى الكلام دليلٌ عليها . ونحوه قول حَضْرَمىِّ بنِ عامرٍ :

أَفْرَحُ أن أُرْزَأَ الكِرَامَ وأنْ   أُورَثَ ذَوْدًا شَصَائِصًا نَبَلَا[2]

والعميد : السيِّد ، سُمِّى بذلك لأنه يُقيم الأمورَ كما يُقام البُنْيان بالعُمُد . وقيل : سُمِّى بذلك لأنّ الناس يَعْمِدون إليه وينتجعون فضلَه . والمِيسَمُ : أثر الكَىّ . يقول : كيف يعصيه ويثور عليه مَنْ مِيسَمُ عبوديّته فى عينيه ظاهرٌ له ! وخصّ ما بين العينين لأنّ الوَسْم فى الوجه لا يقدر صاحبه على إخفائه . وهذا المعنى أراد أبو الطيِّب بقوله :

---

(١) هذا التفسير من حـ فقط .

(٢) الشصائص : القليلات اللبن ، واحدتها شصوص . والنبل ، بالتحريك : الصغار . وقصة البيت فى اللسان (شصص ، نبل) .

قِيامًا لِمَنْ يَشْفِى من الداء كَيُّــهُ ومَنْ بين أُذْنَىْ كلّ قَرْمٍ مَواسِمُهْ(١)

الخــــوارزمى : الضمير فى « عينيه » ينصرف إلى «مَنْ» ، وفى «له» إلى «عميد الأمة» . يقول: يعصِى الممدوحَ رجلٌ قد ملك مُهْجَته، ووَسَم بالإنعام جَبْهته، فهو على الإطلاق أحد أُسَرائه .

٣٣ (فَتًى لِقُرْبِ الزُّجِّ مِنْ كَفِّــهِ أَقَــرَّ بِالْفَضْــلِ لَهُ اللَّهْــذَمُ)

التــــبريزى : اللهذم : الســنان . والمعنى أنّ الزُّجّ يكون أقربَ إلى حامل الرمح من السنان ، والزُّجّ يفتخر بذلك، والسنان يُقِرّ بالفضل للزجّ لقــربه من يده .

البطليــــوسى : ســـيأتى .

الخــــوارزمى : الزُّجّ ، هو الحديدة التى فى أســفل الرمح، ومنه زَجَجْتُه، إذا طَعَنته بالزجّ . اللَّهْذَم فى « أدنى الفوارس »(٢) . يقــول : الممدوح لمّــا أخذ بكفّه الرمح انعكست القضيّة، فصار للزُّجّ على السِّنان المَزِيّة .

٣٤ (أَبْلَجُ مِنْ بَعْضِ قِرَى ضَيْفِهِ الْـ(٣) أَمْنُ إِذَا لَمْ يَأْمَنِ الْمُحْــرِمُ)

التــــبريزى : الأبلج : الذى بين حاجبيه بُلْجة، أى بيــاضٌ وافتراق . والمُحْــرِم يأمن ، وقد يتّفق أن يخاف . وضيفُ هذا المذكورِ آمنٌ إذا خاف المُحْرِمون فى الحرم .

---

(١) القرم : السيد . والمواسم : جمع ميسم . وانظر ديوان المتنبى (٢ : ٢٣٧) .

(٢) انظر البيت ٥ من القصيدة السابعة ص ٣٣٠ .

(٣) فى البطليوسى : « أبلج ندب من قرى ضيفه » .

البطليوسى : يقول : تتنافس الأشياء فى القُرب إليه ، فيرى أبعدُها لِمَن داناه فضلاً ومزيّةً عليه . واللَّهذَم : الحادّ من الأسنّة . والأبلج : المشهور فى الناس الذى لا يخفَى مكانُه ، كالصباح الأبلج . ولذلك قيل فى المَثَل : « الحقُّ أبلَج ، والباطلُ لجلَج » . أى الحق واضحٌ لا إشكالَ فيه ولا تردُّد ، والباطل يتردّد فيه صاحبه ويتحيّر ، فلا يَجد مخرجا . والنَّدْب : الذى يُندَب للأمور لِتَسرُّعِه إليها . والقِرَى : الضيافة . والمُحرِم : الذى يأوِى إلى حَرَم مكّةَ ليعتصم به ، والمُحرِم أيضا : الداخل فى الشهر الحَرام .

الخوارزمى : يقال للرجل الطَّلْق الوجه ذى الكرم والمعروف : هو أبلَجُ وإن كان أقرَن ، كذا ذكره جارُ الله فى الأساس . الحَرَم ، مما يضرب به فى الأمن المثَلُ ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴾ . ومن خصائصه أنّ الذئب يُريغ[1] الظبي ويَصيده ، فإذا دخل الحرم كفّ عنه . وفى المثل : «آمَنُ من ظَبْيِ الحَرَم» و « آمَنُ من حَمَام الحَرَم » . وفى سيفيّات أبى الطيّب :

* أدركتُها بجَوادٍ ظَهْرُه حرمُ[2] *

وأنشد الثعالبىّ :

رَغيفُك فى الأمْنِ يا سيِّدى يحُلُّ محَلَّ حَمامِ الحَرَمْ
فللّه دَرُّكَ مِنْ سَيِّدٍ حَرامِ الرغيفِ حلالِ الحُرَمْ

ولذلك قال أصحابنا رحمة الله عليهم : مُباح الدم إذا التجأ إلى الحَرَم فقد أمِنَ القَتْل والإخراجَ منه للقتل .

(١) يريغه : يريده ويطلبه . وفى الأصل : «يزيع» محرف . وانظر الحيوان (٣ : ١٣٩) .

(٢) صدره كما فى الديوان :

* ومهجة مهجتى من هم صاحبها *

٣٥ ﴿فِـدَاهُ مَنْ كَالنَّبْتِ أَضْيَافُهُ إِذْ تَشْرَبُ الْمَـاءَ وَلَا تَطْعَمُ﴾[1]

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : الرواية «تشرب» و «تطعم» بالتاء المنقوطة من فوق . وهذا كبيت السقط :

إذا سُقِيتْ ضيوفُ الناسِ مَحْضًا سَـــقَوْا أضـيافَهم شَبِمًا زُلَالَا[2]

٣٦ ﴿لَا يَكْذِبُ الْمُقْسِمُ فِى قَوْلِهِ إِنَّ الغِنَى مِنْ يَـدِهِ يُقْسَمُ﴾[3]

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ســـيأتى .

الخـــوارزمى : « إنّ الغِنَى من يده يُقْسَم » هو المقول .

٣٧ ﴿مَنَاقِبُ فِيهَـا جَمَالُ الصِّبَا وَهْىَ لِدَاتُ الدَّهْرِ أَوْ أَقْدَمُ﴾

التـــبريزى : المَنـاقب : المَكارِم . وهى لِدات الدهر ، أى فى سِـنّه[4] . ولِدات ، واحدتها لِدَةٌ . يقال : هو لِدَتُه ، إذا اتّفقا فى وقت المولد . أى ففى هذه المناقبِ جمال الصِّبَا على قِدَمها . واحدتها مَنْقَبة .

البطليـــوسى : أصل المناقب الطُّرُق ؛ وسمّيت مَساعِى الإنسان التى يسعاها مَنَاقِبَ تشبيهًا بها ، كما سمِّيت مَساعِىَ وَمَذاهِبَ وطرائقَ . ولِدَاتُ : جمع لِدَةٍ ، وهو الذى يُولَد

---

(١) التبريزى والتنوير : «يشرب الماء ولا يطعم» .

(٢) البيت ٤٧ من القصيدة الأولى ص ٨٤ .

(٣) هذا البيت متأخر عن تاليه فى حـ من التبريزى .

(٤) كذا فى ى وفى ا : « على قربه وسنه » وفى حـ : « على قربه أى سنه » .

معك فى وقتٍ واحد . يقـول : مَنَاقِبُـه قديمةٌ كقِدمَ الدّهر ، وهى من جَمالِها وحُسْنها كمَن هـو فى شَرْخ الشَّبيبة ، ومن شأنِ كل قديم أن يغيِّره البِـلَى ، ويَسْلُبَه رَوْنَق الصِّبا .

الخـوارزمى : الرواية الصحيحة «جمال الصبا» مكان « جمال الورى» .

يقول : للمدوح مناقبُ قديمة ، لهـا طَراوةُ الشباب، وقِدَمُ الأحقاب . وقد لمحه جمال العرب الأَبِيوَرْدىّ فى قوله :

وكَمْ شَـيَّدتْ أيامُكم مِن مَنَاقبٍ   يُحَـدَّثُ عنهـا فى مَجالسها فِهْـرُ
نَشَأْنَ وظِئْراها القَواضِبُ والقَنَـا   لديكم وتِرْبَاها الكَوَاكِبُ والدَّهْرُ

[القصيدة الثامنة والثلاثون]

وقال أيضا من الكامل الثانى، والقافية متواتر[١] :

١ ﴿لَيْتَ التَّحَمُّلَ عَنْ ذَرَاكَ حُلُولُ   وَالسَّيْرَ عَنْ حَلَبٍ إِلَيْكَ رَحِيلُ[٢]﴾

التبريزى : ذَرَا كلِّ شيء : ناحيته . والتحمُّل : الارتحال . والحلول : النزول . تمنَّى أن يكون ارتحالُه من عنده نزولاً عليه .

البطليوسى : سباق .

الخوارزمى : قوله « إليك » من صلة « رحيل » . وكثيرا ماتُقَدَّم صلةُ المصدر على المصدر فى الشعر . وعليه بيت السقط :

* قد أَقَرَّ الطبيبُ عَنْكَ بعجزٍ[٣] *

وفى شعر أبى الطيِّب :

* فَمَا عَنْكَ لِى إلَّا إليك ذَهَابُ[٤] *

وقال :

* وإذ لِىَ عن دار المَذَلَّةِ مرغم[٥] *

وقال[٦] :

* وفى حَدَثَانِ الدهرِ عنك نُفُولُ *

---

(١) البطليوسى : «وقال يخاطب بعض العلويين» . الخوارزمى : «وقال أيضا يخاطب بعض العلويين فى الكامل الثانى، والقافية من المتواتر، فى أبى إبراهيم » .

(٢) أ من البطليوسى « والسير من حلب إليك قفول » .

(٣) عجزه كما فى القصيدة ٤٣ من سقط الزند : * وتقضى تردد العواد *

(٤) صدره كما فى الديوان (١ : ١٢٨) :

* ولكنك الدنيا إلى حبيبة *

(٥) كذا ولم نهتد إلى هذا القائل .

(٦) هو جمال العرب الأبيوردى . وصدره كما فى الديوان ص ٢٩٧ :

* إذ العيش غض والشباب بمائه *

٢﴿يَابْنَ الَّذِى بِلِسَانِه وَبَيَانِه   هُـدِىَ الأَنَامُ وَنُزِّلَ التَّنْزِيلُ﴾

التبريزى : كان هـذا الممدوح من العلويين . والهـاء فى قوله « بلسانه وبيانه » عائدة إلى «الذى»، والمراد به النبىّ صلى الله عليه وسلم .

البطليوسى : التحمُّل : الرحيل . والحلول : النزول . والذَّرَا : الكَنَفُ، وأصله ما حول الشجرة ممـا يستره أغصانها؛ يقال : نزل بذَرَا الشجرة، ثم يستعار فى غير ذلك . والقفول : الرجوع من السفر . ويُرْوَى « رحيل » والمعنى : قفولٌ إليك، ورحيلٌ إليك . غير أن « إلى » لا يجب أن تُجْعَلَ متعلِّقة بالقُفول والرحيل، لئلا تتقدّم صـلة المصدر؛ ولكنها تتعلق بمحذوف دل عليـه الكلام . وقد تقدّم الكلام فى مثل هذا . ولا يجوز أن تتعلّق بالسير؛ لأن المعنى ليس ذلك ، وإنمـا أراد : ليت تحمُّلى عن ذَرَاكَ كان حلولاً منِّى به ، وليت سيرى من حَلَب كان قفولاً منى إليها . وهذا تأسُّف منه لفراق حَلَب ورحيله عن الممدوح .

الخـوارزمى : ... ...

٣﴿عَنْ فَضْلِهِ نَطَقَ الْكِتَابُ وَبَشَّرَتْ   بِقُـدُومِهِ التَّـوْرَاةُ وَالإِنْجِيـلُ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخـوارزمى : قوله « التـوراة » أصلها وَوْرَيَةٌ ، فَوْعَلَةٌ من وَرَى الزَّنْد ، وهذا كتسمية القرآن نورًا . فأُبدلت الواو تاءً، وقُلبت الياء ألفا . وتاؤها للتأنيث، لانقلابهـا فى الوقف هاء . وتأنيثها كتأنيث الصحيفة والمَجَلَّة، وتذكيرها على إرادة الكتاب . ومَنْ قال بأنهـا تَفْعَلة فقد سهَا . الإنجيل : إفعيل من نَجَل الشيءَ، إذا استخرجه؛ لأنَّ به يُستَخرَجُ علمُ الحلال والحـرام ونحوهما . وقيل إنه مأخوذ من التناجل، وهو التنازع؛ لتنازعهم فيه واختلافهم . وقيل : هو أعجمى، ويعضُدُه

قراءة الحسن : (الأَنْجيل) بفتح الهمزة؛ لأن هذه الزِّنَة ليست فى كلام العرب . ومما يدلّ على بِشارة التوراة بالنبيّ قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾. والضمير فى « عرفوا » و « كفروا » لليهود . ومما يدلّ على بِشارة الإنجيل قوله تعالى : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ . وهذان البيتان يدلّان على أنّ الممدوح كان عَلَوِيًّا .

٤ (مِنِّى إلَيْـكَ مَعَ الرِّيَاحِ تَحِيَّـةٌ مَشْفُوعَةٌ وَمَعَ الْوَمِيضِ رَسُولُ)

التبريزى : تحيّة : سلام . مشفوعة ، من الشَّفْع الذى هو ضد الوَتْر، أى تحيّة مع تحية . والوميض : البرق ؛ وأصلُه مصدرٌ، من قولهم : وَمَض البرقُ وَمِيضًا، بمعنى أَوْمَض إيماضًا .

البطليوسى : إنما قال « عن فَضْله نطق الكتّاب » لأن الممدوح بهذا الشعر كان عَلَوِيًّا من بيت النبوّة . وقوله : « مِنّى إليك مع الرياح » يريد أنه يحيّيه كلّما أومض بَرْق ، وكلّما هبّت ريح . يقول : فكلّما هبّت ريح أو لَمَع برقٌ من تلقائى، فاعلم أنّ لى تحيةً معهما إليك . وهذا المعنى أراد الآخر بقوله :

إذا طلعتْ شمسُ النهارِ فإنّها أمارةُ تَسْليمى عليكِ فسلِّمى

والمراد بهذا اتصال ذِكْره إيّاه ، لِمَا خامر قلبه من محبته وهَواه ؛ كما يقال : لا أنساك ماطلعت النجوم، وما طار طائر، ونحو ذلك . وقد يحتمل أن يريد أنّ الرياح إذا هبّت، تَذَكَّر مباراتَه للريح فى الجود ، وإذا أومض البرق تَذَكَّر تَبَسُّمه وبِشْره للوفود؛ فحيّاه عند ذلك وحنّ إليه، وأجمل ذِكْره وأثنى عليه . وكذلك قول القائل : « إذا طلعت شمس النهار ... » يكون معناه أنّى كلّما رأيت الشمس قد طلعتْ ذكرتُ حُسْنَ صورتك، وبهاء طلعتك، فحيّيتك عند ذلك . وقد زاد المجنون فى هذا المعنى، وأفرط فى هذا الغرض والفحوى، فقال :

يُذَكِّرُنِيكِ الخَيْرُ والشَّرُّ والذى أخاف وأرجـو والذى أَتَوَقَّعُ

وقال أبو الشَّغْب العَبْسِيّ :

يُذَكِّرُنِيهِم كلُّ خَـيْرٍ رأيتُـه وشَرٌّ فمـا أَنْفَكُّ منهم على ذِكْرِ

٥ (فِي القَلْبِ ذِكْرٌ لَا يَزَالُ وإنْ أَتَى[1] دُونَ اللِّقَـاءِ سَبَاسِبٌ وهُجُولُ)

التبريزى : الهجول : جمع هَجْلٍ، وهى أرض مطمئنة تكون صُلْبة وسهلة .

وقال ابن مَيَّادة[2] :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى هل أَبِيتَنَّ ليلةً بحَـرّة لَيْـلَى حيثُ رَبَّتَنِى أهْـلِى

بِـلادٌ بهـا نِيطَتْ عَلَىَّ تَمَـائِمى وقُطِّعْنَ عَنِّى حين أدركنى عَقْـلِى

وهل أَسْمعَنّ الدهرَ أصواتَ هَجْمةٍ تَطَلَّعُ من هَجْلٍ خصيبٍ الى هَجْلِ

يقال : رَبَّتَه، بمعنى رَبّاه .

البطليوسى : السباسب والبسابس : القِفار التى لا نباتَ بهـا ، واحدها سَبْسَبٌ و بَسْبَسٌ . والهجول : جمع هَجْل ، وهو المكان المطمئن من الأرض .

قال الراعى :

كأنَّ بكل رابيـةٍ وهَجْـلٍ من الكَتَّانِ أبلاقًا بِنِينَـا[3]

الخوارزمى : السباسب فى « أعن وَخْد القِلاص »[4] . الهجول فى « يرومك والجَـوزاء »[5] .

(١) التنوير فقط : « لا يزول » .

(٢) الأبيات فى معجم البلدان (حرة ليلى) حيث ذكر قصة الشعر .

(٣) يصف أنوار الغيث وأزهاره . والأبلاق . جمع بلق، بالتحريك ، وهو الفسطاط . قال امرؤ القيس :

فلبأت وسط قبابه بلق وليأت وسط قبيله رحلى

(٤) انظر شرح البيت ٢٤ من القصيدة الأولى ص ٥٨ — ٦٠ .

(٥) انظر البيت ٣٢ من القصيدة الخامسة عشر ٤٩١ .

٦ ﴿إنَّ العَوائِقَ عُقْنَ عنكَ رَكائبي فَلَهُنَّ مِنْ طَرَبٍ إليكَ هَديلُ﴾

التبريزى : استُعير الهديل للإبل ، وأصله للحَمام . والمراد أنها لشدّة حنينها إليك شبّه طربها بطرب الحمائم . قال ذو الرمّة :

أرى ناقتى عنـد المحصَّب شاقها رواحُ اليمانى والهـديلُ المرجَّعُ (١)

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٧ ﴿أَشْبَهْنَ فِى الشَّوْقِ الحَمامَ وإنَّما طَيَرانُهُنَّ تَوَقُّصٌ وَذَمِيلُ﴾

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : العوائق : نوائب الدهر التى تحول بين المرء ومراده . والركائب : الإبل التى تُتَّخذ للركوب خاصة ، واحدتها رَكوبة . والطرب : خِفّة تعترى من حزنٍ أو شوق ، وقلقٌ ، يمنعان من الاستقرار . والهديل : الصوت يكون للإبل والحمام جميعا ، وكذلك الهدير ، بالراء . والتوقُّص : سير فيه اضطراب . والذَّميل : سير فيه سرعة .

الخوارزمى : لمّا أراد أن يجعل الركائب كالحمام استعار لهنّ هديلا ، وجعل طيرانهن توقُّصا وذَميلا .

٨ ﴿مَنْ قالَ إنَّ النَّيِّراتِ عَوامِلٌ فَبِضدِّ ذٰلِكَ فى عُلاكَ يَقُولُ﴾

التبريزى : التوقُّص : فوق المشى . والذميل : ضرب من السير السريع فوق التوقُّص . والمعنى أنّ بعض الناس يقول : إنّ النجوم لها تأثير ، بتنقلها فى الجو ، تُوقعه فى أهل الأرض ، وذلك بقدرة الله جلّت عظمته ، وبعضهم يُنكرون

(١) المرجَّع : المردد . وفى ب : « المرفع » تحريف ، وقد تكون : « المرفع » بمعنى الرفيع العالى . وما أثبتناه من حـ والديوان ٣٤٥ .

ذلك . فادّعى القائل للمدوح ضدّ ذلك، وقد زعم أنه فوق النجوم فى القَـدْر .
وما أحسنَ قول أبى الطيِّب فى هذا المعنى حيث يقول :

يقولون تأثيرُ الكواكب فى الوَرى فما بالُه تأثيرُه فى الكواكبِ

لأنه قد جعل له تأثيرًا فى الكواكب، وهو سدُّه عينَ الشمس بالغبار[1]؛ غيرأن قول أبى العلاء أرفع؛ لأنه جعل الممدوح فوق النجوم، و إذا كان فوقها فليس لتأثير النجوم إليه سبيل .

البطليوسى : سيأتى .
الخوارزمى : سيأتى .

٩ (يَعْمَلْنَ فِيمَا دُونَهُنَّ بِزَعْمِهِ وَلَهُنَّ دُونَكَ مَطْلَعٌ وأُفُولُ)

التبريزى : أى مطلع النجوم دونك، فمالها فيك تأثير؛ لأنها إنما تؤثّر فيما دونها وأنت فوقها .

البطليوسى : النيِّرات : الكواكب، واحدها نيِّر، وهو فَيْعِل من النور . وأصله نَيْوِر، قلبت واوه ياء لمجاورتها الياء الساكنة، وأُدغمت الأولى فيها حسَبَ ما توجبه صناعةُ التصريف . والمَطْلَع، بفتح اللام : الطلوع ، فإذا كسرت اللام فهو مكان الطلوع . والأُفول : الغروب . يقول : مكانُك فى العلو فوقَ مرتبة الكواكب ، فهى لا تؤثِّر فيك؛ لأن الكواكب إنما تؤثّر فيما دونها على زعم من يَدَّعى ذلك فيها . وقد اختلف الناسُ فى تأثير الكواكب فى المخلوقات، ودلائِلها على الكائنات؛ فزعم قومٌ أنّ لها آثارا فى عالم الكون والفساد، ودلائلَ على ما يحدث فيه . وقال آخرون : ليس لها آثار ولا دلائل ، وهو مذهب أكثر المتشرِّعين . وقال قوم : لها دلائلُ وليس لها آثار . وقال آخرون : لها دلائلُ وآثار فى الامتزاج والتأليف خاصّة ، وأمّا القُوَى النفسانية والعقلية فلا أثر لها فيها .

(١) هذا ما فى حـ من التبريزى . وفى ا : « سد عين الشمس » . وهو أحد تفسيرى البيت . والتفسير الثانى ماقاله ابن جنى أن هذا تعظيم لشأنه . يريد أن الكواكب تبع له فيما أراده .

الخوارزمى : يقول: لا تأثير فيك للنجوم؛ لأن عملها فيما تحتها، وأنت فوقها.

١٠ (لَوْلا انْقِطَاعُ الوَحْيِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ قُلْنَا مُحَمَّدُ مِنْ أَبِيهِ بَدِيلُ)

١١ (هُوَ مِثْلُهُ فِي الفَضْلِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَأْتِهِ بِرِسَالَةٍ جِبْرِيلُ)

التبريزى : يقول : لولا أنه لا نبىّ بعد محمد صلّى الله عليه وسلم ، كان هذا الممدوح بدلا منه نبيّا ؛ لأنه فى الفضل مثله ، غير أن جبريل لم يأته برسالة ؛ لأنّ الوحى بعد محمد عليه السلام قد انقطع .

البطليوسى : سباق .

الخوارزمى : مُنِع « محمد » الصرفَ بالعلمية الساذجة . وهذا فى مذهب الكوفىّ . ومنه :

* يَفُوقانِ مِرداسَ فى مَجْمَعٍ *[1]

وفى البيتين تصريحٌ بأن الممدوح كان علويّاً .

١٢ (قُلْ لِلَّذِى عُرِفَتْ حَقِيقَتُهُ بِهِ إِذْ لَا يُقَامُ عَلَى الدَّلِيلِ دَلِيلُ)

التبريزى : الهاء فى « حقيقته » راجعةٌ إلى النبى صلّى الله عليه وسلم ، وفى « به » إلى الممدوح[2] .

البطليوسى : ترك صرف « محمد » ضرورة ؛ على مذهب الأخفش والكوفيين ؛ فإنهم يجيزون للشاعر صَرْفَ ما لا ينصرف ، ومَنْعَ صرف ما ينصرف . وسائر

---

(١) للعباس بن مرداس كما فى الخزانة (١ : ٧١) . وصدره : * وما كان حصن ولا حابس *

(٢) كذا فى ى . وفى ا ، حـ : « والهاء فى قوله به راجعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم » . وهو كلام مبتور . وقد زيد فى ى توضيحا لهذا : « والمعنى أن خلائقك الحسنة ، وشمائلك المرضية ، عرفت بها مكارم أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم وآدابه ؛ لعلمك إياها وعملك بها ، فأنت الدليل عليها ، إذ صورتها لنا على ظهر الغيب وانقراض الرسول فلا يحتاج إلى دليل على كونها دليلا ، لئلا يلزم التسلسل وعدم استقرار دليل على أمر من الأمور ، وحقيقة من الحقائق » .

البصريين غير الأخفش يجيزون للشاعر صرفَ ما لا ينصرف ، ولا يجيزون له مَنْعَ ما ينصرف الصرفَ . وقوله «إذ لا يُقام على الدليل دليل» يريد أنّ البُرهان لا يحتاج فى صحته إلى برهان. ولو لزم أن يكون للبرهان برهان، للزم أن يكون لبرهانه برهان، ويستمرّ ذلك إلى ما لا نهاية، وهذا يوجب ألّا يكون شيء معلوما . غير أن فى هذا الموضع شيئا يجب أن يُبيَّن، وذلك أن المقدّمات التى يُتَوَصَّل بها إلى معرفة الأشياء المجهولة نوعان : أُوَلٌ وثَوانٍ . فالمقدّمات الأُوَل هى المعقولات والمحسوسات والمقبولات والمشهورات ، فهذه الأصناف الأربعة تُتَّخذ مقدّماتٍ وأدلّةً يستدلّ بها على غيرها، ولا يصحّ إقامة دليل على صحتها، وإنما تُعلم صحتها بأنفسها، كمعرفتنا بأن كلّ الشيء أعظمُ من جزئه ، وأنه لا يجوز أن يجتمع الضدان فى محلٍّ واحد فى وقت واحد . ولا يطالِب بإقامة دليل على هذا إلّا مُخَالِطٌ(١) أو فاسد العقل والحسّ . وأمّا المقدّمات الثوانى فيصحّ أن يقام على صحتها أدلّة من مقدّمات أُخَر ؛ وذلك أنا إذا قدّمنا مقدّمتين معقولتين أو محسوستين أو مقبولتين أو مشهورتين ، وأنتجنا عنهما نتيجة لازمة ، فقد نأخذ تلك النتيجة التى حَصَلَتْ معنا ، ونتّخذها مقدّمة أيضا، ونضيف إليها مقدّمة ثانية، ونتوصل بهما معًا إلى معرفة نتيجةٍ ثانية، وربّما فعلنا هذا مرارا كثيرة . وإنما يكون هذا فى الأمور الخفيّة البعيدة عن المقدّمات الأُوَل؛ ففى مثل هذا النوع من المقدّمات يمكن أن يقام على الدليل دليل . فإذا لم يعترف الخَصْمُ بشيء من هذه المقدّمات الثوانى حُلِّلَتْ له إلى ما يليها من المقدّمات، ثم إلى ما يليها، حتى يُبْلَغ بها إلى المقدّمات الأُوَل التى لا تحلّل إلى شيء . وإنما ذكرنا الأدلّة والمقدّمات على ما تقتضيه المقاييس المنطقية التى تتصرف فى جميع العلوم . وأما الأدلّة الشرعية التى يستعملها المتكلّمون من أهل ملّتنا، فإنهم يقسمونها

(١) حـ : « مغالط » .

ثلاثة أقسام : أصل، ومعقول أصل، واستصحاب حال، وهى راجعة إلى ما تقدّم غير خارجة عنه . والدليل عند المتكلمين من أهل السنّة هو البرهان بعينه، فأمّا عند غيرهم فقد يكون البرهانَ وقد يكون غيره . ولأجْل ما ذكرناه من اختلاف أحوال الأدلّة ، ينبغى أن يكون فى بيت أبى العلاء محذوفٌ، تقديره : إذ لا يقام على الدليل الأوّل دليل، ونحو ذلك، فحذف الصفة ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ أى وَزْنًا نافعًا . وقد تقدّم نحو هذا . ونظيره قول الهُذَلىّ[1] :

أَمَا وأَبِى الطيرِ المُرِبَّةِ بِالضُّحَى ... على خالدٍ لقد وقعتِ على لحمِ

أى لحم جليل .

الخوارزمى : الضمير فى «حقيقته» و «به» ينصرف إلى «الذى» . يقول : بلَّغ إلى من عُرِف بين أجناس الناس، واستوت شهرته عند الذَّنَب والراس، حتى استغنَى فى التعريف بنفسه ومجده، عن الانتساب إلى أبيه وجدّه، فكفاه تعريفا أن يقول أنا فلان ، وما به حاجةٌ إلى أن يقول ابن فلان، كما أن دليلَ كلِّ قضيةٍ بنفسه يُعلم، ولا يفتقر فى كونه دليلًا إلى غيره، وإلا لم يتمّ دليلا .

١٣ ﴿ما بَالُ سَابِقَةٍ يَصِلُّ لِجَامُهَا ... أَرِنَتْ وعَقْدُ حِزَامِها[2] مَحْلُولُ﴾

التبريزى : صَلَّ اللجام، إذا سمعت لصوته صلصلةً وصليلا ؛ قال عمرو ابن مَعْدِيكَرِب :

لَصَلْصلةُ اللجامِ برأس طِرْفٍ ... أحبُّ إلىَّ مِنْ أنْ تنكِحِينِى

والمعنى أنّ هذا الممدوح كان قد حُمِّل قصيدةً لِيُبلغها إلى بعض الناس فلم يفعل ، فهى قد أَرِنَتْ ، أى كثر نشاطها، وليست تُلْجَم ولا تُركَب . لمّا جعلها سابقة جعل لها أَرَنًا، أى نشاطا . يقال : أَرِن يأرَنُ أَرَنًا، إذا نشط .

(١) هو أبو خراش الهذلى ، من أبيات فى الجزء الثانى من مجموعة أشعار الهذليين ص ٦٧ والرواية فيه : « لقد وقعن » . والرواية هنا على الالتفات . (٢) فى التنوير : « لجامها » .

البطليوسى : السابقة : الفرس السريعة التى تسبق ما جاراها . والأَرَن : النشاط ؛ يقال : أَرِنت الدابة وهَبِصت وعَرِصت[1] ، بمعنى واحد . قال الأعشى :

ترَاه إذا ماعدا صحبُه   بجانبه مِثلَ شاةِ الأَرَنْ[2]

ومعنى هذا البيت أن أبا العلاء كان قد مدح بعض السادة الجِلّة بقصيدة ، ودفعها إلى الممدوح بهذا الشعر ، ليُوصِلها إليه فلم يفعل . فشبّه القصيدة بفرس سابقة قد نَشِطت لِتُركَب ، وهى لا تركب . وإنما شبّه القصيدة بالفرس ، لأن الشعر يسير فى الآفاق ، ويتحمّل ثناء الممدوح المضمَّن فيه ، حتى يُوصله إلى جميع الأقطار ، كما يتحمّل الفرس راكبَه ويوصله إلى حيث يريد . ألا ترى إلى قول أبى الطيّب[3] :

نادَيتُ مجدكَ فى شعرى وقد صدرا   يا غيرَ مُنتَحِلٍ فى غيرِ مُنتَحَلِ

بالشرق والغرب أقوامٌ نُحِبُّهُمُ   فطالِعاهُمْ وكونَا أبلغَ الرُّسُلِ

الخوارزمى : سيأتى .

١٤ ﴿ كَالطِّرْفِ يُقْلِقُهُ المِراحُ صَبَابَةً   بالجَرْىِ وَهْوَ مُقَيَّدٌ مَشْكُولُ ﴾

التبريزى : الطِّرْف : الفرس الكريم . يقال : مَرِح يَمْرَح مَرَحا ومِراحًا ، إذا نشط . أى هذه القصيدة الممنوعة من الوصول والإنشاد ، كالطِّرْف يُقلقه المَرَح وهو مقيّد مشكول .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : عنى بسابقة قصيدةً كان أرسلها أبو العلاء إلى المخاطَب بهذه القصيدة اللامية ، لِيُنْشدها الممدوحَ بتلك . وجعلها سابقة كما تجعل شاردة . قوله

(١) يقال : هبص وعرص ، بالصاد المهملة فى آخرهما ، وبابهما فرح .

(٢) فى الأصل : « إذا ما غدا » . والصواب من الديوان ص ١٨ .

(٣) انظر ديوانه (٢ : ٧١) .

« يصلّ بلجـامها » كناية عن تهيّئها وكثرة نشاطها للحُضْر . يريد أن تلك القصيدة غرّاء مستحقة للتسيير . وهذا من قول ابن عَبْدَلٍ الكوفىّ :

فرأيتُ أنك جُدْتَ لى بوليدةٍ مغنوجةٍ حَسَنٍ علىَّ قِيامُها (١)
وببَدْرةٍ حُمِلتْ إلىّ وبَغْلةٍ شهباءَ ناجيةٍ يَصِلُّ لِجامُها

قوله « وعقد حزامها محلول » يعنى أنهـا لا تركب ؛ لأن امتناع الركوب من مسبَّبات انحلال الحزام . والمراد أنها لا تُنْشَد . وقد لمح أبو العلاء فيه قول أبى الطيّب يذكر فرسًا :

* وتظنُّ عَقْدَ حِزَامِها محلولا * (٢)

والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم

١٥ (أَكَذَا الجِيَادُ إِذَا أَرَادَتْ مَوْرِدًا نَضَبَ الفُرَاتُ لَهَا وَغَاضَ النِّيلُ) (٣)

التـبريزى : نَضَب المـاء يَنْضُب نضوبًا ، إذا يبس . وغاض يَغيض : إذا نقص .

البطليـوسى : الطِّرْف : الفرس الكريم الطَّرَفين . والمِراح : النشاط . والصبابة : أشدُّ الشوق . شـبّه القصيدة حين حُبِست ومُنِعتْ من الوصول إلى صاحبها بفرسٍ طِرْفٍ ، قُيِّـد وشُكِل ، فهو يضطرب فى قيده وشِكاله ، صبابةً إلى الجرى والركوب عليه ، وقد حِيل بينه وبين ذلك . وقوله « نضب الفرات » أى جفّ ماؤه . والفرات : نهرٌ بين العـراق والشام . والمورد ، يكون مصدرا بمعنى الوِرْد ، ويكون الموضعَ الذى يورد فيـه المـاء . وضرب نضوب الفرات وغَيْض

(١) امرأة غنجة ومغنوجة من الغنج ، بمعنى الدل والشكل . انظر أساس البلاغة (غنج) . والبيتان من أبيات فى الأغانى (٢ : ١٥٠ — ١٥١) . (٢) روايته فى الديوان (٢ : ١٧٤) :

تنـدى سوالفها إذا استحضرتها وتظن عقـد عنانها محلولا

(٣) هذا البيت متأخر عن تاليه فى الخوارزمى .

النيل مثلاً لمنع هذه القصيدة من أن تصل إلى الممدوح، فيثيب عليها قائلها بما يستحقه من الثواب . وشبَّه جود الممدوح فى كثرته بالفرات والنيل .

الخوارزمى : سيأتى .

١٦ (حُجِبَتْ فَلَمْ يَرَهَا الَّذِى قِيدَتْ لَهُ   وَغَدَتْ بِآفَاقِ الْبِلَادِ تَجُولُ)

التبريزى : أى هذه القصيدة سارت إلى الآفاق، ولم تصل إلى الممدوح .

البطليوسى : سيأتى :

الخوارزمى : اللام فى « له » لا يخلو عن شىء من التهكم . ونحوه قول بعض العلماء : « وحين رُفِع إليه الخبر عزله عن البريد، وأمر له بمائتى مِقرعةٍ » . وهذا فى الحقيقة من باب قولهم :

* تعليفها الإسراج والإلجام *

وهذا كقولهم : * تحيةُ بينِهِم ضربٌ وجيعُ * (١)

وفى كلام أبى النصر العُتْبى : «أوردًا وقد نضب المـاء، وشَيْمًا وقد أصحت السماء» .

والبيتان متقاربا المعنى .

١٧ (وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَسِيرَ آمِلٌ   مِدَحًا وَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا الْمَأْمُولُ)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : أراد أن القصيدة شُهِرتْ فى الناس، وحُمِلتْ إلى الآفاق، وهى مع ذلك لم تصل إلى الذى مُدِح بها . وهذا الشعر مخالفٌ لقوله فى خطبة سقط الزند : « ولم أَطْرُق مسامع الرؤساء بالنشيد، ولا مدحت طالبا للثواب » .

الخوارزمى : قوله « أن يسيِّر » فى مقام الرفع بالابتداء، و «من العجائب» خبره .

---

(١) البيت لعمرو بن معد يكرب، وصدره كما فى الخزانة (٤ : ٥٥) :

* وخيل قد دلفت لها بخيل *

١٨ ﴿ مَا كَانَ يَرْكَبُ غَيْرَهَا لَوْ أَنَّهُ   عُرِضَ القَرِيضُ عَلَيْهِ وهْوَ خُيُولُ ﴾

التـبريزى : هذا مَثَلٌ. يقول: لو عُرِضت القصائد عليه ما كان يختار غيرها.

البطليوسى : يقول: لو كانت المدائح خيولاً وعُرِضتْ على هذا الممدوح، لم يركب منها غير هـذه القصيدة التى مُنِعتْ من الوصول إليه، لعِتْقها وسَبْقها. والشعراء يشبِّهون المدائح بالخيل المركوبة؛ لأنها تحمل ذكر الممدوح إلى الآفاق، كما تحمل الخيل رُكَّابها. ألَا ترى إلى قول أبى تَمّـام:

وهاكَ ثيابَ المَدْحِ فاجْرُرْ ذيولَهَا   عليكَ وهذا مَرْكَبُ الحَمْدِ فارْكَبِ

وقوله أيضا:

تَدُرّ ذُرورَ الشمسِ فى كُلِّ بَلْدةٍ   وتَمْضِى جَموحًا لا يُرَدُّ لهـا غَرْبُ

الخـوارزمى : الضمير فى «كان» و «يركب» و «عليـه» للممدوح. وفى «غيرها» لسابقة.

١٩ ﴿ وَيَصُدُّهَا قِصَرُ العِنَانِ فَمَا لَهَا   يَوْمَ الرِّهَانِ إِلَى الأَمِيرِ وُصُولُ ﴾

التـبريزى : يقال: صدّه يصُدّه ويَصِدّه، إذا منعه من الشيء. ويقال: صَدّ يصُدُّ بمعنى مَنَع، وصَدّ يَصِدّ بمعنى ضَجّ(١)؛ قال الله تعالى: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ أى يَضِجّون. ويوم الرهان: يوم استباق الخيل.

البطليـوسى : يقول: لو طوِّل لها العنان لوصلت إلى الأمير الذى مُدِح بها، ولكن قُصِر عنانُها، ومنعت من النهوض. والرهان: المسابقة.

الخـوارزمى : يقول: يمنعها حبسها وإمساك عنانها عن الوصول إلى الأمير.

(١) المذكور فى المعاجم أن المضارع فى معنى المنع من باب نصر، وفى معنى الضجيج من بابى نصر وضرب، كما يقال أيضا: صدّه يصده فصد هو، لازمه ومتعديه من باب نصر.

٢٠ (وَالْعِيسُ أَقْتَلُ مَا يَكُونُ لَهَا الصَّدَى وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا[(١)] مَحْمُولُ)

التبريزى : الصدى : العطش ؛ يقال : صَدِىَ يَصْدَى صَدًى . وهذا مثلٌ تضربه العامّة ؛ يقولون : أبعدُ ما يكون الجمل من الماء وهو على ظهره . لأنّ المسافر إذا حمل الماء على ظهر البعير فإنما يفعل ذلك لقلّة مائه فى طريقه ، فهو يوفِّر الماء على نفسه .

البطليوسى : هذا منظوم من قول العامة فى أمثالهم : «أبعدُ ما يكون الجمل من الماء إذا كان الماء على ظهره» ؛ لأن المسافر إذا حمل الماءَ على البعير فإنما يفعل ذلك لتعذّر الماء وقلّته . والمراد بهذا المثل أنّ قرب الشىء لا ينتفع به إذا عاق عائق عن الوصول إليه . وهذه كلها أمثالٌ ضربها للقصيدة الممنوعة من الوصول إلى الممدوح بها ، مع قُرْب مكانه . والعِيس : الإبل التى فيها بياض وحمرة . والصَّدَى : العطش . ومُتونها : ظهورها .

الخوارزمى : قال التبريزى : « هذا مثل تضربه العامة فتقول : أبعد ما يكون الجمل عن الماء وهو على ظهره؛ لأن المسافر إنما يحمل على ظهر البعير الماء لقلّته، فهو يوفر الماء على حاجته » . وهذا معنى بديع . يقول : قد تحجز بين هذه القصيدة وبين الأمير، مع قرب المسافة بينهما، أقوى مانع، كما أنّ أقوى ما يكون من المانع بين البعير وبين ورود الماء، إذا كان على ظهره الماء .

٢١ (وَإِذَا نَضَتْ عَنْ مَتْنِهَا بُرْدَ الصِّبَا مَعْشُوقَةٌ[(٢)] فَإِلَى الجَفَاءِ تَؤُولُ)

التبريزى : ـــاقٍ .

البطليوسى : نَضَتْ : جرّدت؛ يقال : نضوت عنّى الثوب أنضوه نَضْواً . والمتن : الظهر . وتؤول : ترجع . يقول : إنما يُرْغَب فى الحسناء وتُعْشَق ما دام

(١) البطليوسى : « متونها » . (٢) البطليوسى : « عن متنها معشوقة * برد الصبا » .

عليها من الصَّبا بُرْد ورَوْنق ، فإذا تجردت من بُرْد صِبَاها ، كَرِهها مَنْ كان يهواها ؛ وكذلك الشعر إنما يحلو مَسْمَعه ، ويحسن من الممدوح موقعه . إذا لم تُخْلِقه الأيام ، وكان حديثَ النِّظام ؛ فابعَثْ بها إليه قبل أن تُخْلِق جِدَّتُه ، وتذهب بهجته . وهذا نحو قول أبي تمّـام :

أَصِخْ تَسْتَمِـعْ حُرَّ القَوافِي فإنَّها كواكبُ إلّا أنهنّ سُـعودُ
ولا تُمْكِنِ الإخلاقَ منها فإنمـا يَلَذّ لبـاسُ البُرْدِ وهو جديدُ

الخـوارزمى : رجل طويل المَتْن . ومنه بيت السقط :

* وحمْلُ السابرىّ أكلَّ متني[1] *

قوله « فإلى الجفاء تؤول » أى تُجْفَى وتُهْجَر .

٢٢ ﴿شَابَتْ بِجُدّ[2] بخِضَابِهَا وابْعَثْ بِهَا عَجِلًا[3] إلَيْهِ فالخِضَابُ نُصُولُ﴾

التـبريزى : يقال : نضوت الثوب عنّى ، إذا نزعته . وكذلك سَرَى ثوبه عنه . وتؤول : ترجع . ونَصَـلَ الخضاب ، إذا خرج . ويقال عَجِلٌ وعَجُلٌ . يقول : جَدِّد القصيدة بإنفاذها إليه ، وإظهارها للناس .

البطلـيوسى : هذا مثلٌ . يقول : قد ذهب أكثر حُسْنها بتأخيرك لإنفاذها نحوه ، وبقى من فتوّتها مثلُ ما يبقى من الشبيبة التى تُعَالَج بالخضاب ، فإن لم تعجل بإرسالها ، ذهب ما بقى من حسنها وجمالها ، كما تذهب بقية الشباب ، عند نصول الخضـاب .

(١) عجز البيت السابع من القصيدة ٧٥ ، وصدره :
* أكلت منكبى سمر العـوالى *
(٢) الخوارزمى والديوان : « بخد » .
(٣) البطليوسى : « عجل » .

الخوارزمى : قوله « نُخِذُ بخضابها » أى جَدِّد نَسْخَها . الوجه فى قوله «نخذ» هو الخاء المعجمة . والمعنى : خُذْ باستعمال خِضابها . وهذا كما تقول : خُذْ فى هذا الأمر بالرِّفق، وخذ بالاحتياط ، أى استعمل فيه الرِّفق والاحتياط . وأمّا رواية الجيم فشىء لا ذوقَ له ؛ ألَا ترى أنك لو قلتَ : هذا الأمر ملتبس بجُدْ فيه بالاحتياط، بالجيم، وقع من النُّبوة بَمَحَلِّ !

٢٣ (فَهِىَ الَّتِى صِيغَتْ لَهَا مِنْ وَعْدِكَ الْـ ـأَحْجَالُ أَمْسِ وفُصِّلَ الإِكْلِيلُ)

التبريزى : الأحجال : الخلاخيل . والإكليل : ما يُكَلَّل به الرأس .

البطليوسى : الأحجال : الخلاخيل ، واحدها حِجْل . يقول : قد كنتَ وعدتَنى أمسِ عن هذه القصيدة بمواعيد جميلة ، كانت كالأحجال والإكليل لها ، فكيف سلبتَها ذلك الحلى، وحبستها حتى شابت وكانت كالعروس الهدىّ .

الخوارزمى : الإكليل : عِصابة مزيَّنة بالجواهر .

٢٤ (وَكَلَامُكَ الْمِرْآةُ تَصْدُقُ فِى الَّذِى تَحْكِى وَأَنْتَ الصَّارِمُ الْمَصْقُولُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : يقول : مِثْلُك من أهل الوفاء لا يُخالِف فعلُه ما سَلَف من عِدَتِه ، كالمرآة التى تَرى فيها الشىء على هيئته وصورته ، فكيف خالف قولَك ما فعلت ، وقعدتَ عن إنفاذ ما به وعدت ؛ وأنت سيفٌ صقيل يُهَزُّ فلا يكبو ، ويُضْرَب به فلا ينبو .

الخوارزمى : الضمير فى « تصدُق » و « تحكى » للمرآة . يقول : إنك صادق فيما تقول ، ماضٍ فيما تريد ، فكيف اتَّفق ما وعدت ، من إنشادها ثم ما أنشدت .

٢٥ (لَا شَانَ صُفْحَيْكَ النَّجِيعُ وَلَا بَدَا   لِلنَّاظِرِينَ بِمَضْرِبَيْكَ فُلُولُ)

التبريزى : يقال : شانه يَشِينه شَيْنًا ، ضِدّ زَانَه يزِينه زَيْنًا . والنجيع : الدم .

البطليوسى : لمّا شبّهه بالسيف دعا له دعاءً يليق أن يُدْعَى به للسيف ، ليتناسب الكلام ، ولا يختلّ النظام . وصُفْح السيف : جانبه . والنجيع : الدم الطرىّ . وإنما قال هذا لأن الدم يذهب بصَقْل السيوف . ألَا ترى الى قول العُقَيْلِىّ :

لها لونٌ من الهامات كابٍ   وإن كانتْ تُحادَثُ بالصِّقالِ

والتفليل عيبٌ فى السيف وإن كان مديحًا لصاحبه . ويُرْوَى « صَفْحَتك » .

الخوارزمى : صُفْحَيك ، مثنًّى . وكأنه قابله بـ « مَضْرِبيك » . عدم تلويث الدم جانبيه ، كنايةٌ عن مَضائه . ألَا ترى إلى قول أبى الطيِّب :

وهْو لا تلحَق الدماءُ غِرارَيْـ   ـهِ ولا عِرْضَ مُنْتَضِيه المَخازِى

وقوله (١) :

وقد أَخْتَلِسُ الضَّرْبَـ   ـةَ لا يَدْمَى لها نَصْلِى

لمّا جعله بمنزلة الصارم دعا له بأن يدوم ماضيا قاطعا .

---

(١) هو امرؤ القيس بن عابس الكندى ، كما فى اللسان (٧ : ٣٨٨ و ٢٠ : ٢٠) وكتاب أخبار النحويين البصريين ص ٢٩ . وقد ورد بعض أبيات القصيدة بدون نسبة فى طبقات الشعراء لابن قتيبة ص ٢٢ . وتروى الأبيات أيضا للفند الزمانى ، كما فى اللسان .

[القصيدة التاسعة والثلاثون[1]]

وقال وقد سُئل إجازةَ هذا البيت :

شُغْلِى ببُعْدِى عنكَ يَشْغَلُنِى   ويَصُدُّنِى عن كل أشغالى

فى الخامس من الكامل ، والقافية متواتر . وهـذه قد قالها على لسان بعض الصوفية[2] :

١ (مَا يَوْمُ وَصْلِكِ وَهْوَ أَقْصَرُ مِنْ   نَفَسٍ بِأَطْــوَلِ عِيشَــةٍ غَالِى)

التـبريزى : ... ...

الخـوارزمى : الباء فى قوله « بأطولِ عيشةٍ » تتعلق بـ«غالى» . يقول : لو اشترينا يومَ وصلِك، مع أنه أقصر من نَفَس، بأطْوَلِ حياةٍ، لَمَا كان غاليا .

٢ (عَلِقَتْ حِبَالَ الشَّمْسِ مِنْكِ يَدِى   وَجَدِيدُهَا فِى الضَّعْفِ كَالْبَالِى)

التـبريزى : إنما جعل جديدَها كالبالى لأنّ حِبالَ الشمسِ ليست مما تَعْلَقه اليد .

---

(١) هذه القصيدة لم يوردها البطليوسى .

(٢) هـذه ديباجة التبريزى . وفى الخوارزمى : « وقال أيضا فى خامس الكامل والقافية من المتواتر، قالها على لسان بعض الصوفية :

شغلى ببعدي عنك يشغلنى   ويصدنى عن كل أشغالى

هذا كقوله :

فشغلت عن رد السلا   م وكان شغلى عنك بك »

وفى هامش الخوارزمى : « فى بعض حواشى السقط المصحح : هذا البيت لامرأة القنوع الشاعر المعرى وكانت عشقت والى البلد . وقبله :

ماذا يضرك أيها الوالى   لو كنت مفتقدا لأحوالى

يا واليا أنا من رعيته   وعلى الرعية طاعة الوالى»

وفى هامش حـ من التبريزى : « هذا البيت لامرأة قنوع الشاعر المعرى ؛ وكانت عشقت والى البلد فقالت » . وبعده أبيات امرأة القنوع الثلاثة .

الخـــوارزمى : حبال الشمس فى « أُرقـد هنيئا »(١) . وقـد ألمّ بهذا المعنى الغزّىّ فى قوله :

حَبْلُ المُنَى مثلُ حَبْلِ الشمسِ مُتَّصلًا ... يُرَى وإن كان عنـد اللَّمْسِ مبْتوتَا

٣(وأَرَدْتُ وِرْدَ الوَصْلِ مِنْ قَمَرٍ ... فَصَدَرْتُ عَنْـهُ(٢) كَوَارِدِ الآلِ)

التــبريزى : أى صدرت عنـه عطشان، لأنّ وارد الآل، وهو السراب، لا ينتفع بشىء .

الخـــوارزمى : تركيب القمر كأنه على تحيُّر البصر دالّ . يقال: قَمِر الرجل، إذا تحيَّر بصره فى القمر أو بياض الثَّلج فلم يُبْصِر . وبه حسن قوله « فصدرتُ عنـه كوارد الآل » .

٤(وَطَلَبْتُ عِنْـدَكِ رَاحَةً وَعَلَى ... حَسَبِ اعْتِقَادِى(٣) كَانَ إِدْلَالِى)

التــبريزى : ... ...

الخـــوارزمى : يقـول : إن أكثرتُ الدلالَ عليك، لم أكثره إلا بحسب اعتقادى فى حسن عهدك .

٥(وَظَنَنْتُ فِى البَلْوَى مُنَاىَ وَلَمْ ... تَكُنِ المَنِيَّةُ لِى عَلَى بَالِ(٤))

التــبريزى : ... ...

الخـــوارزمى : « المُنَى » مع « المنية » تجنيس .

---

(١) البيت السادس من القصيدة ٢٦ ص ٦٧٦ .

(٢) أ من التبريزى : « منه » .

(٣) الخوارزمى : « قدر اعتقادى » .

(٤) الخوارزمى و أ من التبريزى : « على بالى » .

٦ (مَـا زِلْتُ أَبْلُغُ مَـا أَهُمُّ بِهِ حَتَّى هَمَمْتُ بِكَوْكَبٍ عَالِي)

التـــبريزى : أى حتى هممت بما يتعذَّر الوصولُ إليه .

الخـــوارزمى : عنى بكوكب عالٍ الحبيبةَ .

٧ (إِنْ فَاتَ سُلْوانُ الْحَيَاةِ فَكُـ ـلُّ النَّـاسِ بَعْدَ مَمَـاتِهِ سَالِي)

الخـــوارزمى : السلوان : ما يُسَلِّي الإنسانَ عما يريد أن يسلو عنه .

التـــبريزى : السُّلْوان : جمع سُلْوانة ، وهى خَرَزَةٌ تُلْقَى فى القَدَح ، ويُشْرَب ما فيها من المـاء للسُّلُوّ . يقال : شرب فلانٌ السُّلْوان ، إذا سَلِيَ . قال همّام السَّلُولِيّ[1] :

* لو أَشْرَب السُّلْوَانَ ما سَلِيتُ *

٨ (يا جَنَّــةً عَرَضَتْ معجـلة فَاخْتَرْتُهَـا وَعَصَيْتُ عُذَّالِي)

التـــبريزى : ... ...

الخـــوارزمى : يقول : ياجنَّة عاجلة قد اخترتُها ، فحُرِمتُ بها الجنةَ الآجلة .

٩ (يُضْحِى الرُّضَابُ لِأَهْلِهَا بَدَلًا مِنْ بارِدٍ فِى الخُـلْدِ سَلْسَـالِ)

التـــبريزى : سلسال : عَذْب طيِّب المَسَاغ ؛ يقال : سَلْسَلٌ وسلسالٌ وسُلَاسِل بمعنًى . والخُلْد : الجنة .

الخـــوارزمى : السلسال ، هو الشراب السهل الدخول فى الحَلْق ، وكذلك السَّلْسَل ؛ عن الغورى .

١٠ (إِنْ لَمْ تَدُومِى صَحَّ فِى خَلَدِى أَنِّى بِنَـارِ جَهَــنَّمَ صَـالِي)

التـــبريزى : الخَلَد : القَلْب . وصَلِيتُ النارَ وبالنار ، واحدٌ .

الخـــوارزمى : ســبأتى .

---

(١) كذا . وهو من أرجوزة لرؤبة فى ديوانه ص ٢٥ . وانظر اللسان (١٩ : ١١٨) .

١١ (وَخَشِيتُ بَعْدَ رجاءِ أَسْوِرَةٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَمْلَ أَغْلالِ)

التبريزى : أَسورة : جمع سِوار . وأغلال : جمع غُلّ ، وهو القَيْد .

الخوارزمى : قابل الرجاء بالخشية ، والأغلال بالأسورة . جعل امتناعها عن الدوام فِعلا . ونحوه بيت الحماسة :

تَنَاهَوْا وآسألوا آبن أبى لَبِيدٍ أَأَعْتَبَهُ الضُّبارِمةُ النَّجِيدُ[1]

ولستم فاعِلِين إخالُ حتّى ينالَ أقاصِىَ الحَطَبِ الوُقودُ

الضُّبارِمة، هو الأسد . جعل التناهى، وهو امتناعهم عن الفعل، فعلا .

١٢ (وَجَعَلْتِ فِىَّ لِمَالِكٍ طَمَعًا وَنَهَيْتِ عَن رِضْوانَ آمالِى)

التبريزى : ... ...

الخوارزمى : قوله « ونهيتِ عن رضوان آمالى » كلام بليغ .

١٣ (وأَرَى الخَسَارَةَ إنْ فَعَلْتِ غَدًا فى النَّفْسِ لا فى الأَهْلِ والمَالِ)[2]

١٤ (إنَّ الإِسَاءَةَ شَرُّ ما وَقَعتْ مِن بَعْدِ إحْسَانٍ وإجْمَالِ)

التبريزى : ... ..

الخوارزمى : هذا كقول أبى الطيب :

وما يُوجِع الحِرمانُ من كَفِّ حارِمٍ كما يُوجِع الحرمانُ من كفّ رازِقِ

١٥ (قَلْبِى أُعاتِبُ فَهْوَ يُلْزِمُنِى أَبَدًا تَكَلُّفَ هٰذِهِ الحَالِ)

التبريزى : ... ...

(١) الشعر لعقيل بن علفة . انظر الحماسة ١٩٦ بن .

(٢) هذا البيت لم يروه الخوارزمى .

الخوارزمى : «قلبى» فى محل النصب على أنه مفعول «أعاتب» . وتقديمه عليه مليح . ونحوه :

* إيَّاكِ أعنِى فاسمعى ياجاره[(١)] *

١٦ (وَاللهُ عَــذْلٌ لَا يَضُرُّ بِمَا قَلْبِي جَنَاهُ جَمِيعَ أَوْصَالِي)

التبريزى : ... ...

الخوارزمى : يقال : ضرّه ، وأضرّ به . والباء فى قوله «بما قلبى» للأداة لا للصلة .

(١) البيت لسهل بن مالك الفزارى . انظر أمثال الميدانى (١ : ٤١) .

[القصيدة المتمة الأربعين]

وقال أيضاً من الطويل الثانى والقافية متدارك[١] :

١ ﴿ لَعَلَّ نَوَاهَا أَنْ تَرِيعَ شَطُونُهَا ... وأَنْ تَنْجَلِى عن شُمُوسٍ دُجُونُهَا ﴾

التبريزى : النوى والنيّة : البُعد . والشَّطون : البعيدة ؛ يقال : شَطَن ، إذا بَعُد . وقيل الشيطان مأخوذ من هذا اللفظ ؛ لأنه شطَن من الخير ، أى بعد . ويقال : إن الشيطان مأخوذ من شاط دمُه على النار يَشيط ، إذا احترق ؛ لأن الله سبحانه خلَقه من النار . والدُّجون : جمع دَجْن ، وهو إلباس الغيم السماء .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هربتِ الإبل فصاح بها الرّاعى فراعَتْ إليه ، أى رَجعت . أنشد الجاحظ[٢] :

* وعَلَّ النوى بالظّاعنين تَرِيعُ *

نَوًى شَطُون ، أى بعيدة ، من شَطنت الدار . الدُّجون فى « أفوق البدر[٣] » . يقول : لعل الذى به مُنينا مِن فِراق الحبيبة إلى الوصال يعود .

٢ ﴿ بِنَا مِنْ هَوَى سُعْدَى البَخِيلَةِ كَاسْمِهَا ... إذا زَايَلَتْهُ عَيْنُ سُعْدَى وَسِينُهَا ﴾

التبريزى : المعنى أنّا إذا أسقطنا من اسم « سُعدى » سيناً وعيناً ، فبقى ما بقى ، أى « دا » ؛ إلا أن دال « سعدى » وألفها لا تُمَدّ ، وداء المريض يجوز فيه وجهان ، المدّ والقصر ، إلا أن قصره ضرورة .

---

(١) البطليوسى : « وقال أيضا » فقط . وفى الخوارزمى : « وقال أيضا فى الطويل الثالث (صوابه الثانى) والقافية من المتدارك » .

(٢) انظر الحيوان (٦ : ٣٢٨) . وكتاب الزهرة ٢٠٣ — ٢٠٤ .

(٣) البيت الخامس من القصيدة السادسة ص ٢٨٥ .

البطليوسي : النوى : الفراق . وحقيقتها أنها ما ينويه الرجلُ من السَّفر. وتَرِيع : تعود وترجع . والشُّطون : البعيدة ؛ يقال: شَطَن يشطُن . وتجلى : تتكشّف . والدُّجون : جمع دَجْن، وهو إلباس الغيم السماء؛ يقال : دَجَنت السماء وأدجنت . شبّه النساء بالشُّموس فى حسنهنّ وجمالهنّ، وشبّه الموانعَ التى حجبتهنّ ومنعتْ من الوصول إليهن بالدَّجْن الذى يمنع الشمس من الظهور . وهذا نحوٌ من قول أبى الطيِّب :

ولو غيرُ الأمير غَزا كِلابًا ثناهُ عن شُموسهمُ ضَبابُ

والضمير فى قوله « لعل نواها » يعود على آمرأةٍ لم يتقدّم لها ذ كر، آكتفاءً بدليل الخطاب ؛ كما قال تعالى : ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ، فأضمر الشمس ولم يتقدّم لها ذ كر، حين عُلِم ما أراد . والذى يتبقّ من «سُعدى» بعد حذف سينها وعينها « دا » إلا أن الداء ممدود، وهذا مقصور .

الخوارزمى : يقول : بنا من هوى سُعدى داء؛ لأنه إذا سَقط عينُ سعدى وسينها، بقى «دا» مقصورة، فعنى بها الممدودة .

٣ ﴿ إِذَا مَا أَنَخْنَا حُرَّةً فَوْقَ حَرَّةٍ بَكَى رَحْمَةَ الوَجْنَاءِ مِنْها وَجِينُها ﴾

التبريزى : حُرّة ، أى خالصة من النوق . والحَرّة : أرضٌ تَركبها حجارة سُود . «ورحمة الوجناء» منصوب، لأنه مفعول له ومفعول من أجله .والوجناء: الناقة العظيمةُ وَجْنَتِي الخدّ . وقيل: إنما شُبِّهت بالوَجين، وهو غَلْظٌ من الأرض مستقيم .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : ناقة حُرّة، بالضم: صميمةٌ لها فى الإبل الكرام عِرْق. وأما الحَرّة، بالفتح، فهى فى «تخيرت جهدى»(١). «رحمةَ الوجناء» منصوب على أنه مفعول له. ونحوه قول العجّاج:

* مخافةً وزَعَلَ المحبورِ(٢) *

الوجناء والوَجين فى «يا ساهر البرق»(٣). ولقد أحسن فى تجنيس هذه الألفاظ.

٤ ﴿أَرَنَّتْ بِهَا مِنْ خَشْيَةِ المَوْتِ رَنَّةً فَدَلَّ عَلَيْهَا النَّاعِبَاتِ رَنِينُهَا﴾

التبريزى : المعنى أن هذه الناقة قد أَرنّت من خشية الموت(٤)، فكان ذلك شرًّا عليها؛ لأن الناعبات جاءتها من كل أَوبٍ تُريد أن تأكل منها.

البطليوسى : الحُرّة، مضمومة الحاء: الناقة العَتيقة. والحَرّة الثانية، بفتح الحاء، هى أرض حجارتها سُود. والوجناء من النوق: العظيمة الخَلْق الكثيرة اللحم؛ شُبّهت بالوَجين من الأرض، وهو الغليظ فى آستقامة. ويقال: هى العظيمة الوَجنتين. يقول: إذا بَركت أَرنّت من دُءوب السير، وما تُكابده من مشقّة السفر، فكاد الوجينُ يبكى رحمةً لها. وخَصّ «الوجين» لتجانسه بلَفظة «الوجناء»، ولأن «الوجناء» لما كانت مُناسبةً «للوَجين» فى اللفظ مشتقةً منه، كان ذلك بمنزلة مناسَبة فى الولادة، أو مُشاكلة فى الطبائع، تقتضى آشتقاق كُلّ واحد من المُتناسبين به ولصاحبه(٥). ومعنى أرنّت: صوّتت تصويتَ مُتألّمٍ متوجّع. والناعبات: الغِربان.

(١) البيت ٣٦ من القصيدة ١٩ ص ٦٤٣.

(٢) انظر الخزانة (١ : ٤٨٨) وديوان العجاج ص ٢٨.

(٣) البيت ٢١ من القصيدة ٢ ص ١٣٣.

(٤) حـ : «من وحشة الموت».

(٥) كذا فى الأصل !!.

يقول : أرنّت ليخفّف عنها رنينُها بعضَ ما تجده ، فسمعت الغِربانُ صوتَها فأقبلت إليها لتأكلَها ، فكان ذلك أشدّ عليها ممّا كانت تتشكّاه . ويُشبه هذا قول العرب فى بعض أمثالها : « لو لك عَوَيتُ لم أَعْوِه » . ومعنى ذلك أن الرجل إذا ضلّ فى الليل ولم يَعلم أين يَقصِدُ عوى لتسمَعه الكلابُ فتعوى فيقصِد مكانَها ، ففعل ذلك رجلٌ ، فسمعتْه الذئاب ، فأقبلت إليه ، فقال هذا القول .(١)

الخوارزمى : سمعتُ له رنّةً ورَنينا ، أى صيحة حزينة . وقد رنّ وأَرنّ .

٥ ﴿ يعزُّ علينا أَنْ يظَلّ ابنُ دَأْيةٍ ... يُفَتّشُ ما ضُمّتْ عليه شُؤُونُها ﴾

التبريزى : ابن دأْية : الغراب . وشُؤونها : عظامٌ تصل بين قبائل الرأس . قال أوس بن حَجَر :

لا تَحْـزُنِينى بالفِراقِ فإنّنى ... لا تستهِلُّ من الفِراق شُؤونى

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : ابنُ دأية ، فى « تفـدِّيك النفوس » (٢) . يقول : عزّ علينا موتُ الناقة ووقوع الغراب عليها ناقرًا دماغها ليأكلَ منه .

٦ ﴿ رَحلْنا بِها نَبغِى لهَا الخَيْرَ مِثْلَنا ... فَما آبَ إلّا كُورُها ووَضِينُها ﴾

التبريزى : آب : رجع . والوَضين : حِزام الرَّحل والقتَب .

البطليوسى : ابن دأية : الغراب ، سُمى بذلك لأنه يَقع على دأْية البعير الدَّبِر فينقُرها . والدأْية من ظهر البعير : الموضع الذى تقع عليه ظَلِفة الرَّحل فتَعْقِره . والشؤون : مَواصل قبائل الرأس حيث يدخل بعضُها فى بعض . والعرب تزعم أنها مجارى الدموع . ولذلك قال أوس بن حَجَر :

(١) انظر أمثال الميدانى (٢ : ١٠٤) .

(٢) البيت الثانى عشر من القصيدة الثالثة والثلاثين ص ٧٧٧ .

لا تَحْزُنِيـــنى بالفِـراقِ فإنّنى لا تَسْتَهِلُّ مِن الفِراقِ شُؤُونِى

ونَبغِى : نطلب . والكُور : الرحل . والوَضين : الحزام . ومعنى آب : رجع .

الخــوارزمى : «مثلنا» منصوب على المصدر . وأصل الكلام : مثل بُغائنا الخير . أى كما نبغى إيّانا الخيرَ . والمصراع الثانى كناية عن موتها ، وهو يشتمل على إغراق . ومن هذا الباب قولُ جمال العرب الأَبِيوَرْدِىّ :

فلم يبقَ منّى فى مُهاداتنا السُّرَى ومن صاحبى إلّا نِجادٌ ومِرْبالُ

٧ (فَقَدْ حَنّ سَوْطِى فِى يَدِى مِن غَرَامِهَا وجُنّ اشْتِيَاقًا فى حَشَاهَا جَنِينُهَا)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : يقول : حنّ سوطى فى يدى إشفاقًا عليها لكثرة ضَرْبى إياها به . وجُنّ جنينها فى حشاها لِما يناله من التعب بكثرة حركة أُمّه وركضها ؛ لأن الناقة إذا دام عليها السفر وهى حامل فربما انقلب جنينُها فى جوفها ، وربما رمتْ به قبل وقته ، وربما قتله كثرةُ شدّ الحزام على جوفها ؛ ولذلك قال ذو الرمّة :

إذا غرّقتْ أرباضُهــا ثِنْىَ بَكْرةٍ بتَيهــاءَ لم تُصبِح رَءُوما سَـلُوبُها(١)

وقال أيضا ذو الرمّة :

يَطْرَحن بالمَهـامِه الأَغفـالِ(٢) كُلَّ جنينٍ(٣) لَثِق السِّربالِ

فزج عنـــه حَـلَقَ الأَغلالِ(٤) جَذْبُ البُرَى(٥) وجِرْيَةُ الجبـالِ

* ونَغَضانُ الرَّحْلِ من مُعالِ(٦) *

(١) انظر ديوان ذى الرمة ص ٧٠ . (٢) انظر ديوان ذى الرمة ص ٤٨٢ ومشارف الأقاويز ص ١٤٧ — ١٤٨ . (٣) فى الديوان ومشارف الأقاويز : «كل جهيض» . (٤) فى الديوان ومشارف الأقاويز : «الأقفال» . (٥) فى الديوان ومشارف الأقاويز : «طول السرى» . (٦) نغضان الرحل : حركته . ومن معال ، أى من فوق .

الخوارزمى : المصراع الأول يحتوى على إغراق . ونحوه بيت السقط :

* وزاد فكاد أن يَشْجُو الرِّحالا[(١)] *

ولقد أغرب حيث جعل السوط الذى هو آلة مهيأة للإيذاء، مترحِّما لهذه الناقة مما بها من العناء . ولقد أحسن فى تجنيس هذه الألفاظ .

٨ ﴿تعاطَتْ نُهًى حتَّى إذا ما تعرَّضتْ لَهَا هَضَباتُ الشَّامِ جُنَّ جُنُونُها﴾

التبريزى : النُّهَى : العقل . والهَضَبات : جمع هَضْبة ، وهى القطعة العظيمة من الجبل .

البطليوسى : النُّهى فى الحقيقة : جمع نُهْيَة ، وهو العقل؛ وليس للإبل عقل تُوصف به ، ولكنّ العرب تُجرى السكون والاستقامة مُجرى العقل، فتصف به حينئذ مالا يعقلْ . وهَضَبات : جمع هَضْبة . والهَضْبة : الصخرة العالية تكون جبلا . يقول : لم تزل تستعمل الصبر والسكون حتى بدت لها بلاد الشام ، فاعتراها شبهُ الجُنون حين أشرفت على وطنها . وكل مُقاربٍ لوطنه يشتدّ شوقُه ، ويزيد سيره[(٢)]، طرباً إلى مسكنه الذى أَلِفه ؛ ولذلك قال الشاعر :

طربتُ إلى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغارِ وهاجكَ منهمُ قربُ المَزارِ
وأبرحُ ما يكون الشوقُ يومًا إذا دَنَتِ الديارُ من الديارِ

وقوله «جُنّ جنونها» جعل جنونها مجنونا ، مبالغةً فى وصفها بالجنون؛ لأن المجنون إذا جُنّ كان أشدَّ لأمره . وهذا السائر فى كلام العرب ؛ قال أبو تمام الطائىّ :

تكاد عَطاياه يُجَنّ جُنونُها إذا لم يُعَوِّذْها بنغْمة طالبِ

(١) صدره : * شجا ركبا وأفراسا وإبلا *
وهو البيت ٤١ من القصيدة الأولى ص ٧٩ .

(٢) ب : «ويزيده سيره» .

الخــوارزمى : يقول : كانَ بهذه الناقة شيء من النُّهية، وبقيّة من المُسْكة؛ فلمّا عرضَتْ لها جبالُ الشام، ودّعتها تلك البقيّة، وتبدّلت بجُنون مُصْمَت .

٩ (ولمّـا رمتْ أبصارَها تطلُبُ الحِمَى ولَمْ تَرَ(١) تلكَ الأرضَ ساءتْ ظُنونُها)

التـبريزى : خرج من وصف الناقة إلى صِفة الإبل، لأنّ المعنى مفهوم .

البطليـوسى : يقول : لمـّا رأت هَضَباتِ الشام طربت لِمـا رَجَتْه من بلوغ الوطن وزوالِ مُكابدة السفر؛ فلمّا لم ترَ الحِمى توهّمت أنّ الهضبات التى رأتها ليست هضباتِ الشام ، فساءت ظنونها ، وحَسِبت أنهـا كَذَبتها عيونُها ؛ فاجتمع عليها طرب الهمّ والحَزَن ، وطربُ السرور بمُشارفة الوطن ؛ فاشتدّ قلقها ، وتضاعفت حُرَقهـا .

الخـوارزمى : فى المصراع الأوّل رِقّة يا لها من رِقة !

١٠ (بَذَلْنَا لَهـا مَحْضَ اللُّجَيْنِ كَرَامَةً فَلَمْ يُرْضِهَا فى الجُنْحِ إلاّ لَجِينُها)

التـبريزى : أى بذلنا لهـا اللُّجين، أى الفضة ، فلم يُرضِها إلا اللَّجين، وهو وَرَق يُنْفَضُ من الشجر ويُبَلّ بالمـاء، فتُعلفه الإبل . قال الشمّاخ :

وماءٍ قد وردتُ لوصـلِ أرْوَى عليـه الطـيرُ كالوَرَقِ اللَّجـينِ(٢)

البطليـوسى : سيأتى .

الخـوارزمى : عنى بمحض اللُّجين المـاء . و لَجَنَ الخَبَطَ، إذا دقّه بالحجر حتّى تَلَجّن، أى تلزّج، وهو اللَّجين تُعلفه الإبل مع الدقيق أو الشعير . يقول ؛ من كَرامة هذه الناقة علينا ، لأنها كانت تجتهد فى تبليغنا ما قصدناه من الإياب إلى الوطن ،

(١) البطليوسى : « فلم تر » .

(٢) كالورق اللجين ، حال من الطير ، أو وصف للماء . انظر ديوان الشماخ ص ٩١ .

ومن اجترائها بالخَبَط المدقوق، أنّا جُدنا عليها بأَنْفَس ما عندنا، وهو المـاء الفضّيّ، فرَغِبتْ عنه إلى الخَبَط .

١١ (وَلَمَّا وأَتْنَا نَذْكُرُ المَـاءَ بيْنَنَا ... وَلَا مَاءَ غَارَتْ مِن حِذَارٍ عُيُونُهَا)

التبريزى : غارت : دخلت . وعين غائرة : داخلة بيّنة الغُؤور .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الإبل إذا أدمنت السفر حتى نال منها السيرُ غارت عيونُها غُؤورا . ويقال : غار المـاء غَوْرا[1] . يقول : هذه الناقةُ لمـّا أَحسّت بقلّة مائنا غارت عيونها مخـافة أن نشرب ماءها . وفى البيت لطيفة ، وهى أنه وإن عنى بـ « غارت » معنىَ الغُؤور لا معنى الغَوْر، لم يخلُ عن نوع التفات إلى المعنى الآخر، وتذاكرهم المـاء مع فقد الظفر به، وإسْناد «غارت» إلى العيون التى لها دلالة على الينابيع ، كالمِهاد لذلك . وهذا يتجه[2] إلى أنّ اللفظ الواحد قد يُراد به صَدْمةً[3] معنيان . أنشدنى بعض المُستعربة :

وما أنا إلا المِسكُ ضاع فعندكم ... يَضيع وعند الأكرمين يَضوعُ

١٢ (كَأَنَّا تَوَقَّتْ[4] ورْدَنَا تَمُدّ عَيْنَهَا ... فَضَمَّ إِلَيْهِ نَاظِرَيْهَا جَبِينُهَا)

التبريزى : الإبل إذا سافرت وُصِفتْ بغُؤور عيونها . قال الراجز[5] :

كأنّ عينيه من الغُـؤورِ ... قَلْتانِ فى صُلْبِ صَفًا مَنْقورِ

* أذاك أم حَوْجلتا قارورِ *

---

(١) فى أساس البلاغة : «وتقول غارت عينك غؤورا، وغار ماؤك غورا، وغار نجمك غيارا وتغوّر» .

(٢) فى الأصل « وهذا يتحد » . (٣) صدمة، أى دفعة واحدة .

(٤) فى التنوير : « كأنّها » بإسكان النون .

(٥) هو العجاج . انظر ديوانه ص ٢٧ واللسان (مادة حجل) .

الحوجلة : القارورة العظيمة الغليظة الواسعة الرأس . والمعنى أنّ الإبل لمّا سمعْنا نذكر الماء ولا ماء عندنا ، خَشِيتْ أن نشرب عيونَها ، فضمّ الجبينُ إليه العينين . وهذا على معنى الدَّعاوَى المُستحسنة . والثَّمْد والثَّمَد : الماء القليل .

البطليوسى : المَحْض من كل شيء : الخالص منه . واللُّجين : الفضّة . والجُنْح : جِنْح الليل ، وهو إقباله ومَيْلُهُ على النهار . واللَّجين : ورق الشجر يُبَلّ بالماء وتُعْلَفه الإبل . والثَّمْد والثَّمَد ، بتسكين الميم وفتحها : الماء القليل . أراد أنّ عيونَها غارت من الجهد وطول السفر ، فكأنها خَشِيتْ أن نَشرب ماءَ عيونها لقِلّة الماء عندنا ، فلذلك غارت . وهذا معنًى لا أَحفظ لغيره فيه شيئا .

الخوارزمى : ورد الماءَ ورُودا ووِردا . الضمير فى « إليه » ينصرف إلى الجبين . يُريد حَصَّن الجبينُ ناظريها . وهذا البيتُ تقريرٌ للبيت المتقدم . يصف دخول عينيها فى جَبِينها . وقوله « فضمّ إليه ناظريها » إيهام .

١٣ (وقَدْ حَلَفَتْ أَنْ تَسْأَلَ الشَّمْسَ حَاجَةً وإِنْ سَأَلَتْكَ اليُسْرَ بَرَّتْ يَمِينُهَا)

التبريزى : أى قد حلفت الواحدةُ من هذه العِيس أنْ تسأل الشمسَ حاجةً ، و إن سألتك اليسار والغِنى فقد بَرّت يمينُها ؛ لأنك مشهور كاشتهار الشمس ، وخَرج من صفة النُّوق إلى الواحدة ، كما خرج فيما تقدّم من صفة الواحدة إلى صفة النُّوق .

البطليوسى : اليُسْر : الغنى . وهذا معنًى ٱحتذى فيه على قول أبى الطيّب :

أُمِّى أبا الفَضْلِ المُبِرَّ أَلِيَّتِى لأُيَمِّمَنَّ أجلَّ بحرٍ جوهرَا

الخوارزمى : لو قال : « و إن سألتك البِرّ بَرّت يمينُها » كان تجنيسا طيّبا ، إلا أنّ « اليسر » مع « يمينها » إيهام . ونحوه قول الأبله البغدادى :

إذا امتدّت يمينُك نحو عافٍ رَأَى من سَيْبِ أَنْعُمِها يَسارَهْ

١٤ (مُلَقِّى نَوَاصِى الخَيْلِ كُلَّ مُرِشَّةٍ   مِنَ الطَّعْنِ لَا يَرْجُو البَقَاءَ طَعِينُهَا)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : « أرشّت الطعنة ، وطَعنةٌ مُرِشّة »[1] : يترشّش منها الدم . قال عبد بنى الحَسْحاس :

* يا طعنةً ما قد طعنتُ مُرِشّةً *

والمصراع الأوّل كنايةٌ عن إقدام خيله فى الحرب . وقوله « لا يرجو البقاء طعينُها » جملة فعلية فى محلّ الجر على أنها صفة « مُرِشّة » .

١٥ (وَمُشْكِلُ فُرْسَانَ الوَغَى كُلَّ نَثْرَةٍ   يَوَدُّ خَلِيجٌ رَاكِدٌ لَوْ يَكُونُهَا)

التبريزى : المُرِشّة : التى يخرج منها الدم كالرَّشاش من المطر . والنَّثْرة : الدرع . والدرع تُشَبَّه بالغدير والخليج . وهذه الدِّرع لحُسْنها فى المنظر يودّ الخليج لو كان إيّاها .

البطليوسى : يقول : يستقبل نواصى خيل أعدائه بكُلّ طعنة تُرِشّ بالدم ، ولا يرجو البقاء مَن طُعِن بها من القوم ، ويَسلُب فرسانَ الوغى — وهى الحرب — كلَّ درعٍ نَثْرة ، وهى الدرع السابغة ، ويقال لها أيضا « نَثْلة » باللام . وشبّهها بالخليج الراكد ، وهو النهر الساكن . وقوله « لو يكونها » أراد لو يكون إيّاها ، فجاء بالضمير مُتّصلا . والأحسن فى خبر « كان » إذا أُضمر الانفصال ، لأنها داخلة على جملةٍ من مبتدأ وخبر ، وخبر المبتدأ إذا أُضمر لم يكن إلّا منفصلا .

(١) إلى هنا ينتهى النص فى أساس البلاغة .

الخوارزمى : الخليج، هو النهر العظيم الذى يأتى به البحر، وهو فعيل بمعنى مفعول، من خَلَجه وآختلجه، إذا جذبه وآنتزعه؛ لأنه كالمُنتَزَع من البحر. الضمير المنصوب فى « يكونها » مثل الضمير فى قول أبى الطيب :

* شمس تَمنّى الشمسُ أنْ تكونَهُ(١) *

وقوله «يودّ خليج راكد لو يكونها» جملة فعليّة فى محل الجر على أنها صفة « نثرة ». والمصراع الأوّل كلام فصيح مُستبدع . يقول : تلك الدِّرع لتحصّنها ووثوق صاحبها بها ومحاماتها عنه، قد صارت له بمنزلة القريب المُشفق عليه، فمتى خرقها الممدوح بالطعن فكأنّه قد قتل قريبَه. ولِسَعتها وصفائها وجَرَيانها كالماء، يتمنّى الراكد من الأنهار الواسعة أن يتحوّل هو تلك الدرعَ بعينها.

١٦ (إذا أُلقِيَتْ فى الأَرضِ وهْىَ مَفازَةٌ إلى الماءِ خِلْتَ الأَرْضَ يَجْرى مَعِينُها)

التبريزى : معناه أن هذه الدِّرع مُسرِفة فى اللِّين، فهى إذا أُلقيت فى الأرض ولا ماء بها بل هى مَفازة، لم تَثْبُت لشدّة لينها، فظُنّت الأرض قد جرى ماؤها.

البطليوسى : سيأتى.

الخوارزمى : سيأتى.

١٦ (وَتَبْغِى عَلَى الْقَاعِ السَّوِىِّ تَثَبُّتاً فَيَمْنَعُها مِن أَنْ تَثَبَّتَ لِينُها)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : المفازة : الأرض التى يَهلِك سالكها لعدم الماء فيها ولعدم الأمن. وكان يَنبغى أن يُقال لها « مَهْلَكة »، ولكنّها سُمِّيت مفازةً تفاؤُلاً لسالكها

(١) انظر ديوانه (٢ : ٣٩٢).

بالفـوز . وقال ابنُ الأعرابيّ : قال أبو المكارم : سُمّيت مفازة لأنّ مَن قطعها ونجا منها فاز. وقال غيرُ هؤلاء : هي مُشتقّة من قولهم : فاز الرجل وفوّز، إذا هلك. والمَعين : المـاء الكثير . والقاع : الموضع المُنخفض من الأرض . والسِّـوىّ : المُســتوى .

الخـوارزمى : قوله « مفازة إلى المـاء » : متعطّشة إليه؛ فأجرى الاسم مُجرى الصفة . ونظيره : أنا من هذا الأمر فالج بن خَلاوة[1] . يقول : تلك الدروع للينها وشَبَهها بالمـاء ، متى وقعت على أرض لا ماءَ فيها خُيِّـل أنّ فيها ماءً جاريا ؛ لأنها لا تستقر . والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .

١٨ (ومَا بَرِحَتْ فى ساحَةِ السَّهْلِ يَرْتَمِى ... بِهَا مَوْجُهَا حَتَّى نَهَتْهَا حُزُونُهَا)

التـبريزى : حُزون : جمع حَزْن، وهو الغليظ من الأرض، والحَزْم مثـله ، غير أن الحزم أغلظُ من الحزن. يقول: لو وقعت هذه الدِّرع فى سَهْلٍ من الأرض مُستوٍ، بجرت فيه كما يجرى المـاء، حتى ينهاها الحَزْنُ عن ذلك .

البطليـوسى : الساحة : الفِناء والرَّحبة . يقول : من لين هـذه الدِّرع إذا أُلقيت فى مكانٍ سَهْل سالتْ كما يسيل المـاء ولم تَثْبُت ؛ حتى يعترضَها مكانٌ حزن من الأرض فتَقِف . والحزن : ما غَلُظ من الأرض وارتفع، وجمعه حُزون .

الخـوارزمى : « حتّى نهتها حُزونها » كلامٌ بليغ . وهذا من قول ابن مُقْبِل :

يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقا مالتْ جوانبُه ... يَنهال حِينًا وينهـاه الثَّرى حينًا

---

(١) أى أنا من هـذا الأمر برىء ، وضع العلم موضع الوصف . وانظر المثـل فى أساس البلاغة واللسان (فلج) .

١٩ (غَديرٌ وَشَتْهُ الرِّيحُ وَشْيَةَ صانِـعٍ فَلَمْ يَتَغَيَّرْ حِينَ دَامَ سُكُونُها)

التبريزى : يعنى أنّ الغدير إذا لم تَهُبّ الريحُ لم يَضطرب ماؤه، و إذا هبّت كان كالذى جُعل فيه وَشْى . وهذه الدِّرع إذا سكنتِ الريح لم يتغيّر وشيها .

البطليوسى : شبّه الدِّرع بغدير ماء هَبّتْ عليه الريحُ، فصيّرت على وجهه شِبْهَ الوشى، ثم سكنت عنه الريحُ، فبقى وشيُه ولم يَزُل عنه، ومن شأن الغُدرانِ ألاّ يصير عليها شبه الوشى إلا عند هُبوب الريح عليها .

الخوارزمى : الدِّرع يُشَبَّه بالغدير إذا تموّج قليلا . وفى الدِّرعيات :

مثل غَديرِ الحَـزْنِ جِيدَ شَفْعا وافَى جَنوباً أو شَمـالا مِسْعا[(١)]

وقال أوس بن حَجَر :

وأَشْـبَرَنِيـهِ الهـالكيُّ كأنّه غديرٌ جرتْ فى مَتْنِه الرِّيحُ سَلْسَلُ[(٢)]

يقول : إن أردت أن تعرف لهذه الدّرع شبهاً فتصوّر ماءً مُجتمعاً هَبّت عليـه الريح فتموّج، ثم بقى هكذا متموّجا مدّةَ سكون الريح، مع أنّ تلك المدّة مُتطاولة .

٢٠ (كَأَنَّ الدَّبى غَرْقَى بِها غَيْرَ أَعْيُنٍ إذا رُدَّ فِيهَا نَاظِرٌ يَسْتَبِينُها)

التبريزى : معناه أنّ رءوسَ مسامير الدُّروع يُشَـبَّه بهـا أعينُ الدَّبى؛ قال الشاعر :

وأَحمِـلُ كُلَّ سابغةٍ دِلاصٍ كأنَّ قَتـيرَها حَدَقُ الجَـرادِ

القتير : رُءوس المسامير . قال قيس بن الخَطيم :[(٣)]

ولمّـا رأيتُ الحربَ حرباً تجرّدتْ لَبِستُ مع البُرْدَين ثوبَ المُحارِبِ

---

(١) من القصيدة ٨٤ فى سقط الزند . (٢) أشبرنيه : أعطانيه . والهالكى : الحداد، وأراد به ها هنا الصيقل . انظر اللسان (شبر) وديوان أوس ص ١٩ .

(٣) بعد هـذه الكلمة بياض فى (أ) يستغرق صفحة . ولكن جامع النسخة استدرك هـذا النقص بحصوله على بقية النسخة بخط مخالف .

مُضاعفةً يَغْشَى الأنامل رَيْعُهــا   كأنّ قَتِيرَيها عيونُ الجنادبِ

ثنَّى « قتيريها » لأنه ذهب إلى قتير جانبيها .

البطليـــوسى : سيـــأتى .

الخـــوارزمى : رءوس المسامير تُشبَّه بعيون الجراد . والجامع بينهما مالهما من النتوء والسواد . وقال أبو العلاء :

كأثوابِ الأراقِمِ مَزَّقَتْها   فخاطتْهـا بأَعينِها الجَـرادُ (١)

وقال آخر :

* كأنّ قتيرها حدقُ الجرادِ *

معنى المصراع الأوّل من قول أبى الطيِّب فى صفة فرس :

تراه كأنّ المـاءَ مَرَّ بجِسْمِه   وأقبل رأْسٌ وحدَه وتَلِيلُ (٢)

الباء فى «مرّ بجسمه» للتعدية لا للصلة . والمصراع الأوّل فصيح . يقول : عيون تلك الجراد وإن كانت بعدُ ظاهرةً ، قريبةٌ من الغرق حتّى إنّهـا لا تُرى ، إلا إذا نظر إليهـا بتأمُّل وقَرب منها بَصَره الناظر ، حتّى كأنّه قـد حصّله فيهـا .

٢١ (وَما حَيَوانُ البَرِّ فِيهَا بِسَالِمٍ   إذا لَمْ يُغِثْهُ سِيفُها أو سَفِينُها)

التـــبريزى : لمّا شبّهها بالغدير قال : إذا سلكها شىءٌ من الحيـوان ، من هوامّ الأرض كالذّر والنمل ، ظنّ أنه ليس بسالم منها إلا أنْ يُغيثه سِيفها ، أو سفينةٌ يركبها .

البطليـــوسى : يقول : إذا نظر الناظر إلى هذه الدّرع ورأى مَساميرها ، خُيِّل إليه أنها غديرٌ غَرِقت فيــه جرادٌ ، فليس يبدو منها إلاّ عيونُها . وهــذا من التشبيه

(١) البيت ٢٤ من القصيدة السادسة ص ٣٠٥ .

(٢) التليل : العنق . وانظر ديوانه (٢ : ٨٣) .

البديع . وقد شبّهت الشعراء مسامير الدروع بحدَق الجراد ، ولكنهم لم يبلغوا هذا المبلغ . قال الشاعر :

وَلِىٌّ مُفاضةٌ كالنِّهى زَغْفٌ كأنّ قَتِيرها حَدَق الجَـرادِ

ولمـّا شبّه الدِّرع بالغدير ، وكان الغدير لا يَسلم فيه حيوانُ البَرّ إلا أنْ يَعتصم بالساحل أو يركب سفينة تُخلصه ، وصَف الدِّرع بذلك مبالغةً فى شَبهها بالغدير .

والسِّيف : الساحل .

الخـوارزمى : السِّيف : ساحل البحر ، واشتقاقه من أسفْتُ الخرز ، أى خرمته ؛ لأنه يَقْشُره الماءُ ويَخْرِمه ، ولذلك سُمى ساحلاً لأن الماء يَسْحَله أى يَقْشِره . والسَّفين : جمع سفينة . قال ابنُ دريد : هى فعيلة بمعنى فاعلة ، كأنها تَسْفِن المـاء ، أى تَقْشره . لمـّا شبّه الدرع بالغدير جعلها مما يَغْرَق فيه الحيوان لو لم يُغثه الساحل أو السُّفن .

٢٢ (وَتُصْغِى وَتُرْنِى كُلَّ خَلْقٍ لَعَلّها تَنِقُّ ضَفَادِيها ويَلْعَبُ نُونُها)

التـبريزى : تُصغِى ، من صغت الأذن إلى الشيء ، إذا سمعتْه ومالت إليه . وتُرنِى ، من رنا إلى الشيء ، إذا نظر إليه ، وأرناه غيرُه ؛ لأنه ينتظر أن تَنِقّ ضفادِيها ، أى ضفادعها ، ويسبح نونها ، أى السمك ، فيها . والرنو : إدامة النظر .

البطليـوسى : يقال : صـغَى إلى الشيء وصَـغِىَ وأصغى ، إذا استمع إليه . ورنا إليه ، إذا أدام النظر . وأصغيته أنا[1] ، وأرنيته أنا ، إذا جعلته يصغى أو يرنو . والضفادى ، لغة فى الضفادع . أنشد سيبويه[2] :

ومنهلٍ ليس له حوازقُ ولضفادى جَمّه نَقانِقُ

(١) موضع هذه الجملة بعد «إذا استمع إليه» . وأثبتناها هنا لتلائم سياق الكلام .

(٢) فى كتابه (١ : ٣٤٤) : «وقال الشنتمرى : ويقال إن الرجز مصنوع صنعه خلف الأحمر» .

وهذا عند سيبويه وأصحابه إنما جاء على وجه الضرورة من الشاعر، وليس بلغةٍ على الصحيح ؛ لأن الضفادى ليس لها واحد مستعمل من لفظها ، وإنما المستعمل المسموع : ضِفْدِع ، بكسر الدال وفتحها . وقد حُكى «ضُفْدَع» بضم الضاد وفتح الدال ، وهو نادر . والنون : السمكة . والنون أيضا : الصِّلِنْباحة[1] . وأما معنى البيت فإنه أراد أن كل من نظر إلى هذه الدِّرع توهّمها غديرا ، فهو يُصغى بأذنه ، هل يسمع فيها صوتَ ضفدع ، ويرنو بعينه ، هل يرى فيها نُونا . وهذا من الإغراق فى تشبيهها بالغدير .

الخــوارزمى : «تُصْغِى وتُرْنِى كلَّ خلق» أى تجعله صاغيا للاستماع ورانيا . الضفادى ، هى الضفادع ، أبدل الياء من العين . قال :

* ولضفادِى جَمِّــهِ نَقَــانِقُ *

يقول : هذه الدِّرع لفرط مُشابهتها المــاء ، متى وقف بصر المرء عليها ظَنّها ماء ، فجعل يَسمع وينظر إليها لعلّه يسمع أصواتَ الضفادع ، أو يُعاين لَعِبَ الحيتان ، فيعود ذلك الظنُّ يقينا . وهذا أحسنُ من قول ذى الرُّمّة :

* فيها الضّفادعُ والحيتانُ تَصطخِبُ[2] *

على رواية من رواه بالخاء المعجمة ؛ فإنّ أبا العلاء قد أعطى كلَّ واحدٍ من النوعين ما يليق به ، فجعل للضفادع نَقيقا ، وللحيتان لعبا ، ولا كذلك ذو الرُّمّة .

---

(١) فى القاموس : « الصلنباح ، كسقنطار : سمك طويل دقيق » . وفى الأصل : «الصلباحة» محــرفة .

(٢) صدره كما فى الديوان ص ١٤ :

* عينا مطحلبة الأرجاء طامية *

٢٣ (فَلَوْ لَمْ[1] يَضَعْهَا عَنْهُ لِلسِّلْمِ فارِسٌ ... تَخَلَّدَ ما دامَتْ عَلَيْهِ غُضُونُها)

التبريزى : غُضونها : تكسُّرها . والسِّلم والسَّلم : الصلح .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : غضون الدرع : عُكَنها . يقال: درع ذات عُكَن، إذا كانت واسعة تتثنّى على اللابس من سَعتها . وتَغَضَّنتِ الدرع على لابسها : تثنّت عليه .

* وتحت غُضونِ الدِّرعِ ليثٌ خَفيَّةٌ[2] *

كذا هو فى أساس البلاغة .

٢٤ (ولَوْ عَلِمَتْ نَفْسُ الفَتَى يَوْمَ حَتْفِهِ ... وَلاقَتْهُ فِيهَا لَمْ تَحِنْهَا مَنُونُها[3])

التبريزى : لم تَحِنْها ، من الحين ، وهو الهلاك .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : المَنون، هى المنيّة، فعول من المنّ، وهو القطع، كشَعوب من الشَّعْب، وهو الصَّدْع .

٢٥ (أَمُونٌ إذا أَوْدَعْتَ نَفْسَكَ جِسْمَهَا[4] ... وَلاقَيْتَ حَرْبًا لَمْ يَخُنْكَ أَمِينُها)

التبريزى : أمون، من قولهم ناقة أمون ، إذا كانت يُؤمَن عِثارها .

البطليوسى : السِّلم : الصلح ، بكسر السين وفتحها . وغُضون الدرع : ما انطوى منها . وأصل الغضون التشنّج فى الجلد ، واحدها غَضَن ، بفتح الغين

(١) حـ من التبريزى : « ولو لم » .

(٢) الكلام من أول « وتغضنت » إلى هنا مطابق تماما لما فى أساس البلاغة (مادة غضن) .

(٣) ا من التبريزى : « لم يحنها » . البطليوسى : « لم يغلها » .

(٤) فى التنوير والديوان المخطوط : « حرزها » .

والضاد . والحتف : الموت، وكذلك المنون . وقيل : المنون : الدهر، سمّى منونا لأنه يُذهِب مُنَن(١) الأشياء، وهى قواها . ويقال : غالته المنية تغوله ، إذا ذهبت به وأهلكته . والأمون : الحصينة التى يؤمن عليها من أن تخرّقها الرماح ، أو تؤثّر فيها السيوف .

الخوارزمى : الأمون، هى التى يؤمن أن تخرق ، وأصلها من قولهم ناقة أمون ، أى مأمون فتورها .

(١) جمع منة ، بضم الميم .

[القصيدة الحادية والأربعون]

وقال أيضا يرثى أباه عبد الله بن سليمان[1] :

١ (نَقَمْتُ الرِّضَا حَتَّى عَلَى ضَاحِكِ المُزْنِ فَلَا جَادَنِي إِلَّا عَبُوسٌ مِنَ الدَّجْنِ)

التبريزى : هذه من الأوّل من الطويل، والقافية متواتر. يقال: نَقَمت على الرجل أَنقِم، إذا أنكرت عليه . هذه اللغة الفصيحة، ويقال: نَقِمت أَنقَم أيضا . ومعناه أنى أنقِم على نفسى الضحك وعلى غيرى، حتى على ضاحك المُزْن، أى برقه، فلا جادنى إلا غَيم لا برقَ فيه . أى إنى أوثِر أن أكون مُعَبِّسا[2] .

البطليوسى : يقال : نَقَم الشىء ينقِمه، على مِثال ضربه يضرِبه، ونقِمه ينقَمه، على مثال حذِره يحذَره، إذا كرِهه وسخِطه. والمزن: السحاب الذى فيه بياض. والضاحك : الذى فيه البرق . والعرب تُشَبِّه البرقَ بالضحك، والمطر بالبكاء . قال ابنُ ميّادة :

مُسْتَضْحِكٌ بلوامعٍ مُسْتَعْبِرٌ بمدامعٍ لم تَمْرِها الأقـذاءُ

والجَوْد من المطر، أكثر من الدِّيمة . وأراد بالعَبوس ما لا برق فيه. والدَّجْن: إلباس الغيم السماء . يقـول : كرهت الرّضا من كلّ ضاحك لِعظَم هـذا الرُّزء، حتى بلغتْ كراهيتى له إلى أن سَخِطت على المُزْن الضاحك، فإنى لا أُحِبُّ أن يَجُودنى إلّا سحابٌ لا برق فيه، وهو العَبوس .

الخوارزمى : نَقَم منه كذا، إذا عابه وأنكره. وفى التنزيل: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾ . ونَقِم، بالكسر، لغة . ضحِك العارِض، إذا برق. وسحاب ضاحك . وأصل الضحك

---

(١) زاد البطليوسى : « التنوخى رحمه الله » . الخوارزمى : « وقال يرثى أباه عبد الله بن سليمان التنوخى فى الطويل الأول ، والقافية من المتواتر » .

(٢) التعبيس : العبوس والتقطيب .

فى الأسنان . وسمِّى الضحك ضَحِكًا لأنّ به تتلألأ أسنان الضاحك تلألؤ الضَّحْك بالفتح ، وهو الطَّلْع . « فلا جادنى » دعاء . الدجن ، فى « أَفَوْقَ الْبَدْرِ يُوضَعُ[1] » . يقول : صرت لِمَا أصِبْتُ به من رَزِيَّة والدى كاسف البال ، ضيِّق الذَّرْع ، أنكر الرضا على كل أحد حتى على المزن ذى البرق ؛ لأنّ برقه بمنزلة ضحكه ، وضحكه على رضاه دليل . فلا أمطرنى إلّا سحاب مكفهرّ غير متهلِّل .

٢ (وَلَيْتَ فَمِى[2] إِنْ شَامَ سِنِّى تَبَسُّمِى فَمُ الطَّعْنَةِ النَّجْلَاءِ يَدْمَى[3] بِلَا سِنِّ)

التـــبريزى : النَّجلاء : الطعنة الواسعة . وشام ، مأخوذ من شام السيفَ ، إذا ســلّه . أى إن شام سِنِّى تبسُّمى فليت فمى كفمِ الطعنة النَّجْلاء ، يَفيض منها الدم وليس فيها سِنّ .

البطليـــوسى : ســيأتى .

الخـــوارزمى : « سِنى » مفعول « شام » . و« تبسُّمى » فاعله . قوله « تَدْمَى بلا سِنّ » أى هو دامٍ لا سِنّ له ، وهو فى محل الرفع على البدل من « فم الطعنة » . أو فى محلّ النصب على الحال . يقول : لو آبتسمتُ بعد رَزِيّة والدى ، ولو قَدْرَ ما يظهر به بعض أسنانى ، فبودّى أن يكون فمى مثل فمِ الطعنة الواسعة داميا لا سِنّ له .

٣ (كَأَنَّ ثَنَايَاهُ أَوَانِسُ[4] يُبْتَغَى[5] لَهَا حُسْنُ ذِكْرٍ بِالصِّيَانَةِ وَالسَّجْنِ)

التـــبريزى : المعنى أنّى أصون ثنايا الفم ، فلا أُظهرها لتبسُّمٍ ولا لغيره ، فكأنها أوانسُ من النساء يُبْتَغَى لها حسنُ ذكر بصيانتها عن العيون .

(١) البيت ٥ من القصيدة السادسة ص ٢٨٥ .
(٢) التنوير فقط : « فليت » .
(٣) الخوارزمى والتنوير : « تدمى » بالتاء .
(٤) البطليوسى : « كواعب » .
(٥) التبريزى ، ا من البطليوسى : « تبتغى » .

البطليوسى : يقول : إن ظهر فى فمى تبسّم بعد هذه الرزيّة الشنعاء، فجعله الله مثل فم الطعنة النجلاء، وهى الواسعة الشق. و«شام» ها هنا بمعنى أظهر؛ من قولهم شِمْتُ السيفَ، إذا سَلَلْتَه. وقد قيل : شِمْته أيضا، إذا أغمدته . وهذه الكلمة من الأضداد . و «سِنّى» فى موضع نصب . و «تبسُّمى» فى موضع رفع، لأنه الفاعل . كأنه قال : إن أظهر تبسّمى سِنّى . ثم شبّه ثناياه لفرط إخفائه إيّاها بكواعب من النساء يُحجَبْنَ، صيانةً لهنّ . وخَصَّ الثنايا بالذكر لأنها أكثر الأسنان ظهورا عند الكلام والضَّحك . والسَّجْن . بفتح السين : مصدر سجنته . وإذا أردتَ اسم الموضع الذى يُسجن فيه كسرت السِّين ، وليس هذا موضعه .

الخوارزمى : الضمير فى «ثناياه» للفم . تمَنَّى أبى العلاء شبيهٌ بنَذْر ابن عزوان[(١)] الرَّقاشى، وكان يغزو مع أبى موسى الأشعرى : « لله علَىَّ ألّا يرانى ضاحكا حتى أعلم إلى أىّ الداريْن أصير ! » . فوالله ما رُئِىَ ضاحكا حتى لحق بالله عزّ وجلّ .

٤ (أَبِى حَكَمَتْ فِيهِ اللَّيالِى وَلَمْ تَزَلْ رِماحُ المَنايا قادِراتٍ عَلَى الطَّعْنِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : حكمت فيه الليالى، أى أماتته .

٥ (مَضَى طاهِرَ الجُثْمانِ والنَّفْسِ والكَرَى وَسُهْدِ المُنَى[(٢)] والجَيْبِ والذَّيْلِ والرُّدْنِ)

التبريزى : الجُثْمان : الجسم . والرُّدْن : أصل الكُمّ . يعنى أنه مضى طاهرَ الجسم والنفس . والكرى[(٣)]، أى لا يرى فيما يراه النائم فى نومه

(١) هو عزوان بن عزوان، أو عزوان بن زيد الرقاشى ، ترجم له ابن الجوزى فى صفة الصفوة (٣ : ١٧٥) وأورد طائفة من أقواله . و«عزوان» بالعين المهملة كما عند ابن الجوزى والمشتبه للذهبى ص ٣٨٦ ، وفى الأصل : «غزوان» بالمعجمة، مصحف . (٢) الخوارزمى : «وشهد المنى» وعليه تفسيره . (٣) فى الأصول هنا اضطراب . وقد استخلصنا منها ما رأيناه صوابا .

إلا ما لا تَبِعةَ له فيه لو أنه فعله وهو يقظان. وسُهْد المُنَى، أى وتمنّيه أيضا إذا تمنّى لا يكون إلا شيئا ليس فيه مَذَمّة . وإنّما يصفه بالستر والعفّة فى جميع الحالات.

البطليوسى : الجُثمان : الشخص . والكَرَى : النوم، والسُّهد ضدّه . وذيل الثوب : آخره . والرُّدْن : الكُمّ . وأراد بطهارة الجسم عِفّة جوارحه عن المحرّمات، وبطهارة النفس نقاءها من الأخلاق المذمومة والاعتقادات الفاسدة . ومعنى قوله « وسُهْدِ المُنَى » أراد أنه إذا سهر فى شيءٍ يتمنّاه لم يسهر إلا فيما لا تَبِعةَ فيه . ومعنى طهارة الكرى، أنه قد تعوّد اجتناب المحارم فى يقظته، فإذا نام جرى فى العفة على خُلُقه فى يقظته وعادته؛ لأن النائم إنما يرى فى النوم ما يشغل به فكره فى حال سهره . وهذا نحوُ قولِ البحترى :

واستشعرتْ نفسى العفافَ عنِ الرِّيـ ... ـبةِ حتّى عففتُ فى حُلُمِى

وقول أبى الطيب :

يَرُدُّ يدًا عن ثوبها وهْوَ قادرٌ ... ويَعْصِى الهوى فى طَيفها وهْو راقدُ

وطهارة الجيب كناية عن سلامة الصدر من الغِلّ والحسد ونحوهما . وطهارة الذيل كناية عن عِفّة الفَرْج . وطهارة الكُمّ كناية عن قبض اليد عما لا يحلّ أخذه . وضدّه قول الفرزدق :

أَوَلَّيْتَ العِراقَ ورافِدَيْهِ ... فَزارِيًّا أحذَّ يدِ القميصِ

أراد أنه شمّر كُمّه للسرقة والغَصْب .

الخوارزمى : الجُثمان والجُسمان، من وادٍ واحد . قوله «والكرى» أى كان لا يرى فى المنام أضغاث أحلام . استعار الشهد للمُنى للذّتها وحلاوتها . الوجه فى « شهد المنى » هو الجر . يريد : ومضى طاهرَ الأمانى المستلَذّة . ولا يجوز فيه

النصب؛ لأن انعطاف الجيب على المنى يدفع ذلك، بدليل أنّ انعطافه عليه حينئذ يقتضي أن يجوز « وشهد الجيب » وذلك فاسد .

٦ (فيا لَيتَ شِعْرِى هَلْ يَخِفُّ وَقَارُهُ إذا صَارَ أُحْدٌ فى القِيامَةِ كَالعِهْنِ)

التبريزى : العِهن : الصوف الملوّن المصبوغ .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٧ (وهل يَرِدُ الحَوْضَ الرَّوِىَّ مُبادِرًا مَعَ النَّاسِ أَمْ يَأْبَى[1] الزِّحامَ فيَسْتأْنِى)

التبريزى : يصفه بالحلم والأناة . والحوض : حوض النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . أى لا أدرى أيَرِدُهُ مع النّاس، أَمْ يأبَى الزّحام ، فيتأنّى فى الورد .

البطليوسى : يقول : قد كان فى حياته شديد الوقار، لا يستخفّه هولٌ يراه، لجُرْأَة قلبه وكثرة نُهاه؛ فياليتَ شعرى هل يزول ذلك الوقار يوم الهول الأعظم، أم يجرى فيه على خُلُقه المتقدّم . وقوله : «وهل يَرِدُ الحَوْضَ الرَّوِىّ» نحوٌ من ذلك المعنى ؛ لأنّ العرب كانت ترى تقديم غيرها إلى ورد الماء من الجود والكرم، وتعدّه[2] من محاسن الأخلاق والشّيم ؛ كما آثر كَعْبٌ النَّمَرِىّ بالماء على شدّة حاجته إليه ، فصار ذلك له منقبة مذكورة ، وفضيلة مأثورة[3] ؛ وكما قال حاتم الطائى :

ومَا أنا بالساعِى بفضلِ زِمامِها لتشربَ ماءَ الحوضِ قبلَ الركائبِ

الخوارزمى : المراد بالحوض حوض النبيّ عليه السلام . وشرب شربا رَوِيّاً . وسحاب رَوِىّ : عظيم القطر، وكأس رَوِيَّةٌ : ملأى . والبيتان متقاربا المعنى .

(١) البطليوسى : « أو يأبى » .
(٢) ب : « تعتقده » .
(٣) انظر ما سبق فى ص ٦٢٧ .

٨ (حِجًا زادَهُ مِنْ جُرْأةٍ وسَماحَةٍ وبَعْضُ الحِجا داعٍ إلى البُخْلِ والجُبْنِ)

التبريزى : الحجا : العقل . ومعناه أن عقله زاده جُرأة وسماحة، وبعض الحجا يدعو مَنْ هو فيه إلى أن يبخل ويجبُن . وفى الخبر : «الولد مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ» أى الوالد يخاف على ولده اليُتْم، فيتجمع له المال . ويقال جُرْأة وجَراءَة، بمعنى .

البطليوسى : هذا البيت يبين ما ذكرناه من معنى البيتين اللّذين قبله . يقول : قد كان فى حياته جريئا شجاعا فيوشك ألَّا يَهُولَه فى القيامة مايراه، وكان سَمْحا يؤثر على نفسه فيوشك ألا يُزاحِم الناس على الحوض مع شدّة ظَمَئِه وصَداه .

الخوارزمى : الحجا، هو العقل، لأنه يحجو صاحبَه عما يتتايع فيه المجانين، ولذلك سمى نُهًى وعقلا وحِجْرًا، لأنه يعقل صاحبه وينهاه ويَحْجُره عما لا يعنيه .

٩ (عَلَى أُمِّ دَفْرٍ غَضْبَةُ اللهِ إنَّها لَأَجْدَرُ أُنْثَى أنْ تَخُونَ وأنْ تُخْنِي)

التبريزى : يقال : أَخْنَى عليه الدهر، وأَخنَتْ عليهم الدنيا، أى أهلكتهم .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : أُمّ دَفْر : كُنية الدنيا . والدَّفْر، هو النَّتْن، وهذا كما قيل لها أُمّ دَرَنٍ . أخْنى عليه : أهلكه . قال النابغة :

* أَخْنَى عَلَيها الَّذِى أَخْنَى عَلَى لُبَدِ * (١)

١٠ (كَعَابٌ دُجاها فَرْعُها ونَهارُها مُحَيًّا لَها قامَتْ لَهُ الشَّمْسُ بالحُسْنِ)

التبريزى : شبه الدنيا بالكَعاب، وهى التى قد تكعَّب ثديها .

البطليوسى : أم دَفْر : كُنية الدنيا . وأجدر أنثى : أحقّ . وتُخْنِى : تفسد، أو تأتى بالخنا . وجعلها أنثى لتأنيث اسمها، فأجراها لذلك مُجْرَى المؤنث الحقيقى،

---

(١) صدره : * أمست خلاء وأضحى أهلها احتملوا *

فجعل لهـا فرعا ومحيّا ، وجعلها كَعابا، لأنها باقية على حال واحدة لاتتغير، ولذلك سمّت العربُ الدهر: «الأزلم الجذَع»[1] وقالوا للّيل والنهار «الفتيان» و «الجديدان» والكعاب من النساء : التى كعب نهدها للبلوغ . والدجى : الظُّلَم، واحدتها دُجية . والفرع : الشعر . والمُحَيّا : الوجه .

الخـــوارزمى : قوله « لهـا » فى محل الرفع بأنه صفة « محيًّا »، وكذلك قوله « قامت له الشمس بالحسن » فى محل الرفع على أنه صفة بعد صفة .

١١ ﴿رَآها سَلِيلُ الطِّينِ والشَّيْبُ شَامِلٌ   لَهَا بالثُّرَيَّا والسِّماكَيْنِ وَالْوَزْنِ﴾

التـــبريزى : سَليل الطين : آدم عليه الصلاة والسلام . وقد وُصف بذلك فى الدّهر القديم . قال الراجز:

ماتَ أبوها جَلَعَدٌ من الهَـرَمْ[2]   وآدمُ ابنُ الطِّينِ رَطْلٌ ما احتلمْ[3]

أى لين ما اشتدّ . وقال المرار الفقعَسى :

فَضَلْنا النّـاسَ أنّا أوّلوهمْ   وأنّ مكارِمَ الأخلاقِ فينا

أباً فأباً إذا نحن انتسبنا   إلى أن تبلغ الأنسابُ طِينا

يَعنى الطين الذى جُبِل منه آدم عليه السلام . والوزن، من النجوم . ويجوز أن يكون يعنى به الميزان .

(١) أصل الأزلم الجذع الوعل ، فهو أزلم، أى ذو زلة ، وهى هنة معلقة فى حلقه ؛ وهو جذع، لأنه لا يسن ولا يتغير، وبذلك سمى الدهر « الأزلم الجذع » .

(٢) فى تهذيب الألفاظ للتبريزى ص ١٤١ : « من القدم » .

(٣) الرطـل، بفتح الراء وكسرها : الغلام الذى لم تشـتد عظامه ، والذى راهق الاحتـلام . وفى الأصل : «رطب» صواب نصه من إنشاد التبريزى فى تهذيب الألفاظ ص١٤١ . وانظر الحاشية التالية . وفى حـ : « احتكم » والروايتان متقاربتان، وهو باللام فى تهذيب الألفاظ .

البطليوسى : أراد بسليل الطين آدم عليه السلام . والسَّليل : الولد . وجعله ابن الطين ، لأن الله تعالى خلَقه منه ابتداءً من غير كونٍ فى رحم . ونظيره قول الراجز :

مات أبوها جَلْمَدُ من الهَـرَمْ   وآدمُ ابنُ الطين رطلٌ ما احتلمْ(١)

وأراد بالسِّماكين السماكَ الأعزلَ والسِّماكَ الرامح . والوزن : كوكبٌ من الكواكب اليمانية . تقول العرب : « حَضارِ والوزن مُحْلِفان »(٢) . وإنّما قالوا ذلك لأنّهما كوكبان يطلُعان قَبْـلَ سُهيل ، ومطلعُهما قريبٌ من مطلعه ، فيتوهّم الناظر إلى أحدهما أنه سُهيل ، وينازع صاحبَه فى ذلك ، حتّى يحلف أحدُهما أنّه سهيل ويحلفَ الآخر أنّه ليس به . وإنما أراد أنّ آدم عليه السلام لم يكن أوّلَ مَن عَمَر الأرضَ . وقد جاء فى الخبر: أنّ الأرض قبل آدم كانت مسكنًا للجن . ونصّ الله تعالى على ذلك بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . وقال بعض المفسّرين — وحكى ذلك النقّاش — فى تفسير قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ إنّ المراد بالانسان آدمُ ، وإنّ المدّةَ التى مضَتْ من الدُّنيا لم يكن فيها مذكورًا ثلاثة أسابيع ، وهى أحد وعشرون ألف سـنة . وحكى النقاش فى تفسير قوله تعالى : ﴿ تَعرجُ الملائكةُ والرُّوحُ إليه فى يوم كانَ مِقدارُه خمسينَ ألفَ سَـنةٍ ﴾ أنها مدة الدنيا . وأمّا ما ورد فى الخبر من أن هـذه الدنيا سبعة آلاف سنة(٣) فلم يرد من طريق صحيح ، وإنمـا هو شىء نُقل من الكتب القديمة ، عن وَهْب بن مُنبّه وكعب الأحبار وغيرهما ، ولم يقع فى كتب الحديث التى يُعوَّل عليها .

(١) ا : « وطل ما احتكم » والكلمة الأولى محرفة .

(٢) انظر اللسان (٥ : ٢٧٦) .

(٣) ا : « تسعة آلاف سنة » .

الخوارزمى : سَليل الطين : آدم عليه السلام، فعيل بمعنى مفعول من السَّلّ. وكذلك ابن الطين . قال :

مات أبوها جَلْعَدٌ من الهَـرَمْ وآدم ابنُ الطين رطبٌ ماالحتكمْ

وقال المَرّار الفَقْعَسى :

فَضَلْنا النـاس أنّا أوّلوهُمْ وأنّ مكارمَ الأخلاقِ فينـا

أبًا فأبًا إذا نحن انتسبنا إلى أن تبلغ الأنسابُ طينا

الوزن . نجم : يقال « حَضار والـوزن مُحْلِفان » . وذلك أنهما يطلعان قبـل سُهَيل ، فيُحْلَف أن كل واحد منهما سُهيل . وكأنه سُمّى بالوزن لموازنته سهيلا .

١٢ (زمانَ تولّتْ وأدَ حَـوّاءَ بِنْتِها وكَمْ وأدَتْ فى إثْرِ حَوّاءَ مِنْ قَرْنِ)

التبريزى : الوأد المعروف فى الجاهلية، كانوا يئدون بناتهم، أى يدفنونهن فى الحياة، خشية العار . أى وأدت الدنيا حَوّاءَ بنتها ، وكم وأدت بعدها من قَرن بعد قرن، أى من قوم بعد قوم .

البطليوسى : سياتى .

الخوارزمى : الضمير فى « تولّتْ » لأم دَفْر . « بِنْتِها » مجرور على البدل من « حوّاء » .

١٣ (كأنّ بَنِيهَا يُولَدُونَ ومَا لهَـا حَليلٌ فتخشَى العارَ إنْ سَمَحتْ بِابْنِ)

التبريزى : أى كأنّ بنيها يولدون ولا زوج لها، فهى إن لم تئدهم تُنسب إلى الزنا، فتخشى العار من ترك واحد من بنيها .

البطليوسى : الوأد (١) : وضع التراب على الميت وتركيبه عليه . شبَّه الدنيا فى إهلاكها لأبنائها بامرأة زانية تخشى الفضيحة إذا ظهر لها ولد ، فهى تَدفِنُه لتقطع أثره . والحليل : الزوج .

الخوارزمى : قوله «إن سمحت بابن» أى إن أبقته حيا .

١٤ (جَهِلْنَا فَلَمْ نَعْلَمْ عَلَى الحِرْصِ مَا الَّذِى يُرَادُ بِنَا وَالعِلْمُ لِلّٰهِ ذِى المَنِّ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سـ أى .

الخوارزمى : قوله «على الحرص» أى على حرصنا على أن نعلم .

١٥ (إِذَا غُيِّبَ المَيْتُ (٢) اسْتَسَرَّ حَدِيثُهُ وَلَمْ تُخْبِرِ الأَفْكَارُ عَنْهُ بِمَا يُغْنِى)

التبريزى : استسرّ، أى خَفِى ، من السِّرار والسَّرار . والأفكار : جمع فكر .

البطليوسى : يقول : جهلنا الحال التى نَصير إليها بعد العدم والفناء ، وما يُختَم لنا به من السعادة والشقاء . وكُنّا حِراصاً على معرفة ما نصير إليه ، وعلم ما نَرِدُ بعد الممات عليه . ولم يرِدْ أنه غير مُتيقِّن بالبعث والقيامة ، وإنما أراد أنه غير متيقن بما يقضى الله به من هَلَكة أو سلامة ، وهذا أمرٌ قد تحيَّر فيه الصالحون ، وإن كانوا لا يشكّون فى أنهم مبعوثون .

الخوارزمى : ... ...

١٦ (تَضِلُّ العُقُولُ الهِبْرِزِيَّاتُ رُشْدَهَا وَلَا يَسْلَمُ (٣) الرَّأْىُ القَوِىُّ مِنَ الأَفْنِ)

التبريزى : العقل الهِبْرِزِىّ : القوىّ . ويقال رجل هِبْرِزِىٌّ ، أى قوى جميل . ويوصف أُسوارُ الفرس بالهِبْرِزِى ، وكذلك الدينار . قال الشاعر (٤) :

(١) ب : «على المدفون» . (٢) التنوير والخوارزمى : «المرء» .
(٣) التبريزى والتنوير : «ولم يسلم» . (٤) هو أحيحة بن الجلاح ، يرثى ابنه . انظر حواشى ص ٥٢٠ وتاج العروس (٤ : ٩٢) مادة (هبرز) واللسان (هبرز ، نفس) .

فما هِبْرِزِىٌّ من دنانير أَيْلَةٍ ... بأَيْدِى الوُشاة مُشْرِقًا يَتَأَكَّلُ
بأَحْسَنَ منه حين وَدَّع ثاوِيًا ... ونَفَّسَنى(١) فيه الحِمامُ المُعَجَّلُ

والأَفْن : ضعف الرأى ، يقال رجل مأفون ، أى لا عقل له . وهو مأخوذ من قولهم : أَفَنتُ الناقةَ ، إذا استقصيتَ حلبها .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الهِبْرِزِىّ : القوىّ . فلان مأفون ، أى منزوف العقل ، وفى عقله أَفْنٌ ، من أُفِنَت الناقة ، إذا استنزف الحالبُ لبنها .

١٧ (وَقَدْ كَانَ أَرْبَابُ الفَصَاحَةِ كُلَّمَا ... رَأَوْا حَسَنًا عَدُّوهُ مِنْ صَنْعَةِ الجِنِّ)

التبريزى : يعنى نسبتهم الأشياء الحسنة إلى عَبْقَر ، نحو قولهم بساط عبقرىّ ، أو غير ذلك .

البطليوسى : العقل الهِبْرِزىّ : الجيّد المُحْكَم . ويقال : رجل هِبْرِزِى ، إذا كان حصيف العقل ، ودينار هِبرِزىّ ، إذا كان خالصا لا غِشَّ فيه .

قال الشاعر :

فما هِبْرِزِىٌّ من دنانير أَيْلَةٍ ... بأيدى الوُشاة نَاصِعٌ يتأكَّلُ
بأحسنَ منهُ يومَ أصبحَ غاديًا ... ونفَّسنى فيه الحِمامُ المعَجَّلُ

والأَفْن : فساد العقل واضطراب الرأى . ويعنى بأرباب الفصاحة العرب . يقول : هذه الأمور المغنِّية قد ضلَّلت العقول السليمة عن الرُّشد ، حتى أخطأت سبيل الحق والقصد ، وعرض لها عارضُ الارتياب ، واعتقدت فى كثيرٍ من الأمور ما ليس بصواب ، كما فعلت العربُ مع رجاحة أحلامهم ، وما يبدو من الحكمة فى كلامهم ؛ فإنّهم كانوا ينسبون كل شيء حسن إلى الجنّ . ولذلك قال الله تعالى :

---

(١) نفّسه فى الشيء ، وأنفسه فيه : رغبه فيه .

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ﴾ . وكانت العرب تنسُب كل ما يستعظمونه ويستحسنونه إلى «عبقر»، وهى أرض زعموا أن الجنّ تسكنها، حتى قالوا ثوب عبقرىّ، ورجل عبقرىّ، وظلم عبقرىّ . ولشهرة ذلك فيهم صار مثلا . قال صلى الله عليه وسلم فى عمر : «فلم أرَ عبقريًّا يَفْرِى فَرِيَّه»(١) . وقال الله تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ . وكانوا يقولون للرجل إذا وصفوه بالدهاء وحصافة العقل : «جِنّىّ» قال الحارث بن حِلّزة :

إِرَمِىٌّ بِمِثْلِهِ جَالَتِ الجِـ ـنُّ فَآبَتْ لِخَصْمِهَا الْأَجْلَاءُ(٢)

وكانوا يقولون امرأة جِنّيّة ، يريدون أنها تخبِل العقول كما تخبلها الجنّ ؛ قال أبو تمّام :

إِنسيَّةٌ إِنْ حُصِّلَتْ أَنْسَابُها جِنّيّةُ الأَبَوَيْنِ مَا لَمْ تُنْسَبِ

الخوارزمى : كانوا ينسبون كلّ شىء تعجّبوا منه إلى «عبقر»، وهى فيما زعموه مَجَنّة بالبادية، حتى قيل ظلم عُبقرىّ . يقول : أرباب الفصاحة مع كمال فضلهم قد ٱلتبست عليهم الأشياء الظاهرة، حتى نَسبوا إلى الجنّ كلّ عَجَب، فكيف لا يلتبس على مَن دونهم فى الفَضْل ما إليه المُنْتهَى فى الخفاء والدقّة، وهو المعاد .

١٨ ﴿ وَمَا قَارَنَتْ شَخْصًا مِنَ الْخَلْقِ(٣) سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا وَهْىَ أَفْتَكُ مِنْ قِرْنِ ﴾

التبريزى : القِرْن : الذى يقارنك فى قتال أو علم أو غيره . وكلّ ساعة تمضى من الدهر فى عُمر الإنسان أفتكُ من قِرْنٍ، لأنها تَهْدِم عمره .

(١) ويروى : «فريه» بتشديد الياء، وأنكره بعضهم . انظر اللسان ونهاية ابن الأثير (فرى) .

(٢) الأجلاء : جمع جلا، وهو الأمر المنكشف . (٣) الخوارزمى : «من الناس» .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الرواية « قارنت » بالنون .

١٩ (وَجَدْنَا أَذَى الدُّنْيَا لَذِيذًا كَأَنَّمَا   جَنَى النَّحْلِ أَصْنَافُ الشَّقَاءِ الَّذِى نَجْنِى)

التبريزى : جنى النحل : العسل .

البطليوسى : المُقارنة : المواصلة والملازمة . والقِرْن : الذى يُقارِن غيرَه فى علمه أو شجاعته أو قُوَّته . والفَتْك : قتل الرجل مُجاهرةً . يقول : مِنْ خطأ آرائنا ، وضَلالنا عن رشدنا ، أنّ كلَّ ساعة من ساعات زماننا تَفْتِك بمُهَجنا كما يفتك القِرْن ، ونحن مع ذلك نسكن إليها ، ونحرص عليها . ثم ذكر بعد هذا أنّ جميع الحيوان مطبوعٌ على محبّة الحياة ، كارهٌ للمات ؛ يُؤْثِر ما هو فيه من الشقاء ، على الموت والفناء ؛ قد آستوى فى ذلك الإنْس(١) والبهائم ، والجاهل والعالم . وشرح ذلك فقال :

الخوارزمى : «أصناف الشقاء» مرتفع بالآبتداء ، و «جنى النحل» خبره .

٢٠ (فَمَا رَغِبَتْ فِى المَوْتِ كُدْرٌ مَسِيرُهَا   إِلَى الوِرْدِ خِمْسٌ ثُمَّ يَشْرَبْنَ مِنْ أَجْنِ)

التبريزى : المعنى أن الحياة مُحبَّبة إلى الفقير والغنىّ ، والمُوَدَّع(٢) وأخى الشقاء . والقطا الذى يتكلّف المسافرة إلى الماء ثم يجده آجنا — أى متغيرا — لا يرغب فى الموت ، بل يَسُرُّه أن تدوم له تلك الشِّقوة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الكُدْر من القطا ، هى الغُبْر الألوان ، الرُّقْش الظهور والبطون ، الصُّفْر الحلوق ، وهى ألطف من الجَوْنىّ . وكذلك الكُدْرىّ(٣) ، وهو منسوب إلى الكُدْرة . عنى بخِمْس ، خمسَ ليال .

(١) أ : « الإنس والجن » . (٢) المودع : المرفه المنعم .

(٣) فى أساس البلاغة (كدر) : « وطائر أكدر ، وطير كدر ، وقطاة كدرية من قطا كدرىّ » .

٢١ (يُصَادِفْنَ صَقْرًا كُلَّ يَوْمٍ ولَيْلَةً   ويَلْقَيْنَ شَرًّا مِنْ مَخَالِبِهِ الْجُنِ)

التبريزى : المعنى أن القطا لا يختار الموت ، ولو لقيه صقرٌ كلَّ وقت ولقى شرًّا من مخالبه الجُنْ ، أى المنعطفة . قال النابغة :

خَطاطِيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ مَتينةٍ   تُمَدُّ بها أيدٍ إليك نَوازِعُ

البطليوسى : الكُدْر : ضربٌ من القطا فى ألوانها كُدرة ، واحدها كُدْرِىّ . والخِمْس : ورود الماء فى كل خمسة أيام . والأَجْن : مصدر أَجَن الماء يأجِن ، إذا تغيّر . أراد : ثم يشربن من آجِنٍ ، فوضع المصدر موضع اسم الفاعل على معنى المبالغة ، كما قالوا رجلٌ عَدْلٌ ، أى عادل . ويجوز أن يكون التقدير ذى أَجْن ، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مُقامه . وكذلك رجلٌ عَدْل ، يكون معناه ذو عدل . ويجوز أن يريد : من أَجِنٍ ، بكسر الجيم ، ثم خفّف الجيم ، كما يقال فى فَخِذ فَخْذ ، وفى نَمِر نَمْر ؛ لأنه يقال : أَجِنَ الماءُ ، بكسر الجيم ، فهو أَجِنٌ ، وأَجَن ، بفتح الجيم أكثر وأشهر . والحُجْن : المعوجّة ، واحدها أحجن .

الخوارزمى : الحُجْن ، هى العُوج ؛ يقال : عود أحجن ، وعصاً حجناء ، بيّنة الحَجَن .

٢٢ (وَلَا قَلِقَاتُ اللَّيْلِ بَاتَتْ كَأَنَّهَا   مِنَ الأَيْنِ والإِدْلَاجِ بَعْضُ القَنَا اللُّدْنِ)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : عنى بقلقات الليل حُمر الوحش ، لِقَلَقِها فى السير إلى الماء . وإنما تسير إليه ليلًا لأنها تخاف الصائدَ نهارا . جعل ليلَها قَلِقًا ، على الإسناد المجازىّ . وهذا تركيب فصيح ، وأبو العلاء فيما أظن أبو عُذْرِه . واللُّدن ، بالضم : جمع

لَدْن، بالفتح[1]؛ ونحوه سُقُفٌ في جمع سَقْف[2]، وقُصُر[3] في جمع قَصْر، وأُصُل في جمع أَصْــل؛ وقرئ ﴿قَوْمًا على أُصُلِها﴾[4]، ونُجُمٌ في جمع نَجْم؛ وقرئ ﴿وبالنُّجُمِ﴾[5]. الأين[6] في «ياساهر البرق».

٢٣ ﴿ضَرَبْنَ مَليعًا بِالسَّنابِكِ أَرْبَعًا إلَى الماءِ لا يَقْدِرْنَ مِنْهُ عَلى مَعْنِ﴾

التــبريزى : المليع : الأرض الخالية من المــاء . والمعن : الشيء القليل .

البطليــوسى : أراد بالقَلِقات حميرَ وحش . وذكر قَلَقَها بالليــل لأنها لا تسير إلى المــاء إلا بالليل خشيةَ القنّاص . والأَيْن : الإعياء . والإدلاج : سير الليل كله . والقنا : الرماح . واللَّدْن : الذى يخالط صلابته شيء من لين . والمليع : الأرض التى لا ماء بهــا . وقوله «لا يقدرن منــه على معن» أى على شيء يسير . يقال : ما له سَعْنٌ ولا مَعْنٌ ، أى ما له كثير ولا قليل ؛ قال النَّمِر بن تَوْلَب :

ولا ضَيَّعتُــه فأُلامَ فيــه فإنّ ضَيــاعَ مالِكَ غيرُ مَعْنِ

والسنابك : أطراف الحوافر .

---

(١) أى فى أن التغيير بين المفرد والجمع بالحركة دون الحروف ، وإن تناول التغيير فى هــذه الجموع حركة الفاء والعين ، وبقيت عين «لدن» ساكنة .

(٢) وبها قرأ الأعرج ومجاهد وابن محيصن فى قوله تعالى : ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ فى سورة النحل . انظر مختصر القراءات الشاذة لابن خالويه ص ٧٢ .

(٣) قصر ، بضمتين ، قرأ بهــا ابن مسعود فى قوله تعالى : ﴿إنها ترمى بشرر كالقصر﴾ .

(٤) قوما ، بالفتح : جمع قائم ، كشارب وشرب ، وصاحب وصحب . وهى قراءة عبد الله والأعمش وزيد بن على ، كما فى تفسير أبى حيان (٨ : ٢٤٤) ومختصر القراءات الشاذة ص ١٥٤ فى سورة الحشر . وقال أبو حيان : «وقرئ أصلها بغير واو» .

(٥) هى قراءة الحسن ومجاهد فى ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ من سورة النحل . انظر القراءات الشاذة ص ٧٢ . (٦) انظر البيت ١٧ من القصيدة الثانية ص ١٣٠ .

الخوارزمى : ضربتُ له الأرضَ كلَّها فلم أجِدْه . قال أبو عُبَيْدة : المَلِيع ، هى المفازة التى لا نباتَ فيها ولا ماء . وقال العُتْبِىّ : الطريق . وقال صاحب التكملة : ما بين الحَرَّتين . كذا حكاه الغورى . «أربعا» أى أربع ليال . الضمير فى «منه» للماء . المعن ، هو الشىء الهيِّن القليل .

٢٤ (وخَوفُ الرَّدَى آوَى إلى الكَهفِ أهْلَهُ   وكَلَّفَ نُوحًا وابنَهُ عَمَلَ السُّفْنِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : أصحاب الكهف فتيةٌ من الرُّوم كفروا بدقيانوس الملك ، وهربوا منه خائفين ، فدخلوا الكهف ، وضرب الله على آذانهم ، وكان ذلك قبل المسيح صلوات الله عليه ، ثم بعثهم فى الفترة بين المَسيح و بين النبىِّ عليهما السلام .

٢٥ (ومَا استَعذَبَتْهُ رُوحُ مُوسَى (١) وآدَمٍ (٢)   وقَدْ وُعِدَا مِنْ بَعْدِهِ جَنَّتَىْ عَدْنِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : وقع فى بعض النسخ (٣) : «روح موسى وآدم» . والأشهر فى الروح التذكير، وقد يؤنَّث على معنى النفس . وهذا على رأى من يرى أن النفس هى الروح . قال الشاعر :

فلا حَفِظ الرحمنُ نفسَك حَيّةً   ولا وَهْىَ فى الأرواح حين تَفِيظُ (٤)

---

(١) فى البطليوسى : «نفس موسى» .

(٢) فى أ من التبريزى : «وصنوه» .   (٣) فى ب : «فى أكثر النسخ» .

(٤) فى الأصل : «ولا هى» ، صوابه فى اللسان (مادة فيظ) . وقبله :

وسميت غياظا ولست بغائظ   عدوا ولكن للصديق تغيظ

والعَدْن : الإقامة؛ يقال: عَدَن بالمكان، إذا أقام به، يَعْدِن عُدُونًا وعَدْنًا . ومنه سمى المَعْـدِن، لإقامة الناس به، أو لثبات ما فيـه من جوهر . فإن قال قائل : كيف كره الأنبياء والحكماء الموت مع معرفتهم بفضيلة الدار الآخرة وما وُعِدوا به من المصير إلى الدرجات العـلا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فأخبر أن أولياء الله يتمنّون الموت ويحرصون عليه ، لعلمهم بما يصيرون إليه ، وإنما يكره الموت مَنْ ليس على بصيرةٍ من أمره ، ولا يستيقن ما يُفضى إليه بعد موته ؟

فالجواب أنّ كراهيتهم للموت ليس لرغبةٍ فى الدنيا، وإنما ذلك لعلتين : إحداهما ما يلاقون من غُصَص الموت وألَمه، وسَكَراته وغُمَمه . والثانية أن فى بقائهم صلاحًا للعالَم، وكفًّا لهم عن التعدّى والتظالم؛ فهم يحبّون أن يُمَدَّ لهم فى البقاء ليستكثروا من الأعمـال ، ويهتدى بهـم أهل الزيغ والضـلال ؛ فتكثُر حسناتُهـم ، وتعـلو درجاتهم . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأن يهدىَ الله تعالى بك رجلًا واحدًا خيرٌ ممـا طلعت عليه الشمسُ » .

الخـوارزمى : الضمير فى «استعذبته» و «بعده» للردى . رُوِى أنّ موسى عليه السلام كره الموت وأعظمه . ورآه فى المنام يوشع فقال : كيف وجدت الموت يا نبىّ الله؟ فقال : كشاة تُسْلَخ وهى حيّة . ورُوِى أنّ الله تعالى لمّـا أخرج من ظهر آدم ذُرِّيّته وجعل يعرِضهم عليه، وَهَب لداود أربعين سنة من عمره . فلمّـا جاء ملك الموت ليقبضه قال آدم : عَجِلتَ . قال : كلّا! ولكن استوفيتَ أجلك . قال آدم : قد بقى من عمرى أربعون سنة . فقال : قد وهبتَها لابنك داود . فقال : لم أَهَبْ له شيئا . أخرجَ هذا الحديث بعض الأئمة ، والعُهدة عليه .

٢٦ (أَمَوْلَى القَوَافِى كَمْ أَرَاكَ انْقِيَادُهَا   لَكَ الفُصَحَاءَ العُرْبَ كَالعَجَمِ اللُّكْنِ)

التبريزى : يقال : رجلٌ أَلْكَنُ ، إذا كان لا يُفْصِح ، والجمع لُكْنٌ .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى « انقيادها » للقوافى . وفى هذا البيت تصريح بأن والد أبى العلاء كان ممن يَقرِض الشعر .

٢٧ (هَنِيئًا لَكَ البَيْتُ الجَدِيدُ مُوَسَّدًا   يَمِينَكَ فِيهِ بِالسَّعَادَةِ وَالْيُمْنِ)

٢٨ (مُجَاوِرَ سَكْنٍ فى دِيارٍ بَعِيدَةٍ   مِنَ الحَىِّ سَقْيًا لِلدِّيَارِ وَلِلسَّكْنِ)

التبريزى : السَّكْن : أهل الدار ، واحدهم ساكن .

البطليوسى : جعله مولَى القوافى ، لإحكامه لها وإجادته لصَنْعتها . والقوافى : اسم يقع على الكلمة المتردِّدة فى آخر البيت ، وهى من آخر ساكن فى البيت إلى أوّل ساكن يليه . وتقع أيضا على القصائد . وقد تقدّم ذكر هذا[1] .

واللُّكْنُ : جمع أَلْكَن ، وهو الشديد العُجْمة الذى لا يُبين . والسَّكْن : أهل المنزل ، وهو عند الأخفش جمعُ ساكِن ، وهو عند سيبويه اسم للجمع وليس بجمع . وأراد بالسكن ها هنا أهل القبور . والحىّ : القبيلة . والانقياد : السهولة والتأتّى .

الخوارزمى : « يمينك » منصوب على أنه مفعول « موسدا » . فى أساس البلاغة : «وَسَّدته كذا فتوسَّده » . الميت يُوَسَّد يمينَه فى قبره ، ومنه التَّيمُّن[2] ، للموت .

(١) انظر البيت ٥٥ من القصيدة ٣٢ ص ٨٠٨ .

(٢) فى أساس البلاغة : ويقال للشيخ الفانى : التيمن أروح ، أى الموت ؛ لأن الميت يتوسد يمينه . قال :

إذا المرء علبى ثم أصبح جلده   كرحض أديم فالتيمن أروح

وعلبى الرجل : ظهرت علابيه كبرا . والعلابى : عصب العنق ، الواحدة علباء .

والباء فى قوله « بالسعادة » تتعلق بقوله « موسّدا » . « مجاور سكن » منصوب على أنه صفة « موسدا » . السَّكْن : أهل الدار . قال ذو الرمّة .

* فيا أكرمَ السَّكْنِ الّذين تحمّلوا[1] *

وهو كالشَّرْب والصَّحْب ، فى أن كلّ واحد منهما اسم قد أطلق على الجمع غير مكسّر عليه واحدُه . و «يمينك» مع « اليمن » تجنيس . و « سقيا » التفات طيب .

٣٩ (تَأَبَّتْ يَقِينًا مِنْ جُهَينةَ عَنْهُمُ وَلَنْ تُخْبِرِينِي[2] يا جُهَينَ سوى ظَنِّ)

التبريزى : هذا مثلٌ مضروب ؛ يقال : « عند جُهَينةَ الخَبَرُ اليقينُ » . وكانت امرأة من بنى كلاب يقال لها صخرةُ ، ولها أخٌ يقال له حُصَيْن ، فسافر عنها ، فكانت تسأل الرُّكْبان عن أخباره فلا تعلم له حقيقة ، ثم ظهر لها بعد ذلك أنّ جُهَيْنَةَ ، وهى قبيلةٌ من قُضَاعَة ، قتلته ؛ قال الشاعر :

كصَخْرةَ إذ تُسائل فى مُرَادٍ وأنمارٍ[3] وعِلْمُهُمُ ظُنُونُ
تُسائل عن حُصَيْنٍ كلّ ركبٍ وعنــدَ جُهَيْنَةَ الخبرُ اليقينُ

ومن روى جُفَيْنَةَ ، فإنه اسم خمّار ذُكر أنّه قتله .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : فى أمثالهم : « عند جُهَينة الخبر اليقين » . قال الأصمعىّ وابن الأعرابىّ : هو جُفَيْنَة بالفاء ، وقيل حُفَيْنة ، بالحاء والفاء . خرج حصين بن عمرو ابن [illegible] بن كلاب ، وقيل : بل حصين بن سُبَيْع الغَطَفانىّ ، فلقى الأخنس بن كعب

---

(١) عجزه كما فى الديوان ص ٥٠٦ واللسان (١٧ : ٧٤) : * عن الدار والمستخلف المتبدل *

(٢) فى الديوان المخطوط و ا من البطليوسى : « ولم تخبرينى » . وفى الخوارزمى : « وهل تخبرينى يا جهين سوى الظن » وفى شرحه : « ولن تخبرينى » .

(٣) فى ى ومجمع الأمثال : « فى مراح * وأنمار » . وانظر ما سيأتى فى ص ٩٢٨ .

الجُهَنِى، فسأل كلٌّ واحد عن صاحبه، فأبى أن يعرِّف نفسه، حتى استعرف الأخنس إلى الحصين ثم الحصين إلى الأخنس، وتعاقدا على ألَّا يلقَيا أحدًا من عَشيرتيهما إلّا سلباه. ثم سلبا رجلا، فقال: هل لكما أن تَرُدَّا علىَّ بعضَ ما أخذتما منى وأدلَّكما على مَغْنَم؟ فقالا نعم. فقال: هذا لَخْمِىٌّ قدِم من عند مَلِكٍ بمغنم، وهو خَلْفِى بموضع كذا. فردّا عليه بعضَ السَّلَب، ثم بغيا اللخمىَّ فى ظل شجرةٍ ومعه طعامٌ وشراب، فحيّياه وحيّاهما، وعَرَض عليهما الطعامَ فأكلا وشربا، وذهب الأخنس لبعض شأنه، فرجع واللخمىُّ يتخبط فى دمه. فقال الأخنس: ويحك! فتكتَ بمن تحرَّمنا بطعامه وشرابه! فقال الحصين: اقْعُدْ يا أخا جُهَينة، فلمثل هذا خرجنا. فشربا ساعةً وتحدّثا. فقال الحصين: يا أخا جُهَيْنةَ، أتدرى ما صَعْلة و[ما] صعل؟ قال الأخنس: هذا يوم شُرْب وأكل. فسكت الحُصَين حتى ظنّ الأخنسَ غافلًا عما يريد به، فقال: يا أخا جُهينةَ: [هل أنت للطير زاجر؟ قال: وما ذاك؟ قال](١): ما تقول هذه العُقَاب الكاسر؟ قال الأخنس: وأين تراها؟ قال: هى ذه، ورفع إلى السماء رأسه، فوضع الجُهَنِىّ فى نَحْره بادرةَ السيف وقال: أنا الزاجر والنّاحر، واحتوى على متاعه ومتاع اللَّخْمِىّ وانصرف. فمرّ ببعض بطون قيس، فإذا هو بامرأة الحصين تَنْشُد الحصينَ، فقال الأخنس. أنا قتلتُه. قالت: كذبتَ! ولولا أنّ الحى خُلوفٌ ما تكلّمتَ بهذا. فرجع إلى قومه الأخنسُ وأصلح أمرهم، ثم جاءهم فوقف حيث يُسْمِعهم فقال:

تسائل عن حُصَيْنٍ كلَّ ركبٍ ... وعنـد جُهَيْنةَ الخبرُ اليقينُ
فمَنْ يَكُ سائلًا عنه فعِنْدِى ... لصاحبه البيانُ المستبينُ
جُهينةُ معشَرِى وهمُ ملوكٌ ... إذا طلبوا المَعالِى لم يهونوا

(١) الزيادة من مجمع الأمثال (١ : ٣٩٤).

وعن السِّيرافىّ أنه اسم خمَّار ، سكِر عنده رجلان فتواثبا ، فقام ثالثٌ يُصلح بينهما فقتله أحدهما ، وأخذ أهلُه الرجلين . فقال الحاكم : عليكم بجُفَيْنةَ فعنده الخبرُ اليقين مَن القاتلُ .

أنَّث أبو العلاء « جُهَينة » فى قوله « ولن تخبريني يا جهين » لمكان التأنيث اللفظى ؛ ومثله :

* أبوك خليفةٌ ولدتْه أُخرى(١) *

٣٠. (فإنْ تَعْهَدِينِى لا أَزالُ مُسائِلًا فإنِّى لَمْ أُعْطَ الصَّحِيحَ فأَسْتَغْنِى)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : إنما ذكر « جهينة » ها هنا لقولهم فى المثل : « عند جُهَينةَ الخبرُ اليقين » . فقال : أردتُ معرفة ما صار إليه أهلُ القبور بعد العدم والفناء ، من سعادة أو شقاء ؛ فسألت عن ذلك جُهَينةَ الموصوفة بأن عندها العلمَ اليقين ، فلم أجِد عندها أكثر مما عندى من رَجْمِ الظنون . والناس يرون هذا شكًّا منه فى البعث والقيامة ، وليس ذلك عندى على ما يتوهَّمون ، وإنما يريد أنه لا يعلم أحد ما صارت(٢) حال الموتى إليه ، وما الذى قدِموا بعد الموت عليه . إلّا أن الظن يغلِب على من مات على طريقة حسنة أنه قد سَعِد ، وعلى من مات على طريقة سيئة أنه قد شَقِي ، من غير قَطْع على أحدٍ منهم بسعادة أو شقاء .

وأمّا حقيقة هذا المثل ، فكان الأصمعىّ وابن الأعرابىّ يقولان : « عند جُفَيْنةَ الخبرُ اليقين » ، وينكران قول من رَوَى غير ذلك . وزعم الأصمعىُّ أنه خمَّار كان عنده خبرُ قتيلٍ .

---

(١) يريد : ولدته خليفة أخرى ، فأنث الفعل والوصف .

(٢) فى ب : « ما أفضت » .

وكان أبو عُبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى يقول : «حُفَيْنة» بالحاء غير المعجمة . وكان ابن الكلبيّ يقول «جُهَينة» بالجيم والهاء، وهذا هو الصحيح .

وأصل المثل، فيما ذكر ابن الكلبي وغيره، أنّ الأخنس بن شَرِيق الجُهَنِيّ خرج فى سفرٍ بصحبة رجلٍ من بنى كِلاب ، يقال له حُصَيْن بن عمرو بن مُعاوية ، فقتله الأخنس وأخذ ماله . وعُمِّى خبره . وكانت له أُخت يقال لها صَخْرة ، فكانت تُسائل عنه فى المواسم فلا تجد خبراً صحيحا . فقال الأخنس :

وكَمْ من فارسٍ لا تزدريه ... إذا شَخَصتْ لِمُونِقِها العيونُ
يَذِلُّ له العزيزُ وكلُّ ليثٍ ... حديدِ النابِ مسكنه العَرِينُ
علوتُ بَيَاضَ مَفْرِقِه بعَضْبٍ ... تطير لوَقْعِه الهامُ السُّكونُ
فأضحتْ عِرْسُه ولَهَا عليه ... هُدوءاً بعد رَقْدتها أنينُ
كصَخْرَةَ إذ تُسائل فى مراحٍ ... وفى جَرْمٍ[1] وعلمُهما ظنونُ
تُسائل عن أخيها كلَّ رَكْبٍ ... وعند جُهَيْنَةَ الخبرُ اليقينُ

الخوارزمى : الخطاب فى «تعهدينى» لجهينة . الصحيح ، أى الجواب الصحيح . وهذا البيت تقريرٌ للبيت المتقدم .

٣١ (وإنْ لَمْ تَكُنْ لِلفَضْلِ ثَمَّ مَزِيَّةٌ ... عَلَى النَّقْصِ فَالوَيْلُ الطَّوِيلُ مِنَ الغَبْنِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : إنما قال هذا ، لأن عوامّ الناس يعتقدون أنّ أهل الجنّة هم البُلْهُ الجُهّال ، ويحتجّون بالحديث المروىّ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : «أكثرُ أهل الجَنَّة البُلْه» . وهذا غلطٌ فى التأويل واحتجاج للجهل، بل العالِم وإن

(١) وكذا جاءت الرواية فى الاقتضاب للبطليوسى ص ٢٢٥ . وانظر ما سبق فى ص ٩٢٥ .

كانت منه الهَفَوات والزَّلَّات أفضلُ عند الله من الجاهل العابد الذى لم يكتسب خطيئة قط . وقد جاء فى الحديث أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أُثنى عن رجل بأنه مجتهدٌ فى العمل، قال : كيف عقلُه ؟ وفى حديث آخر : « إنّ الرجل ليجتهد فى العمل وما يُجازَى يوم القيامة إلّا على قَدْر عقله » . وفى حديث آخر : « ما استرذل الله عبدًا إلا زَوَى عنه العلمَ والأدَبَ » . والبَلَهُ فى كلام العرب يتصرّف على وجهين : أحدهما يُراد به الجهل وعدم المعرفة والعقل، وليس هذا المعنى المراد بالحديث . والثانى يراد به سلامةُ الصدر، والجهلُ بطرق الشرّ ، كحال الفضلاء من الناس الذين أقبلوا على ما أُمِروا به ، وأعرضوا عما نُهُوا عنه ؛ فإذا فاوضتَهم فى العلوم وأمور الدين وجدتَهم بذلك عالمين ، و إذا فاوضتهم فى أمور الدنيا وجدتهم بها جاهلين . وقد وجدنا العرب تمدح بالبَلَه . قال أبو النجم :

من كلِّ بيضاء سَقُوطِ البُرْقُعِ　　بَلْهاء لم تَحْفَظْ ولم تُضَيِّعِ

أراد سلامةَ صدرها مما تنطوى عليه صدورُ أهل الخُبْث والمكر، و[...] بالأمور التى مَهَر فيها أهل الفِسْق والشرّ .

الخوارزمى : « ثَمَّ » أى فى دار الآخرة، وهو مليح .

٣٢ (أَمُرُّ بِرَبْعٍ كُنْتَ فِيهِ كَأَنَّمَا　　أَمُرُّ مِنَ الإِ[...]

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : صلّيت فى حِجر الكَعْبة[...]

والحِجْر : ما حواه الحطيم . وكل ما حج[...] مفعول، من الحَجْر وهو المنع .

(١) فى البطليوسى : « من الإجلا[...]

٣٣ (وَإجْلاَلُ مَغْنَاكَ اجْتِهَادُ مُقَصِّرٍ إذَا السَّيْفُ أَوْدَى فَالْعَفَاءُ عَلَى الجَفْنِ)

التبريزى : مغناك : منزلك . والمعنى : أنا أُجِلُّ منزلَك الذى كنتَ تَحُلُّه ، وذلك اجتهاد من مقصِّر ؛ لأن السيف إذا فُقِـدَ فَلا فائدةَ فى إجلال غِمْـده . والعفاء : الهَلاَك ، والتراب . وقد فُسِّر بيت زُهَيْر على الوجهين ، وهو قوله :

تَحَمَّـل أهلُها منهـا فبانُوا على آثارِ مَنْ ذَهَبَ العفاءُ

البطليوسى : الرَّبْع : المنزلُ حيث كان ، فإذا قلتَ مَرْبَع ، فإنما هو المنزل فى الربيع خاصّة . والمَغْـنَى : نحو الرَّبْع لايَخُصّ مكانًا دون آخر . وهو مشتقٌّ من لهم : غَنِيتُ بالمكان ، إذا أقمتَ به واستغنيتَ به عن غيره . والعفاء : دُروس الشىء . وأودى : هلك . والجَفْن : غِمْد السيف . ويُرْوَى : « إذا النَّصْل » .

يارزمى : عليهم العفاء ، بالفتح ، وهو التراب . وعن صَفْوان بن مُحْرِز : فأكلتُ رغيفًا وشربت عليـه ماء ، فعلى الدنيا العفَاء » . وألفها الريحُ الدارَ : دَرَسَتها وأذهبت عَفاءَها . والمصراع الثانى تقرير

طَائرًا فَأَقْسَمَ أَلَّا يَسْتَقِرَّ عَلَى وَكْنِ)

الذى يسقط فيـه الطائر فى جبل ونحـوه ،
حَلَفَ ألّا يستقر فى موضع . والمراد أن
فى وَكْنٍ من قَلَقه وانزعاجه .

الخوارزمى : قال الأصمعىُّ : الوكن . مأوى الطائر فى غير عُشٍّ . ومنه الواكن للجالس . وأمّا الوَكْر، بالراء، فهو ما كان فى عُشّ . قد لَمَح فى هذا البيت شيخُنا جار الله :

وقلت لقلبى قد ملكتك مَرّةً فما أنت إلّا طائرٌ طار عن وَكْنِ

٣٥ (يُقَضِّى بَقَايَا عَيْشِهِ وَجَنَاحُهُ حَثِيثُ الدَّوَاعِى فِى الْإِقَامَةِ وَالظَّعْنِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : شبّه قلبه لشدّة خَفَقانه وقلّة قَراره، بطائر لا يستقرّ فى عُشٍّ، فهو فى طَيَران متصل . والوَكْن والوَكْر سواء، وهو الموضع الذى يألَفُه الطائر . والحثيث : السريع . والدواعى : الأمور التى تعرض له فتُفزعه وتمنعه من الاستقرار . والظّعْن والظّعَن، بتسكين العين وفتحها : الارتحال .

الخوارزمى : فرسٌ حثيثُ السير، ومضى حَثِيثاً . وهو فعيلٌ بمعنى مفعول، من حَثّه على الشيء . ونظير الحثيث ها هنا بيت السقط :

تَحُثُّ جناحاً من حِذارِ مُغَاوِرٍ صباحاً فقَبْضٌ يجمع الريشَ أو بَسْطُ(١)

يقول : ذلك الطائر الممسوخ أبداً متحيّرٌ متردِّد العزم ، لا يستقرّ له على الطيران ولا على الوقوع رأى، فكلما هَمَّ بالمطار بدا له أن يقع ، وكلما هَمَّ بالوقوع بَدا له أن يطير، فعلى ذلك يقضى بقايا عُمْره، فذلك الطائر شبيه قلبى .

٣٦ (كَأَنَّ دُعَاءَ الْمَوْتِ بِاسْمِكَ نَكْزَةٌ فَرَتْ جَسَدِى وَالسُّمُّ يَنْفُثُ فِى أُذْنِى)

التبريزى : نَكْزةٌ، أى لَدْغة من حيّة . والنكز بالأنف، والنَّشْط بالفم . وقوله «فرتْ» أى قطعت .

البطليوسى : سيأتى .

(١) البيت من القصيدة ٦٨ .

الخوارزمى : يقال : نكزته الحيّة ، أى لسعته بأنفها ، ونَشَطَتْه ، أى عضّته بنابها . كأن فيه نَشْطةً ، أى جَذْبةً ، من نَشَط الماتحُ الحبلَ ، إذا جذَبه ، وكذلك نَشَط الصقر بمخلَبِه .

٣٧ ﴿ضَعُفْتَ عَنِ الإصْبَاحِ وَاللَّيْلُ ذَاهِبٌ كَمَا فَنِيَ المِصْبَاحُ فِى آخِرِ الوَهْنِ﴾

التبريزى : الوَهْن : القطعة من الليل ، والمَوْهِن مثله .

البطليوسى : يقال : نَكَزَتْه الحيّة ولَدَغَتْه ، ولَسَبَتْه ، ونَشَطَتْه ، ووَكَعَتْه ، ولَسَعَتْه ، كلُّ ذلك بمعنى واحد . يقول : كأنّ الناعى حين نعاك لى حيّةٌ نَكَزَتْنى ، ونَفَثَتْ السمّ فى أذنى . والوَهْن والموهن : مقدارُ ثلث الليل .

الخوارزمى : قوله : «والليل ذاهب» أى كان الليل إلى الانقضاء ، لم يبق منه إلا شَفًا . يقال : طَفِئ فلانٌ ، كالمصباح . فى كلماتهم : الحياةُ كالسِّراج ، والجسم كالفَتيلة ، والغذاء كالدُّهن . والمصراع الأخير يُشْعِر أن المرثىّ مات فى آخر الليل موتا طَبيعياً . وفى هذا البيت إيماء الى أن قالَبَ الانسان يحتمل الحياة زماناً مقرّرا يستحيل أن يحتملها فوقه .

٣٨ ﴿[illegible] فِى أَنِينِكَ وَاجِبٌ كَمَا وَجَبَ النَّصْبُ اعْتِرَافًا عَلَى إنَّ﴾(١)

الخوارزمى : النَّصْب ، بفتح النون وضمّها مع سكون الصاد ، وفتح النون والصاد ، وضمهما ، هو التعب . وقرئ قوله تعالى : ﴿بِنصبٍ وَعذَابٍ﴾(٢) بهذه الوجوه .

والرواية فى بيت أبى العلاء فتح النون . وعنى بالاعتراف الوجوبَ . وهذا من إطلاق السبب على المسبَّب . و «على» بمعنى «مع» . ومعنى وجوب النصبين أنه لا بُدَّ منهما . ولقد أحسن فى تجنيس هذه الألفاظ .

(١) هذا البيت انفرد بروايته الخوارزمى والتنوير . وهو فى التنوير قبل البيت السابق .

(٢) قرأ أبو جعفر بضم النون والصاد ، وقرأ يعقوب بفتحهما ، وسائر القراء بضم النون وإسكان الصاد . أنظر إتحاف فضلاء البشر ٣٧٢

٣٩ (وَمَا أَكْثَرَ الْمُثْنِي عَلَيْكَ دِيَانَةً ... لَوَ انَّ حِمَامًا كَانَ يَثْنِيه مَنْ يُثْنِي)

التبريزى : أى لو كان الثناء الحسَن يردّ الموت عن أحدٍ لَردَّ عنك .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : «ديانة» منصوب على أنه مفعول له ، والعامل فيه «المثنى» . و «يَثْنيه» مع «يُثْنى» تجنيس .

٤٠ (يُوَافِيكَ عَنْ رَبِّ الْعُلَا الصِّدْقُ بِالرِّضَا ... بَشِيرًا وَتَلْقَاكَ الْأَمَانَةُ بِالْأَمْنِ)

التبريزى : أى صِدْقُك يوافيك برضَا الله تعالى .

البطليوسى : الحِمام : الموت . ويَثْنيه : يصرفه . يقول : لو كان الثناء بالأفعال الحُسْنَى يَصْرِف الموت عن المتوفَّى ، لصرفَ عنك المنيّةَ كثيرُ ما يُؤْثَرُ عنك من أفعالك المرضيّة . ثم قال : ما كنتَ عليه فى الدنيا من الصِّدْق سيُبَشِّرك بعفو الله عنك ورضاه ، وأمانتُك ستُؤمِنُك من عذابه الذى كنت تخشاه .

الخوارزمى : أى صِدْقُك وأمانتُك . و «الأمانة» مع «الأمن» تجنيس .

٤١ (تَرَ يَكْنِي شَهِيدُ الْمَرْءِ غَيْرِكَ هَيْبَةً ... وَبُقْيًا وَإِنْ يُسْأَلْ شَهِيدُكَ لَا يَكْنِي)

التبريزى : معناه أن الشهيد الذى يشهد على الإنسان فى الآخرة يَكْنى عن بعض أفعاله لأنها قبيحة ، وشهيدُك لا يَكْنِى عن شىء من فِعلك لأنه كلّه جميل .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٤٢ (يُصَرِّحُ بِقَوْلٍ دُونَهُ الْمِسْكُ نَفْحَةً ... وَفِعْلٍ كَأَمْوَاهِ الْجِنَانِ بِلَا أَسْنِ)

التبريزى : الأسْنُ والأَجْن سواء ، وهو التغيُّر . وقالوا : الآجِن : الذى يتغيّر ويمكن شُرْبه ، والآسِنُ : المتغيِّر الطعم ولا يمكن شُرْبُه .

البطليوسى : يريد أن الشاهد الأوّل الذى يشهد على الإنسان يوم القيامة يَكْني عن بعض أفعاله لأنها قبيحة ، والشاهد عليك لا يكنى عن شيء من أفعالك لأنها كلّها حسنة . وقال المفسّرون فى قوله تعالى : ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أى سائق من الملائكة ، وشهيدٌ من أعضائها، وكما قال : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ويسمّى الملك المُوَكّل بالإنسان أيضا شهيدًا وشاهدًا . قال الأعشى :

فلا تَحْسَبَنِّى كافرًا لك نعمةً ... علَيّ شاهدى يا شاهد الله فاشْهَدِ[1]

يعنى بالشاهد الأوّل لسانَه ، وبالشاهد الثانى المَلَك المُوكّل بالإنسان ، وكان أهل الجاهلية يؤمنون بذلك . ويجوز فى «غيرك» النصب على الاستثناء، والخَفْض على الصفة للرء . وإنما جاز أن يوصف «المرء» وهو معرفة بـ «غير» وهو نكرة لا يتعرّف بما يضاف إليه ، لأن « المرء » ها هنا لا يراد به رجلٌ معهود ، وإنما هو اسم واقع على الجنس ، ولذلك صح الاستثناء منه . فلما لم يكن رجلًا مقصودا إليه صار كالنكرة . وعلى هذا ، أجاز سيبويه : إنى لأَمُرّ بالرجل غيرِك فأكرمه ، وإنى لأمرّ بالرجل مِثلِك فأضربه ، على الصفة ، لِما ذكرناه . والأمواه : جمع ماء . والأَسْن : التغير . يقال : أَسَن الماء ، وأَسِن ، بالفتح والكسر ، إذا تغيَّر . وجزم قوله « يصرِّح » على البدل من قوله « لا يكنِى » ، وليس ببدل من فعله وحده ، ولو كان كذلك لا نقلب المعنى ، ولكنه بدل من مجموع الحرف والفعل معًا . ونظيرُه ما أنشده سيبويه[2] من قول الشاعر :

إنْ يَغْدِروا أو يَجْبُنُوا ... أو يَكْذِبُوا لا يَحْفِلوا

(١) فى الديوان ١٣٣ : « علىّ شهيد شاهد الله فاشهد » .

(٢) انظر سيبويه (١ : ٤٤٦) .

يغدوا عليك مُرَجَّليـ ـن كأنّهـم لم يفعلوا

فقوله « يغدوا » بدل من قوله «لا يحفلوا » وليس ببـدل من الفعل وحده.

الخـوارزمى : « يصرِّح » مجزوم على البدل من الجزاء ، وهو « لا يكنى » .

ونظيره ما أنشده السيرافىّ(١) :

إنْ يَبْخَلُوا أو يَجْبُنوا أو يَغْـدِروا لا يحفِـلوا

يغـدوا عليـك مُرَجَّليـ ـن كأنّهـم لم يفعـلوا

قال السيرافىّ : قوله « يغدوا عليك » بدلٌ من قوله « لا يحفلوا» أو تفسير له .

الأَسْن مثل الأَجْن وزناً ومعنى .

٤٢ ﴿يَدُ يَدَت الحُسْنَى وَأَنْفاسُ رَبِّها تُقًى ولِسَانٌ لَا يُحَـرِّكُ بِاللَّسْنِ﴾

التـبريزى : يقال : يَدَى إلىّ يدًا ، أى صـنَع إلىّ جميلا . والمختار أَيْدَى . وقد جاء «يَدَى» فى الشعر الفصيح . قال :

يَدَيْتُ على ابن حَسْحَاسِ بن وَهْبٍ بأسـفلِ ذِى الجِـذَاةِ يَـدَ الكريمِ(٢)

الجَذَاة : شجرةٌ ، وجمعها جِذاءٌ . قال ابن مُقْبِل :

باتتْ حواطبُ ليلى يلتمسنَ لهـا جَزْلَ الجِـذَا غيرَ خوّارٍ ولا دَعِرِ(٣)

الدَّعِرُ : الكثير الدُّخَان . واللَّسْنُ ، من قولهم : لَسَنه ، إذا أخذه بلسانه ، أى وقع فيه . قال طَرَفةُ :

(١) يعنى ما أنشده من استشهاد سيبويه فى كتابه .

(٢) البيت فى الحماسة ٩٠ بن لبعض بنى أسـد . وذكر ابن برى أنه لعامر بن موألة . انظـر اللسان (١٨ : ١٥١) . والصواب أنه معقل بن عامر بن موألة ، كما فى النقائض ٦٦٧ ، وانظر الأغانى (١١ : ١٤٧) طبع دار الكتب المصرية . والجذاة ، بفتح الجيم وكسرها ، كما نص عليـه التبريزى فى شرح الحماسة وكما فى معجم ما استعجم .

(٣) فى الأصل : « يقتبسن » . صوابه فى شرح الحماسة ٩٠ بن واللسان (مادتى دعر ، وجذا) .

وإذا تَلْسُنُنِى أَلْسُنُها ... إنّنى لستُ بمَوْهونٍ فَقِرْ

أى مكسور الفَقَار. وقالوا: فَقِرٌ أى مُمكن. يقول: لست بممكن أعدائى منى. ويكون من قولهم: «قد أفقرك الصيدُ فارْمِه» أى قد أمكنك. ذكره يعقوب. والمعنى أنه ذكر امرأة وصَفها، وقال: لا أصبر على ما يسوءنى من كلامها؛ لأنى شابٌّ كريم يُرْغَب فيه، وما فىَّ عيبٌ أَحتملها من أجله.

البطليوسى: سيأتى.

الخوارزمى: يَدَتْ إليه[1]، وأيدتْ أفصحُ منه. وأمّا بيتُ الحماسة:

* يَدَيْتُ على ابن حسحاس بن وَهْبٍ *

فلتضمُّنه معنى أنعمت عدّاه بـ«على». اللَّسْن: مصدرُ لَسَنَه، إذا أخذه بلسانه. و«اللسان» مع «اللسن» تجنيس.

٤٣ (فَلَيْتَكَ فِى جَفْنٍ مُوارًى نَزاهةً ... بتلك السَّجايا عن حَشاىَ وعن ضِبْنِى)

التبريزى: الضِّبْن: ما تحت الكَتِف من الخاصرة. قال أَوْسُ بن حَجَرٍ:

وأبيض بضّ عليه النسورُ ... وفى ضِبْنِه ثَعْلَبٌ مُنْكَسِرْ[2]

البطليوسى: يقال: يديتُ إليه يدًا وأيديت، إذا أوليتَه نعمةً. واللسن: مصدرُ لَسَنْتُ الرجلَ أَلْسُنه، إذا أخذتَه بلسانك. قال طَرَفة:

وإذا تلسُننى ألسنها ... إنّنى لستُ بموهونٍ فَقِرِ

(١) فى الأصل: «يدت عنه».

(٢) كذا. والوجه رواية الديوان ص ٦: «وأحمر جعدا عليه النسور». وقبله:

بكل مكان ترى شطبة ... مؤلبة ربها مسبطر

وانظر اللسان (ضبن).

والسجايا : الطبائع، واحدها سجيّـة . والضِّبْن : ما تحت الذّراع من الإبط؛ يقال : اضطبنتُ الشيء، إذا أخذتَه تحت إبطك . والحسنى : تأنيث الأحسن، وهو اسم يقع على كل فَعْلةٍ حَسَنة قد عُرِفتْ بذلك وشُهرت به؛ لأن الألف واللام إذا دخلتا على أفعل الذى للفاضلة فإنما تدخلان على معنى العهد . وقوله « وأنفاس ر بها تُقًى» يريد أن التقى كان قد جرى منه مجرى النَّفَس . والموارَى: المستور المغطّى . وإنما نزّه أباه عن أن يكون فى حشاه، لأن الحشى موضع الأقذار . وكأنه أراد أن يُناقض مَنْ تقدّم من الشعراء؛ لأن من شأنهم أن يصفوا أنّ أحبّتهم فى أحشائهم؛ كما قال أبو الطيّب :

فإنْ تكُ فى قَبْرٍ فإنّك فى الحَشَى وإن تَكُ طفلاً فالأَسَى ليس بالطفلِ

وكما قال الرضىّ :

ولـو أنّ حَيًّا كان قبراً لِمَيّتٍ لصيّرتُ أحشائى لأعْظُمه قَبْرَا

الخـوارزمى : النزاهة ، هى البعد عن السوء . ومكان نَزِهٌ ونزيهٌ ، أى بهجٌ متباعد عن الوحشـة . وفلان نزيه العِرْض، أى بعيـدٌ عن كل ما يَشينه . البـاء فى « بتلك » لتعدية قوله « نزاهة » . الضِّبْن، بالكسر : ما بين الإبط والكَشْح . وأوّل مراتب الحمل الأَبْطُ[1] ثم الضِّبْن ثم الحِضْن ، ومنه اضطبنه ، أى جعله فى ضِبْنه . يقول : أُنَزِّه تلك الشّيم أن تغيب فى حشاى، وفيما بين إبطى وكَشْحى، فكيف أرضَى لها بأن تُدْفَنَ فى التراب .

قال الشارح رضى الله عنه[2] : ومما قلته فى مرثية ابنى :

دَفنتُكَ ما بين الحجارةِ والتُّربِ ولو أنّنى أنصفتُ صُنْتُكَ فى قلْبِى
أقُـرّةَ عينى مذ تَستّرتَ بالـثّرى فأنوارُ عينى قـد تَسـتَّرْنَ بالحُجْب

(١) كذا . والمعروف « التأبط » . (٢) هذه عبارة الممل عليه .

٤٥ (ولَو حَفَرُوا فى دُرَّةٍ ما رَضِيتُهَا ... لِجِسْمِكَ إبْقَاءً عَلَيْهِ مِنَ الدَّفْنِ)(١)

٤٦ (ولَوْ أوْدَعُوكَ الجَوَّ خِفْنَا مَصِيفَهُ ... ومَشْتَاهُ وازْدَادَ الضَّنِينُ مِنَ الضِّنِّ)

التبريزى : الضنين : البخيل . أى ازداد البخيل من البخل على الجو بجسمك .

البطليوسى : الجو : ما بين السماء والأرض . والمَصِيف ، يكون المصدرَ من صاف يصيف ، ويكون أيضا زَمَنَ الصيف . وكذلك المَشْتَى يكون مصدراً من شَتَا يَشتو ، ويكون زَمَنَ الشِّتاء . والضنين : البخيل . والضِّنُّ : البُخْل . يقول : الهواء وإن كان أشرف من الأرض وأوسع ، فلستُ أرضَى به أن يكون قبراً لك ؛ ولو أودعوك إياه ، لأشفقت عليك من مَصيفه ومَشْتاه ، ولكان بُخْلى بك على الهواء أشدّ من بخلى بك على الأرض .

الخوارزمى : هذان البيتان تقريرٌ للبيت المتقدّم .

٤٧ (فَيَاقَبْرُ وَاهٍ مِنْ تُرَابِكَ لَيِّنًا ... عَلَيْهِ وَآهٍ مِنْ جَنَادِلِكَ الخُشْنِ)

التبريزى : آه : تألَّمٌ ، كأنه يتألّم من الحجارة الخَشِنة فوقه والترابِ اللّيِّن عليه .

البطليوسى : واه ، كلمة معناها التلهُّف والحزن . وآه ، بالهمزة ، كلمة معناها التوجّع ، وهى أبلغ فى معنى الارتماض والإشفاق ، فلذلك ذكرها مع الجنادل الخُشْن . وذكر «واه» مع التراب اللين ؛ لأن «واه» كلمة معناها التعجّب(٢) ، و«آه» كلمة معناها التوجع ، والتوجع أليقُ بالحجارة الخُشْن منه بالتراب اللين . والجنادل : الحجارة . و « خشن » يحتمل أن تكون جمعَ خَشِنٍ وجمعَ أخْشَنَ .

(١) هذا البيت متأخر عن تاليه عند البطليوسى .

(٢) عبارة ب : « لأنها كلمة يكون معناها التعجب أيضا » .

الخوارزمى : واهًا له ما أطيبَه ! كلمةٌ تقال عند التعجّب من الشيء . قال أبو النجم :

* واهًا لرَيّا ثم واهًا واهَا[1] *

ويقال واهِ، بالكسر . أنشد الغورى :

* واهِ لذلك من داعٍ ومن حَكَمِ *

أَوْهِ من كذا وآهِ منه[2]، كلمة تقال عند شكاية الشيء . الخُشْن : جمع أَخْشَن . وفى الحديث : « أخشنُ فى ذات الله تعالى »[3] . وكتيبة خَشْناء : كثيرةُ السلاح .

وقال الغورى : الخُشْن : جمعُ خَشِن . وفى الحماسة :

* إذًا لقام بنَصْرِى مَعْشَرٌ خُشُنٌ[4] *

٤٨ (لأُطْبِقَتْ إِطْباقَ المَحارَةِ فاحْتَفِظْ ... بِلُؤْلُؤَةِ المَجْدِ الحَقِيقَةِ بالخَزْنِ)

التبريزى : المحارة : الصَّدَفة . شبّهه فى قبره بالدُّرّة فى الصَّدَفة .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : أَطْبِقْ شفتيك . المحارة، هى الصدفة . واشتقاقها إمّا من قولهم : كلّمته فما أحارَ جوابًا، أى ما ردّ؛ لأن الصدفة تردّ عن الدُّرّة كل آفة، ولذلك سمّيت « صَدَفة » من أصدفنى عنه كذا، أى ردّنى وصرفنى، وإما مَفْعَلة من الحَيْرة . فى أساس البلاغة : «احْتَفَظ بالشيء وتَحَفَّظ به، إذا عُنِى بحفظه» . وعليه بيت السقط :

* أجاد الهالكىّ به احتفاظًا[5] *

(١) انظر الخزانة (٣ : ٣٣٧ — ٣٣٨) واللسان (١٧ : ٤٦٢) .

(٢) ويقال «أوّه» بتشديد الواو المفتوحة وسكون الهاء . ويقال «آه» أيضا بالتنوين .

(٣) فى اللسان (١٦ : ٢٩٨) : «أخيشن» وقال : «هو تصغير الأخشن للخشن» .

(٤) من أوّل مقطوعة فى حماسة أبى تمام، وهى لقريط بن أنيف العنبرى . وعجزه :

* عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا *

(٥) البيت ٢٤ من القصيدة ٦٣، وعجزه : * فلم يطلق السروب ولا الهمولا *

وفى كلام أَكْثَم بن صَيْفِىٍّ لابنه حين بعثه إلى النبيّ عليه السلام : «واحْتَفِظْ بما يقول لك إذا ردّك» .

٤٩ (فَهَلْ أَنْتَ إِنْ نَادَيْتُ رَمْسَكَ سَامِعٌ نِدَاءَ ابْنِكَ الْمَفْجُوعِ بَلْ عَبْدِكَ الْقِنِّ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : عبدٌ قِنٌّ : مُلِك هو وأبواه . وقيل : هو من القِنية . وهو عكس القَلَنْقَس[1] .

٥٠ (سَأَبْكِى إِذَا غَنَّى ابْنُ وَرْقَاءَ بَهْجَةً وَإِنْ كَانَ مَا يَعْنِيهِ[2] ضِدَّ الَّذِى أَعْنِى)

التبريزى : أى إذا غنّى الحمام مَرَحًا، بكيت عليه حزنًا .

البطليوسى : الرَّمْس : القبر، ويقال : رَمَسْتُ الميّتَ، إذا دفنته، وكلُّ شىء أخفيته فقد رمسته . والقِنّ : الذى مُلِك هو وأبواه . والورقاء : الحمامة، ويوصف بذلك كل ما كان فيه غُبْرة من الطير وغيرها . وقد ذكرنا أنّ صوت الحمام يسمّى غناء، ويسمّى نَوْحًا وبكاء .

الخوارزمى : «بهجة» منصوب على أنه مفعول له، والعامل فيه «غنّى» .

يقول : متى غنّى الحمامُ فَرَحًا، بكيت على والدى تَرَحًا . وشتان بين همّى وهمّها، وبكائى وغنائها .

٥١ (وَنَادِبَةٌ فِى مِسْمَعِى كُلُّ قَيْنَةٍ تُغَرِّدُ بِاللَّحْنِ الْبَرِىِّ مِنَ اللَّحْنِ)

التبريزى : اللحن الأول، من الغناء، واللحن الثانى، من الإعراب . والتغريد : رفع الصوت بالغناء .

(١) القلنقس : الذى أبوه مولى وأمه عربية . وفى الأصل : «النقض» وفى أساس البلاغة، وهو مظنة النقل : «عكس النقض» تحريف . (٢) فى الخوارزمى : «من يعنيه» .

البطليوسي : النادبة : التي تندُب الميِّت وتتفجَّع عليه . والمِسْمَع : الأُذُن . والقَيْنة : المغنِّية هاهنا . وكل أَمَةٍ عند العرب قَيْنة . وقد ذكرنا ذلك فيما مضى[1] . واللحن الاول : الغناء . واللحن الثاني : الخطأ في الإعراب . يقول : المغنِّية المجيدة عندي كالنائحة ، لفَرْط حزني عليك ووجدي ، ولأني قد حرِمتُ السرور بعدك على نفسي .

الخوارزمي : لَحَن في كلامه ، إذا مالَ به عن وجه الإعراب إلى الخطأ ، وهو اللَّحْن . وهذا لَحْنُ مَعْبَد وألحانُه ومَلَاحِنُه ، أي أغانيه ؛ لأنها لا تخلو عن إمالة أصوات .

٥٢ (وَأَحْمِلُ فِيكَ الحُزْنَ حَيًّا فَإِنْ أَمُتْ ... وَأَلْقَكَ لَمْ أَسْلُكْ طَرِيقًا إِلَى الحُزْنِ)

التبريزي : أي لم أَحْزَنْ بعد لِقائك .

البطليوسي : سيأتي .

الخوارزمي : يقول : أنا مادمت حيًّا مفجوعٌ بك غيرُ سالٍ ، فإن مُتُّ وسَعِدتُ بلقياك فحينئذ السُّلُوّ .

٥٣ (وَبَعْدَكَ لَا يَهْوَى الفُؤَادُ مَسَرَّةً ... وَإِنْ خَانَ فِي وَصْلِ السُّرُورِ فَلَا يَهْنِي)

التبريزي : أي إنْ وصَلَ السُّرورَ فؤادي بعدَك فلا هُنِئ به .

البطليوسي : قوله « وأحمل فيك الحزن » من أحسن الإشارات والمنازع ؛ لأنه رأيٌ قد طابقت فيه الفلسفةُ الشرائع . وذلك أن النفوس السعيدة والنفوس الشقية ، لا يجوز أن تتلاقى بعد الموت ؛ لأن السعيدة منها تعلو والشقية تسفُل ،

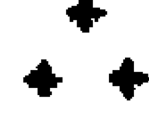
(١) انظر البيت الأول من القصيدة الثالثة ص ١٧٢ .

فهى متناقضة ، وإنما تُلاقى السعيدةُ السعيدةَ، والشقيةَ الشقيةُ . على أن السعيدة تتفاضل فى مراتب السعادة، والشقيّة تتفاضل فى مراتب الشقاوة . فقال لوالده : أنا طولَ الحياة ملازمٌ للبكاء والعويل ، والحزن الطويل ؛ فإن قُدِّر لى أن ألقاك بعد الموت فقد نِلتُ الأمن ، وزال عنى الحزن؛ لأنى لا ألقاك إلّا وقد حزتُ السعادة، ونِلتُ الإرادة . وكأنه كان واثقا بأن الله قد رضى عن أبيه، وأنه يستشفع عند ربّه فيه .

الخوارزمى : خانه العهد، وخانه فى العهد . الضمير فى «فلا يهنى» للسرور. يقال هنأنى الطعام ومرأنى .

[انتهى القسم الثانى من شروح سقط الزند]

فهـــرس قصائد هذا القسم



كَمُلَ طبع "القسم الثانى من شروح سقط الزند" بمطبعة دار الكتب المصرية
فى يوم الثلاثاء ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٦٥ (٢٢ أكتوبر سنة ١٩٤٦) م

محمد نديم
مدير المطبعة بدار الكتب
المصرية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٧٧٣٣

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٥٧٠ - ٣